



جامعة محمد الخامس بالرباط  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
Université Mohammed V de Rabat  
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines  
Mohammed V University in Rabat  
Faculty of Letters & Human Sciences

# اللساني Linguist

مجلة فصلية دولية محكمة متخصصة في اللسانيات تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة محمد الخامس بالرباط - المملكة المغربية

عدد خاص حول التحليل النقدي للخطاب



المجلد (2) - العدد (4)

2025

ISSN: 2665-7406

E-ISSN: 2737-8586



www.the-linguist.com



# اللغوي linguist

مجلة فصلية دولية محكمة متخصصة في اللسانيات تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
جامعة محمد الخامس بالرباط - المملكة المغربية

مجلة اللساني - المجلد 2 - العدد 4 - 2025

Dépôt Légal: 2019PE0001  
ISSN: 2665-7406 (Online)  
E-ISSN: 2737-8586 (Print)

البريد الإلكتروني للمجلة  
linguist@linguist.ma

الموقع الإلكتروني للمجلة  
<https://linguist.ma>

المدير الإداري للمجلة

أ. د. ليلى منير

عميدة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالنيابة



مجلة فصلية دولية محكمة متخصصة في اللسانيات  
تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
جامعة محمد الخامس بالرباط

المدير المسؤول ورئيس التحرير

أ. د. حافظ إسماعيلي علوي

## الهيئة العلمية الاستشارية

- أ. د. أحمد المتوكل (المغرب)      أ. د. عبد الرزاق بنور (تونس)      أ. د. محمد غاليم (المغرب)  
أ. د. حسن حمزة (لبنان/ قطر)      أ. د. عبد المجيد جحفة (المغرب)      أ. د. مرتضى جواد باقر (العراق)  
أ. د. حمزة بن قبال المزيني (السعودية)      أ. د. عز الدين المجذوب (تونس)      أ. د. مصطفى غلفان (المغرب)  
أ. د. سعد مصلوح (الكويت/ مصر)      أ. د. مبارك حنون (المغرب)      أ. د. مولاي أحمد العلوي (المغرب)  
أ. د. صالح بلعيد (الجزائر)      أ. د. محمد الرحالي (المغرب)      أ. د. ميشال زكريا (لبنان)  
أ. د. عبد الرحمن بودرع (المغرب)      أ. د. محمد العبد (مصر)      أ. د. هشام عبد الله الخليفة (العراق)

## هيئة التحرير

- أميرة غنيم (جامعة سوسة، تونس)      عقيل بن حامد الزماي الشمري (جامعة القصيم، السعودية)  
إيمان محمد مصطفى (جامعة قطر، قطر)      عماد أحمد سليمان الزين (جامعة الإمارات، الإمارات)  
حبيبة الناصيري (جامعة محمد الخامس، المغرب)      عيسى عودة برهومة (الجامعة الهاشمية، الأردن)  
حسن خميس الملمخ (الجامعة القاسمية، الإمارات)      ليلى منير (جامعة محمد الخامس، المغرب)  
حسين ياغي (جامعة الشارقة، الإمارات)      محروس بريك (جامعة قطر، قطر)  
خالد الأشهب (جامعة نيويورك، أمريكا)      محمد الدرويش (جامعة محمد الخامس، المغرب)  
رشيدة العلوي كمال (جامعة محمد الخامس، المغرب)      محمد الصحبي البعزاوي (جامعة الوصل، الإمارات)  
رضوان حسيان (جامعة محمد الخامس، المغرب)      امحمد الملاح (جامعة القاضي عياض، المغرب)  
عبد الرحمن البارقي (جامعة الملك خالد، السعودية)      مراد الدقار (جامعة محمد الخامس، المغرب)  
عبد الرحمن طعمة حسن (جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان)      مرتضى جبار كاظم (جامعة الكوفة، العراق)  
عبد الكريم بنسوكاس (جامعة محمد الخامس، المغرب)      نعمة بنعياد (جامعة محمد الخامس، المغرب)  
عبد اللطيف الطاهري (جامعة محمد الخامس، المغرب)      نور الدين أمروص (جامعة محمد الخامس، المغرب)  
عثمان احمياني (جامعة محمد الخامس، المغرب)      وفاء قضوي (جامعة محمد الخامس، المغرب)  
عز الدين الطاهري (جامعة محمد الخامس، المغرب)      وليد العناتي (جامعة الأثروا، الأردن)  
عزة شبل محمد أبو العلا (جامعة القاهرة، مصر، وجامعة أوساكا، اليابان)

Dépôt Légal: 2019PE0001  
ISSN: 2665-7406 (Online)  
E-ISSN: 2737-8586 (Print)

البريد الإلكتروني للمجلة  
linguist@linguist.ma  
للمزيد من التفاصيل يرجى زيارة الموقع الإلكتروني للمجلة  
https://linguist.ma

## بروتوكول النشر في المجلة

### اللساني:

- مجلة فصلية دولية علمية محكمة متخصصة في اللسانيات.
  - لغات المجلة هي: العربية والإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية، والإسبانية، والبرتغالية.
  - تقبل المجلة البحوث سواء أكانت تأليفاً أم ترجمة، أو مراجعة، شريطة أن يكون البحث المترجم أو الكتاب على درجة كبيرة من الأهمية.
- رسالة المجلة:
- الإسهام في نشر ثقافة لسانية عالمية.
  - تطوير البحث اللساني في الثقافة العربية.
  - مواكبة مستجدات البحث اللساني وتحولاته المعرفية.
  - إطلاع الباحثين والمهتمين على أهم ما يكتب وينشر في مجال اللسانيات.
  - الاهتمام بانفتاح الحقل اللساني وحواره مع التخصصات الأخرى بالتركيز على الدراسات البيئية.

### خصوصية المجلة:

- تنشر المجلة البحوث والدراسات الجادة في مجال اللسانيات.
- تسعى المجلة إلى مواكبة مستجدات البحث اللساني من خلال ترجمة البحوث والدراسات التي تنشر في أهم المجلات اللسانية العالمية.
- إثارة نقاش حول أهم القضايا اللسانية المعاصرة.

### شروط نشر البحوث والدراسات:

- تنشر المجلة البحوث الأصيلة التي لم يسبق نشرها أو إرسالها للنشر إلى أي جهة أخرى.
- تكون المواد المرسلة للنشر ذات علاقة باللسانيات، سواء أكانت دراسات وبحوثاً نظرية وتطبيقية، أم بحوثاً مترجمة.
- تلتزم البحوث بالأصول العلمية المتعارف عليها.
- تقدّم البحوث وفق شروط النشر في المجلة كما هو منصوص عليها على موقع المجلة.
- لا يقل عدد كلمات البحث عن 5000 كلمة ولا يزيد عن 9000 كلمة، بما في ذلك الملاحق.

### شروط نشر مراجعة الكتب:

- تنشر المجلة مراجعات للإصدارات الحديثة، سواء أترجمت إلى اللغة العربية أم لم تترجم بعد.
- يجب أن يراعى في عرض الكتب الشروط الأساسية الآتية:

## بروتوكول النشر في المجلة

- أن يكون الكتاب المراجع ضمن اهتمامات المجلة.
- أن يبنى اختيار الكتاب على أسس موضوعية: أهمية الكتاب، قيمته العلمية، إغناؤه لحقل المعرفة، والفائدة من عرضّه ومراجعته.
- أن يكون الكتاب قد صدر خلال السنوات الخمس الأخيرة.
- كما يجب أن تراعي المراجعة الشروط الآتية:
- الإشارة إلى عنوان الكتاب، ومؤلفه، وفصله، وعدد صفحاته، وجهة النشر، وتاريخ النشر.
- التعريف بمؤلف الكتاب بإيجاز، وبالترجم (إن كان الكتاب قد ترجم إلى اللغة العربية).
- الوقوف على مقدمات الكتاب الأساسية: الأهداف، المضامين العامة، المصادر والمراجع، المنهج، المحتويات...
- عرض مضامين الكتاب عرضاً وافياً وتحليلها تحليلاً ضافياً، مع الوقوف على أهم الأفكار والمحاوير الأساسية، واستخدام الأدوات النقدية والمنهج المقارن بينه وبين المراجع المعروفة في الحقل المدروس.
- يتراوح عدد كلمات المراجعة بين 2000 و3000 كلمة، وتقبل المراجعات التي يصل عدد كلماتها 4000 كلمة، إذا ركزت على التحليل والمقارنة.

### التوثيق في المجلة:

تعتمد المجلة نظام التوثيق APA (جمعية علم النفس الأمريكية) الإصدار السابع (7)، ويمكن الاطلاع على تفاصيل التوثيق على موقع المجلة، أو موقع الجمعية.

### مرفقات ضرورية للنشر:

- يُرفق بالبحوث المقدمة للنشر في المجلة:
- البحث الأصيل إذا كان البحث مترجماً، مع توثيق النص الأصيل توثيقاً كاملاً.
- ملخص البحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنجليزية، لا يقل عن 250 كلمة ولا يزيد عن 300 كلمة.
- جرد للكلمات المفتاحية (لا يقل عن خمس كلمات ولا يزيد عن سبع كلمات)
- سيرة موجزة للباحث (لا تزيد عن 200 كلمة) باللغة العربية واللغة الإنجليزية.
- السيرة الذاتية المفصلة للباحث.
- للاطلاع على تفاصيل أخرى للنشر انظر موقع المجلة.

### إجراءات النشر:

- ترسل جميع المواد على موقع المجلة (إنشاء طلب نشر).
- سيتوصل الباحث بإشعار بإرسال بحثه حال استكمال شروط الإرسال.
- تلتزم المجلة بإخطار صاحب البحث في أجل أقصاه عشرة أيام بقبول البحث أو رفضه شكلاً، ويعرضه على المحكمين في حالة استيفائه لشروط النشر في المجلة ومعاييرها.

## بروتوكول النشر في المجلة

- تُرسل المواد التي تستجيب لمعايير النشر للتحكيم على نحو سري.
- يخبر الباحث بنتائج التحكيم (قبولا أو رفضا) في أجل أقصاه شهر ابتداء من تاريخ إشعاره باستيفاء المادة المرسلة للشروط الشكلية وعرضها على المحكمين.
- إذا رفض البحث فإن المجلة غير ملزمة بإبداء الأسباب.
- إذا طالب المحكمون بإجراء تعديلاتٍ على أيِّ بحثٍ؛ يخبر الباحث بذلك، ويتعين عليه الالتزام بالآجال المحددة لإجراء التعديلات المطلوبة.
- تفرض المجلة أن يلتزم الباحث بالتحضير والتدقيق اللغوي، وفق الشروط المعمول بها في الدورات العالمية.
- تحتفظ المجلة بحق إعادة نشر البحث بأي صيغة تراها ذات فائدة، وإخطار الباحث بذلك.
- لا يحق نشر أي مادة بعد تحكيمها وقبولها للنشر قبولا نهائيا وإخطار صاحبها بذلك.
- يمكن للباحث إعادة نشر بحثه بعد مرور سنة من تاريخ نشره، شريطة إخبار المجلة بذلك.
- لا تدفع المجلة تعويضا ماديا عن المواد التي تنشرها، ولا تتقاضى أيَّ مقابل مادي عن النشر.

لا تعبر البحوث المنشورة عن رأي المجلة  
ترتيب المواد يخضع لضرورات فنية  
يتحمل الباحث وحده المسؤولية القانونية لبحثه

البريد الإلكتروني للمجلة

linguist@linguist.ma

للمزيد من التفاصيل يرجى زيارة الموقع الإلكتروني للمجلة

<https://linguist.ma>

## شارك في هذا العدد

اجمولة فدوى: أستاذة اللغة العربية بوزارة التربية الوطنية/أكاديمية الرباط. حاصلة على درجة الدكتوراه من كلية الآداب والعلوم الإنسانية محمد الخامس بالرباط سنة 2019 م. تدور اهتماماتها البحثية حول نصوص الكرامات الصوفية، وتراجم نساء ورجال الصلاح بالصحراء المغربية، ولها دراسات في النحو التوليقي واللسانيات النسبية.

اخيجم بوجمعة: طالب باحث في اللسانيات وتحليل الخطاب في مختبر تكامل المناهج في تحليل الخطاب بكلية اللغة العربية، جامعة القاضي عياض بمراكش، المملكة المغربية. حاصل على شهادة الماستر في علم النص وتحليل الخطاب من جامعة ابن زهر بأكادير عام 2024. تدور اهتماماته البحثية حول تحليل الخطاب، والتحليل النقدي للخطاب.

إسماعيلي علوي حافظ: أستاذ اللسانيات وتحليل الخطاب في قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط، المملكة المغربية، وقسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة، حاصل على درجة الدكتوراه في اللسانيات من جامعة الحسن الثاني، بالدار البيضاء، المملكة المغربية، عام 2004 تدور اهتماماته البحثية حول اللسانيات، واللسانيات القانونية، وتحليل الخطاب...

البدادي عبد اللطيف: أستاذ اللغة العربية وآدابها، الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة طنجة، تطوان، الحسيمة، المملكة المغربية. أستاذ وافر بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي-تطوان، مكلف بتدريس مادة مناهج تحليل الخطاب بـماستر التأويلات والدراسات اللسانية. حاصل على درجة الدكتوراه في تحليل الخطاب من جامعة ابن زهر، بأكادير، المملكة المغربية، عام 2021. تدور اهتماماته البحثية حول لسانيات النص وتحليل الخطاب، والدراسات النقدية للخطاب، واللسانيات المعرفية، واللسانيات الوظيفية النسقية.

بكار سعيد: أستاذ تحليل الخطاب في قسم اللغات والتواصل والترجمة بكلية المتعددة التخصصات بالسمارة في جامعة ابن زهر بالمملكة المغربية. حاصل على درجة الدكتوراه في تحليل الخطاب السياسي من جامعة ابن زهر، بأكادير، المملكة المغربية، عام 2020 تدور اهتماماته البحثية حول التحليل النقدي للخطاب، واللسانيات النقدية، واللسانيات الوظيفية النسقية، والاستعارة التصورية، والسمييات الاجتماعية، وتعددية الصيغة.

بكار محمد: أستاذ اللغة الإنجليزية ومترجم. حاصل على درجتي ماجستير: الأولى في اللسانيات التطبيقية باللغة الإنجليزية، والثانية في تاريخ المغرب العربي باللغة الفرنسية. تشمل اهتماماته الرئيسة الإسلام السياسي والديمقراطية في العالم العربي، والتفكير النقدي، والشعبوية، والتحليل النقدي للخطاب.

البهتري شيماء: طالبة باحثة في سلك الدكتوراه في مختبر تكامل المناهج في تحليل الخطاب بكلية اللغة العربية، جامعة القاضي عياض بالمملكة المغربية. تدور اهتماماتها البحثية حول التحليل النقدي للخطاب، ونظرية الجندر، والتحليل الحجاجي للخطاب، ودراسة استراتيجيات الإقناع المغالط.

بوالزيت خديجة: أستاذة التعليم الثانوي الإعدادي، حاصلة على درجة الماستر في علم النص وتحليل الخطاب من جامعة ابن زهر بأكادير، المملكة المغربية، عام 2024، طالبة باحثة بسلك الدكتوراه تخصص استعارات العاطفة في اللغات المغربية، تدور اهتماماتها البحثية حول اللسانيات المعرفية، والاستعارة التصورية، والتحليل النقدي للاستعارة، واللغات المغربية.

الحشيشة سرور: باحثة وأكاديمية تونسية. حاصلة على الدكتوراه من جامعة منوبة بتونس في (2016). تعمل

## شارك في هذا العدد

أستاذة محاضرة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس. تدور اهتماماتها البحثية حول المعجم والدلالة والتركيب في اللسانيات العرفانية.

شكري إبراهيم: طالب باحث في سلك الدكتوراه، ومفتش تربوي للتعليم الثانوي التأهيلي تخصص اللغة العربية، ينتمي إلى مختبر الأنساق اللغوية والثقافية بجامعة ابن زهر، أكادير، المملكة المغربية. يتناول في أطروحته موضوع الخطاب السيميائي في المغرب، ويهتم في أبحاثه بالسيمياثيات الاجتماعية، والتحليل النقدي للخطاب، والإشهار، ومهارات الحياة.

صووان محمد: باحث في اللسانيات وتحليل الخطاب، وعضو بمختبر بكلية اللغات والآداب والفنون - جامعة ابن طفيل، وبمختبر الديدكتيك واللغات والوسائط والدراماتورجيا بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين - سوس ماسة «الفكر التربوي ومناهج التدريس» بالمملكة المغربية. أنجز أطروحته للدكتوراه في السياسة اللغوية من منظور التحليل النقدي للخطاب. تتركز اهتماماته البحثية في مجالات اللسانيات الاجتماعية، والترجمة، وتحليل الخطاب، والتحليل النقدي للخطاب.

الضو المصطفى: أستاذ اللغة العربية بالتعليم الثانوي التأهيلي، بثانوية عبد الله بن ياسين، المديرية الإقليمية إنزكان أيت ملول، بالمملكة المغربية. حاصل على شهادة الماستر 2024 في علم النص وتحليل الخطاب. طالب باحث في سلك الدكتوراه. تدور اهتماماته البحثية في نظريات الاستعارة التصورية، واللسانيات المعرفية، والسيمياثيات، وتعددية الصيغ.

عبد اللطيف عماد: أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب في قسم اللغة العربية بجامعة قطر. دَرَسَ بجامعة القاهرة المصرية ولانكستر الإنجليزية. مؤسس «بلاغة الجمهور»، وهو حقل معرفي يدرس الاستجابات البليغة للجمهور، ورئيس تحرير مجلة «خطابات». نشر الدكتور عبد اللطيف عشرات المقالات وفصول الكتب في مجلات ودور نشر منها لوهارمتان، وروتليدج، ولیدن، وبريل، وأكسفورد، وجون بنجامينز، وغيرها.

عمي كمال: طالب باحث في سلك الدكتوراه لسانيات النص، بمختبر (NUMECOL) المهتم بالرقمنة والتربية والتواصل واللغات، في المدرسة العليا للتربية والتكوين في جامعة ابن زهر، أكادير بالمملكة المغربية. حاصل على درجة الماستر في علم النص وتحليل الخطاب من كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة ابن زهر، بالمملكة المغربية، سنة 2024، مهتم بلسانيات النص واللسانيات النقدية.

القشقوري عبد الوهاب: أستاذ لغة عربية بالتعليم الثانوي التأهيلي منذ 2017 وحاليا بثانوية ابن الهيثم التأهيلية بإماتانتوت - المغرب. حاصل على شهادة الإجازة في الدراسات العربية بجامعة ابن زهر كلية الآداب والعلوم الإنسانية سنة 2014، وعلى شهادة الماستر في علم النص وتحليل الخطاب بالجامعة نفسها سنة 2024. مهتم بالإبداع في الكتابة الشعرية والبحث في اللسانيات وتحليل الخطاب.

الوحيدي محمد: أستاذ اللسانيات بالمدرسة العليا للأساتذة في جامعة مولاي إسماعيل مكناس - المغرب. حصل الدكتور محمد الوحيدي على درجة الدكتوراه في اللسانيات العربية المقارنة من جامعة محمد الخامس بالرباط عام 2000. تدور اهتماماته البحثية حول اللسانيات التوليدية، والتركيب العربي المقارن، واللسانيات التاريخية العربية.

## شارك في تحكيم مواد هذا العدد

- احمياني عثمان
- أمين منتصر
- البددي عبد اللطيف
- بكار سعيد
- بكار محمد
- بولحوش فاطمة
- رجوان مصطفى
- شكري ابراهيم
- غلفان مصطفى
- كريم أسماء
- محضار عمر
- ياغي حسين

## فهرس المحتويات

- 10 ..... افتتاحية العدد: أ.د. ليلي منير
- 11 ..... كلمة رئيس التحرير: أ.د. حافظ إسماعيلي علوي
- 11 ..... كلمة منسق العدد: د. سعيد بكار
- التحليل النقدي للخطاب واللسانيات**
- عبد اللطيف البددي: المرجعيات اللسانية والفلسفية لمفهوم الخطاب في الفكر الغربي المعاصر ..... 17
- بوجمعة اخيجم: المرجعيات اللسانية للتحليل النقدي للخطاب ..... 36
- كمال عمي: خطاب نتياهو الموجه إلى الشعب الإيراني: دراسة لسانيّة نقدية ..... 71
- التحليل النقدي للخطاب والعلوم المعرفية**
- سعيد بكار: التصور الاستعاري للمرأة في الأمثال الحسانية: دراسة في ضوء التحليل النقدي للاستعارة ..... 117
- خديجة بوزيت: التحليل النقدي لاستعارات الحب في العربية المغربية ..... 129
- التحليل النقدي للخطاب والسيمايات**
- ابراهيم شكري: الدين والإشهار: مقارنة سيمائية اجتماعية لشريط إشهاري لأمنية بنك . 158
- المصطفى الضو: بلاغة التعليق التلفزيوني: دراسة سيمائية متعددة الصيغ ..... 195
- مجالات التحليل النقدي للخطاب**
- شيماء البهتري: بين الشفافية والضبابية: تحليل نقدي لاستراتيجيات التملص في خطاب شركات التكنولوجيا أثناء الأزمات ..... 234
- عبد الوهاب القشقوري: تدريس الوعي النقدي باللغة: الماهية والأسس والمبادئ والغايات ... 249
- عماد عبد اللطيف: بلاغة مقاومة السلطة: الأدب الشعبي ومديح قوة الكلام ..... 267
- ترجمات في التحليل النقدي للخطاب**
- أديل بيتيكليرك: التقارب بين التحليل النقدي للخطاب واللسانيات المعرفية، ترجمة: حافظ إسماعيلي علوي ..... 287
- مارتن راينغل: المقاربة التاريخية للخطاب، ترجمة: محمد بكار ..... 308
- نورمان فيركلاف وإيزابيلا فيركلاف: مقارنة إجرائية للنقد الأخلاقي في التحليل النقدي للخطاب، ترجمة: محمد صوضان ..... 340
- بحوث ودراسات متنوعة**
- فدوى اجمولة: أسماء أعلام الصحراء: دراسة دلالية ..... 373
- جوناثان أونز: ثنائية عربية قديمة-عربية جديدة، ترجمة: محمد الوحيدي ..... 403
- راي جاكندوف: الهندسة المتوازية في اللّغة وفي غيرها، ترجمة سرور الحشيشة ..... 427

## افتتاحية العدد

أبانت مجلة اللساني منذ صدور أعدادها الأولى عن تميُّز واضح، وعن بصمة خاصّة، جعلناها تحظى، في وقت وجيز، باهتمام القراء وثقتهم، لسانيين وباحثين، وأن يكون لها موطئ قدم في المشهد اللساني داخل المغرب وخارجه، وذلك بالنظر إلى عمق البحوث المنشورة فيها وجدّتها وجدّيتها، التي أسهم بها عدد من الباحثين المعروفين.

ومنذ أن توقفت المجلة، بعد نشر المجلد الأول بأعداده الأربعة، لم يتوقف سؤال الباحثين والمهتمين من داخل المغرب ومن خارجه، ورغبتهم النشر فيها، وهذا ما جعلنا نضع استئناف نشر هذا المنبر العلمي الرّصين ضمن أولوياتنا، في إطار استراتيجية عامة، تهدف إلى النهوض بالبحث العلمي في مؤسستنا، بتشجيع كل المبادرات الهادفة.

نسعد اليوم بتقديم هذا العدد الجديد من المجلة إلى القراء، ونرجو صادقين، أن تستمر المجلة بهذا التميز الذي يخدم البحث العلمي عموماً، والبحث اللساني خصوصاً، ويقدم للباحثين الجديد المفيد في مجال اللسانيّات، الذي كان لمؤسستنا الريادة فيه دائماً على الصعيدين المحلي والعربي.

وأشكر للأستاذ حافظ إ. علوي، مدير المجلة، ورئيس تحريرها جهوده الطيّبة، وحرصه الكبير، على أن تبقى المجلة تحت مظلة كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة محمد الخامس بالرباط، كما أشكر كل أعضاء هيئة التحرير على دعمهم لهذا المشروع العلمي المتميّز، ونرجو للمجلة الاستمرارية والانتظام.

المدير الإداري

أ.د. ليلي منير

عميدة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالنيابة

## كلمة رئيس التحرير

إن الإقدام على إصدار مجلة علمية محكمة في اللسانيات، قد يكون مجازفة كبيرة، بالنظر إلى ما يتطلبه من وقت وجهد وكلفة مادية ومعنوية...، وبالرغم من ذلك فقد أقدمنا على هذه الخطوة، وأمل كبير يحدونا بأن يكون هذا المنبر العلمي منصّة علمية متميزة، وملتقى للباحثين والمهتمين باللسانيات، ومنبراً متعدد اللغات ينم عن تنوع ثقافي ومعرفي، ويُسهم في تفعيل الحوار الأكاديمي بين الباحثين من مختلف أنحاء العالم.

لقد آلينا على أنفسنا منذ عقود خلت الالتزام الراسخ بدعم البحث العلمي الرصين والانخراط فيه. وتأتي مجلة اللساني لتعزز هذا المشروع الذي دأبنا عليه، ولتواكب التحولات العلمية والمعرفية المتسارعة في مجال الدرس اللساني الحديث. إننا نؤمن إيماناً راسخاً بأن جودة البحوث تبدأ من حسن اختيار المواضيع، ودقّة المنهج، وصرامة التحكيم، والالتزام بقواعد النشر العلمي المُتعارف عليها دولياً؛ إذ نعتمد في المجلة سياسة مراجعة دقيقة تضمن مستوى علمياً يليق بالمجتمع الأكاديمي الذي نخاطبه.

لا يفوتنا أن نجزل الشكر إلى أ. د. ليلي منير عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط، على دعمها الكبير وحرصها الشديد على استمرارية المجلة.

ختاماً، نرحّب بجميع الباحثين والمهتمين ودراساتهم وبحوثهم، وندعوهم جميعاً إلى الانخراط في هذا المشروع العلمي والإسهام فيه، متطلّعين إلى أن تكون مجلة اللساني إضافة نوعية في حقل الدراسات اللسانية، ومنارة معرفية مشعّة على المستوى العربي والدولي.

والله ولي التوفيق

رئيس التحرير

أ.د. حافظ إسماعيلي علوي

## كلمة منسق العدد

أودّ في بداية هذه الكلمة شكر الدكتور حافظ إسماعيلي علوي على إتاحتها هذه الفرصة لتنسيق عدد خاص حول التحليل النقدي للخطاب، إذ أرى أن هذا الأمر لوحده كاف ليظهر معدن هذا الباحث الداعم لنشر المعرفة الحديثة، ولا سيما مشاريع الشباب من الباحثين الذين انفتح لهم عالم المعرفة على أبوابه، مع ظهور الأنترنت ومواقع تحميل الكتب والدراسات الحديثة. وهو الأمر الذي جعل الباحثين الشباب قادرين على الاطلاع على أحدث ما يكتب في العالم العربي والغربي.

إن مقالات هذا العدد هي نتاج الاطلاع على المنجز الغربي في تحليل الخطاب، وهي أيضا نتاج وعي بأن المعرفة إنسانية، وأنها وسيلة للفهم والسعي نحو مستقبل أفضل. وفي هذا الصدد، تعدّ مقاربات التحليل النقدي للخطاب إحدى التوجهات الحديثة الساعية إلى توظيف التحليل اللغوي والخطابي في تحسين المجتمعات؛ أي أن هذا الإبدال النقدي في تحليل الخطاب معني بنقد الخطابات الهدامة والمضلّلة والممارّسة للشطط في استخدام السلطة، والمكرّسة للمساواة والعنصرية ومعادة الأجنبي، وغير ذلك من الظواهر السلبية في مجتمعاتنا.

لا يهدف التحليل النقدي للخطاب إلى استخلاص المبادئ الجمالية للنصوص الأدبية، بل ديدنه نقد الخطابات الجماهيرية، ولا سيما السياسية والإعلامية والتربوية والمحادثات اليومية، وغيرها من الخطابات المؤثرة في اتخاذ القرار السياسي، وفي التفاعلات الاجتماعية، وفي الهويات الفردية والجماعية، وغير ذلك. وفي عبارة مختصرة، إن التحليل النقدي للخطاب ليس ترفا ذهنيا ومهارة في استعراض العضلات اللغوية. لذلك، تعدّ الكتابة بلغة مفهومة وبسيطة وعلمية وخالية من المحسنات البديعية أمرا مطلوبًا في هذا النوع من التحليل؛ إذ شعاره الإفهام للتوعية والتحرير.

أمر آخر مهم في التحليل النقدي للخطاب هو البيئية أو تعدد التخصصات؛ إذ لا يؤمنُ ألبتة باعتماد مقاربة واحدة في فهم نص أو خطاب؛ فهذا في نظره إجحاف لا ينبغي القبول به نهائيًا. فالخطاب هو نص، أي متتالية من الجمل. وهو ممارسة خطابية، أي سلاسل من التناص والأنواع والتلميحات. وهو ممارسة اجتماعية، أي فعل يسعى إلى إحداث أثر في المجتمع؛ سواء أكان هذا الأثر إعادة إنتاج الوضع القائم

أو تغييره. نحتاج في دراسة النص إلى نظرية لسانية، ونحتاج في دراسة الممارسة الخطابية إلى نظرية تداولية وأدبية (ميخائيل باختين على سبيل المثال لا الحصر) وفلسفية (ميشيل فوكو على سبيل المثال لا الحصر)، ونحتاج في دراسة الممارسة الاجتماعية إلى نظريات اجتماعية وسياسية وتاريخية وغيرها. وفي عبارة مختصرة، إن الخطاب ظاهرة متعددة الأبعاد نحتاج في تحليلها إلى مقارنة متعددة التخصصات. بعد هذه الإحاطة الموجزة بمفهوم التحليل النقدي للخطاب، أنتقل إلى الحديث بعجالة عن مقالات هذا العدد. وتجدر الإشارة إلى أن المشاركين في هذا العدد هم في أغلبهم طلاب بالدكتوراه أو حاصلون منذ سنوات قليلة على أطروحة الدكتوراه، وهو ما يبرهن على جدّة المعرفة الموجودة في هذا العدد وفرادتها، كما يشير إلى بدء جيل جديد من الباحثين في تغيير مسار البحث الأكاديمي الذي ساد لعقود في الجامعات العربية بأقسام اللغة العربية.

#### مضامين مقالات العدد

اشتمل عدد التحليل النقدي للخطاب على ستّ عشرة مقالة توزّعت وفق ستة محاور: عُني المحور الأول بعلاقة التحليل النقدي للخطاب باللسانيات، فأصل عبد اللطيف البددي في مقالته مفهوم الخطاب في التصورات اللسانية والفلسفية، ومقالته مورد لا غنى عنه لمعرفة التغيرات الطارئة على مفهوم الخطاب من اللغوي إلى الفلسفي. ودرس بوجمعة اخيجم المرجعيات اللسانية لثلاث مقاربات في التحليل النقدي للخطاب، أي المقاربة الجدلية العلائقية لنورمان فيركلف، والمقاربة المعرفية الاجتماعية لتون فان دايك، والمقاربة التاريخية للخطاب لروث فوداك، وحدّد طرق الاستفادة هذه المقاربات من المفاهيم اللسانية في تحليل النصوص، وكشف دلالاتها الظاهرة والمخفية. وفي منحى تطبيقي حلّل كمال عمي خطاب بنيامين نتيناهو الذي وجّهه إلى الشعب الإيراني بعد بداية الحرب على إيران، موظفا مفاهيم اللسانيات النقدية في دراسة لغة هذا الخطاب من حيث معجمها وتراكيبها وتداوليتها، ومبرزاً آليات التلاعب والتضليل في هذه الخطبة السياسية.

اشتمل المحور الثاني على مقالتين في الاتجاه المعرفي في التحليل النقدي للخطاب؛ إذ حلّل سعيد بكار مجموعة من الأمثال الحسانية حول المرأة الصحراوية من منظور مقارنة التحليل النقدي للاستعارة، محدّدا أبرز الاستعارات التي أطرت رؤية الإنسان الصحراوي للمرأة، ومحللا هذه الاستعارات، وناقدا لدلالاتها السلبية.

وفي منحى جديد وفريد في الدراسات الأكاديمية العربية، حلّت خديجة بوزيت استعارات الحب في الدارجة المغربية من منظور التحليل النقدي للاستعارة، كاشفة طرق فهم الإنسان المغربي للحب، ودلالات هذا الفهم، وأثره في مكانة المرأة المغربية ووضعيتها الاجتماعية.

جاء المحور الثالث، أي الاتجاهات السيميائية في التحليل النقدي للخطاب، فريدا هو الآخر من خلال اشتغال حديث على اللغة والصور من منظورين حديثين؛ فدرس المصطفى الضو تعليقات فوزي بشرى على سقوط ثلاثة حكام عرب في «الربيع العربي»، أي حسني مبارك ومعمّر القذافي وعبد الله صالح، من منظور مقارنة تدعى «تعددية الصيغ»، كاشفا الانسجام بين لغة التقارير وصورها، ومحددا مكونات بلاغة فوزي بشرى في تعليقاته. وحلّل ابراهيم شكري شريطا إشتهاريا لبنك تشاركي يدعى «أمنية بنك» من منظور سيميائي اجتماعي، محددا استثمار اللغة والصورة والسرد والحجاج في إقناع المستهلكين المفترضين بالتعامل مع البنك، وموضحا أيضا الدلالات الدينية التي وظفها البنك للتأثير في الجمهور.

ضمّ المحور الرابع ثلاثة مجالات في التحليل النقدي للخطاب؛ إذ درست شيماء البهتري استراتيجيات التملص في خطاب شركات التكنولوجيا (الفيستوك، وغوغل، وتويتتر، وأبل) أثناء الأزمات، كاشفة كيف وظّفت هذه الشركات أدوات لغوية، من قبيل الغموض الدلالي، والتأطير الزمني، والتضامن الجماعي، والتقنيات الإحالية غير المحددة، وغير ذلك؛ لإخفاء المسؤولية، وتحييد النقاش، وإعادة توجيه الرأي العام. أما عبد الوهاب القشقوري، فدرس مفهوم «الوعي النقدي باللغة» بوصفه مفهوما يتجاوز مفهوم «الوعي اللغوي»، داعيا مدرسي اللغات إلى استثمار المفهوم الأول في تدريس اللغة في ارتباطها بالسلطة والأيدولوجيا، وهو مقال فريد في طرحة، يستحق منا كل تقدير وإشادة. وحلّل عماد عبد اللطيف مجموعة من الحواديت (جمع حدوتة) المصرية التي تبرز العلاقة بين الإنسان والسلطة في الحكى الشعبي العربي، محددا الاستراتيجيات البلاغية التي استعملها الحكاء الشعبي لنقد السلطة ومقاومتها وتعريتها، مثل: التورية، والرمز، والمثال، والسخرية، والكناية، والمفارقة.

اشتمل المحور الخامس على ثلاث ترجمات؛ أولاها ترجمة حافظ إسماعيلي علوي لفصل بعنوان «التقارب بين التحليل النقدي للخطاب واللسانيات المعرفية»، وهو الفصل السادس عشر من أطروحة أديل بيتيتكليرك حول التحليل النقدي للخطاب،

والفصل مورد غني من دون شك لمن يريد الاطلاع على الجهد المبذول في التحليل النقدي للخطاب ذي النزعة المعرفية، ولا سيما عند فيرونيكا كولر، وكريستوفر هارت. وترجم محمد بكار مقالة لمارتن رايغل بعنوان «المقاربة التاريخية للخطاب» من دليل روتلج للدراسات النقدية للخطاب، وهي مقالة مهمة لكل مهتم بهذه المقاربة؛ سواء من حيث خصائصها أو مفاهيمها أو منهجية ممارستها. وآخر الترجمات في مقالات العدد الخاص بالتحليل النقدي للخطاب هي لباحث مجتهد ومشتغل أصيل في التحليل النقدي للخطاب هو محمد صوضان الذي نقل إلى العربية مقالة متميزة حول النسخة الأخيرة من مقاربة نورمان فيركلف التي طوّرها بمعونة زوجته إيزابيلا فيركلف، وموضوعها «النقد الأخلاقي في التحليل النقدي للخطاب»، وهي مقالة جديرة بالقراءة والتأمل؛ لأنها تبرز نظرة جديدة لمفهوم التحيز في التحليل النقدي للخطاب بدأ فيركلف يتبناه خلافاً لنزعه المتحيزة سابقاً.

ضمّ المحور السادس بعنوان «بحوث ودراسات متنوعة» دراسة وترجمتين؛ إذ حلّت فدوى اجمولة بنية أسماء الأعلام الصحراوية ودلالاتها، منطلقاً من معجم لهذه الأسماء، ومحلّلة لها وفق ترتيب متدرج، بدأ بالصوت، فالمعجم، فالتركيب، فالتداول. وترجم محمد الوحيددي مقالة لجوناثان أونز بعنوان «ثنائية عربية قديمة-عربية جديدة»، وهي معنيّة بنقد أسس التمييز عند الباحثين بين «العربية القديمة» و«العربية الجديدة»، مقترحة إعادة النظر في جميع الاختلافات بينهما من منظور تاريخي يراعي سياقها. كما ترجمت سرور الحشيشة مقالة راي جاكندوف «الهندسة المتوازية في اللغة وفي غيرها»، وهي مقالة حاجّ فيها جاكندوف بأن التمثيلات اللغوية تعتمد على ثلاثة أنظمة توليدية مستقلة هي: الأبنية الصوتية، والإعرابية والدلالية. إضافة إلى نظام من الروابط الوجيهة.

د. سعيد بكار

الكلية المتعددة التخصصات بالسامرة

جامعة ابن زهر

اللسانيات  
والتحليل النقدي للخطاب



# المرجعيات اللسانية والفلسفية لمفهوم الخطاب في الفكر الغربي المعاصر

د. عبد اللطيف البدادي

باحث في اللسانيات وتحليل الخطاب- جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب

albadadiabdellatif@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0005-1010-5812>

## الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في مفهوم الخطاب، وفي طرق تشكله وصياغته النظرية في الفكر الغربي المعاصر من خلال حقلين معرفيين اثنين متداخلين هما: حقل اللسانيات الذي سنقارب به أهم المنعطفات اللسانية الكبرى التي شكلت النظام المعرفي الأساس الذي أطر عملية الصياغة النظرية لهذا المفهوم، وجعل منه موضوعا مستقلا للدراسة اللسانية. تتمثل هذه المنعطفات اللسانية المؤسّسة في المنعطف البنيوي الصوري، والمنعطف الوظيفي، والمنعطف التلفظي، ثم حقل الفلسفة والعلوم الإنسانية والاجتماعية الذي سنحاول من خلاله الحفر في أهم التصورات الفلسفية ومرجعياتها النظرية التي تبلورت من خلالها فلسفيا الحدود الدلالية والمعرفية لمفهوم الخطاب في الفكر الغربي المعاصر، خاصة تصور كلود ليفي ستروس وبول ريكور وميشيل فوكو.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، تحليل الخطاب، اللسانيات، الفلسفة، العلوم الإنسانية والاجتماعية.



# THE LINGUISTIC AND PHILOSOPHICAL FRAMEWORKS OF THE CONCEPT OF DISCOURSE IN CONTEMPORARY WESTERN THOUGHT

---

Dr. ABDELLATIF ALBADADI

Researcher in Linguistics and Discourse Analysis- Abdelmalek Essaâdi University – Tetouan  
albadadiabdellatif@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0005-1010-5812>

## ABSTRACT

This study aims to research the notion of discourse and the ways in which it is formed, as well as researching the theoretical formulation of this notion in western contemporary modern thought by way of two overlapping fields of knowledge: the field of linguistics, through which we will compare the main linguistic milestones that shaped the theoretical formulation of this notion and made it an independent subject in Linguistic studies, such as structural, functional and enunciative, and the field of Philosophy, Human and Social sciences, in which we will attempt to explore the most prominent philosophical conceptions and their theoretical references that philosophically elucidated the semantic and cognitive aspects of the discourse analysis notion in western contemporary modern thought; notably, the conceptions of Claude Lévi-Strauss, Paul Ricœur and Michel Foucault.

**Keywords:** Discourse- Discourse Analysis- Linguistics- Philosophy- Humanities and Social Sciences.

## مقدمة

شغل مفهوم «الخطاب» حيزاً مهماً من اهتمامات الباحثين في حقل تحليل الخطاب بمختلف مقارباته ونظرياته وتوجهاته المعرفية. وقد خضع في معظم استعماله لمبدأ التبنّي النظري، وما ارتبط به من خلفيات معرفية وفكرية مختلفة اختلفت معها تحدياته ومحدداته وطرق توظيفه وتداوله إلى الحد الذي يمكننا من القول إن مفهوم الخطاب هو تاريخ استعماله. وترجع صعوبات تحديد هذا المفهوم وتوحيد مدلوله إلى كونه قد شكّل نقطة تقاطع العديد من الحقول المعرفية؛ كالنظرية النقدية، وعلم الاجتماع، واللسانيات، والفلسفة، وعلم النفس الاجتماعي، (Mills, 1997, p. 1)، والأنثروبولوجيا، وعلم السياسة، وتاريخ الأديان المقارن، ونظرية التواصل، وعلم التاريخ، والدراسات الاستشراقية، وعلوم التربية، والدراسات الاستراتيجية، وغيرها من الحقول المعرفية الأخرى التي تقاطعت مقاربتها له؛ إما في البحث عن العلل الصورية، والمادية، والفاعلة، والغائية، المشكلة لنظامه، والمحققة لحضوره وسيورته الأنطولوجيين، وإما في البحث فيه عن الفعل، والوظيفة، والحقيقة، والتمثل، والسلطة، والهيمنة، والإخضاع، والمنع، والرقابة، والاستمالة، والتضليل، والأيدولوجيا، وغيرها من القضايا التي وسعت دائرة البحث في الخطاب وأضفت عليه سمة التحول، والتغير، والتجدد، والانفتاح، خاصة بعد أن أصبح هذا الخطاب وتحليله تخصصاً قائم الذات له أسسه، ونظرياته، ومناهجه، وخلفياته المعرفية.

إن مفهوم الخطاب بهذا المعنى عبارة عن ظاهرة لغوية، وممارسة اجتماعية متجددة ومتحولة على الدوام، رهينة في تجددتها وتحولها هذا بطبيعة المنعطف التاريخي والثقافي السائدين، وبطبيعة النظام المعرفي اللاشعوري المهيمن الذي يتحكم في عملية صياغة المفاهيم، وتحديد ماهيتها وأبعادها. ويملي -بشكل قهري- طرق إدراك هذه المفاهيم واستعمالها وتداولها بناء على مجموعة من المعايير التي يشرّعها، فتكون بمثابة توسط رمزي يتوسط علاقة الذات بموضوعها (مفهوم الخطاب في هذا المقام)، ما دام إدراك الذات لموضوعها يتم على نحو رمزي.

من هذا المنطلق، تهدف هذه الدراسة إلى الحفر في أهم التصورات والمنطلقات المعرفية اللسانية والفلسفية التي ارتبطت بمفهوم «الخطاب»، وشكلت الإطار المرجعي الأساس الذي أطر عمليات صياغته النظرية، وحدد آليات التفكير فيه وكيفية استعماله وتداوله، وجعل منه موضوعاً مستقلاً للدراسة والتحليل في الفكر اللساني والفلسفي الغربي المعاصر.

## 1. مفهوم الخطاب في الفكر اللساني الغربي المعاصر

### 1.1 الخطاب والتصور البنيوي الصوري

يرى جل الباحثين في حقل لسانيات النص وتحليل الخطاب أن زيليج هاريس Zellig Harris أول لساني حاول توسيع حيز الدراسات اللسانية لتتجاوز حدود البحث في الجملة وفي مكوناتها القاعدية إلى البحث في متواليات من الجمل يمثلها الخطاب (بوقرة، 2012، ص. 15) في مقالة له عام 1952 بعنوان «تحليل الخطاب»، بعد مرحلة الإرهاصات الأولى مع إريك بيسونس Éric Buysens عام 1943 الذي أكد إمكانية أن يصبح الخطاب موضوع نظرية لسانية قائمة الذات.

حاول هاريس من خلال مقاله تطبيق منهجه التوزيعي على العديد من الخطابات ذات الطبيعة الإشهارية كما كان يطبقه على الجملة، مركزا في ذلك على البنية الداخلية للخطاب المحلل من طريق إرجاعها إلى مكوناتها المباشرة (مركب اسمي + مركب فعلي..)، دون الاستناد في هذا التحليل إلى ما يرتبط ببنية الخطاب الداخلية من السياقات الخارجية التي اعتبرها قضية خارج-لسانية.

من هذا المنطلق، عرّف الخطاب -اعتمادا على تعريف ليونارد بلومفيد Leonard Bloomfield للجملة- بأنه: «ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض» (يقطين، 2005، ص. 17). ونجدُ التعريف نفسه عند جوزيف سامب Joseph Sumpf وجون دوبوا Jean Dubois اللذين نظرا إليه -بعد تبنيهما لمنهج هاريس التوزيعي- بوصفه «توليفا بين متواليات الجمل تضبطها قواعد التسلسل، لذا يلزم دراسته بالمبادئ والمناهج نفسها التي تدرس بها الجملة» (العربي، 2018، ص. 25).

يتضح مما سبق، أن هاريس هو أول من نظر إلى الخطاب نظرة صورية نحوية وكمية ومحايثة تجعل منه نموذجا نحويا ذا بنية لغوية مغلقة ومعزولة عن السياق الذي يؤطر عملية إنتاجها، وتستمد خصوصيتها من عناصرها الداخلية التي قد تجعل الخطاب كما يرى باري هندس Barry Hindess وبول هيرست Paul Hirst «يتسق ويتربط أو يفشل في تحقيق ذلك من خلال الروابط والعلاقات المنطقية بين عباراته» (Macdonell, 1986, p. 69). قالت ربيعة العربي في هذا الصدد: «ما يلاحظ في هذا الإطار، أن هاريس

قد نظر إلى الخطاب انطلاقاً من معيار البساطة والتعقيد، كما نظر إليه أيضاً انطلاقاً من نمط العلاقة التي يقيمها مع النحو، حيث عدّه نموذجاً من النحو، لذلك تكون علاقته بالنحو بمثابة علاقة الجزء بالكل» (العربي، 2018، ص. 24).

كان لهاريس، إذاً، الفضل في الاهتمام الفعلي بالخطاب بعد أن انحسر البحث اللساني في حدود الجملة، غير أن ما يؤاخذ عليه هو نزعته الاختزالية المعممة التي نظر بها إلى الخطاب بوصفه تقاطعاً بسيطاً وخطياً للجمال، قابلاً لتوزيعه إلى مكوناته المباشرة التي تشكّله، والتي تتكون منها الجملة أيضاً، ومن ثم ينتفي الفرق بين دراسة الجملة ودراسة الخطاب ليتنفي معه فرق الماهية بين المفهومين؛ إذ لا فرق بين الجملة والخطاب في هذه الحال إلا من حيث الكم، الأمر الذي يجعل هذا الضرب من الاختزال «بلا أهمية في تحليل الخطاب، لأنه بدل العمل على إبراز البنية الخاصة لجمال نص ما في تسلسلها، يقف التحليل عند تقديمه الخطاب كمتتالية من مركبات اسمية وفعلية ذات علاقات معينة» (يقطين، 2005، ص. 18).

## 2.1 الخطاب والتصوير الوظيفي

ينطلق التصوير الوظيفي في مقارنته لمفهوم الخطاب من ربطه بالاستعمال وبالوظائف التي يؤديها، ما دامت هناك وظائف للغات البشرية خارج نسقتها اللغوية تؤثر في نسقتها الداخلي، ومن ثم تنظر إلى الخطاب بوصفه شكلاً من أشكال الفعل. وترتبط أصول هذا التصور بالأبحاث التداولية لجون لانغشو أوستين John Langshaw Austin وجون سيرل John Searle التي تنص على أن «كل ملفوظ هو عمل (وعد، اقتراح، أكد، سأل...)

يهدف إلى تغيير وضعية» (مانغنو، ضمن شارودو ومانغنو، 2008، ص. 182).

ذهبت ديورا شيفرن Deborah Schiffrin، من هذا المنطلق، إلى أن «تعريف الخطاب باعتباره استعمالاً لغوياً ينسجم مع الوظيفة بشكل عام إذ يُنظر إلى الخطاب بوصفه نسقاً (طريقة كلام منظمة اجتماعياً وثقافياً) يتم من خلاله تحقيق وظائف خاصة» (Schiffrin, 1994, p. 32)، وهو ما يعني أن التصور الوظيفي -بحسب شيفرن- يتجاوز الاطرادات البنيوية الصورية للخطاب التي تنكر أن يكون هناك أي تأثير للسياق الخارجي في النسق اللغوي الداخلي لهذا الخطاب على نحو ما تجسّد عند هاريس وكراتس ودوبوا، وغيرهم إلى الاهتمام بالوظائف التي يؤديها الخطاب في سياق محدد، ويحقق من خلالها أغراضاً محددة، مما يجعل الدراسة الوظيفية للخطاب -بحسب رالف فازولد Ralph Fasold- دراسة لمختلف مظاهر الاستعمال اللغوي (العربي، 2018، ص. 26).

إضافة إلى شيفرن وفازولد، ربط تون فان ديك Teun van Dijk الخطاب ربطا وثيقا بالفعل التواصلية، فالملفوظ من منظوره: «لا ينبغي أن يوصف من حيث بنيته الداخلية والمعنى المسند إليه فحسب، وإنما من حيث الفعل المنجز من خلال إنتاج هذا الملفوظ» (van Dijk, 1977, p. 2)، وهو التوجه نفسه الذي نجده عند كل من مايكل هاليداي Michael Halliday ورقية حسن Ruqaiya Hasan اللذين أكدا أن الخطاب لا يعرف بوصفه متوالية أو تسلسل عدد من الجمل أو بوصفه وحدة لغوية تتجاوز حدود الجملة، وإنما يعرف بوصفه وحدة لغوية في الاستعمال يتم من خلالها ربط الخطاب بسياقه (مقام التلفظ، مرجعية الخطاب) أثناء تحليله (الصبيحي، 2008، ص. 75).

نجد هذا التصور الوظيفي أيضا عند جيليان براون Gillian Brown وجورج يول George Yule اللذين نصّا في كتابهما تحليل الخطاب على ضرورة ربط مفهوم الخطاب وعمليات تحليله بعنصر السياق، ومن ثم اعتبرا أن «الفكرة التي تدعي إمكانية تحليل سلسلة لغوية (جملة) تحليلا كاملا بمعزل عن السياق، قد أصبحت في السنوات الأخيرة محل شك كبير» (Brown and Yule, 1983, p. 25)، وهو ما جعل دومينيك مانغنو Dominique Maingueneau وباتريك شارودو Patrick Charaudeau يخرجان أبحاث أوزوالد ديكرود Oswald Ducrot التداولية من حقل تحليل الخطاب؛ لأنه درس فيها الملفوظات معزولة عن سياقاتها.

إن إلحاح التصور الوظيفي على ربط الخطاب بسياق استعماله وبالوظائف المرتبطة ببنائه الخارجي في معزل عن بنائه اللغوي الداخلي قد أوقعه بدوره في نزعة تختزل الخطاب في وظائفه الخارجية وفي سياق استعماله، غير ملتفت إلى أن ماهية الخطاب تتحدد بالتضافر بين داخله وخارجه، وبين النسق والسياق، وبين البنية والوظيفة. كما أن تركيزه المبالغ فيه على السياق والوظيفة أوقعه -كما ترى شيفرن- في خلط كبير بين تحليل الخطاب وتحليل السياق، وهو ما يؤكد أن التصورين معا غير كافيين، مما مهّد لبلوة تصور لساني آخر ينظر إلى الخطاب من وجهيه الداخلي المتمثل في البنية اللغوية والخارجي المتجلي في الوظائف وسياق الاستعمال وظروف الإنتاج، وذلك على نحو ما تجسّد في التصور التلفظي.

### 3.1 الخطاب والتصور التلفظي

إذا كان التصور البنيوي الصوري قد ربط الخطاب بصورته ونسقه الداخليين وحدوده الكمية، وربط التصور الوظيفي الخطاب بالوظيفة وسياق الاستعمال، فإن التصور التلفظي

قد ركز في تحديد هذا المصطلح على الوجهين معا. ويعتبر إميل بنفينيست Émile Benveniste أول من انتبه إلى هذا الأمر، حين عرّف الخطاب بأنه «كل تلفظ يفترض وجود متكلم ومستمع، ولدى الأول قصد التأثير في الثاني بطريقة ما» (Benveniste, 1966, pp. 241-242)، وهو ما يعني أن الخطاب عنده لم يعد متوالية لسانية تشكل بنية مغلقة ومجردة، بل أصبح بنية لغوية تلفية تتفاعل مع بنيات أخرى خارجية: ثقافية، واجتماعية، وأكسيولوجية، وغيرها.

إن ربط الخطاب بالتلفظ، إذا، يعني ربطه بوحدة الإنتاج اللغوي في بعده المنطوق والمكتوب من جهة، وسياق استعماله وظروف إنتاجه الخارجية من جهة أخرى، مما يجعل الخطاب بنية متضافرة وتفاعلية تقوم على التفاعل المستمر بين نسقها اللساني المطرد وسياقات إنتاج هذا النسق، وهو ما يؤكد أن التصور التلفظي - كما ترى شيفرن- «يجمع بين الإلحاح الوظيفي على الاستعمال اللغوي والإلحاح الصوري على النماذج الموسعة، مشيرة إلى أن دراسة التلفظ تضمن الأخذ بعين الاعتبار جملة من العوامل المرتبطة بالمقام التواصلية كالمشاركين وزمن التلفظ ومكانه، وعموما كل عنصر يمكن عدّه ملائما في إجراء التلفظ» (العربي، 2018، ص. 28).

وجد تصور بنفينيست صداه عند العديد من اللسانيين والباحثين والنقاد أمثال ميخائيل باختين Mikhaïl Bakhtine الذي عرّف الخطاب بوصفه تلفظا يمثل حدثا اجتماعيا أو نتاجا لعلاقات اجتماعية متداخلة تجعل الخطاب/التلفظ: «نتاجا لسياق محدد، هو بالضرورة، سياق اجتماعي [...] [و] نتيجة لتفاعل المتلفظ مع طرف آخر، هو المتلفظ إليه (المستمع)، الذي يدمج تفاعله (هو الآخر) أيضا، وبكامله مع التفاعل الخاص بالمتكلم سلفا» (الحميري، 2008، صص. 99-100). كما تجعله أيضا -بحسب بيير زيمّا Pierre Zima- وحدة تتجاوز الجملة وتشكل من لغة جماعية «تمتلك رؤية إلى العالم تصنيفية خاصة بها» (جيران، 2013، ص. 171).

ويقوم الخطاب/التلفظ عند باختين -كما يرى تزفيتان تودوروف Tzvetan Todorov- على عنصر التوجيه الذي يعني أن كل خطاب/تلفظ في أصله يوجّه نحو أفق اجتماعي مُشكّل من أنساق دلالية وتقييمية، وهو ما يؤكد الارتباط الوثيق بين الخطاب وسياق إنتاجه ذي الأبعاد الاجتماعية والثقافية والقيمية التي أشار إليها بنفينيست، ومن ثم يغدو كل تلفظ بالنسبة إلى باختين منطويا بالضرورة على بعد قيمي يعد أكثر أهمية من الأبعاد الأخرى من قبيل البعد الدلالي والمكاني والزمني (الحميري، 2008، ص. 100). ويعود

هذا الارتباط بين الخطاب وسياق إنتاجه إلى طبيعة لغة الخطاب/ التلفظ التي لم تعد -في علاقتها بالوعي الذي يسكنها- نسقا مجردا من الأشكال والصور المعيارية، بل هي رؤية ملموسة عن العالم أي أنها «تتضمن موقفا جاهزا من العالم، لذلك فكل كلمة (نستخدمها) تفوح برائحة السياق، أو مجموع السياقات التي عاشت فيها حياتها الاجتماعية بحدّة وكثافة» (نفسه).

وجد هذا التصور التلفظي صدها أيضا عند المدرسة الفرنسية لتحليل الخطاب التي ركزت بدورها على التلفظ بوصفه المحدد الأساس لماهية الخطاب، ولعل هذا ما نلمسه بجلاء عند لويس كيسبن Louis Guespin الذي انطلق في تعريفه للخطاب من معارضته بالملفوظ؛ إذ إن الملفوظ عنده متتالية من الجمل الموجودة بين بياضين دلاليين، بينما الخطاب هو الملفوظ منظورا إليه من زاوية حركية خطائية مشروط بها أو من زاوية عمله داخل الشروط الخارجية التي أنتجته، ومن ثم فإن كل نظرة إلى «نص من وجهة نظر تبينته لغويا تجعل منه ملفوظا، وأن كل دراسة لسانية لشروط إنتاج هذا النص تجعل منه خطابا» (يقطين، 2005، ص. 22). وهو الأمر الذي أكدّه دومينيك مانغنو وبارتريك شارودو، إذ اعتبر مانغنو الخطاب مفهوما مماثلا للكلام عند فيرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure قبل أن يتبنى توجّه كيسبن الذي نظر من خلاله إلى هذا المصطلح بوصفه تلفظا مرتبعا بالشروط السوسيو-تاريخية التي أنتجته وليس ملفوظا معزولا عن سياقاته. بينما اعتبر شارودو أن الخطاب «هو الملفوظ بزيادة مقام التواصل خاصا بخاصية الإنتاج والدلالة [...] [مما يعني] أن معنى الملفوظ يتحدد خارج النطاق التلفظي، وأن دلالة الخطاب ترجع إلى شروط وملابسات التواصل» (نفسه، ص. 23).

يعتبر اللساني الفرنسي ميشيل بيشو Michel Pêcheux -إضافة إلى مانغنو وشارودو- أبرز من مثلّ التصور التلفظي في حقل تحليل الخطاب، إذ انطلق في تعريفه للخطاب من ربطه بسياق إنتاجه، خاصة السياق الأيديولوجي. ونظر إلى هذا المصطلح بوصفه مظهرا من مظاهر الصراع الأيديولوجي، ما دام هذا الصراع يتخلّل الخطاب في كليته لمواجهة خطاب آخر مضاد، وهو ما يعني أن الخطاب عند بيشو يرتبط جدليا بمواقف القوى الأيديولوجية المتصارعة، ويتجلى ذلك بحسب ديان مكدونيل Diane Macdonell في كون عملية التأمل في سياسات المعنى وفي طرق بنائه تؤكد أن الكلمات لا تحمل في ذاتها معنى خاصا وثابتا، بل إن الأصل فيها أن تغير معناها من خطاب إلى آخر (Macdonell, 1986, p. 45)، لذلك ما ينطبق على الجزء (الألفاظ)

ينطبق على الكل أيضا (الخطاب)، كما أن الخطابات المتصارعة تتغير بتغير الأيديولوجيا التي تنتجها لتمثلها في حقل الصراع الأيديولوجي. إن الخطاب بهذا المعنى لم يعد شكلا من أشكال التعبير الفردي باللغة، وإنما أصبح إنتاجا لصراعات القوى الأيديولوجية التي يحمل تصوراتها وتمثيلاتهما، ما تجعل منه -كما يرى روجر فاولر Roger Fowler- كلاما أو كتابة مدركة «من وجهة نظر المعتقدات والقيم والفئات التي تجسدها، [مشكلا بذلك] طريقة نظر إلى العالم، تنظيما أو تمثيلا للتجربة/الأيديولوجيا في المعنى الطبيعي أو المقبول للمصطلح» (برهومة، 2007، ص. 121)، وهو ما يجعل المعنى في هذه الحال -بحسب بيشو- غير محدد بواسطة العناصر اللغوية في ذاتها، وإنما بواسطة المواقف الأيديولوجية المتصارعة؛ إذ تغير الكلمات معناها وفقا للمواقف التي تستعمل فيها، وهي «مواقف أيديولوجية مندرجة في ممارسات الصراعات الطبقيّة أو غيرها من الصراعات بين الأجهزة وفي نطاقها» (الحميري، 2008، ص. 97)، مما يؤكد أن تصور بيشو هذا حول سياسات المعنى قد تطور عن نظرية لوي ألتوسير Louis Althusser في الخطاب والأيديولوجيا (Macdonell, 1986, pp. 24-43) التي شكّلت إطارا مرجعيا نظريا للعديد من محلي الخطاب.

## 2. مفهوم الخطاب في الفكر الفلسفي الغربي المعاصر

### 1.2 تصور كلود ليفي ستروس

ذهب كلود ليفي ستروس Claude Lévi-Strauss أثناء دراسته البنيوية للخطاب الأسطوري إلى اعتبار الخطاب بصفة عامة، والخطاب الأسطوري بصفة خاصة، وحدة لغوية بنيوية تنتمي إلى نسق اللغة، وتقوم على نظام من العلاقات البنيوية المنطلقة من وحدة دلالية أساس هي الميثيم Mythème، لتصل في شكل تراتبي إلى مستوى الجملة التي يستمد منها الخطاب الأسطوري قيمته البنيوية والدلالية، ثم منها إلى مجموعة من الجمل المشكلة للطبيعة البنيوية والبعد الصوري لهذا الخطاب الحامل في نظامه اللغوي المغلق والمحايث لقصدية التواصل، شأنه في ذلك شأن الخطاب الخرافي لأنهما «رسالة من مرسل (لا نعرفه على وجه الضبط في حالة الخطابين الأسطوري والخرافي، وإن كنا نعرف أنه نتاج من أجيال المجتمع القدامى) إلى مستقبل أو مرسل إليه نعرف أنه من الجيل الحاضر من المبتدئين الجدد في المجتمع [...] أولئك الذين يتلقون بهذه الكيفية، في حاضر أبدي عبر العصور والأجيال، حكمة الأسلاف والأجداد

وقد عبرت عن نفسها برموز وأحداث واحدة، وتؤدي رسالة واحدة، لا تتعلق بالماضي وحده، بل بالحاضر والمستقبل أيضا» (حيمر، 2008، ص. 46).

إن النظر إلى الخطاب الأسطوري بوصفه نوعا من الأنواع العامة للخطاب المتضمنة لوظيفة التواصل قد جعله نسيجا بنيويا مزدوجا يجمع في بنيته بين ما هو تزامني وتعاقبي يجعله أشبه ما يكون - بحسب ليفي ستروس - بالخطاب السياسي الأيديولوجي الذي حل محل الأسطورة في المجتمعات الحداثية. ويشكل هذا الخطاب بدوره من نسق لغوي متماسك ومزدوج يجمع بين بنية تعاقبية مرتبطة بأحداث الماضي التي يعتبرها السياسي في خطابه أصل تشكل جماعته، وبنية تزامنية ترتبط بالماضي والحاضر والمستقبل. قال عبد السلام حيمر في هذا الصدد: «يتماثل الخطاب الأسطوري مع الخطاب السياسي الأيديولوجي في نظر ستروس، في بنيتها المزدوجة - التاريخية وغير التاريخية معا - تلك البنية التي تضم، مضمونا، وحداته، تشير إلى أحداث تعاقبت في الماضي، غير أن المضمون لا معنى له إلا إذا انتظمت وحداته في نسق من العلاقات على شكل بنية دالة تزعم الكشف عن المعاني العميقة لا للماضي فقط، بل للحاضر والمستقبل أيضا، وهو ما يضيف عليهما سمة «الشيء المطلق» بتعبير ستروس» (نفسه، ص. 47).

لا يختلف مفهوم الخطاب الأسطوري، إذا، عن الخطاب السياسي، ولا عن باقي الخطابات الأخرى، ولا عن اللغة نفسها إلا في العناصر البنيوية التي تشكل طبيعته ونظامه البنيوي؛ فإذا كانت اللغة تتكون بنيويا وقاعديا من الفونيم بوصفه أبسط وحدة لغوية ثم المورفيم فالجملة، فإن الخطاب الأسطوري يتشكل قاعديا من الميثيم بوصفه وحدة بنائية أساسية تماثل بنيويا المورفيم في اللغة، لأن الخطاب الأسطوري لا يتوافر على الفونيمات الموجودة في اللغة بوصفها العلة المادية لتشكل الخطاب.

إن النظر إلى الأسطورة من جهة تماثلها مع اللغة من حيث طبيعتها البنيوية المغلقة وتمايزها عنها من حيث عناصرها البنيوية المشكلة لها، والنظر إليها أيضا بوصفها بنية مزدوجة تزامنية وتعاقبية، جعلت كلود ليفي ستروس يدرج الخطاب الأسطوري في مستويي اللسان والكلام معا لا في مستوى واحد، لكون هذا الخطاب «خاضعا لنظام زمني مركب يعبر عن ذاته في مضمون يتكون من أحداث وأفعال تتعاقب وتتوالى، بين سابق ولاحق [...] ففي الخطاب الأسطوري تختلط الأزمنة وينهّد الفارق بين الكلام واللسان، ويتساكن التاريخي مع البنيوي، ويتوحد المضمون بالشكل ولا ينفصلان» (نفسه، ص. 49).

## 2.2 تصور بول ريكور

انطلق بول ريكور Paul Ricœur في تحديد مصطلح الخطاب من نقد التصور اللساني البنيوي أو بالأحرى التحليل البنيوي للخطاب على نحو ما تجسد في أعمال فلاديمير بروب Vladimir Propp، وليفي ستروس، ورولان بارت Roland Barthes، وألجيرداس جوليان غريماس Algirdas Julien Greimas، وغيرهم من البنيويين الذين اعتبروا الخطاب السردى والحكائي عبارة عن بنية لغوية مغلقة ومحايثة تتجاوز الجملة و«تعطي» -داخل شروط محددة- تركيبات مشابهة ومقارنة لتركيبات الوحدات [...] ذات درجة أدنى من الجملة، وهي الوحدات التي تشكل موضوع البحث اللساني بالتدقيق» (ريكور، 1988، ص. 44). ومن ثم توسلوا في تحليلهم لهذه الوحدات الكبرى في الحكاية بالأدوات اللسانية نفسها المعتمدة في تحليل الجملة القائمة على «إجراء التقطيع (الطابع الأفقي)، ثم إقامة مختلف مستويات إدماج الأجزاء في الكل (الطابع التراتبي)» (ريكور، 2004، ص. 104)، معتبرين أن المعنى هو نتاج العلاقات البنيوية التراتبية بين العناصر والمستويات اللغوية الداخلية لهذا الخطاب، وهو ما صرّح به ليفي ستروس حين أقر أن الميثيم لا تتحدد قيمته ووظيفته إلا باتخاذها موقعا داخل الجملة في الخطاب الأسطوري الذي يمكن بعدها من توليد المعنى، حيث جعل من الأسطورة، كما يرى ريكور، كائنا لسانيا.

إن هذا التحليل البنيوي المحايث للخطاب الحكائي قد جعل هؤلاء البنيويين حبيسي المنطلقات البنيوية التي وضعها فرديناند دي سوسير، خاصة في تقسيمه اللغة إلى «لسان» باعتباره نسقا من القواعد ذات الطابع الاجتماعي والمؤسساتي، و«كلام» بوصفه إنجازا فرديا جاعلين من الخطاب -الذي حلّوه من الداخل تحليلا نسقيا تزامنيا في معزل عن سياقات إنتاجه واستعماله- ماثلا للسان المطرد، ومن ثم منتميا إلى اللسانيات، ومقابلا للكلام غير المطرد الذي يرتبط بالاستعمال الفردي، وينتمي إلى الفيزيولوجيا والسيكولوجيا والسوسولوجيا (ريكور، 1988، ص. 43)؛ لأنهم لم يبحثوا عن المتخاطبين خارج النسق اللغوي للخطاب الحكائي وخارج الإشارات السردية التي تنتمي -بحسب التحليل البنيوي- إلى التكوين الداخلي للحكاية وحده (نفسه، ص. 46)، وهو الأمر الذي رفضه ريكور معتبرا أن الخطاب -وإن كان متواليه من الجمل وشبكة من العلاقات اللغوية التي تغدو موضوع البحث اللساني- يحمل دلالات وقصديات إنسانية ووجودية عميقة لا يمكن الوصول إليها من طريق التحليل البنيوي الذي لا يعدو كونه

شرحاً، وإنما نصل إليها من طريق التأويل الذي يجد سنده اللساني عنده -إضافة إلى سنده الفلسفي المرتبط بأنطولوجيا مارتن هايدجر Martin Heidegger وفينومينولوجيا إدموند هوسرل Edmund Husserl- في نظريات الأفعال الكلامية كما بلورها كل من أوستين وسييرل (ريكور، 2004، ص. 73) التي تتجاوز الطابع النسقي المغلق للغة إلى الاشتغال على طرق استعمال هذه اللغة.

تتجلى أهمية التأويل عند بول ريكور في كونه يعيد ربط الخطاب بالعالم المحال عليه بواسطة الدلالات التي يحملها، ما دام الخطاب عنده «مرتبطاً بدرجة أو بأخرى بالعالم» (ريكور، 1988، ص. 39) الذي يشكل موضوعه الأساس، وهو ما يجعل من الخطاب هنا ممثلاً لمفهوم الكلام بمعناه الشوسيري. قال بول ريكور في هذا الصدد معرفاً الخطاب: «يعتبر الخطاب نفسه، من جهة، بمثابة حدث: أي شيئاً ما يحدث عندما يتكلم أحدنا. وتفترض هذه النظرية، نظرية الخطاب كحدث، نفسها بمجرد ما نأخذ بعين الاعتبار العبور من لسانيات الرموز، إلى لسانيات الخطاب أو الإرسالية» (ريكور، 2004، ص. 71)، ومن ثم فهو يخالف «ما يسميه هؤلاء [يقصد علماء اللغة] بالنسق أو النظام اللساني، الخطاب يعني [إذا] حدث الكلام» (نفسه، ص. 127).

أصبح الخطاب مع ريكور إنجازاً وحدثاً تواصلياً ذا وظيفة إحالية تحيل على العالم وعلى سياقات قول هذا العالم بواسطة الضمائر التلفظية المرتبطة بالزمان والمكان والذوات (أنا وأنت، هنا، الآن)، ومن ثم لا يكتسب الخطاب دلالاته الكاملة «إلا في علاقته بهذه الظرفية الزمانية والمكانية، فإحالته على الواقع هي في نهاية المطاف إحالة على واقع هذه الظرفية التي يمكن إبرازها كظرفية محيطة بالمتكلمين من جهة، وبوجود الخطاب ذاته من جهة أخرى» (ريكور، 1988، ص. 39). وهو ما يجعل من الخطاب في هذه الحال فعلاً إنجازياً شفافياً سابقاً أنطولوجياً على الكتابة التي تحوِّله إلى نص مغلق أثناء تدوينه حفاظاً عليه من الزوال، وتنتفي معه إمكانية الحديث عن المتكلم والمخاطب «على الأقل بمعنى التعيين الذاتي اللحظي المباشر للشخص الذي يتكلم داخل الخطاب» (نفسه، ص. 40)، كما ينتفي معه العالم الفعلي الذي يتم الحديث عنه بشكل مباشر بواسطة الخطاب/الكلام، ليحل محله عالم آخر خاص بالنص هو -على حد تعبير ريكور- «عالم الأدب» (نفسه، ص. 39).

لا تتم العودة إلى هذا العالم الفعلي إلا عبر عملية التأويل التي ترفع الانغلاق عن النص، وتعيده إلى قلب التواصل الحي، وتحوِّله إلى كلام/خطاب مرة أخرى، وهو ما

يؤكد الأصول الشفاهية للخطاب عند ريكور في مقابل الأصول الكتابية للنص، وهو التعريف نفسه الذي نجده عند العديد من المفكرين والنقاد أمثال الناقد الفرنسي روبرت إسكاربيت Robert Escarpit الذي ذهب في مقارنته بين النص والخطاب إلى ربط الأول بالأصول الكتابية وربط الثاني بالأصول الشفاهية، وذلك حين قال: «كي تتجنب كل خطأ في المصطلح، فإننا نعتبر فوراً أن اللغة الشفاهية تنتج خطابات، بينما تنتج الكتابة نصوصاً» (Escarpit, 1978, p. 29).

### 3.2 تصور ميشيل فوكو

لعب ميشيل فوكو Michel Foucault دوراً مركزياً في تطوير حقل تحليل الخطاب من خلال دراساته وأبحاثه النظرية والإمبريقية التي أصبحت إطاراً مرجعياً لمختلف اتجاهات تحليل الخطاب (See Jørgensen and Phillips, 2002, p. 12)، فلم يحدُ الخطاب موضوعاً للمقاربة والبحث المنهجي في الفلسفة والعلوم الإنسانية إلا على يده، بعد أن جعل منه ميداناً مستقلاً للدراسة ومنهجاً للتحليل وفتح به «آفاقاً رحبة أمام الباحثين في العلوم الاجتماعية» (شومان، 2007، ص. 49)؛ إذ لم يعد معه هذا المفهوم «طريقة للتعبير أو حديثاً متساوقاً، أو مجموعة عمليات فكرية مترابطة، أو تجليات لذات واعية، تتأمل وتعبر، وإنما أصبح إمكان وشروط وجود نظام. أصبح حقلاً تتمفصل فيه الذوات ومجموعة علاقات تجد فيها مرتكزاً له» (بغوره، 2000، ص. 92). وقد وظف فوكو لذلك مختلف التراكمات المعرفية المتبلورة حول هذا المفهوم في العديد من الحقول المعرفية كاللسانيات (أعمال بنفنيست وأوستين وسيرل)، والأنثروبولوجيا (أعمال كلود ليفي ستروس حول التحليل البنيوي للخطاب الأسطوري)، والنظريات الماركسية، وغيرها من الحقول المعرفية الأخرى.

بدأ فوكو حديثه عن الخطاب منذ كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي الذي أكد فيه أن الإنسان الأوروبي الكلاسيكي قد نظر إلى الجنون بوصفه جزءاً من عالم الخطاب، أو بوصفه معرفة خطابية، ومن ثم كان الخطاب ميزة العصر الكلاسيكي كما كانت اللغة ميزة عصر النهضة وكما كان الإنسان ميزة الحداثة، ليصبح بعدها هذا المفهوم ومكوناته نواة مركزية لكل أعماله اللاحقة، فكيف حدّد فوكو مفهوم الخطاب إذاً؟ وما مكوناته وأبعاده وخصائصه؟

لم يحظ الخطاب في أعمال فوكو بتحديد دقيق ومحدد على الرغم من كونه مثلاً صلباً أعماله ودراساته، وذلك راجع بالأساس إلى طابعه الفضفاض الذي يأبى التحديد

والحصر، ولا يستقر على وجه، والذي يتغير -بحسب فوكو- بتغيير طريقة التحليل ومواطن تطبيقه. ولعل هذا الطابع الفصفاض والزئبقي هو ما نلمسه بجلاء في قول فوكو نفسه معرفا الخطاب: «أعتقد أنني ضاعفت وأكثر من معانيه [يقصد الخطاب]؛ فهو أحيانا يعني الميدان العام لمجموع العبارات [الملفوظات]، وأحيانا أخرى مجموعة متميزة من العبارات، وأحيانا ثالثة ممارسة لها قواعدها، تدل دلالة وصف على عدد معين من العبارات وتشير إليها» (فوكو، 2005، ص. 76). وهو أيضا «مجموعة من العبارات [الملفوظات] بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر إلى ما لا نهاية، ويمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ (مع تفسيره إذا اقتضى الحال)، بل هو عبارة عن عدد محصور من العبارات التي نستطيع تحديد شروط وجودها» (نفسه، ص. 108).

يتضح من خلال هذين التعريفين أن فوكو قد تجاوز التحديد اللساني للخطاب، إذ لم يعد معه متوالية بنوية وصورية من الجمل أو تلفظا يقع في صلب التداول، بل أصبح عبارة عن تشكيلة مبنية على الملفوظ بوصفه الوحدة الأولى للخطاب وذوته، وبوصفه فعلا لسانيا يتضمن وقائع تاريخية مترسبة في الطبقات الدلالية العميقة للخطاب التي يقتضي تحليلها وتفكيكها التوسل بالمنهج الأركيولوجي باعتباره منهجا من مناهج تحليل الخطاب، يقوم على رؤية حفرية عميقة للتاريخ وللحقيقة (حيمر، 2008، ص. 179).

وتتخذ هذه الوقائع التاريخية المترسبة في الخطاب -كما يرى فوكو- شكل أرشيف مكوّن من مجموع الخطابات المتلفظ بها في مختلف المنعطفات التاريخية وفق شروط ومنطلقات وقواعد محددة يحددها «الإيستيم» بوصفه نظاما معرفيا لا شعوريا ذا طابع مؤسساتي يهيمن في منعطف تاريخي معين، ويؤطر عملية إنتاج المعرفة الخاصة بكل حقل من الحقول الخطابية الميكروفيزيائية التي يمثل كل منها برادigma خطابيا مستقلا، ويراقبها، ومن ثم يرسم حدود «المفكر فيه الخطابي» و«اللامفكر فيه الخطابي» و«المستحيل التفكير فيه الخطابي»، وهو ما يعني أن لكل منعطف تاريخي إيستيمه الخاص، ولكل إيستيم خطابه الذي يصوغه ويحميه ويضمن استمراريته، بما هو مجموع الملفوظات المنتجة في منعطف تاريخي محدّد تجعله مختلفا بالضرورة عن باقي المنعطفات التاريخية والمعرفية الأخرى.

يختلف الملفوظ في ماهيته عند فوكو عن اللغة، فاللغة كما حدّها سوسير عبارة

عن نظام مغلق بينما الملفوظ يشكل نظام ملفوظ مفتوح وحامل لإمكانية التجدد (بغوره، 2000، ص. 97)، وإقامة علاقات جديدة مع ملفوظات أخرى يكون من خلالها «تشكيلة خطابية» خاصة لا تتحقق إلا في مجموعة محدّدة من الملفوظات؛ إذ تختلف هذه الملفوظات -كما يرى فوكو- من خطاب إلى آخر، فملفوظات الخطاب الطبي ليست هي ملفوظات الخطاب الجنسي، وملفوظات هذا الخطاب تختلف عن ملفوظات الخطاب السجني، وهكذا.

من خلال ما سبق، يبدو أن الخطاب عند فوكو حقل عام للملفوظات المكوّنة للتشكيلة الخطابية المرتبطة جدليا بالممارسات غير الخطابية كالمؤسسات والممارسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وما يتصل بذلك من مظاهر السلطة والهيمنة، ومن تشكيلات أيديولوجية ونظم معرفية، مما يؤكد -بحسب فوكو- «حضور» المؤسسة» مهما كان شكلها، وفي أي خطاب، يعي قوتها التي تبسطها في كل مكان من خلال سلطاتها المزروعة والمتجسدة ضمن جدلية المعرفة، والحقيقة والسلطة على مستوى الخطاب والممارسة» (عبد اللاوي، 2012، صص. 57-58). فالخطاب بهذا المعنى حقل من الخيارات الممكنة «يتحرك باستمرار إلى الورا إلى الأمام كي يعكس ويشيد بذلك العالم الاجتماعي الخاص بمختلف الفاعلين الاجتماعيين الموظفين له أو المتموقعين [مؤسساتيا ورمزيا] بواسطته. [ومن ثم يمكن القول إن] أنظمة الخطاب هي الممارسات الخطابية للمجتمع أو للمؤسسة المترابطة والمتشابكة فيما بينها» (Breeze, 2011, p. 497).

ويتحدد الوجود الفعلي للتشكيلة الخطابية عند فوكو بواسطة العديد من القواعد يمكن حصرها في الآتي:

أ- قاعدة الانبثاق: هي التي تحدد طرق ظهور الموضوعات التي يحملها الخطاب بواسطة نظامه الخاص بالملفوظات/التشكيلة الخطابية في علاقتها بالمكان الذي انبثقت فيه، أي إنها تحدد المساحات التي تنبثق منها الموضوعات الخطابية، وهي مساحات تختلف «بحسب اختلاف المجتمعات والعصور وأشكال الخطاب» (فوكو، 2005، ص. 40). والدليل على ذلك من دراسات فوكو لموضوع الجنون الذي انبثق خطايا -بناء على هذه القاعدة- في المعزل والمستشفى، وما يرتبط بهما من خصائص بنيوية.

ب- قاعدة التعيين والترتيب: هي التي تبين مختلف مراتب الخطاب المنبثق، وتميزه

من الخطابات الأخرى (بغوره، 2000، ص. 105).

ج- قاعدة التمييز والفرز: هي التي تسمح بظهور خطاب معين في منعطف تاريخي محدد، وتوضح مواطن التشابه والاختلاف بينه والخطابات الأخرى.

د- قاعدة التبعر والتوزيع: هي أداة لتوضيح طرق توزيع وتبعر الملفوظات داخل التشكيلة الخطابية التي تقع بدورها داخل حقل خطابي محدد يُعتبر ميدانا رحبا مكونا من مجموعة من الملفوظات الفعلية في بعديها المنطوق والمكتوب، المبعثرة على شكل أحداث خطابية تاريخية تتميز فيها هذه الملفوظات بطابع التابع والتعاقب والترتيب في صورة أشبه بالمجموعات النحوية والاقتصادية والبيولوجية (المرجع نفسه، ص. 106)، كما تتميز باختلاف طبيعتها ومرجعياتها وزاوية نظرها المنهجي إلى التشكيلات الخطابية التي تضمها (نفسه).

هكذا يبدو أن الخطاب عند ميشيل فوكو قد دخل منعطفا إستيمولوجيا جديدا اتخذ معه شكلا لولبيا مركبا، جعل قاعدته الملفوظ المتباين في طبيعته ومرجعياته الذي يشكل نظاما خاصا بالملفوظات المنتمي إلى تشكيلة خطابية خاصة ومحكومة بالعديد من القواعد التي تمكنها من الانتماء إلى حقل خطابي محدد ورحب. وترتبط هذه العناصر الخطابية كلها بما سماه فوكو بـ«منظومات التكوين» بوصفها أداة تحدد طرق اشتغال هذه العناصر وطبيعة العلاقة القائمة بينها داخل الخطاب أثناء الممارسة الخطابية، كما تحدد علاقة هذا النظام الخاص بالملفوظات بالواقع أو بالأحرى علاقة الكلمات بالأشياء. وهي النقطة التي تقاطع فيها فوكو مع التصور الماركسي حين ربط الخطاب بالواقع ومؤسساته، خاصة تصور لوي ألتوسير الذي اعتبر الخطاب شكلا من الأشكال الخاصة للأيديولوجيا، أدواته الرئيسة هي اللغة بوصفها السلاح الأمثل للمهيمنة داخل دائرة الصراع الأيديولوجي والسياسي (برهومة، 2007، ص. 127)، ومصدر سلطة الخطاب المهيمن التي تتحول بدورها إلى أيديولوجيا هذا الخطاب، الأمر الذي يؤكد -بحسب فوكو- وجود علاقة معقدة بين الملفوظ والواقع، بين الكلمات والأشياء، أو بين الظاهرة اللغوية والظاهرة الأيديولوجية بوصفها -كما يرى ألتوسير متأثرا في ذلك بجاك لاكان Jacques Lacan- بنية منبثقة عن اللاوعي: «لا تفصح عن نفسها إلا إذا جاوزنا الخطاب الظاهر إلى آخر أعماق غورا وأخفى حضورا، نعني خطاب اللاوعي الذي يمثل في نهاية الأمر الأيديولوجيا» (Mangueneau, 1991, pp. 11-16، نقلا عن عبيد، 2013، صص. 9-10) التي يتبناها منتج الخطاب داخل حقل الصراع الأيديولوجي.

## خاتمة

يتضح مما سبق الطابع المركب لمفهوم الخطاب الذي أصبح في العقود الثلاثة الأخيرة من أكثر المفاهيم تداولاً في مختلف الحقول المعرفية وأكثرها غموضاً في الآن نفسه، لذلك صعب على محللي الخطاب ومُنظريه اقتراح تصور نظري واحد وموحد في مرجعياته النظرية ونُظمه المعرفية يمكن من تحديد ماهية هذا المفهوم تحديداً نهائياً. ولعل الوعي بالطابع المركب لمفهوم الخطاب في الفترة الأخيرة قد دفع العديد من محللي الخطاب، خاصة المحللين النقاد للخطاب إلى اقتراح تصورات نظرية جديدة وشاملة تراعي في تعريف الخطاب أنساقه المتعددة، وأبعاده المختلفة. ومن أبرز هذه التعاريف تعريف فان ديك الذي اعتبر الخطاب: «ظاهرة اجتماعية متعددة الأبعاد؛ فهو في الآن نفسه شكل لغوي (لفظي ونحوي) (متوالية من الكلمات أو الجمل الدالة)، وفعل كلامي (كالتأكيد أو التهديد)، وشكل من أشكال التفاعل الاجتماعي (مثل المحادثة)، وممارسة اجتماعية (من قبيل المحاضرة)، وتمثيل ذهني (معنى أو نموذج ذهني أو رأي أو معرفة)، وحدث أو نشاط تفاعلي أو تواصلية (من قبيل سجال برلماني)، ومنتج ثقافي (مثل الروايات المتلفزة)، أو حتى سلعة اقتصادية تباع وتشتري (مثل رواية)» (Van Dijk, 2009, p. 67).

إن الخطاب، من هذا المنطلق، عبارة عن فضاء معرفي شامل ومركب يتضمن أبعاداً متعددة لسانية، وثقافية، واجتماعية، ومعرفية، وسياسية، وأنثروبولوجية، وغيرها من الأبعاد الأخرى التي جعلت منه ظاهرة ثقافية وبنية لسانية، وفعلاً كلامياً، وشبكة من العلامات، وسيرورة تلفظية، وفعلاً تواصلياً، وممارسة اجتماعية، وتصوراً ذهنياً، ونظاماً معرفياً عابراً للتخصصات يقتضي تحليله التوصل بمقاربات متعددة وبتخصصية تستند إلى مختلف المنطلقات والتصورات والمرجعيات النظرية، خاصة المتبلورة منها في حقل اللسانيات والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

## قائمة المراجع

## أولاً- المراجع العربية

- بغوره، الزواوي. (2000) مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

- بوقرة، نعمان. (2012) لسانيات الخطاب: مباحث في التأسيس والإجراء، بيروت، دار الكتب العلمية.
- جبران، عبد الرحيم. (2013) سراب النظرية. بنغازي/بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- الحميري، عبد الواسع. (2008) الخطاب والنص، المفهوم والعلاقة والسلطة، بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- حيمر، عبد السلام. (2008) في سوسولوجيا الخطاب، من سوسولوجيا التمثلات إلى سوسولوجيا الفعل، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- ريكور، بول. (1988) «النص والتأويل». (ترجمة منصف عبد الحق)، مجلة العرب والفكر المعاصر، العدد، 3، بيروت، مركز الإنماء القومي، صص. 36-52.
- ريكور، بول. (2004)، من النص إلى الفعل، أبحاث في التأويل. (ترجمة محمد برادة وحسان بورقية)، الرباط، مكتبة دار الأمان.
- شارودو، باتريك، ومانغنو، دومينيك. (2008)، معجم تحليل الخطاب. (ترجمة عبد القادر المهيري، وحمادي صمود)، تونس، المركز الوطني للترجمة.
- شومان، محمد. (2007)، تحليل الخطاب الإعلامي، أطر نظرية ونماذج تطبيقية. القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.
- الصبيحي، محمد الأخضر. (2008) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه. الجزائر/بيروت، منشورات الاختلاف، والدار العربية للعلم ناشرون.
- عبد اللاوي، عبد الله. (2012) حفريات في الخطاب التاريخي العربي، المعرفة، السلطة والتمثلات. الجزائر/بيروت، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية- ناشرون.
- عبيد، حاتم. (2013) في تحليل الخطاب. الأردن، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.
- العربي، ربيعة. (2018) الخطاب، المحددات وآليات الاشتغال. عمان، دار أمجد للنشر والتوزيع.
- عودة برهومة، عيسى (2007) «تمثلات اللغة في الخطاب السياسي»، مجلة عالم الفكر، المجلد، 36، العدد، 1، صص. 117-162.
- فوكو، ميشال. (2005)، حفريات المعرفة. ترجمة سالم يفوت، الدار البيضاء/بيروت، المركز الثقافي العربي.

♦♦♦

- يقطين، سعيد. (2005)، تحليل الخطاب الروائي، الزمن، السرد، التبئير. الدار البيضاء/بيروت، المركز الثقافي العربي.

#### ثانياً- المراجع الأجنبية

- Benveniste, Émile. (1966) *Problèmes de Linguistique Général*. Vol, I, Paris, éditions Gallimard.
- Breeze, Ruth. (2011) “Critical Discourse Analysis and its Critics”. *Pragmatics*, 21(4), PP. 493- 525.
- Brown, Gillian, Yule, George. (1983) *Discourse Analysis*. New York, Cambridge University Press.
- Escarpit, Robert. (1978) *L'écrit et la Communication*. Paris coll. Que sais- je?
- Jørgensen, Marianne and Louise Phillips. (2002) *Discourse Analysis as Theory and Method*. London/ New Delhi, SAGE Publications.
- Macdonell, Diane. (1986) *Theories of Discourse: An Introduction*. Oxford UK/ Cambridge USA, Blackwell Publishers.
- Mills, Sara. (1997) *Discourse*. London/New York, Routledge.
- Schiffrin, Deborah. (1994) *Approaches to Discourse*. Oxford/ Cambridge, Blackwell Publishers.
- Van Dijk, Teun. (1977) *Text and Context*. London/New York, Longman.
- Van Dijk, Teun. (2009) “Critical Discourse Studies: A Sociocognitive Approach», in Ruth Wodak and Michael Meyer. *Methods of Critical Discourse Analysis*. London, SAGE Publications.



## المرجعيات اللسانية للتحليل النقدي للخطاب

بوجمعة إخجم

كلية اللغة العربية بمراكش/جامعة القاضي عياض، المملكة المغربية

b.ikhjem.ced@uca.ac.ma

<https://orcid.org/0009-0005-2257-0383>

### الملخص

عُنيَت هذه المقالة بالمرجعيات اللسانية للتحليل النقدي للخطاب، نظرا لاعتماد رواد هذه المقاربة النقدية في تحليل الخطاب على الأدوات التي وفرتها العلوم الإنسانية والاجتماعية في تحليل الخطابات، وفي مقدمتها اللسانيات. كما يهدف إلى محاولة الإجابة عن إشكالية مضمونها: ما طبيعة العلاقة بين التحليل النقدي للخطاب واللسانيات؟ ويضع غاية تقديم رؤية واضحة حول طبيعة هذه العلاقة رهانا له، ولا سيما كيفية الإفادة من النظريات اللسانية في تحليل الخطاب تحليلا نقديا. وقد اخلصنا في هذه المقالة إلى أن علاقة التحليل النقدي للخطاب باللسانيات علاقة تداخل واستمداد، فالتحليل النقدي للخطاب بوصفه مقاربة عابرة للتخصصات يجمع مجموعة من النظريات المعرفية في مقاربه للنصوص والخطابات، ومن ثم يستمد من اللسانيات مفاهيم مساعدة على تحليل الخطابات، محاولا إنتاج معرفة حول دور اللغة في ممارسة السلطة ونشر الأيديولوجيات والتغيير المجتمعي والثقافي.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات، التحليل النقدي للخطاب، اللسانيات الوظيفية النسقية، لسانيات النص، التداولية.



# LINGUISTIC REFERENCES OF CRITICAL DISCOURSE ANALYSIS MOROCCO

BOUJAMAA IKHIJEM

Faculty of Arabic Language, Marrakech, Cadi Ayyad University

b.ikhjem.ced@uca.ac.ma

<https://orcid.org/0009-0005-2257-0383>

## ABSTRACT

This article focuses on the linguistic references of critical discourse analysis, given that the pioneers of this critical approach to discourse analysis relied on tools provided by the humanities and social sciences, particularly linguistics. This research seeks to answer the following question: What is the nature of the relationship between critical discourse analysis and linguistics? It aims to provide a clear understanding of the nature of this relationship; particularly how linguistic theories can be used in critical discourse analysis. In this article, we conclude that the relationship between critical discourse analysis and linguistics is one of overlap and derivation. Critical discourse analysis, as an interdisciplinary approach, brings together a set of cognitive theories in its approach to texts and discourses, and then draws on linguistics for concepts that aid in the analysis of discourses, attempting to produce knowledge about the role of language in the practice of power, the dissemination of ideologies, and social and cultural change.

**Keywords:** linguistics, critical discourse analysis, systemic functional linguistics, text linguistics, pragmatics

يمكن تحديد التحليل النقدي للخطاب بأنه مقارنة عابرة للتخصصات تُعنى بالمشكلات الاجتماعية، وذلك بدراسة المظهر اللغوي المسهم في هذه المشكلات، وكيف يعبر هذا المظهر عن أيديولوجيا نخبة مهيمنة تمارس سلطتها الاجتماعية على مجموعات معينة بدفعها إلى القيام بأشياء لا تكون في صالح المجموعات المهيمين عليها.

يدرس هذا الإبدال النقدي الخطب السياسية والإعلامية والدينية وغيرها، مركزا على سوء توظيف اللغة في الخطاب؛ سواء أكان مكتوبا أم منطوقا أم مرثيا. ويهتم بنوع خاص من الخطابات هو الخطابات التضليلية التي تسهم في التلاعب بعقول الجماهير ودفعها إلى القيام بما ليس في صالحها.

توجد ثلاث مقاربات أساسية في التحليل النقدي للخطاب هي مقارنة فيركلف الجدلية العلائقية، ومقارنة فان دايك المعرفية الاجتماعية، ومقارنة روث فوداك وزملائها التاريخية الحجاجية. ويبدو لنا من خلال الاطلاع على المرجعيات اللسانية لمقاربات التحليل النقدي للخطاب أنها تأثرت أساسا بالنحو الوظيفي النسقي لمايكل هاليداي، والتداولية بشتى أنواعها، ونظرية الحجاج الجدلية التداولية لفان إيرين وبوب غروتندورست، فضلا عن اللسانيات النصية أو علم النص لفان دايك نفسه.

بناء على هذا الأمر، وجدنا أن النظريات اللسانية الأكثر اطرادا وتوظيفا في مقاربات التحليل النقدي للخطاب الأساسية هي: اللسانيات الوظيفية النسقية لمايكل هاليداي، ولسانيات النص/علم النص لتون فان دايك، والتداولية في مقارنة روث فوداك. وسنخصص هذه المقالة للحديث عن هذه المقاربات، وذلك باعتماد منهجية تنطلق من التقديم النظري لأشكال الإفادة من النظريات اللسانية، ثم التعريف بالنظرية اللسانية تعريفا مختصرا، ثم تحديد طبيعة استفادة المحلل النقدي للخطاب من النظرية اللسانية، مع إيراد مثال تطبيقي لتوظيف النظرية اللسانية في التحليل. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن النظريات اللسانية التي تحدثنا عنها لا تشمل جميع النظريات التي يعتمد عليها المحللون النقديون للخطاب، وإنما هي الأساسية منها، وإلا فإن التحليل النقدي للخطاب -لسمته العابرة للتخصصات- قد أفاد من مجموعة من النظريات اللسانية الأخرى، من قبيل: اللسانيات المعرفية، ولسانيات المتن، ولسانيات الاجتماعية، ولسانيات البنيوية، ولسانيات التوليدية التحويلية وغيرها.

## 1. أنماط النظريات اللسانية في مقاربات التحليل النقدي للخطاب

نشير في البدء إلى موقع النظريات اللسانية في التحليل النقدي للخطاب؛ حيث قامت فوداك ومايبر بالاعتماد على مفهوم المستويات النظرية المختلفة لروبرت ميرتون من أجل فهم اشتغال النظريات في التحليل النقدي للخطاب. ونورد هذه المستويات وفق ما يأتي (Ruth & Meyer, 2016, p. 17، نقلا عن بكار، 2024، صص. 66-67):

- «الإستيمولوجيا: تشمل النظريات التي تقدم نماذج لشروط الإدراك الإنساني بصفة عامة، والإدراك العلمي بصفة خاصة، واحتمالاً بينهما وحدودهما.
- نظريات اجتماعية عامة تُسَمَّى النظريات الكبرى: تُحاوَلُ تصوّرَ العلاقات بين البنية الاجتماعية والفعل الاجتماعي، ومن ثم ربط ظواهر علم الاجتماع الكبرى والصغرى، وهي إما بنوية تنتقل في تفسيراتها من البنية إلى الفعل، وإما فردية تنتقل في تفسيراتها من الفعل إلى البنية، وإما مُوقَّعةٌ بينهما.
- نظريات تمزج بين المستوى النظري والتجريبي أو النظريات المتوسطة: تُركِّزُ على ظواهر اجتماعية خاصة (من قبيل: الصراع، والتمثيلات المعرفية، الشبكات الاجتماعية) أو على أنظمة فرعية معينة للمجتمع (من قبيل: الاقتصاد، السياسة، الدين).
- نظريات اجتماعية صغرى: تُحاوَلُ تفسير التفاعل الاجتماعي أو إعادة بناء الإجراءات اليومية التي يستعملها أعضاء مجتمع معين لإحداث نظامهم الاجتماعي الخاص.
- نظريات اجتماعية نفسية: تُركِّزُ على الشروط الاجتماعية للمشاعر والتمثيلات المعرفية، وتُفضِّلُ التفسيرات المعتادة في الفهم التأويلي للمعنى.
- نظريات الخطاب: تهدف إلى تصوّر الخطاب بوصفه ظاهرة اجتماعية، وتحاول تفسير تشكُّله وبيئته.
- نظريات لسانية: تحاول وصف النمط الخاص بأنظمة اللغة والتواصل اللغوي (على سبيل المثال، نظريات الحجاج، والنحو، والبلاغة).

يُعنى بحثنا بالمستوى الأخير، أي بالنظريات اللسانية الرئيسة المعتمدة في مقاربات التحليل النقدي للخطاب الأساسية، أي مقارنة فيركلف، وفان دايك، وفوداك. وقد ألمح كريستوفر هارت وبيوتر كاب إلى أن مقاربات التحليل النقدي للخطاب تعتمد على نظريات لغوية مختلفة، وهي: النحو الوظيفي النسقي لهايلداي، والتداولية، واللسانيات

المعرفية، ولسانيات المتن، وأيضا نظريات عامة من قبيل ما بعد البنيوية، وعلم النفس المعرفي (Hart & Cap, 2014, p. 1). وهو ما دفع فوداك ومايير إلى الاعتراف بأن هذه الإسقاطات النظرية التي تتم بطريقة انتقائية تقود إلى ارتباك لدى الباحثين (Wodak & Meyer, 2016, p. 19). ويبدو أن هارت وكاب يتحدثان عن التحليل النقدي للخطاب في مقارباته الأساسية والفرعية، وإلا فإن لسانيات المتن لم تكن خلفية لسانية إلا حديثا، كما أن اللسانيات المعرفية بصيغتها الأميركية لجورج لايكوف ومارك جونسون لم يتأثر بها لا فيركلف ولا فان دايك ولا فوداك. لذلك، فإننا سنقصر الكلام على لسانيات هاليداي الوظيفية النسقية، وعلم النص، والتداولية.

## 2. اللسانيات الوظيفية النسقية

تطورت اللسانيات الوظيفية النسقية بوصفها فرعا من فروع اللسانيات بمبادئ خاصة تهدف إلى زيادة فهمنا بكيفية عمل اللغة البشرية. وقد تطلبت هذه المهمة وصف اللغة أثناء استخدامها وتفسيرها، لذلك ابتكر روادها مجموعة معقدة من الأدوات التحليلية والتقنيات التي أثبتت فائدتها في الدراسات التطبيقية من قبيل: التربية، ودراسات التواصل، واللسانيات العلمية الجنائية، بالإضافة إلى التحليل النقدي للخطاب (Bloor & Bloor, 2018, p. 152).

### 1. نشأة اللسانيات الوظيفية النسقية ومبادئها الأساسية

طوّر مايكل هاليداي اللسانيات الوظيفية النسقية بناء على نظرية مضمونها أن اللغة نظام سيميائي اجتماعي، أي مورد لصناعة المعنى؛ حيث قال في هذا الصدد: «تطورت اللغة لتلبية الحاجات الإنسانية، وطريقة تنظيمها وظيفية بالنظر إلى هذه الحاجات، إنها ليست اعتباطية. والنحو الوظيفي هو بالأساس «نحو طبيعي» بمعنى أنه يمكن أن يُفسّر بالإحالة على كيفية استعمال اللغة» (Halliday, 1994, p. vii).

صُمّمت اللسانيات الوظيفية النسقية لهاليداي في الأصل لتدريس لغة الماندرين، غير أن تطورها الكامل كان لدراسة الإنجليزية. وقد بناها هاليداي على أسس أستاذة جون روبرت فيرث الذي اهتم بـ (أ) الطريقة التي تستعمل بها اللغة في سياقات مختلفة، بغض النظر عن القيم المتصورة لشكل استعمال اللغة. و(ب) اللسانيات بوصفها شكلا من الفعل الاجتماعي الذي يهدف إلى فهم العلاقات بين الفرد والثقافة (Carey Jewitt et al., 2016, pp. 30-31).

يرى هاليداي أن النظرية اللسانية شيء ينبغي أن يُطبَّق على المشكلات الحقيقية لتحسين الوضع البشري. ومن ثم، طوَّر اللسانيات الوظيفية النسقية بوصفها «لسانيات قابلة للتطبيق». ونشر أول تفسير للنحو الوظيفي النسقي في عام 1985، وفيما بعد جاءت طبعة ثانية مع فهرس في عام 1994. وقد عمل مئسن مع هاليداي في مراجعة الكتاب وتوسيعه، مما قاد إلى طبعة ثالثة في عام 2004، وطبعة رابعة في عام 2014. ووسَّعت رقية حسن (زوجة هاليداي) اللسانيات الوظيفية النسقية في حقل الاتساق والدلالة والسياق، وطوَّر جيم مارتن (طالب دكتوراه عند هاليداي) وزملاؤه بمدرسة سيدني أنظمة الخطاب، ونظرية الثناء، ونظرية النوع، ووسعوا نموذج اللسانيات الوظيفية النسقية بتجاوز الأوصاف النحوية الموجودة في النحو الوظيفي النسقي. وقَدَّم نسقيون آخرون إسهامات كثيرة في اللسانيات الوظيفية النسقية، بمن فيهم لين أنسوورث، وجيوف ويليامز، وفرانسز كريستي، ودافيد بات، ومايكل أوطول، ومايك أودونيل وغيرهم (Jewitt, et al., 2016, p. 31).  
تقوم اللسانيات الوظيفية النسقية على ثلاثة مبادئ مرتبطة بثلاثة مفاهيم نوضحها فيما يأتي (Jewitt, et al., 2016, pp. 35-38).

أولاً؛ الوظيفة: المبدأ الأساس للنظرية الوظيفية النسقية هو أن اللغة والموارد السيميائية الأخرى أدوات (متعددة) الوظائف لإنشاء المعنى وبناء الفكر والواقع. وتبعا للنظرية الوظيفية النسقية، يُنظر إلى الموارد السيميائية بأنها تُحدِث أربع ضفائر من المعنى تُدعى ميتاوظائف هي: (أ) المعنى التجريبي: وظيفته بناء تجربتنا للعالم. و(ب) المعنى المنطقي: وظيفته الربط المنطقي لما يقع في العالم. و(ج) المعنى البيشخصي: وظيفته التعبير عن العلاقات الاجتماعية وإنشاء موقف تجاه العالم. و(د) المعنى النصي: وظيفته تنظيم الرسائل.

ثانياً؛ النسق: عبّر هاليداي عن أنظمة المعنى التي تتحقق الميتاوظائف من خلالها باستعمال مفهوم النسق الذي صاغه فيرث، غير أن هاليداي صاغ أنظمة المعنى انطلاقاً من الاختيارات السيميائية (الاستبدال) الذي يسقط على بنية اللغة (المركّب). وحدّد وحدة التحليل في الجملة البسيطة التي تتوافر على فعل واحد مقابل الجملة المركبة التي تحتوي على أكثر من فعل. يحقق النسق في لسانيات هاليداي أربع ميتاوظائف هي: (أ) المعنى التجريبي: الأحداث في شكل سيرورات/أفعال ومشاركين وظروف. و(ب) المعنى المنطقي: علاقات دلالية بين الجمل البسيطة (توسيع أو تقرير) وطبيعة العلاقة بين الجمل (مثلاً: الاستقلال أو

الاعتماد). و(ج) المعنى البيشخصي: تبادل المعلومات أو البضائع والخدمات والتعبير عن الصيغة انطلاقاً من قيمة الحقيقة واحتمالية الأحداث. و(د) المعنى النصي: المعلومات التي يتم وضعها في مقدمة الرسالة. ثالثاً؛ السجل والنوع: تُعنى نظرية السجل بأشكال المعاني الفكرية والبيشخصية والنصية التي تلائم ثلاث متغيرات سجلية أساسية هي: الحقل، والفحوى، والصيغة. يهتم الحقل بطبيعة النشاط، ويُعنى الفحوى بالعلاقات الاجتماعية انطلاقاً من أبعاد السلطة والتضامن، بينما تولي الصيغة الاهتمام بالمعلومات في الرسالة من حيث التركيب والتدفق. وفي عبارة أخرى، يشير الحقل إلى موضوع النص، بينما الفحوى تتعلق بالمكانة الاجتماعية للأطراف المشاركة في الخطاب وطبيعة العلاقة بينهم. وتعامل الصيغة مع القناة المستخدمة، سواء كانت شفوية أو مكتوبة، وتشمل الأوجه الإيقونية والميانات التوضيحية (Bloor & Bloor, 2018, p. 154). أما نظرية النوع فهي مشتقة من أشكال سجلات الفحوى والحقل والصيغة، مما يظهر في شكل عمليات اجتماعية في ثقافة معينة، أي أن النوع محدد بوصفه «نظام العمليات الاجتماعية المرحلية والموجهة بهدف بواسطة ذوات اجتماعية تعيش حياتها في ثقافة معينة» (Martin, 2002, p. 56).

## 2.2 منهجية التحليل وفق اللسانيات الوظيفية النسقية

يتبع التحليل الوظيفي النسقي للنصوص ثلاث مراحل هي: (أ) تطوير أنساق منظمة بشكل ميتاوظيفي. و(ب) تحليل النص تبعاً لاختيارات نسقية منتقاة. و(ج) تأويل أمزاج الاختيارات تبعاً للسجل والنوع. ونوضح هذه المنهجية في الجدول الآتي:

### الجدول 3

#### أنظمة النص في اللسانيات الوظيفية النسقية

(Jewitt, et al., 2016, pp. 43-44)

المورد السيميائي/ الميتاوظيفة	النسق	التفسير
الفكرية		
الجملة البسيطة	السيرورات، أدوار المشاركين، الظروف	الوقائع والأفعال.

التفسير	النسق	المورد السيميائي/ الميتاوظيفة
البيشخصية		
تبادل المعلومات (مثلا): التصريحات والأسئلة، والبضائع والخدمات (مثلا: الأوامر والعروض).	وظيفة الكلام	الجملة البسيطة
النصية		
تنظيم المعلومات.	تركيز المعلومات	الجملة البسيطة

تركز اللسانيات الوظيفية النسقية على كيفية استخدام اللغة في سياقات اجتماعية وثقافية معينة، وتعتبر اللغة أداة للفعل الاجتماعي. وتربط هذه المقاربة بين المفردات والاختيارات النحوية فيما يعرف بالمعجم-النحو، إذ تقدم اللغة مجموعة من الاختيارات النحوية التي تحمل معانٍ محددة. إذ تتميز هذه الأنظمة بتقديم مجموعة واسعة من الاختيارات للمتكلمين لإنشاء المعنى في السياق. وتدعي اللسانيات الوظيفية النسقية أن الشبكات الدلالية التي تُعدُّ بناءات اجتماعية وثقافية، تحمل معنى محتملاً يُكتشفُ في النصوص في سياقات خاصة في مقام ما. ويتألف المعنى من ثلاثة عناصر شاملة من النظام الدلالي المعروف بالوظائف الشارحة: الفكرية، والبيشخصية، والنصية، وتظهر في كل استخدام للغة. وتؤكد اللسانيات الوظيفية النسقية على أن دراسة الخطاب لا يمكن فصلها عن دراسة النحو الذي يرفد الخطاب (Bloor & Bloor, 2018, p. 151).

### 2.3 صلة اللسانيات الوظيفية النسقية بالتحليل النقدي للخطاب: المقاربة الجدلية

#### العلائقية نموذجاً

هناك علاقة وثيقة بين اللسانيات الوظيفية النسقية والتحليل النقدي للخطاب، وقد بدأت في عقد السبعينيات من القرن الماضي مع ظهور اللسانيات النقدية. وقد أكد لين يونغ وكليبر هاريسون دور اللغة بوصفها بناء اجتماعياً، وكيف تؤثر الأحداث اللغوية في الفعل الاجتماعي، وكيف يؤثر الفعل الاجتماعي بدوره في تطور اللغة. ودعم نورمان

فيركلف المحلل النقدي للخطاب العمل العابر للتخصصات، حيث يمكن للسانين الانخراط في تحليل نصي بالدخول في حوار مع محلي الخطاب ومتخصصين من حقول ذات صلة لتطوير نظرياتهم وأجندات بحثهم. وأشار فيركلف كذلك إلى نوع التحليل اللغوي المناسب للعمل النقدي للخطاب، وحدد عشرة أسئلة تتعلق بالمعجم والنحو والسمات النصية، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنحو الوظيفي النسقي (Bloor & Bloor, 2018, p. 152).

تُحلّل النصوص في اللسانيات الوظيفية النسقية باستخدام ثلاثة عناصر (وظائف) أساسية نوردها في ما يأتي:

- **العنصر الفكري:** يتعلق بتحليل العناصر اللغوية التي تعبر عن تجربة العالم ووعينا الخاص. ويتضمن هذا الأمر تحليل الأفعال والمشاركين والظروف، وهي العناصر الأساسية لنظام التعدية. وهذه الموارد تُمكننا من تنظيم تصوراتنا حول العالم وتمثيلها وفهمها.

- **العنصر البيشخصي:** يتعلق بتحليل العناصر اللغوية التي تعبر عن الأدوار والمواقف، والطلبات، والعلاقات الاجتماعية، والشخصية. ويتضمن هذا الصيغة والصيغة والتقويم والتأدب. ويعبّر العنصر البيشخصي عن العلاقات الاجتماعية. - **العنصر النصي:** يتعلق بتحليل العناصر اللغوية التي تعمل على بناء اتساق سلاسل من اللغة وانسجامها أثناء الاستعمال. ويتضمن هذا أدوات الإحالة، ونظرية البنية البلاغية، والبنية الموضوعاتية.

يزيد العنصر الفكري في التحليل النقدي الوعي بكيفية إمكان تمثيل الواقع بطريقة سلبية أو إيجابية على نحو نسبي. ويمكن أن يشير العنصر البيشخصي إلى طبيعة العلاقة التفاعلية المتصورة من المتكلم أو الكاتب. ويمكن أن يمثل العنصر النصي بإظهار إشارة العناوين إلى تقارير إخبارية لاحقة. ونوضح اشتغال هذا التحليل من خلال هذا المثال:

- «وقعت المملكة المتحدة في الانكماش».

نجد في هذا المثال جملة بسيطة خبرية محدودة تمثل على نحو مرسوم واقعة معيّنة. والسيرورة [الفعل] الأساسية «وقع» محددة بوصفها سيرورة مادية بفاعل هو المملكة المتحدة التي وقعت في الانكماش. وبما أن السيرورة استعارية ومن الواضح أنها فعل سلبي، فالانكماش ينظر إليه على أنه مكان غير مرغوب فيه، وهو ما يشكل المعلومة الجديدة. ويمكن التعبير عن هذا في الجدول الآتي:

## الجدول 4

تحليل جملة بسيطة باعتماد نظرية التعدية في اللسانيات الوظيفية النسقية  
(Bloor & Bloor, 2018, p. 155)

المملكة المتحدة	وقعت	في الانكماش
الفاعل	المحمول (مجموعة فعلية)	المساعد
المشارك: الفاعل	السيرورة: مادية	الظرف: المكان
معطى	معلومة جديدة	

بالإضافة إلى نظام التعدية، تحتوي أدوات اللسانيات الوظيفية النسقية على تقنيات المقارنة الإحصائية، ومقارنة الكثافة والتردد المعجمي، ونظرية البنية البلاغية، ولسانيات المتن. ومن المفاهيم المهمة المرتبطة بالمعجم والتردد المعجمي والمستخدمة في لسانيات المتن مفهوم «التضام»، أي الكلمات التي تكون مصاحبة لكلمة معينة، وذلك نحو كلمة «عائلة» التي قد تحمل معاني إيجابية أو سلبية بحسب المصاحب لها. فمثلا تكون إيجابية عندما ترتبط بقيم العائلات المكافحة، وتكون سلبية عند ارتباطها بكلمة «مشكل»، أو بكلمة «مختلطة»، نحو «مشكل عائلي» أو «عائلة مختلطة» (Bloor & Bloor, 2018, p. 157).

في ارتباط بالمعجم أيضا، نجد مفهوم المجموعة الاسمية، وهي عبارة عن عبارة اسمية تتكون من كلمة ونعت أو نعتين موضحين للاسم، وذلك نحو عبارتي: «العالم الحديث» و«الاقتصاد العالمي الجديد». وقد وجد فيركلف أن طوني بلير يستخدم هاتين العبارتين في خطبه من أجل نقل المسؤولية عن الأفعال السياسية من الحكومة إلى قوى عالمية مفترضة. وقال بأن هذا التوظيف للمجموعة الاسمية يندرج في إطار استراتيجية بلاغية تهدف إلى تشريع التغيير في السياسة الوطنية بناءً على عمليات لا يمكن تجنبها أو التحكم فيها (Fairclough, 2004, p. 114).

## 2.4 تأثير اللسانيات الوظيفية النسقية في مقارنة فيركلف

بدأ فيركلف الفصل الخامس من كتابه اللغة والسلطة المعنويّ بمرحلة الوصف في مقارنته الجدلية العلائقية بتحديد الأبعاد اللغوية التي ينبغي تحليلها من قبيل: المفردات،

والنحو، وتعاقب الأدوار في الحديث، وأنماط أفعال الكلام، والطابع المباشر أو غير المباشر للتعبير، والبناء العام للتفاعلات. وادّعى أن هذه الأبعاد تُسهم في فهم علاقات السلطة والعمليات الأيديولوجية في الخطاب (فيركلف، 2016، ص. 151).

ودعا عند تحليل النصوص إلى النظر في الخيارات اللغوية المتاحة؛ لأن النصوص تستمد معالمها الشكلية من خيارات محددة (في المفردات أو في النحو) داخل أنماط الخطاب التي يأخذ منها النص (فيركلف، 2016، ص. 152). وقد استعمل اللسانيات الوظيفية النسقية في مرحلة تحليل النص. وطرح عشرة أسئلة خاصة بتحليل النصوص، عاداً إياها خطوات إرشادية لمحللي الخطاب. وقد نظمها في ثلاثة مستويات (Fairclough, 1989, pp. 10-11):

أولاً- مستوى المفردات:

1- ما القيم التجريبية التي تمتلكها الكلمات؟

- ما نظم التصنيف المعتمد عليها؟
- هل توجد ألفاظ مختلفة عليها أيديولوجياً؟
- هل في النص إعادة صوغ أو مبالغة في الصوغ؟
- هل هناك علاقات معنى مهمة من الناحية الأيديولوجية (الترادف، الاشتمال، التضاد) قائمة بين الكلمات؟

2- ما القيم العلائقية التي تمتلكها الكلمات؟

- هل هناك تعبيرات ملطّفة؟
- هل هناك كلمات رسمية أو غير رسمية؟

3- ما القيم التعبيرية التي تمتلكها الكلمات؟

4- ما الاستعارات المستعملة؟

ثانياً- مستوى النحو

5- ما القيم التجريبية التي تمتلكها السمات النحوية؟

- ما أنواع السيرورات والمشاركين المهيمنين؟
- هل الفاعل غير واضح؟
- هل تستخدم التأسيمات؟
- هل الجمل مبنية للمعلوم أم للمجهول؟
- هل الجمل مثبتة أو منفية؟



### 6- ما القيم العلائقية التي تمتلكها السمات النحوية؟

- ما الصيغ المستعملة (صيغة الإخبار أم السؤال النحوي أم الأمر)؟
- ما السمات المهمة للصيغة النحوية؟
- هل يستخدم ضميرا «نحن» و«أنت»، وكيف يستخدمان؟

### 7- ما القيم التعبيرية التي تمتلكها السمات النحوية؟

- هل هناك سمات مهمة للصيغة التعبيرية؟

### 8- كيف ترتبط الجمل (البيضة)؟

- ما الروابط المنطقية المستعملة؟
- هل تتسم الجمل المركبة بالاتساق أم بالتبعية؟
- ما الوسائل المستخدمة للإحالة داخل النص وخارجه؟

ثالثا- مستوى البنيات النصية:

### 9- ما أعراف التفاعل المستعملة؟

- هل توجد طرق يسيطر بها أحد المشاركين على أدوار الآخرين؟

### 10- ما البنيات الكبرى التي يمتلكها النص؟

مثل فيركلف لهذه الأدوات التحليلية المأخوذة من اللسانيات الوظيفية النسقية بمجموعة من النصوص والتحليلات النصية. ونوردها وفق الأسئلة السابقة كالآتي:

#### السؤال الأول: ما القيم التحريمية التي تمتلكها الكلمات؟

يرتبط هذا السؤال بكيفية تشفير الفوارق الأيديولوجية في النصوص بوساطة المفردات. ويتحليله لنصين يحملان موقفين متعارضين من «مهن المساعدة»، وجد أن كلمتي: «مخرَّب» و«تضامن» تنتمي إلى إطارين أيديولوجيين مختلفين هما اليمين واليسار، وأن وجود هاتين الكلمتين يحدّد الموقع الأيديولوجي للكاتب. كما وجد خلافا أيديولوجيا حول كلمة «اشتراكية»، فهناك رسالة يزعم فيها صاحبها أنه من الخطأ تحديد الاشتراكية بمعنى حرفي واحد، فمضمونها ممارسة السيطرة الاجتماعية لتحقيق مصلحة الغالبية العاملة في المجتمع، وهو ما جعل فيركلف يرى في هذا التعريف صراعا أيديولوجيا مخفيا متقنعا بدلالة الكلمات (Fairclough, 1989, pp. 113-114).

مثل فيركلف بالمبالغة في الصوغ بنص يحمل عنوان «ثلاث وعشرون خطوة حيوية من أجل النجاح»، ورأى في استخدام الكلمات المترادفة وشبه المترادفة مبالغة تبرز مواقع الصراع الأيديولوجي، وانشغالا بالنمو والتنمية، وهو ما تظهره أفعال من قبيل: زاد، نما،

طوّر، بنى، توسّع، أثرى، إلى آخره (Fairclough, 1989, p. 15).

### السؤال الثاني: ما القيم العلائقية التي تمتلكها الكلمات؟

يرى فيركلف أن بإمكان القيم العلائقية للكلمات التأثير في العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في النص. ومثّل لذلك بكلمة «زواج»، فهي كلمة عنصرية واستخدامها أو عدمه له قيمة علائقية مفادها وجود أرضية مشتركة للأيدولوجيا العنصرية بين المتكلمين والمشاركين الآخرين. كما أن استخدام كلمة «العزلة» بدلا من استخدام عبارة «الحبس الانفرادي» وعبارة «الاستسلام للاكتئاب» بدلا من «الانتحار» تلطيفان لفظيان يظهران موقفا معينا من الظاهرة المتحدّث عنها. وأشار فيركلف في هذا السؤال أيضا إلى مسألة اللغة الرسمية، ورأى أن استعمالها يسهم في الحفاظ على النظام الاجتماعي والاحترام المتبادل. وذهب إلى أن الاختيار اللغوي ليس مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار، بل هو طريقة لتشكيل العلاقات الاجتماعية (Fairclough, 1989, pp. 116-118).

### السؤال الثالث: ما القيم التعبيرية التي تمتلكها الكلمات؟

تحمل الكلمات قيمة سلبية أو إيجابية لدى المجموعات الأيدولوجية. وقد مثّل فيركلف لذلك باليسار التقليدي الذي ينظر إلى مفهومي «الوعي السياسي» و«اليسار» نظرة إيجابية، بينما ينظر إلى عبارتي: «النزعة الاستهلاكية» و«الوعي بالموضة»، نظرة سلبية. وهذا ما جعل فيركلف يقول إن الكلمات تعبّر عن القيم والمعتقدات الأيدولوجية للمتكلّم، وأن المتكلّم يستخدم الكلمات لإيراز نظام تقويمي خاص به (Fairclough, 1989, p. 119).

### السؤال الرابع: ما الاستعارات المستعملة؟

تعدّ الاستعارة وسيلة لتمثيل جانب من جوانب التجربة البشرية. وقد اهتمّ فيركلف بعلاقة الاستعارات بدائلها، إذ تمتلك الاستعارات المختلفة أبعادا أيدولوجية مختلفة. ومثّل لذلك بنص يرى في المشكلات الاجتماعية سرطانا، أي تمثيل ما هو اجتماعي بما هو جسدي متعلق بالأمراض. ورأى أن تمثيل المظاهرات بأنها سرطان ينخر جسد المجتمع وصحته استعارة تعبّر عن مصالح المهيمنين، وأن تصوير المظاهرات بأنها جدال قد يوحي بتداعيات أخرى غير أفكار الاجتثاث والاستئصال التي يوحي بها مفهوم السرطان (Fairclough, 1989, pp. 120-121).

### السؤال الخامس: ما القيمة التجريبية للسّمات النحوية؟

يتعلق الأمر هنا بطريقة تشفير الأشكال النحوية للأحداث والعلاقات في العالم، وما

يرتبط بها من مشاركين وظروف مكانية وزمانية وأسلوب وغير ذلك. وركز فيركلف على بنيتين نحويتين هما: «المبني للمجهول» و«التأسييم». ونقدّم مثالا لهما من فصله:

أو لا-مثال المبني للمجهول:

- أحرقت (فعل) بلدة للسود (نائب فاعل)

تحول المفعول به في هذه الجملة (بلدة) إلى نائب فاعل بعد حذف الفاعل الحقيقي. وهذا الاختيار في التعبير عن هذه الواقعة اختيار أيديولوجي، لأنه يسمح بإخفاء الفاعل المسؤول عن فعل الإحراق. وتصوير إحراق هذه البلدة في جنوب إفريقيا في شكل حالة متحققة، بدلا من حدث له فاعل معيّن له آثار مختلفة؛ إذ قد يكون نابعا من المراوغة الواعية أو التلاعب المقصود (Fairclough, 1989, p. 122).

ثانيا-مثال التأسييم:

- سقوط حمولة الحجر.

أشار فيركلف أيضا إلى ظاهرة غياب الفاعلية، أي حينما يكون الفاعل اسما جامدا، أو صفة مجردة، أو تأسيما، ونّبه إلى احتمال أن يكون من وراء استعماله دوافع أيديولوجية. فالجملة السابقة فيها تأسييم، ما يحذف الفاعل الحقيقي ويعوّضه بعبارة اسمية «سقوط» التي تحمل بين ثناياها الفعل والفاعل والحدث.

السؤال السادس: ما القيم العلائقية للسّمات النحوية؟

تتسم النصوص بسّمات متنوعة ذات قيم علائقية، وذكر منها فيركلف ثلاث سمات: صيغ الجملة، وأفعال الصيغة، والضمائر. بخصوص صيغ الجملة ركز على ثلاثة أنواع: الجملة الخبرية، والسؤال النحوي، وصيغة فعل الأمر. ورأى أن هذه الصيغ تختلف في تحديد موقف الفاعلين؛ فالمتكلم في الجملة الخبرية يكون الفاعل فيها مانحا، والمتلقي مستفيدا، أما المتكلم في جملة الأمر فهو طالب والمتلقي فاعل للأمر. أما في السؤال النحوي، فالمتكلم طالب، والمتلقي يزوّده المتكلم بالمعلومات. وتكون للجملة الخبرية قيمة طلب المعلومات، بينما يكون للسؤال النحوي قيمة طلب القيام بعمل، أما جملة فعل الأمر فهي تمثل اقتراحا.

أما أفعال الصيغة فتتعلق بأفعال: «يجب»، و«ينبغي»، و«يمكن»، و«يستطيع»، و«لا يستطيع». وترتبط هذه الأفعال بسلطة المتكلم أو الكاتب، كما تتعلق بصدق تمثيل الواقع أو احتمال هذا الصدق، إذ نتحدث عن نوع التعبير، أي تقييم المتكلم أو الكاتب للحقيقة الواقعة. ومثّل فيركلف لذلك بنص وجد فيه فعلين هما: «لا يمكن»، و«يجب»،

وقال إن معنى الفعل الأول هو «عدم السماح»، بينما يشير الفعل الثاني إلى أنك ملزم بأن تدفع تكاليف معينة. وقد أرجع فيركلف الأهمية الأيديولوجية لهذين الفعلين إلى مزاعم السلطة المضمرة وعلاقتها.

أشار فيركلف بخصوص الضمائر إلى أنها في الإنجليزية ذات قيم علائقية من نوع مختلف عن الفرنسية والإسبانية؛ إذ يشمل ضمير المتكلم الجمع القارئ والكتاب معاً. ومثّل لذلك بنص من صحيفة استخدمت ضمير المتكلم الجمع للتعبير عن وحدة الشعب البريطاني وموقفه. ومثّل أيضاً لضمير «أنت/أنتم» بأمثله من حُطَبِ مارغريت تاتشر تستعمله فيه بطريقة تضليلية، موحية بعلاقة تضامن وتآزر بينها وبين الشعب (Fairclough, 1989, pp. 125-128).

### السؤال السابع: ما القيم التعبيرية للسمات النحوية؟

تُظهر الأفعال المساعدة: «يجب»، و«يمكن»، و«ينبغي»، و«لا يمكن» قيماً تعبيرية مختلفة؛ تتراوح بين الإمكان، والترخيص، واليقين، والإلزام، والاستحالة. كما أن الزمن الماضي في الجملة المثبتة أو المنفية يؤكد صدق القولة مثبتة ومنفية. أما أفعال الصيغة، فتقدم بدائل ممكنة تتراوح بين القطعية والاحتمال. وقد أشار فيركلف إلى أن الصحف غالباً ما تستعمل الجمل القاطعة الدلالة، مخفية طرق جمع المعلومات وتفسيرها، ومخفية الأيديولوجيات كذلك (Fairclough, 1989, pp. 128-129).

### السؤال الثامن: كيف ترتبط الجمل (البسيطة)؟

عُني فيركلف في هذا السؤال بقيمة ترابط السمات الشكلية للنص التي لها شأن كبير في ربط أجزاء النص. وربط النصوص بسياقاتها، حيث يمكن لبعض السمات الشكلية أن تشير إلى سياق يقع خارج النص أو إلى نصوص سابقة ذات صلة بالنص الحالي. وتتسق الجمل من خلال تكرار المفردات، واستخدام أدوات الوصل بين الجمل، بالإضافة إلى استخدام الإحالة التي تحيل القارئ على جملة سابقة أو جملة لاحقة.

ركز فيركلف على أدوات الوصل بما أنها تشمل على مفاتيح للافتراضات الأيديولوجية. ومثّل بهذه الصياغات المختلفة لجملة واحدة:

- لم أخرج حتى الآن مع أحد قط على الرغم من أن أمي تقول إنني جميلة فعلاً.
- تقول أمي إنني جميلة فعلاً، ولكنني لم أخرج مع أحد قط.
- على الرغم من أن أمي تقول إنني جميلة فعلاً، فإنني لم أخرج مع أحد قط.
- تقول أمي إنني جميلة فعلاً، ومع ذلك فإنني لم أخرج مع أحد قط.

في كل حالة من هذه الحالات يعتمد ترابط المعنى افتراضاً مضمونه أنه إذا كانت الفتاة جميلة فعلاً، فلها أن تتوقع إمكان خروجها مع أحد الفتيان. وهذه العلاقات لا تتطلب دائماً أدوات الوصل، بل يمكن أن يتم التلميح إليها من خلال تجاوز الجمل فحسب (Fairclough, 1989, pp. 130-132).

وأشار فيركلف بخصوص الجمل المتسقة والجمل التابعة إلى أن الجمل المركبة عن طريق التنسيق تكون جملها متكافئة من حيث القيمة المعلوماتية، أما الجمل التابعة، فتكون جملة ثانوية تتبع جملة أساسية. ويرى بأن الجملة الرئيسية تكون بارزة من حيث المعلومات، بينما قد يُفترضُ محتوى الجمل الثانوية، إما لأنه معروف، أو أن جميع المشاركين يُسَلِّمُونَ بصحته. أما ما تعلّق بالإحالة، فقد أكّد فيركلف وجود العديد من الأدوات النحوية للإحالة على المعلومات المقدمة سابقاً في النص، بدلاً من تكرارها. وتضمّ هذه الأدوات: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وغيرها (Fairclough, 1989, p. 132).

#### السؤال التاسع: ما أعراف التفاعل المستعملة؟

يقصد فيركلف بأعراف التفاعل مواضع المحادثات في سياق الحوار والتنظيم الشكلي للنصوص. وقد حلّل مجموعة من المقابلات من قبيل: مقابلة الشرطة مع متهم، وحوار بين مدير مدرسة وتلميذ، واستشارة بين طبيب ومريضة. ووجد أن نظام تناوب الأدوار الكلامية تحكّمه علاقات السلطة بين المشاركين؛ فالمشارك الذي يمتلك سلطة أكبر يفرض قيوداً على تدخلات الآخرين، وذلك باستخدام المقاطعة، أو إرغام المتحدث على الصراحة، أو السيطرة على الموضوع، أو السيطرة على الصياغة (Fairclough, 1989, pp. 133-137).

#### السؤال العاشر: ما البنيات الكبرى التي يمتلكها النص؟

يقصد فيركلف بالبنيات الكبرى للنص نوعه، أي النمط الذي يتبعه أي كاتب أو متكلم في الحديث عن موضوع معين ضمن نوع ما. وأشار إلى أنه عادة يشترك الحديث عن عناصر رئيسية منها: ماذا حدث؟ ومن تسبب في حدوثه؟ وما الإجراءات المتخذة لمواجهته؟ وما العواقب المباشرة له؟ وما الآثار الناجمة عنه في الأمد الطويل؟ كما أشار إلى أن ترتيب العناصر في الأخبار الصحفية يستند عادة إلى أهميتها أو جدارتها بالنشر (Fairclough, 1989, pp. 137-138).

#### 2.5 اعتراضات على اللسانيات الوظيفية النسقية في التحليل النقدي للخطاب

تلقى اعتماد اللسانيات الوظيفية النسقية بوصفها مرجعية لسانية في التحليل النقدي للخطاب انتقادات عدّة، وأهمها اعتراض فان دايك عليها بوصفها إطارا لدراسة الخطاب؛ بما أنها تشمل كثيرا من نحو الجملة، والمفردات. فضلا على أنه ليس من الضروري أن يكون جميع ممارسي التحليل النقدي للخطاب لسانيين وظيفيين نسقيين. ومع ذلك، شدّد فان دايك على قيمة التحليل المعجمي النحوي. وانطلاقا من نموذجه المعرفي، انتقد تفسير اللسانيات الوظيفية النسقية للنظام اللغوي لهويات السياسيين، والفعل السياسي، والمواقف الاجتماعية السياسية، مع عدم القدرة على تأسيس الطبيعة الحقيقية للنموذج الذهني الداخلي للسياسي الذي قد يكون مختلفا عن المواقف المعبر عنها في حدث خطابي معين (Bloor & Bloor, 2018, pp. 151-152).

نّبّه جان بلومرت أيضا إلى ما اعتبره «انحيازًا لسانيا» في التحليل النقدي للخطاب، إذ يرى أن اللسانيين يحتكرون نظريات اللغة. وقد دعا بعض الباحثين إلى النظر بعناية إلى مظاهر السياق الاجتماعي بالإضافة إلى التحليل اللساني، وذلك من قبيل توظيف داربوس غلاسينسكي اللسانيات الوظيفية النسقية والإثنوغرافيا في دراساته للتفاعل بين الأطباء والمرضى في مستشفيات الطب العقلي (Bloor & Bloor, 2018, p. 153). تجدر الإشارة في الأخير إلى أن هذه الاهتمامات التي عني بها فيركلف نجد شبيها لها في مقارنتي فان دايك وفوداك، ففان دايك مثلا وظف في تحليل الخطاب مفاهيم: التصنيف، والتضمنين، والصباغة، والاستعارة، والاقتضاء (أنظر: فان دايك، 2000/[2023])، كما أن فوداك اعتمدت مجموعة من المفاهيم في مرحلة التحقيقات النصية المنتمية أيضا إلى النحو الوظيفي النسقي، وذلك من قبيل: التصنيف، والتعدية، والبناء لغير الفاعل، والتأسيم، والتسمية، والحذف (أنظر: Reisigl & Wodak, 2001).

### 3. التداولية

تعدّ التداولية، بحسب بول بيكر وسيبونيل إليس فرعا من فروع اللسانيات يعنى بالوظائف التواصلية للغة. وبكيفية فهم الناس للمعنى في سياقات معينة. وتركّز التداولية على الإجابة عن أسئلة من قبيل: «كيف؟ وأين؟ ومتى؟ ولمن يتم التعبير عن شيء ما؟ وما هي العلاقة بين المتكلم والسامع؟ وكيف يتم إضفاء المعنى على استعمال مُلتبسٍ (غامض) للغة؟» (نقلا عن بكار، 2018، ص. 212).

رصد بكار مجموعة من التعريفات للتداولية، فهي:

- حقل بحثي يتعامل مع اللغة أثناء الاستعمال.
- تخصص لساني يتعامل مع استعمال الملفوظات اللغوية في سياقات موقفية.
- نظرية عامة تتعامل مع مظاهر السياق التي تُشَفَّرُ في بنية اللغة.
- برادِغَم جديد للبحث، أو برنامج بحث جديد.
- منظور أو طريقة للنظر في الأشياء اللغوية التي تركز على العوامل المجتمعية التي تجعل استعمال اللغة أكثر مقبولة أو أقل مقبولة.
- مقارنة وظيفية لتحليل اللغة.
- علم ما لا يقال (بكار، 2018، ص. 214).

لخصّ فان دايك تاريخ التداولية في قوله: «ضمن تقليد الفلسفة التحليلية البريطانية، شهدت ستينيات القرن العشرين ولادة ناجحة للغاية لتخصص بَيِّنِيّ جديد آخر، أي التداولية. وبناء على عمل أوستين (1962) كيف نفعّل الأشياء بالكلمات، ولا سيما دراسة جون سيرل (1969) لـ «أفعال الكلام»، والمقال الرائد لبول غرايس (1975) حول «مبادئ المحادثة» انطلقت مجموعة من الدراسات حول استعمال اللغة موسَّعةً التركيز التقليدي على التركيب والدلالة إلى مكوّن تداولي، ومفسرة الوظائف الإنجازية للغة انطلاقاً من أفعال الكلام، والتضمينات، والجوانب الأخرى لاستعمال اللغة القائم على السياق. وبصفة عامة، أصبحت التداولية تخصصاً يحتوي على العديد من دراسات استعمال اللغة التي تتجاوز النحو، من قبيل العمل الرائد حول التأدّب لبينيلوب براون وستيفن لوفينسون» (Van Dijk, 2008, p. xx).

في المقال نفسه، ميّز فان دايك التخصصات الأصلية الرافدة لدراسات الخطاب من قبيل: الدراسات الأدبية، واللسانيات، والأنثروبولوجيا، والتخصصات المعضدة لها كالتداولية، واللسانيات الاجتماعية، والسميائيات والإنثوغرافيا (Van Dijk, 2008, p. xix). ويقراء سريعةً للسمات المشتركة بين هذه التخصصات، أي «الاهتمام بالاستعمال الطبيعي للغة، وتحليل وحدات أكبر من الكلمات والجمل، والتوسع في دراسة الفعل الاجتماعي والمظاهر غير اللغوية للتواصل، والتركيز على الاستراتيجيات التفاعلية والمعرفية، ودراسة دور السياقات الاجتماعية والثقافية في استعمال اللغة [نلاحظ] أثر الأبعاد التداولية في تحليل الخطاب، من قبيل: الفعل الكلامي والاستلزام التخاطبي» (بكار، 2018، ص. 209).

درس مارييل بلور وتوماس بلور الأمثلة والنماذج التي تُظهِرُ التقاء تحليل الخطاب

بالتداولية. وأبرزها كيف استفاد تحليل الخطاب من حقل التداولية، وكيف استخدم محللو الخطاب الأبعاد التداولية في مقارباتهم وأطرهم النظرية. وقد ركزا على دور التداولية في دراسات الخطاب بشكل عام، وفي التحليل النقدي للخطاب بشكل خاص (نقلا عن بكار، 2018، صص. 211-212). غير أننا لن نهتم بما هو عام، وسنركز بداية على ما هو خاص، أي على طبيعة العلاقة بين التداولية والتحليل النقدي للخطاب.

### 3.1 طبيعة العلاقة بين التداولية والتحليل النقدي للخطاب

أقرّ مارتن رايزغل بأن العلاقة بين التحليل النقدي للخطاب والتداولية ملتبسة، وصرّح بأن التداولية وتحليل الخطاب وتحليل المحادثة تخصصات متداخلة فيما بينها، ومن الصعب التمييز بينها. وحدد ثلاثة أنواع من العلاقة بين التحليل النقدي للخطاب والتداولية نوردتها في النقاط الآتية:

- أحيانا تبدو المقاربات التداولية تابعة لتحليل الخطاب ومتضمنة فيه برمتها.
- أحيانا أخرى تبدو التداولية وتحليل الخطاب مختلفين وأحيانا متناقضين.
- أحيانا يميل الباحثون ذوو الخلفية التداولية، خاصة في أوروبا، إلى اعتبار التداولية مصطلحا شاملا لمجموعة من الميادين اللسانية للبحث أو التخصصات الفرعية (نقلا عن بكار، 2018، ص. 218).

ومن أمثلة ذلك، ذهاب جيليان براون وجورج يول في مقدمة كتابهما تحليل الخطاب إلى أن أيّ مقارنة تحليلية في اللسانيات تشتمل على «اعتبارات سياقية تدرج بالضرورة في ميدان دراسة اللغة المسمى بالتداولية. ويريان أن ممارسة تحليل الخطاب هي أساسا ممارسة للتداولية» (نقلا عن بكار، 2018، ص. 219).

في مسعى تمييزي اقترح جوفري ليش وجيني توماس التمييز بين التداولية اللسانية والتداولية الاجتماعية، ورأيا أن الأولى تدرس اللغة في وظائفها التواصلية، بينما الثانية تنظر إلى الاستعمال اللغوي بوصفه بانيا للنظام الاجتماعي. ويندرج التحليل النقدي للخطاب في هذا الاتجاه الثاني، بما أنهما معا يركزان على كيفية بناء الممارسات الاجتماعية في السياقات وتشكيلها (بكار، 2018، ص. 219).

مع ذلك، لن نهتم بتأثير التداولية في كل مقاربات التحليل النقدي للخطاب، وإنما سنُعنى فقط بطبيعة علاقتها بالمقاربة التاريخية للخطاب، وذلك انطلاقا من مقالة لروث فوداك. مع ضرورة الإشارة إلى حضورها في أعمال فان دايك وفيركلف؛ فمثلا يرى فان دايك أن التداولية تخصص متداخل مع دراسات الخطاب، وهو تخصص يقوم بدراسة



استعمال اللغة بدلاً من النحو، ولتجنب الخلط فضل استعمال مفهوم التداولية استعمالاً تقنياً ومحدوداً، أي بكونه يشير إلى أفعال اجتماعية ينجزها مستعملو اللغة، من قبيل: الإصرار، والوعد، والطلب، والتهنئة، وغير ذلك (بكار، 2018، ص. 222). أما فيركلف فقد عني هو الآخر بسياق استعمال اللغة، ونظر إليه بأنه ممارسة اجتماعية تخلف أثراً اجتماعياً يتجلى في التغيير المجتمعي، فضلاً عن اعتماده على دراسة الضمائر وظاهرة التأدب والاستلزام وغير ذلك من الظواهر التداولية في مرحلة تحليل النص التي وضحتها في الأسئلة العشرة السابقة.

### 3.2 تأثير التداولية في مقارنة فوداك

أبرزت روث فوداك في مقالها «التداولية والتحليل النقدي للخطاب: مثال عن تحليل متضافر التخصصات» (فوداك، [2007/2013-2014]) نظرتها للتداولية، ونظرت إلى مفاهيم من قبيل: الإيحاءات، واللعب بالكلمات، والاقضاءات، والاستلزمات بأنها أدوات مفيدة للتحليل النقدي للخطاب، بما أنها تسهم في إمطة اللثام عن المعاني الضمنية في ملفوظات الأحكام المسبقة المعادية للسامية. ووصفتها بأنها «سندوق أدوات» التداولية. وتكمن أهمية التداولية في التحليل النقدي للخطاب في أنها تميز السمات الهامة للسياق الآني من جهة، وتحلل المعاني المخففة تحليلاً مفصلاً، منتبهة إلى المعاني الضمنية والاستدلالات، ما يعزز التحليل، ويضفي عليه صلابة ومصداقية (بكار، 2018، صص. 225-226).

أشار بكار إلى منهجية روث فوداك في التحليل، لإبراز موقع التداولية في مقاربتها. ونورد مراحل منهجيتها وفق ما يأتي (بكار، 2018، صص. 226-227):

- التحليل التاريخي لمعاداة السامية، وتعبيراته اللغوية.
- تحليل اجتماعي ومعرفي للذاكرات والأطر الجماعية، مما يقود إلى اكتساب معارف خاصة تمكن من فهم اللغة المشفرة.
- تحليل اجتماعي وسياسي للحملات الانتخابية والنقاشات المستمرة وأدوار الأحزاب السياسية، في سياق أوسع.
- تحليل النوع اعتماداً على الحديث عن وظائف الخطب السياسية (استراتيجيات الإقناع، والتقديم الإيجابي للنفس، والتقديم السلبي للآخر، والبلاغة الشعبية، إلى غير ذلك).
- السياق اللغوي المجاور لكل ملفوظ.

- التعبيرات اللغوية يجب أن تُحلَّلَ بالنظر إلى المقاربة اللسانية التداولية/النحوية (الاقتضات، التلميحات، والاستلزمات، إلى آخره)، والسّمات الخاصة بمعادة السامية المشفرة على نحو خاص.

يتبين لنا من هذه اللائحة وظيفة التداولية في مقاربة فوداك، فهي تتحدّد في تحليل يعتمد على مفاهيم التداولية بغية إبراز التحيز في الخطاب، وكشف المسكوت عنه أو الموحى به في الخطابات المعادية للسامية أو التي فيها شطط في ممارسة السلطة، والمكرسة للامساواة، وغير ذلك من الممارسات السلبية (بكار، 2018، ص. 227).

مثّلت فوداك لاشتغال التداولية في مقاربتها التاريخية للخطاب بثلاثة ملفوظات ليورغن هايدر خلال حملته الانتخابية لسنة 2001 تحمل دلالات غير مباشرة ومليئة بالتلميحات، ونوردها فيما يأتي:

- «السيد «هاوبل» له مستشار في الحملة الانتخابية يدعى كرينبارك (ضحكات عالية في القاعة). استقدمه من الساحل الشرقي. أصدقائي الأعزاء لكم الاختيار بين كرينبارك الماهر في العلاقات العامة والاستشارات السياسية القادم من الساحل الشرقي وبين روح فيينا».

- «لسنا في حاجة إلى تشجيعات من الساحل الشرقي. كفى وإلى الأبد. يتعلق الأمر من الآن فصاعداً بجانب آخر من التاريخ، تعويضات المهجّرين».

- «سيد موزيكانت: أنا لا أفهم بتاتا كيف أن شخصا يدعى آريال يمكن أن تكون يده وسخة إلى هذا الحد... هذا لا أفهمه أبداً، ولكن أظن... هذا لا يهمني، من الغد، سيرد، أليس كذلك... لكن هذه الأشياء لا تخيفني كثيراً» (فوداك، [2007]/2013، ص. 81).

تحمل اللغة السياسية معاني مُشفرة تُستخدم للتأثير في الناخبين دون تعبير صريح عن الأيديولوجيات المخفية فيها. ولذلك يحتاج محلل الخطاب إلى المفاهيم التداولية التي تمكّن المحلل من إمطة اللثام عن الضمني في هذه الملفوظات، والوصول إلى فهم عميق لها.

سمّت فوداك الخطابات المعادية للسامية في النمسا بخطاب الصمت، وذلك بسبب تحريم معادة السامية في النمسا، ونبّهت إلى أنه لا يمكن فهم المحتوى المعادي للسامية من دون معرفة بخلفية الإحباطات الموجودة في الملفوظات الثلاثة، وهي خلفية غنية أسهمت الذاكرة الجماعية في إكسابها للناس من خلال القصص الموروثة عبر الأجيال.

وهو ما يبرهن على أهمية السياق في تحليل هذه الملفوظات (فوداك، [2007]/2014، ص. 81).

أول المفاهيم التداولية التي وظفتها فوداك في تحليل الملفوظات السابقة هي الإيحاءات، وأشارت إلى أنها تستخدم في المجال السياسي لانتقاد المعارضين من دون تحمل مسؤولية ذلك، فضلا عن إحداث جو من التفاهم الضمني بين الناس. واستعمل هايدر الإيحاء في عبارة «الساحل الشرقي» مخاطبا آريال موزيكانت، وهي عبارة تشير إلى اللوبي اليهودي في نيويورك، مما يُلمح إلى تبعية الحزب الاشتراكي لهذه القوى الخارجية، في مقابل هايدر الذي مثل نفسه بأنه قلب من النمسا، أي من صميم الأمة. ثاني المفاهيم التي وظفتها فوداك هي مفهوم الاقتضاء، وترتبط بالتعبير غير المباشر عن الأفكار من خلال «آثار ومؤشرات» لغوية مرتبطة بأيدولوجيات معينة (فوداك، [2007]/2014، ص. 130). وقد اعتمدت فوداك دراسة قام بها جورج يول (أنظر: Yule, 1996) ركزت على أربعة أنواع من الاقتضاءات نوردتها في هذا الجدول:

#### الجدول 5

#### أنواع الاقتضاءات

(فوداك، [2007]/2014، ص. 130)

نوع الاقتضاء	مثال	الاقتضاء
وجودي	«الـس»	س موجود
وقائعي	«أنا نادم على فعل ذلك»	فعلته
غير وقائعي	«زعم أنه مدرس»	ليس مدرسا
معجمي	«أفلحت في الهروب»	حاولت الهروب
بنوي	«من جاء»	جاء أحدهم
ضد وقائعي	«لو لم أكن مريضا...»	أنا مريض

تكمن خطورة المحتوى المقتضى في قبوله من المتلقين من دون فحص نقدي بخلاف المحتوى المصرح به، لذلك توّظف الاقتضاءات من أجل التعبير عن المعاني من دون الحاجة إلى التصريح بها بشكل واضح. ووجدت فوداك أن هايدر استعمل

اقتضاءات وجودية لتوجيه الاتهام إلى آريال موزيكانت، مدعيًا أنه استغل الناجين من المحرقة لمصلحته الخاصة، ما يُقلل من مصداقية مطالب جبر الضرر التي نادى به موزيكانت.

المفهوم الثالث الذي عُيّنت به فوداك هو التلاعب بالكلمات، أي إمكان استغلال الكلمات بطريقة هزلية لتحقيق أهداف معينة. وتّضح ذلك في استغلال هايدر التشابه الصوتي بين اسم خصمه السياسي ومسحوق غسيل مشهور، وهو ما أثار الضحك والسخرية من جهة، وعزا صفات سلبية إلى موزيكانت. وقد دعت فوداك في نهاية مقالها إلى ضرورة إقامة حوار بين التداولية والتحليل النقدي للخطاب من أجل الإفادة من المفاهيم التداولية في كشف الشفرات الأيديولوجية المخفأة في النصوص (فوداك، [2007/2014، ص. 138].

لخصّ مارتن رايزغل التشابهات والاختلافات بين التحليل النقدي للخطاب والتداولية في مجموعة من النقاط نوردها في هذه النقاط (بكار، 2018، صص. 231-233):

- تحليل الخطاب منهج للتحليل اللغوي، بينما التداولية ليست كذلك.
- يرفض تحليل الخطاب والتداولية العمل ضمن إطار نظرية شكلية للغة، وينفتحان على السياق، غير أن هذا الانفتاح مختلف حيث يميل تحليل الخطاب، وخاصة التحليل النقدي للخطاب، إلى دراسة المظاهر الاجتماعية والسياسية والنفسية والتاريخية للسياق أكثر من التداولية.
- يميل تحليل الخطاب والتداولية إلى دراسة اللغة بوصفها فعلا اجتماعيا أو ممارسة اجتماعية، وكذلك استعمال اللغة في السياق الاجتماعي، غير أنهما يختلفان في الاهتمام بالإنجاز الملموس للممارسات اللغوية وبالشروط الاجتماعية الخاصة بإنتاج اللغة وتوزيعها واستقبالها.
- يدعو تحليل الخطاب إلى تجاوز الجملة في التحليل، ويرفض التركيز عليها بوصفها وحدة أساسية للتحليل، بينما تركز التداولية على الجملة.
- يُبدي تحليل الخطاب والتداولية نزوعا نحو تضافر التخصصات والانفتاح عليها، لكن تحليل الخطاب يهدف إلى الارتباط ببعده الاجتماعي نظري وتفسيري أكثر من التداولية.

أشار بكار أيضا إلى أن القاسم المشترك بين التداولية والتحليل النقدي للخطاب هو أن الأولى مساعدة للثاني، وجزء من أدواته التحليلية (بكار، 2018، ص. 233).

## 4. علم النص

نبّه بكار إلى امتزاج مفهوم تحليل الخطاب بلسانيات النص في قوله: «[...] ما نفهمه من هذا النص هو أن تحليل الخطاب في بدايته كان يَعْنِي لسانيات النص، كما نفهمها اليوم. وتعني تخصصا لسانيا فرعيا يدرس النصوص من حيث بناؤها وفهمها وإنتاجها وتفكيكها. وقد ظهرت في ألمانيا في شكل نماذج نصية عُيِنَت خصيصا بالروابط التي تجمع بين الجمل، من قبيل مفهوم الاستبدال (substitution) عند رولاند هارفيغ (Harweg Roland)، وَسَمِّيَ: مذكور وغير مذكور عند كارل إيريش هيدولف (Karl-Heidolph Erich)، إلخ. ثم اجتمع هانس ريزر (Rieser Hannes)، وبيتر هارتمان (Hartmann Peter) ويانوس بيتوفي (Petöfi János)، وتون فان دايك، وبنيس إيفو (Ihwe Jens)، وفولفرام كوك (Köck Wolfram) وآخرون في جامعة كونستانس بألمانيا، وشاركوا في مشروع بناء نحو نصي طبقوه على نص لبرتولد بريخت يُدعى الحيوان المفضل للسيد كاف. ثم ما فتئت المجموعة أن تخلت عن المشروع، فجمع روبرت دوبوغراند وولفغانغ دريسلر شتات تلك النماذج في بناء مقارنة إجرائية للنصوص (Texts to Approach Procedural An). واشتهرت تلك المقارنة بالمعايير السبعة للنصية، أي الاتساق، والانسجام، والقصدية، والمقبولية، والإعلامية، والتناص، والمقامية. ثم دعا فان دايك إلى فتح لسانيات النص على علم النفس والأسلوبية والبلاغة والحجاج وغير ذلك، وسَمَّى مقارنة النص من منظورات متعددة علم النص» (بكار، 2024، صص. 25-26).

إن هذا النص -على طوله- يلخص لنا سيرورة البحث في دراسات النص؛ إذ ابتداء الأمر بتوسيع حدود اللسانيات إلى وحدة دلالية جديدة هي النص، فانقل الأمر إلى بناء نحو للنص، ثم تطور إلى لسانيات النص، فعلم النص. وسنقدم هذه السيرورة بنوع من التفصيل الموجز. قبل أن نوضح آثار علم النص في مقارنة فان دايك في التحليل النقدي للخطاب.

## 4.1 سيرورة البحث في دراسات النص

قال هاليداي وحسن: «إن الاعتبار الأحسن للنص هو كونه وحدة دلالية: ليس وحدة شكلية، ولكن وحدة معنوية» (صكوحى، 2008، ص. 58). نفهم من هذا الكلام أن هناك معنى ينبغي البحث عنه وعن علاقاته، وقد استثمر الباحثون مفهوم التشاكل عند

غريماص، فذهب كالمابير إلى أن النص «نسق متكون من واحد إلى ما لا حد له من التشاكلات الدلالية» (نقلا عن صكوحى، 2008، ص 58). وانتقدت صكوحى هذا الفهم، لأن الأقطاب الدلالية لوحدها لا يمكن أن تضمن انسجام النص، ما لم تشارك المعانم المكررة في المرجع نفسه، فضلا عن إمكانية وجود نصوص متسقة لا وجود لأي تكرار فيها للمعانم، وذلك نحو اعتماد «بنية النص على موضوع أساسي منقسم إلى مواضيع فرعية مستقلة على مستوى الرصيد المعنمي» (صكوحى، 2008، ص. 59). كما انتقد فان دايك الافتراض الذي يقوم عليه مفهوم التشاكلات الدلالي، أي أن علاقات المعنى بين الجمل محدّدة من لكسيمات وسيميميات الكلمات في هذه الجمل، وهو أمر رأى فان دايك بعدم صوابه، وبأنه كان مضللا لبحثه في نحو النص (Van Dijk, 2004, p. 3).

في مسعى آخر، وظّف دانيش مفهومي المتحدّث عنه والمتحدّث به، لدراسة بنية النص الدلالية، وبالخصوص لوصف التقدّم الموضوعاتي فيه. وذهب إلى أن هناك إمكانية لوجود «تقدم موضوعاتي خطي، أي الانتقال من متحدث عنه إلى متحدث به يصبح هو الآخر متحدثا عنه لمتحدث به ثان أو تقدم مع متحدث عنه قار، أو تقدما على أساس متحدثات عنها مشتقة، أو تقدما مقسما، أو تقدما بقبضة موضوع» (بكار، 2022-2023).

في مسعى مشابه، طور الباحثون فهوما آخر يتكون من الحجة والمسند إليه، ولا تقتصر الجمل هنا على زوجين فحسب، إذ بالإمكان وجود أكثر من حجة، كما تربط علاقات الجمل أو القضايا علاقات متنوعة، من قبيل العلاقات: السببية، والغائية، والزمنية، والشرطية، وغيرها (بكار، 2022-2023).

مؤلت مؤسسة الأبحاث الألمانية مجموعة من الباحثين بجامعة كونستانز لبناء نظام من القواعد المجردة (نحو نصي) لمسرحية برتولد بريخت، وفشلت التجربة، بسبب أن النحو كان افتراضا وليس نتيجة نحو مستخلص من النص. وعلى الرغم من فشل المشروع، إلا إنه أدى إلى نتيجتين: إصدار كتاب عام 1972 احتوى سلسلة من المقالات حول لسانيات النص حُصّصت لمشروع كونستانز. وتقديم مقترحين نظريين أحدهما مقترح تون فان دايك، والثاني مقترح يانوس بيتوفي (بكار، 2022-2023).

انقسم مقترح بيتوفي إلى ثلاث مراحل امتدت لأربعين سنة من العمل نوردها في النقاط الآتية (بكار، 2022-2023):



المرحلة الأولى: صاغ فيها بيتوفي نحواً نصياً توليدياً ضمن فريق البحث الذي اشتغل بكونستانز، وحاول التوفيق بين موقفين في النحو التوليدي، وذلك بالعمل كوسيط بين الدلالة التأويلية، والدلالة التوليدية، وذلك باستخدام نحو نصي ذي أساس ثابت غير خطي، وتوظيف المنطق المفهومي والعملي. وهذا النحو كان توليدياً؛ لأنه كان قادراً على التنبؤ بالبنية العميقة للنص (الأساس النصي) التي تولد المظهر الخطي للنص عبر مجموعة من القواعد.

المرحلة الثانية: نشر فيها بيتوفي كتابه: نحو نظرية جزئية للنص سنة 1975 تناول فيه مشكل التمثيلات الدلالية وفق مفهوم وضعه ريتشارد مونتاغ، والنحو النصي الذي صاغه في المرحلة الأولى، وأضاف إليه مفهوم السياق اللغوي باعتماد نماذج العوالم الممكنة.

المرحلة الثالثة: أدمج في هذه المرحلة الدلالة إدماجاً تاماً، مما قاد إلى بروز تخصص جديد سماه باسم علم النص السيميائي.

أخذ روبرت دويوغران و فولفغانغ دريسلر هذه الجهود، ودمجوها في نظرية دعوها «المقاربة الإجرائية للنصوص»، وقالوا في هذا الصدد: «وتبعاً لذلك، نرى أن مقاربتنا هي محصلة تطوير مستمر للنظريات والمناهج السابقة بدلاً من كونها مواجهة أو دحضاً لها» (De Beaugrande & Dressler, 1981, p. 1). واقترحا سبعة معايير نصية تحدد معطى لغويًا بأنه نص. وينبغي التنبيه هنا إلى أن هذه المعايير تحدد صيغ الترابط بين المعطيات اللغوية لتشكيل النص، ليس القصد منها تحديد السمات اللغوية للنص، أو الحد بين «النص» و«اللانص». كما أنها تنطبق على أي منتج فيه نصية، حتى إن كان غير منسجم أو غير قصدي أو غير مقبول، وما إلى ذلك.

بعد أن شهد حقل لسانيات النص ظهور نظريات نصية عديدة، برز دور مهم للسيميائيات في لسانيات النص، كما أدمجت لسانيات النص التداولية دمجاً كاملاً. ويعني ذلك استبدال هدف صياغة نحو نصي ملائم لوصف الكفاءة النصية بهدف جديد وطموح وإشكالي من الناحية المنهجية، وهذا الهدف الجديد دُعي نظرية النص.

#### 4.2 جهود فان دايك في تأسيس علم النص

بدأ علم النص فكرة في ذهن فان دايك حينما كان ينجز أبحاثه الأكاديمية في الدراسات العليا؛ إذ يحكي في سيرته الأكاديمية (Van Dijk, 2004, pp. 3-6) أنه بعد حصوله على الدرجة الأولى في اللغة والأدب الفرنسيين في الجامعة الحرة بأمرستردام،

درسَ نظرية الأدب في الجامعة نفسها، مركزاً على اللغة الأدبية، ومحاولاً الإجابة عن سؤال أساس مضمونه: ما الذي يجعل من الأدب أدباً، ولا سيما من خلال الاستعمال النموذجي للغة؟

تأثر فان دايك أوّل الأمر بالنحو التوليدي التحويلي لتشومسكي، ولا سيما القواعد المولدة للجمل، وحاول محاكاتها ببناء «شعرية توليدية»؛ أي بناء القواعد التي تصف النصوص الشعرية. وحدّد مهمة نحو النص في تقديم وصف صريح وواضح للبنيات النحوية للنصوص، ولا سيما علاقات الانسجام الدلالية بين الجمل. وكان الافتراض الأوّل متأثراً بالدلالة البنيوية الفرنسية لغريماص، أي أن علاقات المعنى بين الجمل محدّدة من لكسيمات وسيمييمات الكلمات في هذه الجمل، وهو أمر رأى فان دايك بعدم صوابه، كما سيتضح له ذلك في ما بعد. ويتأثير من دلالة الخطاب قال بأن علاقات المعنى بين الجمل ليست هي التي تحدد الانسجام، وإنما العلاقات الإحالية بين الأشياء في الجمل وما تشير إليه في النص (Van Dijk, 2004, p. 3).

قدّم فان دايك مفهوماً جديداً ومهماً في نحو النص هو «البنيات الكبرى»، وهو مفهوم لم يكن معروفاً من قبل في أنحاء النص، ومفاده أن «النصوص لا تمتلك علاقات موضوعية أو بنيوية صغرى بين الجمل المتلاحقة فقط، ولكن أيضاً بنيات كبرى تحدد انسجامها العام وتنظيمها العام» (Ibid). ويميّز بين بنيات عامة للمعنى وبنيات عامة للشكل، واقترح تسمية هذه الأخيرة بالبنيات الفوقية، أي البنيات المجردة والخطاطية التي تنظم الشكل العام للنص، كما هي معروفة في نظرية السرد أو نظرية الحجاج (Ibid).

بعد ذلك، أكّد فان دايك في كتابه النص والسياق أن الانسجام المحلي بين الجمل ينبغي أن يقوم على العلاقات الإحالية بين «الوقائع في العالم الممكن»، ويعني أن هناك قضيتين منسجمتين إذا أشارتا إلى واقعتين مرتبطتين شرطياً، أو سببياً، أو غير ذلك في عالم ممكن ما (Ibid, p. 4). كما أضاف بعداً آخر للانسجام الموضوعي بين الجمل، فذهب إلى أن الجمل تنسجم مع بعضها بعضاً بسبب العلاقات بين الوقائع التي تشير إليها، وأيضاً بسبب العلاقات بين ذات معانيها، غير أن هذه العلاقات لا تحكمها دلالة الكلمات المعزولة، وإنما تحكمها العلاقات بين القضايا كلها، من قبيل العموم والخصوص، والتفسير والمثال، وغير ذلك. وهذه العلاقات كما يبدو وظيفية في طبيعتها. ونبّه فان دايك إلى أن هذه العلاقات لا ينبغي أن تلتبس مع القضايا الإحالية، أي بين العلاقات الزمنية والسببية والشرطية، وغير ذلك؛ فالانسجام الوظيفي مفهوم قائم

على المعنى، بينما الانسجام الإحالي ماصدقي قائم على الإحالة/المرجع (Ibid, p. 5). وظّف فان دايك البنيات الكبرى لاشتقاق القضايا الكبرى من متواليات من القضايا الصغرى. وهكذا استطاع أن يفسر ظاهرة تلخيص نص. ووجد أن البنيات الكبرى تضطلع بدور مهم في تفسير طريقة فهم مستعملي اللغة للنصوص وتخزينها وتذكرها. واستغرب من وجود أنحاء نصية لا تزال تشتغل على المستوى «الخطي» لمتواليات أو قضايا متتابعة، متجاهلة البنيات العامة المهمة التي تحدد المعنى العام للنصوص وتشكلها (Ibid, p. 5).

يقول بكار في هذا السياق: «اقترح فان دايك نموذجا نحويا للنص يشغل بهذه الطريقة: يبدأ النص بفكرة عامة، وشيئا فشيئا تتطور هذه الفكرة إلى معان خاصة، وتشكل هذه المعاني في شكل جمل لمقاطع من النص. وعلى العكس من ذلك، يمكن باعتماد عمليات خاصة (الحذف، التعميم، البناء) الرجوع إلى الفكرة الأساسية المعبر عنها في النص. والبنية الدلالية العميقة للنصوص تكون متشاكلة مع البنية الدلالية العميقة للملفوظات» (بكار، 2022-2023). واقترحت صكوحى أنه «من هذا المنظور يمكن أن نقول إن البنية الدلالية تهيمن على النص مثل البنية التحية على الجملة. أما الخطابُ فلعل الأولوية فيه للبنية الفكرية» (صكوحى، 2008، ص. 61).

تجدد الإشارة إلى تنبيه محمد خطابي من معاملة مصطلحات: «نحو النص»، و«لسانيات النص»، و«علم النص»، وما يشبهها من «نحو الخطاب» و«لسانيات الخطاب» بوصفها مترادفة أو شبه مترادفة؛ إذ أكد أنها تحيل على «التحويلات التي شهدتها المباحث المختلفة التي عُنت بالنص وأسئلته. وبحكم أنها تشير إلى تحولات معرفية تصيب النظر والعمل معا، فإنها تشير بالقدر نفسه إلى قطاع مهمما قل شأنها أو تأثيرها. هذا دون أن يغيب عن بالنا أن التحويلات والقطائع ليست ثمرة انغلاق المبحث على ذاته مكتفيا بما لديه، وإنما تتم بوساطة-وبتأثير-العلوم المجاورة له» (خطابي، 2014، ص. 92).

#### 4.3 تأثير علم النص في مقارنة فان دايك

نشير بداية إلى أن مقارنة فان دايك في التحليل النقدي للخطاب تقوم على استراتيجية عامة يمكن إبرازها في هذه النقاط:

- التذكير بالأمر الإيجابية عنا.
- التذكير بالأمر السلبية عنهم.
- إخفاء الأمر السلبية حولنا.

- إخفاء الأمور الإيجابية حولهم (فان دايك، [2000/2023، ص. 62].  
يرى فان دايك أن هذه الاستراتيجية تشمل معظم الخطابات على مستوى المعنى والشكل والتفاعل، وهذه الأبعاد الثلاثة هي ما يشكل الخطاب في نظره، إذ قال في هذا الصدد: «يحدّد الخطاب عموماً في ثلاث مكونات أساس، درسنا اثنين منهما (أي المعنى والشكل)، ونحتاج الآن أن نقدم المكوّن الثالث الأكثر ارتباطاً بالبعد الاجتماعي، ونقصد به: الفعل والتفاعل» (فان دايك، [2000/2023، ص. 79].  
ويمكن إبراز تأثير علم النص في مقارنة فان دايك انطلاقاً من اللائحة الآتية التي تظهر المفاهيم التي يشتغل بها فان دايك في تحليل الخطاب تحليلاً نقدياً:
- المعنى: يدرس فيه الموضوعات، والترادف وإعادة الصياغة، والتضمينات والاقترانات، والانسجام الموضوعي، والتقابل، والأمثلة والتوضيحات، والتنصل، وبنيات المقولات، والفاعلين، والصيغية، والإثبات، والمراوغة والغموض، والطبوسات.
  - الشكل: يدرس فيه تركيب الجملة، وصيغ الخطاب، والحجاج، والبلاغة.
  - الفعل والتفاعل: يدرس فيه الأفعال الكلامية.
- سنركز في هذا المحور على بعض المقولات الخاصة بعلم النص فحسب، بما أن علم النص -بحسب فان دايك- يشمل هذه البنيات المعنوية والشكلية والتفاعلية جميعها.
- أولاً؛ الموضوعات: يرى فان دايك أن الموضوعات تعبر عن الفكرة العامة للنص أو المعلومات المهمة فيه. وهي التي تظل في ذاكرة الناس، لذلك يميل منتجوا النصوص إلى وضعها في الملخصات أو العناوين. ومثّل لها بثلاث موضوعات منتشرة في الخطاب العنصري عن المهاجرين هي: الاختلاف، والانحراف/خرق القانون، والتهديد (فان دايك، [2000/2023، ص. 63].
- ثانياً؛ الانسجام الموضوعي: يرتبط الانسجام بالترابط الحاصل بين معاني جمل النصوص، أي قضاياها، وهو إما كلي أو موضعي. ونتحدث عن انسجام كلي متى كان هناك نص مرتبط بموضوع ما، بينما الانسجام الموضوعي يرتبط بمعاني النصوص في موضع معيّن. وتعبير فان دايك: «والقصد أننا قد نصف خطاباً (أو جزءاً منه) بالانسجام إذا تذكرنا موقفاً مشابهاً يثبت صحته أو قابلية ذلك. ولنا أن نسّمى هذا اللون من الانسجام «إحاليّاً» لأنه يحيلنا على «وقائع» حقيقية أو

شبيهة في النماذج الذهنية. كما يوجد انسجام يمكننا تسميته بالانسجام الوظيفي الموضوعي لأنه يحدّد العلاقة بين المقولات ووظائفها (مثل التخصيص، أو التعميم، أو تقديم الأمثلة، أو الرد على قول سابق، إلى غير ذلك) «(فان دايك، [2000/2023، ص. 66]. ومثّل فان دايك لذلك بتعميم سياسات الحكومة للنظر إليها بأنها غير مفيدة، ومن ثم نزع الشرعية منها ومن أفعال الحكومة، كما يتضح لنا ذلك في قول النائب البريطاني جيريمي كوربين عن حزب العمال: «في المملكة المتحدة، يوجد تراجع متزايد في قدرة الناس على طلب اللجوء والبث في حالاتهم موضوعياً» (فان دايك، [2000/2023، ص. 100).

ثالثاً؛ بنيات المقولات: تتنظم معاني النص في مقولات/قضايا؛ «أي إن كل جملة تعبر عن مقولة أو يزيد؛ أي عن أشياء تحتمل الصواب والخطأ أو تعبر عن «فكرة» تامة. وكما أن معنى سلسلة من الجمل والخطابات الكاملة يتألف من المقولات، فكذلك المقولات لها بنيات داخلية تُشكّل معناها. والحق أن التحليل الفلسفي التقليدي والتحليل المنطقي للمقولات نَعَتًا بنيتها المعروفة بالإسناد (أي مسند ومسند إليه)» (فان دايك، [2000/2023، ص. 69]. ومثّل فان دايك للمقولات/القضايا بما نجده في الخطابات العنصرية من قبيل: «لاجئون غير شرعيين» (فان دايك، [2000/2023، ص. 69)، فهي عبارة عنصرية تنزع البعد القانوني والإنساني من اللاجئ، وتضعه في قفص الاتهام.

رابعاً؛ تركيب الجملة: يقصد فان دايك بتركيب الجملة: ترتيب كلمات الجملة، والبناء للمعلوم والمجهول، والتأسييم. وتعمل هذه البنيات على إعطائها أهمية لبعض المعلومات وتهميش أخرى. كما قد يشير ترتيب الكلمات إلى التركيز على المعنى المعبر عنه ببعض الكلمات. ومثّل فان دايك لذلك بهذا المثال: «المتظاهرون قد أوقفتم الشرطة»، حيث يركز الكلام على المتظاهرين، ويجعلهم بؤرة الحديث (فان دايك، [2000/2023، ص. 74).

خامساً؛ صيغ الخطاب: يقصد بها فان دايك وضع الجمل المعبرة عن مقولات معينة في مقدمة الكلام، وترك أخرى في نهاية النص. وقد لاحظ أن المعلومات التي تكون في بداية النص تلقى تركيزاً أكبر من التي تكون في الوسط، «فهي تُقرأ أولاً، وتتحكم كثيراً في تأويل القارئ أو السامع لما تبقى من النص، بخلاف المعلومات التي تأتي في الأخير. وتعدّ العناوين والفقرات الافتتاحية في الصحف

الإخبارية والعناوين والملخصات في المقالات العلمية أمثلة حيّة ومعبرة عن هذه المسألة. وبناء على هذا، يمكن أن يتقدم معنى الكلمة والجمله في الخطاب أو يتأخر بتغيير موقعهما في البنية الدلالية وترتيب الجمل في الخطاب» (فان دايك، [2000/2023، ص. 75]. وقد لاحظ فان دايك مبدأ ناظما للتقارير الإخبارية، حيث وجد وفرة المعلومات السلبية حول الآخرين في البداية، أي في العناوين والفقرات الافتتاحية، ووضع المعلومات السيئة عنها في الوسط أو في آخر صفحة من الجريدة.

سادسا؛ الحجاج: تدافع النصوص عن وجهات نظر مختلفة، لذلك يتوافر معظمها على بنية حجاجية متقاطبة يحاول فيها كل طرف جعل منظوره مقبولا وذا موثوقية من خلال مجموعة من الحجج المعززة له والمثبتة لصحته. ويرى فان دايك أن الحجاج تتحكم فيه «مجموعة من القواعد المتعارف عليها، والمبادئ التفاعلية، والاستراتيجيات الناجحة لتطبيقه. وننبّه هنا إلى أن هذه المسائل الثلاث متغيرات؛ فقد يخرق المرء قواعد الحجاج باستعمال المغالطات، ويسلم من تعطيل مبادئ التفاعل (من قبيل مبدأ الاحترام أو مبدأ التعاون)، ويتسم بصفة المجادل البارع (في حال نجاح استراتيجيته)» (فان دايك، [2000/2023، ص. 77]. ومن أمثلة استخدام الحجاج في النقاش العمومي البريطاني حول الهجرة معارضتها بسبب احتمال وقوع مشكلات في سوق العمل أو قلة السكن أو التسبب في مشكلات ثقافية.

سابعا؛ الفعل والتفاعل: يقصد فان دايك بذلك «أن الخطابات التي تقال أو تكتب في سياق معين قد تعمل عملاً فعل كلامي، مثل التأكيد والسؤال والالتهام والوعد والتهديد» (فان دايك، [2000/2023، ص. 79].

## خاتمة

توخينا في هذه المقالة الإجابة عن سؤال أساس مضمونه: ما طبيعة العلاقة بين التحليل النقدي للخطاب واللسانيات؟ ويمكن أن نجيب عن هذا السؤال بأنها علاقة تداخل واستمداد، فالتحليل النقدي للخطاب بوصفه مقارنة عابرة للتخصصات يستند إلى مجموعة من النظريات المعرفية في مقارنته للنصوص والخطابات. وبذلك يستمد من اللسانيات مفاهيم مساعدة على تحليل الخطابات، محاولا إنتاج معرفة حول دور

اللغة في ممارسة السلطة، ونشر الأيديولوجيات، والتغيير المجتمعي والثقافي. ولذلك فإن القول بأن التحليل النقدي للخطاب نظرية لسانية مناف للصواب، بل هو تجمع من المستويات النظرية الكبرى والصغرى والمتوسطة، وذلك شبيه بعلم النص عند فان دايك الذي يجمع المعنى والشكل والتفاعل، أو بعبارة أوضح الأيديولوجيا بالبنيات اللغوية والمعرفية والاستراتيجيات الحجاجية والبلاغية، والأبعاد التفاعلية. مع ذلك، يمكننا أن نوجز طبيعة تأثير اللسانيات في مقاربات التحليل النقدي للخطاب في النقاط الآتية:

- تأثر نورمان فيركلف باللسانيات الوظيفية النسقية، ووظفها في مرحلة تحليل النص، وذلك لدراسة التحققات اللغوية لأنظمة الخطاب. وطرح عشرة أسئلة تهم الجوانب المعجمية والتركيبية والتداولية والنصية في محاكاة للوظائف الثلاث لهاليداي (الوظيفة الفكرية، والوظيفة البيشخصية، والوظيفة النصية).
- تأثرت فوداك بالتداولية، ولا سيما في مرحلة دراسة التحققات اللغوية للصور النمطية المعادية للسامية، وبالأخص في التعبير عنها بشكل مضمر وضمني. ولذلك كان مبحث دراسة المضمر، ومبحث دراسة الاقتضاءات منهُلاً أخذت منه ما يساعدها على كشف اللثام عن الأيديولوجيات العنصرية المتخفية في الكلام السياسي.
- أثر اشتغال فان دايك بعلم النص في نظريته لتحليل الخطاب، أي بالعناية بالجوانب المعنوية والشكلية والتفاعلية للنصوص، ولذلك كان علم النص حاضراً بقوة في نظرياته وتطبيقاته.

## لائحة المراجع

### أولاً- المراجع العربية

- بكار، سعيد. (2018) «التداولية والتحليل النقدي للخطاب». ضمن عبد الرحيم الحلوي ومحمد عبد السلام الأشهب. مؤلف جماعي. التداوليات وفلسفة اللغة. أكادير، منشورات القصة، صص. 207-236.
- بكار، سعيد. (2023/2022) «محاضرات مجزوءة علم النص بـمـاسـتـر علم النص وتحليل الخطاب». الموسم الجامعي 2022-2023.
- بكار، سعيد. بلاغة النقد. (2024) دراسات في التحليل النقدي للخطاب. الدار

- البيضاء، أفريقيا الشرق.
- خطابي، محمد. (2014) «لسانيات النص وتحليل الخطاب: محاولة تساؤل وتدقيق». مجلة علامات، ع. 41. صص. 85-106.
  - صكوحى، كورنيليا فون راد. (2008) «لسانيات النص أو: لسانيات ما بعد الجملة وما قبل الخطاب». ضمن حمادي صمود. مقالات في تحليل الخطاب. تونس، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، صص. 49-76.
  - فان دايك، تون. (2023) الأيديولوجيا والخطاب: مقدمة متعددة التخصصات. (ترجمة سعيد بكار ولحسن بوتكلاي). قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
  - فان دايك، توين. علم النص. (2001) مدخل متداخل الاختصاصات. (ترجمة سعيد بحيري). القاهرة، دار القاهرة للكتاب.
  - فوداك، روث. (2013) «التداولية والتحليل النقدي للخطاب: مثال عن تحليل في ملتقى الاختصاصات». القسم الأول. (ترجمة منية عبيدي). مجلة علامات. ع. 39، صص. 77-91.
  - فوداك، روث. (2014) «التداولية والتحليل النقدي للخطاب: مثال عن تحليل في ملتقى الاختصاصات». القسم الثاني. (ترجمة منية عبيدي). مجلة علامات. ع. 40، صص. 128-139.
  - فيركلف، نورمان. (2016) اللغة والسلطة. (ترجمة محمد عناني). القاهرة، المركز القومي للترجمة.

#### ثانياً-المراجع الإنجليزية

- Brown, Gillian and George Yule. (1981) *Discourse Analysis*. Cambridge, Cambridge University Press.
- De Beaugrande, Robert & Wolfgang Dressler. (1981) *Introduction to Text Linguistics*.
- De Beaugrande, Robert. (1997) «Getting Started»: *New Foundations for a Science of Text and Discourse: Cognition, Communication, and the Freedom of Access to Knowledge and Society*. U.K, Bloomsbury Academic.

- Fairclough, Norman. (2004) «Critical Discourse Analysis in Researching Language in the New Capitalism: Overdetermination, Transdisciplinarity, and Textual Analysis». In Lynne Young and Claire Harrison. eds. *Systemic Linguistics and Critical Discourse Analysis*. London, Continuum, pp. 103–122.
- Fairclough, Norman. (1989) *Language and Power*. London, Longman.
- Halliday, Michael. (1994) *An Introduction to Functional Grammar*. London, Edward Arnold.
- Hart, Christopher & Piotr Cap. (2014) «Introduction». In Christopher Hart & Piotr Cap. Eds. *Contemporary Critical Discourse Studies*. London/New Delhi/New York/Sydney, Bloomsbury, Pp. 1-15.
- Jewitt, Carey, Jeff Bezemer and Kay O’Halloran, (2016) *Introducing Multimodality*. London/New York, Routledge.
- Meriel Bloor & Thomas Bloor. (2018) «Systemic Functional Linguistics». In Flowerdew & Richardson. Eds. *The Routledge Handbook of Critical Discourse Studies*. London and New York, Routledge Pp. 151-164.
- Meriel Bloor and Thomas Bloor. (2014) «Critical Discourse Analysis». In Klaus Schneider and Anne Baron. Eds. *Pragmatics of Discourse*. Berlin and New York, Mouton De Gruyter, Pp. 189-214.
- Martin, James. (2002) *Annual Review of Applied Linguistics*. Cambridge, vol. 22, Pp. 52-74
- Reisigl, Martin and Ruth Wodak. (2001). *Discourse and Discrimination: Rhetorics of Racism and Antisemitism*. London and New York, Routledge and Kegan Paul.
- Reisigl, Martin. (2011) «(Critical) Discourse Analysis and Pragmatics: Commonalities and Differences». In Christopher Hart. Eds. *Critical Discourse Studies In Context and Cognition*. Amsterdam

- Philadelphia, John Benjamins Publishing Company, 2011. Pp. 7-26.
- van Dijk, Teun. (2004) «From Text Grammar to Critical Discourse Analysis: Academic Autobiography». Version 2.0. Unpublished, August.
  - Wodak, Ruth & Michael Meyer. (2016) «Critical Discourse Studies: History, Theory and Methodology», In Ruth Wodak & Michael Meyer. eds. *Methods of Critical Discourse Studies*. Los Angeles/ London/New Delhi, SAGE Publications, Pp. 1-22.
  - Yule, George. (1996) *Pragmatics*. Oxford, Oxford University Press.

# خطاب نتياهو الموجه إلى الشعب الإيراني

## دراسة لسانية نقدية

كمال عمي

طالب باحث في سلك الدكتوراه بمختبر (NUMECOL)

التابع للمدرسة العليا للتربية والتكوين بجامعة ابن زهر/ أكادير.

aammikamal@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0007-2038-4290>

### الملخص

تشكل اللغة ساحة معركة بين المتحدثين أنفسهم، وبينهم ومخاطبيهم كذلك، لأنها وسيلة لتشكيل الوقائع وتوجيه الجمهور، ويشتد الأمر فيفرض نفسه أكثر حينما يكون السياق سياسياً والظرفية حساسة. وأمام هذا الوضع، تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الخطاب السياسي لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتياهو الذي ألقاه عشية هجوم إسرائيل على إيران، ووجهه للشعب الإيراني على غير المنتظر. وسيخذ هذا التحليل اللسانيات النقدية مقارنة باعتبارها وسيلة لكشف سوء استخدام اللغة لأغراض مختلفة، منها الأغراض السياسية، ولأنها طورت أدوات تطبيقية للتعامل مع مختلف الخطابات، ومعرفة أهدافها الحقيقية، من طريق المزج بين البنية اللغوية والبنية الاجتماعية في إطار تفاعلي. وتبرز أهمية هذا العمل في سعيه لتوعية المتلقي بخطورة اللغة عندما تستخدم تقنيات التمويه، فتكون لها أهداف ضمنية مشبوهة تخالف ما تصرح به. وتستهدف الدراسة القارئ الذي يتعرض لكم هائل من الموارد اللغوية، لينتبه إلى ما قد يكون ثاويًا خلفها من أغراض غير أخلاقية. توصلت هذه الدراسة إلى أن نتياهو تعمّد التلاعب باللغة لصناعة وقائع جديدة، وللتأثير في الجمهور المستهدف، متبعا استراتيجيات تضليلية متنوعة، بغرض تأليب الشارع الإيراني ضد النظام.

الكلمات المفاتيح: اللسانيات النقدية، الخطاب السياسي، التلاعب، السلطة.



# NETANYAHU'S SPEECH TO IRANIAN PEOPLE

## A CRITICAL LINGUISTIC ANALYSIS

Kamal Ammi

A PhD student in (Textual Linguistics), in the (NUMECOL) laboratory,  
at the Higher Institute of Education and Training at the University of Ibn Zohr, Agadir  
aammikamal@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0007-2038-4290>

### ABSTRACT

Language constitutes a battleground between speakers and their audiences, used as a tool for shaping realities and directing public opinion. This dynamic becomes more evident in political contexts and sensitive circumstances. In this regard, the present study analyzes the political speech delivered by Israeli Prime Minister Benjamin Netanyahu on the eve of Israel's attack on Iran, unexpectedly addressing the Iranian people. Critical linguistics is adopted as the methodological framework, as it provides means to uncover the misuse of language for various purposes, particularly political ones and their main objectives, through practical tools that link linguistic and social structures in an interactive framework. The significance of this work lies in raising awareness of the dangers of language when camouflage techniques are employed, concealing implicit and suspicious goals that contradict explicit statements. The study addresses readers who are daily exposed to an overwhelming amount of linguistic resources, encouraging them to recognize the potentially unethical purposes underlying such discourse. Findings reveal that Netanyahu deliberately manipulated language to construct new realities and influence the target audience, employing diverse disinformation strategies to incite the Iranian public against their regime.

**Keywords:** Critical Linguistics, Political Discourse, Manipulation, Power.

## مقدمة

يشكل الخطاب أداة للتأثير في الجمهور، ولا يسمى خطاباً ما لم يكن موجهاً لطرف آخر من أجل إحداث ذلك التأثير الذي يكون مقصوداً، ولعل هذا القصد والغرض من الخطاب هو ما يجعله متعدداً من حيث صيغته وأنواعه، لكن الخطاب اللغوي يبقى من أكثر الوسائل تأثيراً وتجندراً في أدبيات الخطابة منذ أرسطو إلى الآن؛ إذ اضطلعت اللغة بدور محوري في تطوير المجتمعات، فهي تؤثر فيها وتتأثر بها في الوقت ذاته. وقد شكلت على الدوام قوة لا يستهان بها في تشكيل الوعي العام لدى المجموعات البشرية، وكانت سلاحاً قوياً يسجل انتصاراته في صمت، حيث ظهرت في كل زمان مذاهب تتعامل مع اللغة باعتبارها وسيلة دفاع عن معتقداتها المختلفة، ولا نقصد بالمذاهب ما هو ديني، لكنه وارد ضمنها أيضاً.

في ظل ما سبق ذكره، ظهرت الكثير من المحاولات لتطويع اللغة وجعلها في خدمة الأفراد. وتفاعلاً مع سؤال التحكم، فقد كان العلماء واعين بأن الإنسان يستطيع التحكم في اللغة للسيطرة على المجموعات، وهذا التحكم يخدم فئات محددة ومحدودة، لذلك قاموا بالتقعيد والتنظير من أجل إجراء اللغة مجرى يفيد في تسيير الجمهور، وما الخطاب السياسي إلا وجه من تلك الوجوه، نظراً لقوته الحجاجية التأثيرية التي تغني عن العديد من القوى الأخرى، بل هو مما يؤدي إلى نتائج ترضي الآخر حتى إن لم تكن في صالحه، لأنه يستخدم وسائل متعددة من أجل الإقناع وتفادي المعارضة.

لكن الباحثين لم يقفوا متفرجين على مثل تلك الخطابات، بل طوّروا بالمقابل طرائق لفضحها وكشف التلاعبات فيها، بهدف محاربة الهيمنة والتسلط اللغوي في الخطاب، والتوعية بالأثر الذي تؤديه اللغة في صناعة الوقائع وطمس الحقائق وتحقيق مآرب مشبوهة. وفي هذا السياق، يمكن إدراج الخطاب السياسي لبنيامين نتانيا هو (اطلع عليه في: <https://short-url.org/1a96J>) ضمن الخطابات التي تسعى إلى التأثير في المتلقي، بغرض تحقيق أهداف سياسية مهمة، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار السياق الظرفي الذي ورد فيه الخطاب، وهو عقب العملية العسكرية على إيران التي بدأت فجر يوم 13 يونيو 2025. والمتلقي الذي وُجّه له على غير العادة، وهو الشعب الإيراني وليس القادة، وليس الرأي العام الداخلي الإسرائيلي. علاوة على ذلك، لم يكن إلقاء الخطاب مساء اليوم الأول نفسه من الحرب مجرد اختيار عابر.

وأمام تلك الحقيقة اللغوية والسياسية، وباعتبار الخطاب السياسي المتحدث عنه

غير بريء من أي زاوية نُظر إليه منها، ويوصفه ذا أغراض غير ما تفصح عنه كلماته بشكل مباشر، تسعى هذه المقالة بشكل أداتيّ إلى الإجابة عن هذا السؤال: كيف استخدم تتيهاو اللغة والتقنيات الخطابية في خطابه الموجه إلى الشعب الإيراني كأداة للتلاعب وتشكيل الواقع؟ ويمكن تجزئ هذا السؤال إلى سؤالين فرعيين هما: كيف استثمر تتيهاو اللغة لاستهداف الآخر بشكل متعمّد؟ وما الطريقة التي بنى وفقها الخطاب ليؤدي الدور المنوط به؟

تكتسب الإجابة عن هذا السؤال وسؤاليه الفرعيين أهميتها من خلال إلقاء الضوء على الاستراتيجيات اللغوية التي وظّفها الفاعل السياسيّ في صناعة واقع جديد، أو في محاولة إرساء ذلك الواقع حتى لو لم ينجح في ذلك. لأن الخطاب الذي ألقاه تتيهاو كان مختلفاً، حيث جاء في زمن الحرب لا في زمن السلم، إذ صدّر في زمن حرب متعددة الجبهات، ومتعددة الوسائل، فكان من بين وسائلها الخطاب بما يحمله من قوة في التأثير والتغيير، ولا سيما إذا كان المتلفظ به فاعلاً سياسياً متمرساً في التلاعب به، إذ «تجري العادة بأن الناس يهتمون بالحدث السياسي دون أن ينتبهوا ملياً للصياغة التي نحكي بها تفاصيل الحدث». (المسدي، 2007، ص. 9)، فيقعون ضحيةً للأمر.

لقد نجح الباحثون في تسطير خطوات عملية لفضح الخطابات السياسية وغيرها، فأوجدوا أطراً إجرائية للكشف عن المخفي والضمني فيها، وتعد اللسانيات النقدية (Critical Linguistics) إحدى الاتجاهات التي أنتجت أدوات للبحث في ما وراء اللغة والخطاب، وكانت لها نتائج متميزة في هذا الصدد، بالرغم مما يمكن أن يقال عنها في إطار نقدها. وهذا الاتجاه اللسانيّ هو الذي استرشدنا به في هذه المقالة بغرض استثماره في دراسة نقدية لخطاب تتيهاو السياسيّ.

تسعى هذه المقالة إلى إلقاء نظرة عامة على بعض الأدبيات التي درست خطابات تتيهاو، بغرض التعرف على الطرائق التي اتبعتها، والنتائج التي توصلت إليها بناء على تلك الطرائق. إضافة إلى تعريف المقاربة المتبعة، أي اللسانيات النقدية، مع تحديد روافدها الفلسفية واللسانية، ثم تدقيق إطارها المنهجي الذي سنستثمره في دراسة خطاب تتيهاو السياسيّ.

## 1. مراجعة الدراسات السابقة

لم يكن استثمار الاتجاه النقدي واللساني -المتمثل في اللسانيات النقدية- في

تحليل الخطابات المختلفة من قبل الباحثين، بما في ذلك الخطابات السياسية، إلا لنتائجها المتميزة في نقد تلك الخطابات. وبالحديث عن خطابات ننتياهو، فقد تطرقت لها مجموعة من الدراسات، لأنها من الخطابات التي تُحدث تأثيرات كبيرة تتجاوز محيطها، نظرا للتاريخ الطويل للصراع في الشرق الأوسط، وامتداداته إلى مناطق أخرى من العالم، سواء أكان ذلك سياسيًا أم اقتصاديًا. ونظرا للتأثير الملحوظ لتلك الخطابات، فقد استُثمرت أكثر من مقاربة لفضح التلاعب اللغوي فيها، فقد قامت دينا يحيى أبو خالد (Diana Yehya Abu Khaled) بالتوليف بين مقاربتين في إطار التحليل النقدي للخطاب، أي المقاربة التاريخية للخطاب لروث فوداك (Ruth Wodak) وتمثيل الفاعلين الاجتماعيين لثيو فان ليفن (Theo van Leeuwen) بهدف كشف الطريقة التي سوَّغ بها ننتياهو عدوان إسرائيل على غزة سنة 2014، أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، في 29 سبتمبر 2014.

توصلت دينا أبو خالد إلى أن ننتياهو تفنَّن في التسمية والتنبؤ والحجاج والتهويل والتلطيف، حيث ألصق بمجموعة الداخل (إسرائيل) صفات مقبولة لدى الآخر، وأضفى على مجموعة الخارج (حماس) صفات وتسميات مرتبطة بالقتل والإرهاب والترهيب. كما وضحت الباحثة الطريقة التي صاغ بها مجموعة الخارج من خلال التنبؤ بما تشكله من شرٍّ، من طريق تصويرها بأنها مجموعة لا يُتَظَر منها أن تتسم بسمات يقبلها المجتمع الدولي. كما سجَّلت الباحثة كيف هوَّل أفعال مجموعة الخارج، مقابل تلطيف أفعال مجموعة الداخل التي يقتصر فعلها على الدفاع المشروع، لهذا استخدم طوبوس الدفاع بجانب طوبوس الخطر والتهديد الذي يشكِّله الآخر، في مظهر من مظاهر قلب الصورة الحقيقية.

استفادت الباحثة كذلك مما توصل إليه ثيو فان ليفن في جانب تمثيل الفاعلين الاجتماعيين، فوجدت أن ننتياهو حذف في خطابه الفاعل (Suppression) حينما تعلق الأمر بالفضاعات التي ترتكبها إسرائيل، وذلك من طريق بناء الفعل للمجهول. إضافة إلى تلاعبه بتخصيص أدوار الفاعلين (Role allocation)، فكان كل دور حميد يسنده لإسرائيل، مقابل إسناد الأفعال السيئة لحماس. كما توصلت الباحثة إلى أن ننتياهو قام في خطابه بتجريد مجموعة الخارج من إنسانيتها، وصنَّفها من خلال وظيفة معينة، في إطار التجريد الوظيفي. فعالبا ما تُذكر حماس مقترنة بالقتل والإرهاب والقصف. بينما تُذكر إسرائيل بوصفها ساعية للسلام.

أثبتت دينا أبو خالد من خلال هذه الدراسة أن خطاب ننتياهو كان ملغوما لغويًا لتوجيه المتلقي الوجهة التي يريدتها صاحب الخطاب، مستمرا من جملة ما استثمره مجموعة من الاستراتيجيات الخطابية. لكن ذلك لم يكن كل ما تمّ توظيفه في خطابه، فقد أوضح بحث آخر أن ننتياهو لا يتوانى عن توظيف الكثير من الاستراتيجيات لتحقيق مبتغاه، ففي دراسة لهبة ظافر وآخرين (Hiba Dhafer Abdulkader Aljurjia et al.)، طُبِّقت المقاربتان المدمجتان في الدراسة السابقة، لكن على خطاب مختلف، وهو خطاب ننتياهو أمام الكونغرس الأمريكي عام 2024. كما أن الجديد في هذه الدراسة هو كون الخطاب يناقش العلاقة بين مجموعتين هما إسرائيل وإيران، فضلا عن استثمار مقولات إضافية لروث فوداك وثيو فان ليفن، مع أن الغرض نفسه، أي زيادة الوعي بالخدع الخطابية واللغوية التي يستخدمها المتحدث السياسي في خطاب يعدّه لأجل التأثير في الغير، وهو ما يتجلى في جزء من العنوان (صناعة الموافقة أو القبول) بوساطة الخطاب. لقد سخر الباحثون في هذه الدراسة مقولات عديدة، لإبراز كيفية بلورة ننتياهو لخطاب يسعى منه إلى كسب التأييد في القيام بخطوات حاسمة ضد إيران، حيث بنى خطابه على استعارة «مفترق طرق التاريخ»، بغرض «إثارة ذكريات الماضي حينما كان بعض الناس على الجانب الخطأ من التاريخ بسبب دعمهم للنازيين»، (Hiba Dhafer Aljurjia et al., 2024, p. 2809) على اعتبار أن الآخرين يجب هذه المرة أن يكونوا على الجانب الصحيح منه، ككفارة عما مضى.

واستخدم ننتياهو استراتيجية التفعيل لإبراز إيران في دور الفاعل النشط السيء الذي يعرّض أمن العالم للخطر، إضافة إلى تصنيف الفاعلين باستخدام الضمائر بغرض الإدماج والاستبعاد، بين (نحن) للطيبين، و(هم) للسيئين. كما أسند لإيران أمورا سلبية، من قبيل الإرهاب. وأسند لإسرائيل والولايات المتحدة أمورا إيجابية مثل التحضّر. مع توظيف المقارنة بالتوازي بين الهمجية والحضارة.

فطنت الدراسة كذلك إلى دور التكرار في الإقناع، من طريق التركيز على فكرة محورية لترسيخها في ذهن المتلقي، مع تعزيز ذلك بالكثير من حجج المغالطة، فالغرض الأهم عند ننتياهو هو كسب تأييد الولايات المتحدة واتحادها مع إسرائيل في دحر إيران. كما وظف استراتيجية التماهي، حيث ما فتى يخاطب الأمريكيين بـ (الأصدقاء) مسندا ذلك بـ (نحن) الإدماجية، وبالتكرار من أجل الإقناع.

استخدم ننتياهو كذلك حجة المماثلة، من خلال تشبيه ما حدث في السابع من

أكتوبر 2023، بما حدث في 11 سبتمبر 2001 بالولايات المتحدة، وبالهجوم على قاعدة بيرل هاربور الأمريكية، وذلك لإقناع الأمريكيين بأن ما تفعله إسرائيل بفلسطين، وما ستفعله بإيران أمر يسوّغه ما فعلته الولايات المتحدة كردّة فعل على ما تعرضت له في خضمّ الحداثين المذكورين. وقد انتبه الباحثون في هذه الدراسة كذلك إلى دور السرد القصصي الذي لجأ إليه نتنياهو، في استمالة عواطف المتلقين، زيادة على التهويل والتكثيف في الاستعارات بهدف استدرار الشفقة والتعاطف.

وفي سياق مماثل اشتغلت تسنيم الأسطل (Tasnim AlAsttal) على قوة الكلمة في خطاب نتنياهو أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في 27 سبتمبر 2024 في سياق الحرب التي شنتها إسرائيل على قطاع غزة في 07 أكتوبر 2023. وتُمثّل دافع الأسطل في الانتباه إلى أن اللغة التي يستعملها الفاعل السياسي ليست بحال من الأحوال مشابهة للغة العادية في العمق، وإن كان التشابه في الظاهر واضحاً، إذ «توظّف السلطات السياسية اللغة للتعبير عن قراراتها وأفعالها وفقاً لما تريد» (AlAsttal, 2024, p. 205). ولكشف سوء توظيف اللغة، استعانت بالتحليل النقدي للخطاب، خاصة المقاربة الثلاثية الأبعاد عند نورمان فيركلف (Norman Fairclough) لتحليل تجليات السلطة على المستوى النصّي عبر دراسة الأنماط البنيوية للنصّ وسماته اللغوية والبلاغية. وعلى المستوى الخطابيّ من طريق خلق روابط بين الخطاب ووظيفة نشأته وتداوله وتأثيره في السياق الاجتماعيّ. وعلى المستوى الاجتماعيّ باستكشاف علاقة الخطاب بالواقع الاجتماعيّ والثقافيّ الخارجيّ.

ففي المستوى النصّي، أظهرت نتائج هذه الدراسة كيف استخدم نتنياهو الأفعال لترسيخ سلطته وهو يتحدث، بحيث يُعلن عن حريته في الحضور والكلام وصناعة القرار دون تأثير من أحد. إضافة إلى ذلك، توصلت الدراسة إلى دور التكرار في ترسيخ السلطة، حيث يخدم مصلحة المتحدث ومن يمثلهم من خلال تصويرهم بأنهم ضحايا، وتأكيدهم لحقائق خطابية معينة.

علاوة على ذلك، توصلت الدراسة إلى أن نتنياهو يتقن اختيار الكلمات التي يستخدمها في كل وحدة موضوعية، ويتقن كذلك الانتقال بين هذه الوحدات باختلاف المتحدث عنه في كل مرّة. إذ يعتمد على الضمائر حين يتحدث عن جماعته، ويستخدم كلمات صريحة مثل (القتل، الاغتصاب، الإرهاب، الحرق، الفظائع...) وهو يتحدث عن الفلسطينيين. كما يقيم ثنائية مبنية على التناقض وهو يتحدث عن المجموعتين:

مجموعة الداخل ومجموعة الخارج. وزيادة على ذلك، فإنه استعان بالتجسيد والاستعارة والاقْتباس للتأثير في المتلقي.

أما في المستوى الخطابي، فقد سجّلت الدراسة كيفية تفتُّن ننتياهو في استدعاء السياق التاريخي لإضفاء أهمية تاريخية على الخطاب، وإقناع الآخرين بأن إسرائيل إنما تواصل مسارا تاريخيا محتوما. كما عمد إلى استثارة عواطف المتلقين من طريق استحضار أحداث تتعلق بأسر الرهائن بشكل درامي. فضلا عن خلق تعارض بين خطابين مختلفين، الأول يتعلق بمجموعة الداخل، والثاني يتعلق بمجموعة الخارج. وعلى المستوى الاجتماعي، أظهرت نتائج التحليل أن ننتياهو حاول تأييد حالة موجودة، وهي أن إيران هي مصدر الشر المترص بالعالم الغربي المتحصّر كله، وأن إسرائيل هي الحل الوحيد لإيقاف هذا الشر، لذلك وجب على الغرب دعمها في ذلك بكل ما تريده منه.

من جهة أخرى، ناقشت غنى عيتاني (Ghina Itani) خطاب ننتياهو من منظور تداولي، حيث كشفت عن الأفعال الكلامية التي وظفها في خطابه ليوم 7 أكتوبر 2023 مستثمرة تصنيف سيرل (1969) الخماسي لأفعال الكلام، وهو الذي يتضمن التقريريات والتوجيهيات والالتزاميات والتعبيريات والإعلانات أو التصريحيات.

خلّصت الدراسة إلى أن ننتياهو تعمد في المقدمة استخدام الأفعال التأكيدية أو التقريرية، لنقل الواقع كما هو، وعدم توجيه المتكلم أو إلزامه بأي فعل. لكن الأفعال التوجيهية لم تظهر إلا في العرض، بعد مجموعة من الأفعال التوكيدية التي ترسخ معرفة المتلقي بالواقع، قبل توجيهه بغرض التأثير في تصرفاته. وتأتي الإعلانات لخلق وعيد بعواقب الواقع الذي تم تصويره بوساطة التأكيديات. بينما تألفت الخاتمة من مجموعة متوازنة من الأفعال التوجيهية والتصريحية والالتزامية، وهو إطار تنظيمي دقيق من المتحدث لقيادة الجمهور في الخطاب، فالتوجيه يجذب انتباه الجمهور، والإعلان يسوّغ الحاجة إلى التصرف، والالتزام وعد من المتحدث لطمأننة الجمهور بحتمية التصرف (Itani, 2025).

أسهمت تلك الأفعال بمعىة طريقة ترتيبها داخل الخطاب في إقناع المتلقي بمشروعية ردود الفعل الإسرائيلية تجاه الأحداث، كما بنت صورة خاصة عن المتحدث بوصفه قادرا على إدارة المرحلة بالشكل نفسه الذي يدير به خطابه وتدخلاته، ومن ثم فهو يستحق التأييد الذي يسعى إليه.

ومن الدراسات التي طبقت منهجا لسانيا نقديا على خطاب ننتياهو، نجد سعيد بكار، حيث جلى من خلال مقاله «خطاب الحقيقة وحقيقة الخطاب» خطبة ننتياهو التي ألقاها سنة 2011، ردًا على تقدم فلسطين بطلب العضوية في الأمم المتحدة. ابتداءً بكار بتعريف الخطاب السياسي، ثم اللسانيات النقدية، مبرزاً أهم عناصرها ومقولات اشتغالها، بعد ذلك تتبّع تلك المقولات باعتبارها استراتيجيات متبّعة في الخطاب المدروس. ومن ثمة فقد خلصت دراسته إلى أن ننتياهو تعمد في خطابه التلاعب بالمفردات، واستدل على ذلك بقيامه بإعادة المعجمة، عن طريق إعادة تسمية مجموعة من المصطلحات بما لم تكن تسمى به، وبالمبالغة في معجمة قضايا أخرى.

ففي الحالة الأولى توصل الباحث إلى أن المتحدث سعى إلى خلق وقائع جديدة باستعمال مصطلحات جديدة، من قبيل (الإسلام المحارب، شبح الإرهاب النووي، الشتاء الإيراني، مسرح العبث...)، كما جذب انتباه الجمهور إلى المصطلحات الجديدة، لأن أغلبها يتضمن معنى الخطر والخوف والتهديد الوشيك. أما في الحالة الثانية، فقد وظف مصطلحات مبالغ فيها لتركيز بؤرة اهتمامه تجاه قضايا معيّنة، خاصة إيران وحزب الله وغزّة، ومن أجل ذلك استعار صفات مبالغ فيها تنتمي لحقل حيواني وسلوكي، وكلاهما وسّمه المتحدث بالخبث والسوء، ثم صور المتحدث عنه في صور تبرّر نيته تجاهه.

أما من ناحية توظيف ننتياهو للجمل، فقد ركز بكار في تحليله للخطاب على نحو التعدية والتحويلات، ففي الأول درس الطريقة التي أسند بها المتحدث أفعالاً نوعية لفاعلين اثنين هما: إسرائيل والتيار الإسلامي المتشدد، ثم وجد أن العلاقة بين الفاعلين علاقة تناقض، حيث تعمد المتحدث إسناد أفعال مادية دالة على الملكية لإسرائيل، وذلك يتوافق مع أيديولوجيتها تجاه الأرض. وأسند للتيار الإسلامي أفعالاً مادية سلبية دالة على معانٍ سلبية كذلك.

أما في التحويلات، فقد لفت بكار إلى طريقتين اعتمدهما ننتياهو لإخفاء الفاعلين، وهما البناء لغير الفاعل، والتأسييم. وغرضهما إخفاء المسؤولية الفعلية لإسرائيل عن بعض الأفعال التي ذُكرت في الخطاب، ثم درس الطريقة الفنية التي وظف بها ننتياهو ضميري (أنا، نحن)، مستنتجاً أن المتحدث استخدم ضمير (نحن) للتوصل من المسؤولية من بعض الأفعال المعروفة لدى الجمهور، تلك التي تشكل تهديداً لمصداقيته في الخطاب، حيث تنصهر الذات في جماعة لتذوب فيها مسؤوليتها. بينما وظف ضمير (أنا) للاعتداد بنفسه في السعي للسلام بشكل شخصي، وإسناد أفعال إيجابية لذاته.

أخيراً، استخلص بكار الطريقة التي بنى عليها نتياهو انسجام خطابه ووحدته، وهي اعتماده على السرد الدينيّ خيطاً ناظماً للخطاب، وفي الوقت نفسه وسيلة إقناعية تدعم ما يقوله، علماً أن السرد الدينيّ هو سرد تاريخيّ في هذه الحالة بالضرورة، وكلاهما يلفت انتباه الجمهور.

يُظهر هذا البحث مدى القصدية في بناء الخطاب السياسيّ لنتياهو، فهو لم يستخدم وسيلة من الوسائل دون أن يفكر في تأثيرها في المتلقي، وفي وظيفتها في دفع الجمهور إلى تبني رؤيته الخاصة تجاه القضية موضوع الخطاب، ومن أجل ذلك، رأينا ضرورة تطبيق منهج اللسانيات النقدية على خطاب آخر لنتياهو، لاستكشاف القدر المستخدم فيه من الاستراتيجيات اللغوية المراوغة.

## 2. تعريف اللسانيات النقدية

تعدّ اللسانيات النقدية فرعاً من اللسانيات العامّة، وبدلاً من اهتمامها بالدراسة العلمية للغة من أجل غايات لسانية، فإنها تُعنى بالدراسة العلمية للغة لغايات نقدية، حيث تكشف سوء استخدام البنات اللغويّة لتحقيق أغراض معيّنة، إنها «مقاربة مهتمة بدراسة العلاقة بين البنية اللغوية والبنية الاجتماعية» (بكار، 2021، ص. 195)؛ لأن اللغة عادة ما تُوظف لتأطير المجتمع والرأي العام والخاصّ بشكل علميّ، فكان كشف هذا الاستخدام المعيب مسؤوليّة علمية بدوره.

ظهر هذا الاتجاه اللسانيّ النقديّ على يد مجموعة من الباحثين متعددي المشارب، وتلك علامة على كون هذه المقاربة متعددة التخصصات، وهم كلّ من السيميائيّ غانثر كريس (Gunther Kress)، واللسانيّ البيويّ روجر فاولر (Roger Fowler)، والناقد الأدبيّ بوب هودج (Bob Hodge)، والفيلسوف السياسيّ طوني ثرو (Tony Trew). ولنا أن نتخيل ثراء هذا الاتجاه بثناء هذه التخصصات التي أنتجت مقالا ضمن كتاب اللغة والتحكم (Language and Control)، لفاولر وكريس يحمل عنوان «اللسانيات النقدية»، تضمّن المفاهيم والإجراءات الكفيلة بدراسة الخطابات الإنسانيّة دراسة لسانية نقدية (بكار، 2020، صص. 353-354)، لبناء الوعي العامّ بطرائق استخدام اللغة لأغراض محددة. وتفادي الانسياق وراء الخطابات دون النظر إليها من وجهة نظر نقدية. وهذا ما جعل من اللسانيات النقدية مقارنة إجرائية، لأنها ذات بعد تطبيقيّ تدخليّ، إذ تعدّ «أداتيّة» بمعنى كونها معدّة لتحليل الخطاب العامّ، عبر كشف الأيديولوجيا المشفرة ضمنيا فيه»

(نفسه، ص. 356)، وهذا مفاد التعريف الذي قدّمه فاوولر وكريس في مقالهما السابق الذكر. وإضافة إلى هذا، عرّفها فاوولر بأنها «تحليل للخطاب العام، مصمّم للوصول إلى الأيديولوجيا المشفّرة بشكل ضمني في الأقوال الصريحة من أجل دراستها، ولا سيما في سياق التشكيلات الاجتماعية» (Roger Fowler, 1996, p. 3).

ونتيجة لذلك فالبنية اللغوية لأي خطاب موجّه تختلف بحسب كل ظرفية اجتماعية وتاريخية، تبعاً للأهداف التي يُبنى الخطاب لها، لذلك تتغير اللغة المستخدمة، لأنها تأخذ في اعتبارها كل الظروف المحيطة بالجمهور. وحتى في حالة عدم تغيّر البنية اللغوية، فإن تغيّر السياق يؤدي إلى تغيّر المعنى والغرض من اللغة المستعملة، لهذا «تعترف نظرية اللسانيات النقدية بعدم وجود ثبات بين البنيات اللغوية ودلالاتها (...) لا يمكن استخلاص الدلالة (الأيديولوجية) ببساطة من الأشكال اللغوية التي حدّدها الوصف في النص، لأن الشكل نفسه (التأسيّم على سبيل المثال) له دلالات مختلفة في سياقات متباينة» (Ibid, p. 9)، لذلك هناك إقرار بغياب أيّ علاقة ثنائية يمكن التنبؤ بها بين شكل لغويّ ومعنى اجتماعيّ.

تسعى اللسانيات النقدية إلى دراسة التمثيل، أي الطريقة التي يقدم بها الخطاب عناصر معيّنة، وتؤكد أن كل تمثيل هو تمثيل موسّط ومنمذج من أنظمة القيم المتأصلة في الوسيط (اللغة في هذه الحالة) المستعمل في التمثيل» (Ibid, p. 4)، فالتمثيل هو تصوير للأحداث والفاعلين المختلفين في الخطاب، وتهدف اللسانيات النقدية إلى كشف حالات موجّهة منه ومتعمّدة، وهي حالات سوء التمثيل باستخدام اللغة.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه اللسانيات في نقدها للخطاب تتغيا الموضوعية ما أمكن، وذلك بالابتعاد عن الشخصنة في الخطاب، حيث قد تكون نتائج انتقاد خطاب ما إيجابية، وتكون نتائج خطاب آخر سلبية، حتى لو كان صاحب الخطاب هو نفسه. فإذا كانت اللغة تسعى ضمن الخطاب إلى فرض بنية اجتماعية محددة، فإن وظيفة اللسانيات النقدية هي التفسير بوصفه عملية استرجاع المعاني الاجتماعية المعبر عنها في الخطاب، عبر تحليل البنيات اللغوية في إطار سياقاتها التفاعلية والاجتماعية الأوسع، على أساس أن تلك المعاني الاجتماعية تكون ضمنية في العبارات والنصوص والأفعال الكلامية المستعملة، فتصبح مهمة التفسير هي الكشف ورفع الغموض عنها. وإذا أمكن تسمية هذا التفسير نوعاً من المقاومة - وهو كذلك - فإن هذه المقاومة لا تكون موجهة للغة نفسها ولا لمستخدمها، لكن للعمليات والمعاني الاجتماعية السلبية التي تمّ غرسها في

اللغة (Fowler & Kress, 1979, p. 196) ثم حُمّلت داخل خطابات مغرزة مدفوعة بالسلطة والهيمنة.

لم تلبث اللسانيات النقدية أن سجّلت حضوراً قوياً في الأوساط الأكاديمية بعد التأسيس، خاصة في بريطانيا العظمى، ثم في بعض الحلقات البحثية في أوروبا، قبل أن تصبح مادة نظرية وتطبيقية لمجموعة من المقالات، ومادة للمناقشة ضمن العديد من المؤتمرات، «من قبيل المدرسة الصيفية لأوترخت حول النظرية النقدية سنة 1984، ومؤتمر لانكاستر حول اللسانيات والسياسة سنة 1986. (بكار، 2020، ص. 356) بالرغم من أنها ما تزال تحتاج إلى مزيد من التطوير، وإن حظيت بالاعتراف الأكاديمي المذكور. وتلك الحاجة نابغة من اعتبار دراسة الخطابات دراسة نقدية أمراً ملحا، ومن أن الخطابات تطوّر من أساليبها، مما يفرض على أي نظرية نقدية لسانية مواكبة هذا التطوّر.

## 1.2 الأسس الفلسفية واللسانية لللسانيات النقدية

إنّ الاهتمام الخاص باللسانيات النقدية، بالشكل الذي رأيناه (أي التركيز على الوظيفة النقدية بأهدافها المحددة)، يحيل على ارتباطها فلسفياً بالنظرية النقدية، إذ تعد هذه الأخيرة من أهم الروافد الفلسفية التي مدّت هذا الاتجاه بالخلفية الفكرية التي أطّرت، نظراً للإلهام الذي شكّلته النظرية النقدية باعتبارها تخدم الغايات ذاتها التي تنشدها اللسانيات النقدية، وهو ما ينطبق عليه أن يكون نظرية نقدية لللسانيات واللغة (Critical Theory of Linguistics). فحسب هذا التوجه، لا تنفصل اللسانيات النقدية عن الفلسفة في أصلها. قالت آنا ماريا أباريشيو (Ana María Aparicio) في هذا الصدد: «وإذا كان تمييز الفلسفة من اللسانيات مفهوماً في معظم السياقات، فإنه لا يبرز أي تعارض وجودي، ففي الحقل الذي أشتغل فيه ينبغي للمرء مراعاة الجوانب اللغوية والفلسفية معاً» (Aparicio, 2023, p. 17)، ومن هذا المنطلق، فإن اللسانيات النقدية أداة فلسفية لكشف التلاعب باللغة، لأنّ عُدتها النقدية قائمة على خلفية فلسفية واضحة. قال فاولر في هذا الصدد: «وكنّا، مثل النقاد الأدبيين، نشتغل على تأويل الخطاب، وإن كان ذلك بامتلاك أدوات أفضل! إن النقد الماركسيّ المعاصر، وما بعد البنيويّ، والتفكيكيّ، هو في الواقع أكثر فائدة لنا (أنظر: Belsey, 1980; Eagleton, 1976; Harari, 1979; Norris, 1982) وأكثر توافقاً مع التأثير المهمّ لمفهوم (النقد) الذي ترسّخ في العلوم الاجتماعية بتأثير من مدرسة فرانكفورت» (Fowler, 1996, p. 4).

جرد فاولر أهم الخلفيات الفلسفية التي عُدّت دوافعاً لللسانيات النقدية، وأشار إلى

اللسانيات ما بعد البنيوية، نظرا لتأثيراتها الواضحة، بينما استثنى اللسانيات البنيوية، لأنها ترى أن إدخال أيّ عنصر خارج اللغة (المجتمع في هذه الحالة) مضر بالدراسة العلمية لها. بينما لا يمكن الحديث عن اللسانيات النقدية بعيدا عن هذا العنصر وعناصر أخرى لها تأثير كبير. يؤثر المجتمع في اللغة المستعملة، وهذا التأثير مفترض لدى المتلقي، حيث يتوقع أن الخطاب الذي يُنقل في ظروف معينة لا بد أن يكون مشحونا بغايات وأيديولوجيات، لكن ما هو بعيد عن الإدراك العام هو «أن التأثير يعمل في الاتجاه الآخر أيضا، فاللغة تعمل على تأكيد المنظمات التي تشكلها وتقويها» (Fowler & Kress, 1979, p. 190)، فهي جزء من العملية الاجتماعية تطورها وتتطور بها. لأن اللغة تخدم مصالح معينة تتجاوز في الغالب مصالح الأفراد. وهذه العلاقة المتبادلة بين اللغة والمجتمع في رؤية اللسانيات النقدية تستدعي النظر بشكل نقدي في القيود المتبادلة بين هذين العنصرين، وبالدرجة الأولى قيود اللغة على المجتمع، فالنقد في هذا السياق يهدف إلى إزالة الظروف التي تمثل وعيا زائفا أو مشوها، وإلى جعل ما كان خفيا في السابق واضحا وشفافا (Fowler, 1996, p. 4)، ومن هنا تبرز غايتها الإيجابية.

وفقا لما سبق، لا تختلف الخلفية الفلسفية للسانيات النقدية عن خلفيتها اللسانية؛ فقد وجهت اللسانيات النقدية نقدا إلى اللسانيات البنيوية للأسباب التي أشرنا إليها سابقا، كما انتقدت اللسانيات التوليدية، لأنها تفصل بين اللغة والمجتمع، وتؤمن بالمثالية، ففي لسانيات تشومسكي، يعدّ التأثير الاجتماعي ضعيفا، فما يتعلمه الطفل نتيجة نشأته في مجتمع لغويّ معين ليس إلا أشكال تلك اللغة خالية من أيّ محتوى اجتماعيّ (Fowler & Kress, 1979, p. 189)، ويمكن الانتباه بالطبع إلى نوع من التقدّم في منح مكانة للمكوّن الاجتماعي في اللسانيات التوليدية التشومسكية مقارنة باللسانيات البنيوية.

هذا التقدّم يظهر جليا في اللسانيات الاجتماعية التي ترى أن اللغة مرتبطة بالمجتمع، لكنها لا تعلّمها جزءا منه، ومن هنا جاء انتقاد هذا الاتجاه، «تواجهنا مشكلة عند مناقشة اللسانيات الاجتماعية السائدة، وهي تقسيم اللسانيين الاجتماعيين لمفهومي «اللغة» و«المجتمع»، حيث يضطر المرء إلى الحديث عن «الروابط بين الاثنين»، في حين أن اللغة بالنسبة لنا جزء مدمج ضمن العمليّة الاجتماعيّة». (Ibid. p. 189) وهذا ينسجم مع التوجّه السابق الذي يرى بأن اللغة والمجتمع تجمعهما علاقة تبادليّة لا ترابطيّة.

ينتج عمّا سبق أن اللسانيات الاجتماعية العلائقيّة توغل في الوصف الموضوعي والعلمي، لكنها لا تنتقد الظواهر المدروسة، وفي عبارة أخرى، «إنها غير قادرة على

تصوّر الرؤية الرسميّة أو نقدها. إلى درجة أنها لا تستطيع تقديم نقد للنظام الاجتماعيّ الذي تجري فيه التفاعلات اللغوية، إنها معيارية». (Fowler & Kress, 1979, pp. 192-193) حتى إن بعض المصطلحات التي يستعملها هذا الاتجاه تعدّ في أحيان كثيرة خادمة للنظام الاجتماعيّ الذي يجب انتقاده. ومن أجل تجاوز هذا الوضع، فإن أفضل خيار استندت إليه اللسانيات النقدية هو اللسانيات الوظيفية النسقية لمايكل هاليداي (Michael Halliday)؛ لأنها ربطت بين البنية اللغوية والبنية الاجتماعية في إطار التأثير المتبادل بينهما، مما أدى إلى اعتراف اللسانيين النقيدين بأنهم يتبعون هاليداي في مطالبته بإدراج المعاني الاجتماعية وتحققاتها النصية في نطاق الوصف النحويّ (Ibid. p. 187)؛ لأن اللغة ليست بريئة في استخدام المجتمع والأفراد لها، ولعلّ وظيفيّة اللسانيات الوظيفيّة كامنة في هذا الربط بين اللغة ووظيفتها الاجتماعية، وتأطير ذلك بإطار نحويّ نقديّ، مع استثمار نظرية الأفعال الكلامية، وكذا مبدأ التعاون عند غرايس. مع ذلك، يظل التأثير الكبير للسانيات الوظيفية النسقية؛ لأنها «لا توفرّ الدعامة النظرية للسانيات النقدية فحسب، لكنها توفرّ أيضا مناخا فكريًا وسياسيًا داعمًا لهذا العمل» (Fowler, 1996, p. 5). ولعلّ أبرز تجلياته التسامح في التعدد الفكري والمعرفي، وكذا مناقشة الخطابات المختلفة. علاوة على تقديم إطار منهجيّ مناسب لتحليل تلك الخطابات والتوعية بما تخفيه من أيديولوجيات مشقّرة. إن اللسانيات الوظيفية لهاليداي تقدم أكثر مما هو مطلوب، بما أن اللسانيات النقدية تستغني عن بعض المقولات التي قدمها النحو الوظيفيّ النسقيّ في ممارستها العملية وتكتفي ببعضها. كما أن اللسانيات الوظيفية النسقية قدمت أقل مما هو مطلوب، لأن بعض الجوانب في العمل اللسانيّ النقديّ تتم تغطيتها بشكل أفضل بوساطة نماذج نظرية تداوليّة أخرى، مثل نظرية الأفعال الكلامية، وتحليل المحادثة (Ibid. p. 8).

قامت اللسانيات النقدية على ثلاث فرضيات هي: (أ) اللغة تخدم عددا من الوظائف الخاصة، وأن كل الأشكال والعمليات اللغوية تعبر عن أحد أو جميع هذه الوظائف. (ب) اختيارات المتحدثين من بين المجموعة الكلية من الأشكال والعمليات هي اختيارات مبدئية ونسقية وليست عشوائية. (ج) العلاقة بين الشكل والمحتوى ليست اعتباطية، فالشكل يدل على المحتوى (Fowler & Kress, 1979, p. 188). تمتح هذه الفرضيات، ولا سيما الفرضيتين الأوليين، مباشرة من اللسانيات الوظيفية النسقية، وبالنتيجة، فقد أمدّت هذه الأخيرة اللسانيات النقدية برافد منهجيّ مهم في تحليل

الخطابات المختلفة. ففي اللسانيات الوظيفية النسقيّة، يرى هاليداي أن اللغة تخدم ثلاث وظائف، وهي نفسها التي بُنيت عليها العدّة التطبيقية الخاصة باللسانيات النقدية.

## 2.2 الإطار المنهجي لللسانيات النقدية

جعل هاليداي وظائف اللغة تحيط بمكونات العملية التواصلية التفاعليّة ضمن الخطاب، حيث أشار إلى ما يرتبط بالتعبير عن الأحداث والأفكار، وما يتعلّق بالتعبير عن العلاقة التفاعلية بين المتحدث وجمهوره، وما يرتبط بالنص نفسه، واعتبرها ميتا-وظائف (Metafunctions)، تميّزها لها عن الوظائف الطبيعية للغة التي أشارت إليها اتجاهات اللسانيات الوظيفيّة التقليدية كما يسميها. وقد صنف الوظائف العليا على الشكل التالي (Halliday, 2014, pp. 30-31):

- الوظيفة الفكرية (Ideational Metafunction): تتلخص في التعبير عن التجارب البشرية، بما فيها من أحداث وعمليات ومشاركين، وتسخير اللغة وقواعدها النحوية لهذا الغرض. ويندرج ضمنها نحو التعديّة ونحو التحولات ونحو التصنيف.

- الوظيفة البيشخصيّة (Interpersonal Metafunction): تتمثل في التعبير عن العلاقات الشخصية والاجتماعية مع الآخرين، مع الظروف المحيطة بها، في شكل تفاعليّ. ويندرج ضمنها نحو الصيغية، ونحو الضمائر، ونحو الأفعال الكلامية.

- الوظيفة النصيّة (Textual Metafunction): تتعلق ببناء النص وتسخيره للتعبير عن التجارب والعلاقات من طريق تنظيم تدفق الخطاب وتسلسله وانسجامه. ويندرج ضمنها نحو النص.

أخذا بهذه الوظائف الثلاثة، انتقى كلّ من فاوّلر وكريس مقولات جعلت غايات أثناء التحليل، وصاغاً منهجها تحت خمسة عناوين كبرى: الأحداث والحالات والأفعال والكيانات المرتبطة بها تحت عنوان نحو التعديّة (Grammar of Transitivity)، والعلاقات الشخصية بين المتحدث والمستمع، موضوعة تحت عنوان نحو الصيغية (Grammar of Modality) والتلاعب بالموادّ اللغوية تحت عنوان التحولات (Transformations)، والنظام اللغوي، تحت عنوان نحو التصنيف (Grammar of Classification)، وأخيراً انسجام الخطاب وتنظيمه ووحده. (Fowler & Kress, 1979, pp. 198) ويأتي تفصيلها وفق هذا الترتيب:

أولاً؛ نحو التعدية: ليست التعدية انتقالاً نحوياً كما يمكن أن يفهم من النحو العربيّ مثلاً، بمعنى التعدّي إلى المفعول به في مقابل اللزوم، وإنما هي نظام تمثيليّ لتحليل الحدث بطرائق مختلفة، إذ تظهر لنا أننا نقوم باختيارات عديدة في عملية إنتاج الخطاب، حيث يدلّ كل اختيار على توجّه ذي دلالة أيديولوجية. ويُعنى نحو التعدية بمعرفة نوع الأفعال المستعملة في تمثيل الأحداث، ونوع المشاركين سواء أكانوا فاعلين أم متأثرين أم مستفيدين أم غير ذلك. ونوع الظروف الموظفة وعلاقتها بالأحداث الممثّلة (بكار، 2020، ص. 372)، وتعتبر الأفعال مركز التعدية، وهي سبعة أنواع: «السيرورات المادية، والسلوكية والذهنية والشفهية والعلائقية والوجودية والمناخية» (نفسه، ص. 372) بينما تشمل أدوار المشاركين الفاعل الذي يقوم بالفعل، والقوة النشيطة لكنها غير فعّالة، والضحية التي أُرّ فيها، والهدف الذي يشكل نتيجة للفعل، والمستفيد من الفعل. في حين تحيل الظروف على معلومات زمنية أو مكانية أو نوعيّة أو عدديّة لها علاقة بالحدث (نفسه، صص. 372-373)، وبالمحصّلة، فكل هذه العناصر مدارها حول الأفعال.

ثانياً؛ نحو الصيغية: يشمل البناءات اللغوية التي يمكن تسميتها بالتداولية والبشخصية، والمعبرة عن مواقف المتكلمين والكتاب تجاه أنفسهم ومخاطبيهم وموضوعهم، والمعبرة عن علاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية مع مخاطبيهم، والأفعال المنجزة بوساطة اللغة، من أمر واتهام ووعد والتماس (Fowler & Kress, 1979, p. 200) ويتضمن نحو الصيغية مجموعة من آليات التحليل التي ينبغي الانتباه لها، وأهمّها: التواضع **Convention**: من المعروف وجود احتمالات عديدة لمخاطبة الشخص بأيّ جزء من اسمه، أو إلحاق صفة معيّنة بهذا الاسم تدل على مكاتبة الاجتماعية أو المهنيّة أو العلميّة أو غير ذلك. تشير هذه الخيارات المختلفة إلى كمّ متنوع من التقييمات التي يضيفها المتحدث أو الكاتب على علاقته بالمتحدّث إليه، كما يشير إلى الطابع الذي يصبغ به تلك العلاقة، أي هل هي حميميّة أو رسميّة أو يطبعها نوع من الألفة. ومن الملاحظ أن كلّ فئة تخاطب بطريقة معيّنة من التسمية تدلّ على تصنيف اجتماعيّ ضمنيّ قد لا يُتنبه إليه، وقد تحكّمه أغراض محدّدة (Ibid, pp. 200-201). ويردّ هذا في أنواع كثيرة من الخطابات، بما فيها الخطاب السياسيّ؛ لأنه يكون موجّهاً. إن «من شاء أن يدون قصة البلاغة تحت ظلال السياسة أو يتصفح دفاتر السياسة على ضفاف البلاغة، لم يكن له غنى عن التأمل ملياً في آليات إنتاج الألقاب وأدوات صنع الكني»، (المسدي، 2007، ص. 199) ولهذه الدرجة يتعرّض المخاطب للاستغلال

اللغوي من خلال التفاني في استخدام التسمية، ليس لأنها نظرة خاصة إلى المسمى، لكن لأنها نظرة براغماتية خاصة جدا تجاه الغرض، بشكل موسوم بقدر كبير من الأنانية والاستغلال.

ثالثاً؛ نحو الضمائر **Pronouns**: أولى فاولر وكريس اهتماما بالغا بالضمائر الشخصية التالية (أنا، نحن، أنت، أنتم). فالضمير (أنا) يعبر عن التفرّد والأصالة، ويستخدم للتركيز على الذات (Fowler & Kress, 1979, p. 201)، بينما يفرض ضمير (نحن) تعقيدا مضاعفا، حيث يمكن الحديث عن (نحن) الحصريّة، وهي التي تحيل على المتحدث أو الكاتب وشخص أو أشخاص آخرين لا ينتمون إلى مخاطبيه. و(نحن) المؤسّسيّة حيث تحيل على مؤسسة أو منظمة معينة، بهدف شخصيتها، وإضفاء الغموض عليها في الوقت نفسه. إضافة إلى نحن الإدماجية والإقصائية، فالأولى تدل على التضامن والحميمية، بإدماج أفراد غير معروفين ضمن نطاق المتحدث. والثانية تتضمن إقصاء نابعا من ممارسة سلطة على فئة أدنى. غير أن ضمير (أنت/أنتم) مكمل في المعنى لضميري (أنا، نحن)؛ إذ ينطوي على رغبة المتحدث في التلاعب به وتعميمه على الجميع، وغالبا ما يرد مقترنا بأفعال كلامية، خاصة في الإعلانات (Ibid, pp. 201-204).

رابعاً؛ نحو الأفعال الكلامية **Speech Acts**: تؤدّي اللغة أفعالا إلى جانب التعبير عن المحتوى، وليس الخطر في هذه الوظيفة التي تؤدّيها اللغة، بقدر ما هو موجود في التلاعب بتلك الأفعال الكلامية، حيث يمكن أن يرد الأمر في صيغة توجيهيّة أو استفهاميّة مثلا، وذلك محكوم بعلاقات السلطة بين المتحدث والجمهور، فكلما كان فارق السلطة شاسعا ظهرت أشكال الكلام بطريقة مباشرة، وكلما كان فارق السلطة بين المتحدث والجمهور ضئيلا أو كان الخطاب ذا أغراض مبطنّة، فإن الأوامر لا تظهر في شكلها الأصلي المعروف، وهذا نوع من الاحتيال الخطابي الذي يشكّل خطورة في نظر اللسانيين النقديين، فوجب عليهم التنبيه إليها (Ibid, pp. 204-205)، لما لها من نتائج تخريبية في الخطاب وفي انعكاساته الواقعية.

خامساً؛ التحويلات: هي تلاعبات تركيبية تتضمن عنصرين مهمين هما التأسيم والبناء لغير الفاعل، «وكلا هذين التركيبين يعملان على إخفاء الفاعل، ومن ثم على جعل المسؤول عن فعل سلبي ما غامضا، أو إسناد أفعال معينة إلى فاعلين مجردين أو غير أحياء»، (بكار، 2020، ص. 381)، فالبناء لغير الفاعل عملية تركيبية لا يُعرف فيها من قام بالفعل. أما التأسيم فهو، على عكس الأول، إسناد الفعل لفاعل معيّن، لكنّه غامض

ومجرد ومشيئاً، وربما غير حيّ، ولا يمتلك قدرة الفعل الحقيقيّة، ولا يمكن محاسبته على فعله، وقد يأتي في صيغة مصدرية. وهذا كلّ نوع من التنصّل من المسؤوليّة، لهذا نجد استعمالات متكررة له في الخطابات السياسيّة، لإبعاد الفاعل السياسيّ عن المسألة بسبب الأفعال السلبية التي قام بها، لكنه يتفادى إسنادها لنفسه.

سادساً؛ نحو التصنيف: هذا النحو يمثل تنظيمًا لغويًا للعالم بوساطة المصطلحات المعجميّة، وينمّ عن سبق اختيار من المتحدث أو الكاتب بين مجموعة من الاحتمالات، بطريقة يشوبها تصرف في المصطلحات، وقد أدرج ضمنه فولر وكريس عنصرين رئيسيين هما:

- إعادة المعجّمة (Relexicalization): ترتبط «إعادة تسمية شيء معين له اسم سابق باسم جديد (...) ووظيفة إعادة المعجّمة هي تعزيز منظور جديد للمتكلّمين حول قضية ما»، (بكار، 2020، ص. 382)، وتضطلع هذه العملية بوظيفة مهمة في التحكم في درجة تفاعل المتلقي مع القضية القديمة، بجعلها في رداء معجميّ جديد، بحيث تكون مقبولة إذا هدفت إلى التلطيف، وتكون القضية مرفوضة إذا هدفت إلى التهويل، وفي كلتا الحالتين يوجد في الأمر إخفاء.
- المبالغة في المعجّمة (Overlexicalization): هي استخدام مفرط لمجموعة واسعة من المترادفات أو المتضادات أو شبه المترادفات، للتعبير عن قضية معيّنة، «تكمّن أهمية المبالغة في المعجّمة في اللسانيات النقدية في أنها تشير إلى مجالات الاهتمام الشديد في تجربة المجموعة، والقيم التي تتجها، مما يسمح للسانيّ بتحديد الخصائص المميزة في أيديولوجيا تلك المجموعة» (Fowler & Kress, 1979, pp. 211-212)، فالمتحدث الذي يهتم بقضية ما، يعبر عنها بإفراط معجميّ، حيث ترد في خطابه بشكل متكرر، وفي شكل صيغ متعددة.

سابعاً؛ نحو النص: يدرس هذا المجال انسجام الخطاب واتساقه وتنظيمه ووحدته، ويحيل فولر وكريس في هذا الصدد على العمل الذي أنجزه هاليداي ورقية حسن، في كتابهما الاتساق في اللغة الإنجليزيّة (*Cohesion in English*). والهدف من هذه المرحلة هو اكتشاف كيفية الربط بين كل العناصر المذكورة، فالمنتظر من المحلّل اللسانيّ النظر في طريقة الترابط بين التعديّة والصيغية، وبين أنواع التصنيفات والصيغية، وبين التحويلات والتعديّة، وغيرها (Fowler & Kress, 1979, p. 213). يحيل هذا الأمر



في نهاية المطاف على بنية الخطاب العامة، وهي بدورها تبرزُ أيديولوجيا المتحدث أو الكاتب؛ لأن البناء يكون مقصودا.

### 3. المقاربة اللسانية النقدية لخطاب نتنياهو

يقتضي ما تقدّم الانتقال إلى التطبيق العملي على الخطاب السياسي المُحدد سلفاً؛ إذ تُعدّ السياسة من أبرز المجالات التي تتلاعب باللغة، وفيما يلي تحليل لخطاب نتنياهو الذي ألقاه بتاريخ 13 يونيو 2025، وللتذكير، فهو موجّه للشعب الإيراني، وجاء عقب الهجوم الإسرائيلي على إيران. واستغرق الخطاب المتلفز حوالي دقيقتين وست ثوان، وقد وُصف من قبل الإعلام بأنه خطاب تحريضيّ، فإذا كان ذلك صحيحاً، فما الآليات والاستراتيجيات التي جعلته كذلك؟

هذا ما ستكشفه الفقرات الموالية، عن طريق استثمار اللسانيات النقدية.

#### 3.1 نحو التعديّة

يدرس هذا النحو الأفعال وما يرتبط بها من مشاركين وظروف، ويمكن جمع هذه العناصر وتفصيلها في هذا الجدول:

الجدول 1: الأفعال المرتبطة بإسرائيل في الخطاب [من إعداد الباحث]

النص	السيرورات	نوعها	الفاعل	المشاركون	أدوارهم	الظروف	نوعها
أودّ التحدث إليكم	أودّ	ذهنيّ	ضربنا	الشعب الإيرانيّ	المحسّ	اللّيلة	معلومة زمنيّة
ونحن نحقق هدفنا	نحقق	وجوديّ		إسرائيل	الموجود	زمن مستمرّ	معلومة زمنيّة
نمهدّ لكم الطريق	نمهدّ	ماديّ		الشعب الإيرانيّ	مستفيد	زمن مستمرّ	معلومة زمنيّة
ضربنا كبار القادة العسكريّين والعلماء النوويين	ضربنا	ماديّ		النظام الإيرانيّ	متأثر	خلال 24 ساعة الماضية	معلومة زمنيّة
شعب إيران الذي نحترمه	نحترم	ذهنيّ		الشعب الإيرانيّ	محسّ	يوم أمس	معلومة زمنيّة

الجدول 2: الأفعال المرتبطة بإيران في الخطاب [من إعداد الباحث]

النص	السيرورات	نوعها	الفاعل	المشاركون	أدوارهم	الظروف	نوعها
النظام الإسلامي الذي اضطهكم	اضطهد	مادي	الضحية	النظام الإيراني	الفاعل	لمدة 50 عاما	معلومة زمنية
يهدد بتدمير بلادي	يهدد	لفظي		النظام الإيراني	القائل	بلادي	معلومة مكانية
التهديد الذي يشكله النظام الإسلامي على إسرائيل	يشكل	مادي		النظام الإسلامي	الفاعل	_____	_____
النظام لا يعرف ما أصابه أو ما الذي سيصيبه	لا يعرف	ذهني		النظام	المحس	الحاضر والمستقبل	معلومة زمنية
النظام الدموي والقاتل الذي يضطهكم ويفقركم	يضطهد يفقر	مادي مادي		النظام الدموي	الفاعل الفاعل	زمن مستمر	معلومة زمنية

أول ملاحظة يمكن تسجيلها هي التقارب بين عدد الأفعال المسندة لإسرائيل (5)، والأخرى المسندة لإيران (6)، مع غياب الأفعال المسندة للشعب الإيراني الذي يعدّ مخاطباً. ماعدا بعض الأفعال المأمولة منه فحسب، إذ يتبين منها أنها لم تتحقق بعد، لكن إسرائيل ترجو أن تتحقق بمناسبة هذه الظرفية. وهذا التقارب مقصود لتبيان التشابه في الإمعان في الفعل، لكن مع اختلافات كثيرة في نوع الأفعال.

من جهة أخرى، يُلاحظ أن نتيها هو استخدام فعلين ذهنيين إيجابيين، الأول يدل على الرغبة المقترنة بالمحبة (أود)، وشتان بينه من حيث تحقيق الألفة لدى الجمهور، لدلالته على المودة، وبين فعل (أريد) الذي يعبر عن المعنى ذاته، لكن مع غياب الجانب العاطفي فيه، لذلك فلا غرابة في تفاديه من قبل المتحدث. والثاني فعل عاطفي يتعلق بالمكانة التي يضع فيها المتحدث جمهوره، ويدل عليها فعل (نحترم)، بيد أن الاختلاف يكمن في الفاعل المسند إليه الفعل، فالأول مسند للمتحدث، والثاني مسند للمتحدث ومعه شعب إسرائيل. وتستهدف هذه الأفعال الذهنية خلق راحة لدى المتلقي المستهدف بالخطاب، لدفعه إلى الإقبال على تتبع فحوى الخطاب، حيث تقوم هذه الأفعال بفرز

الشعب الإيراني عن النظام. وإشعاره بنوع من الطمأنينة جرّاء انشغال إسرائيل بقيادة وشعبها بهمومه التي يكرّسها النظام الإيراني، والغرض من هذا هو توحيد العدو.

إضافة إلى ما سبق، وظف ننتياهو فعلا وجوديًا دالا على الوقوع (نحَقّق)، ويستهدف به الشعب الإسرائيلي، ويدلّ على أن إسرائيل أضحّت في مرحلة جعلت فيها ما كان مجرد رغبة حقيقة، وبما أن الأمر كذلك، فالشعب الإيراني أيضا يمكنه تحقيق رغباته وأحلامه، وإثبات وجوده الذي لا يتمتع به في ظل النظام الذي يحكمه. ويبدو أن ننتياهو يوازي بين دلالة هذا الفعل والمسألة الإيرانية التي طالما اعتبرتها إسرائيل مسألة وجودية بالنسبة لها، سواء أكان ذلك صحيحا أم كان مجرد مبرر لاتخاذ إجراءات ضدّ إيران، فإن إسرائيل تظل تصرّح بأن إيران هي أكبر تهديد لوجود إسرائيل بالشرق الأوسط.

أما الفعلان الآخرا فهُما ماديان، فالفعل (نمهدّ) يستهدف الشعب الإيراني، وهو تحويليّ دالّ على تشكيل شيء، ويتسم بالحركيّة والاستمراريّة بغرض المساعدة وإزالة العقبات، وتعبيد الطريق لتسهيل الحركة أمام الشعب الإيراني تجاه هدف رسمته إسرائيل، بحيث لا يبقى على عاتقه سوى القيام بالخطوة الأخيرة، وهي التي لا تستطيع إسرائيل القيام بها، ثم إن هذا الفعل يخلق مساحة من الشراكة بين إسرائيل والشعب الإيراني، حيث يوحدّهما الهدف بعد أن قاما بتوحيد العدو. والفعل الماديّ الثاني (ضربنا) يستهدف النظام، وهو تحويليّ دالّ على التماس، والحقيقة أن أقرب مسافة جمعت بين الدولتين في صراعهما هي المسافة التي شكلتها العملية العسكريّة الأخيرة، والقصف المتبادل بين الطرفين، في ما يعدّ تماسا مباشرا غير متوقع من لدن أكبر المتشائمين بصدد هذا النزاع، بعد أن كان الصراع بينهما يتمّ بالوكالة، أو في دولة ثالثة، فكان الضرب بشكل مباشر وسيلة لتحقيق غرض إسرائيل، أي إزالة التهديد الذي تمثله إيران، والغاية تبرّر الوسيلة (الضرب)، كما أن فعل الضرب يحمل دلالة تأديبيّة أكثر منها عسكريّة، لأن ما حدث بالفعل هو القصف بالمصطلحات العسكريّة.

يمكن بناء رابط بين الأفعال المسندة إلى إسرائيل، أي بين الفعلين الماديّين والفعل الوجوديّ، فإسرائيل ضربت إيران بشكل مباشر دون وسيط، لتحقيق هدف وجوديّ طالما روّج له ننتياهو في خطابه الإعلامية وفي المحافل الدوليّة، وهو إزالة التهديد الصاروخيّ والنوويّ لها، وتمهيد الطريق أمام الشعب الإيراني لتحقيق هدفه بتغيير النظام من الداخل. وهذا الحُبك الذي نسجه ننتياهو بين هذه الأفعال ينزع عنها صفة السليبيّة الظاهرة، لأن تنظيمها يجعلها مسوّغة له بمعية سعيه إلى تسويغها للآخر.

وفي ما يخصّ الأفعال المرتبطة بإيران، نجد فعلا ذهنيًا معرفيًا منفياً، دالا على الجهل والتخبُّط، نتيجة المفاجأة التي تلقاها النظام حينما ظن أنه لن يعيش هذا الموقف، وهو دالٌّ كذلك على لحظة من الضعف التي يعيشها النظام، وهي من اللحظات النادرة أو التي لا يمكن أن تتكرر ما لم تُستغلَّ. هذا الفعل (لا يعرف) هو فعل تحريضي في حد ذاته، لأنه يشجع الجمهور على التصرف واستغلال تخبُّط النظام، قبل أن يعيد رصَّ صفوفه من جديد، فيصير حلم الشعب بالتححرر من النظام (القمعيّ والدمويّ والشريير والقاتل) أمرا مستحيلا. وقد أكّدت الأحداث البعديّة ذلك، إذ سرعان ما استجمع النظام قوته من جديد ليقف نداء للمهاجم، سواء أكان ذلك ذا تأثير كبير أم لم يكن.

الأفعال الخمسة المتبقية هي أفعال سلبية، تعمّد نتياها إظهار سلبيتها نظرا للطرف الذي ترتبط به، فمع أن الفعل الماديّ (يشكّل) ليس سلبيا في حد ذاته، إلا أن ربطه بـ (التهديد) أضفى عليه صفة السلبية. لكنّ السلبية تظهر جلية في أفعال (اضطهد، يضطهد، يفقر، يهدّد)، فالفعل الأول والثاني والثالث أفعال مادية تحويلية استُخدمت مقصودا بها تصوير الشعب الإيراني باعتباره ضحية، وذلك في زمن الماضي وزمن الحاضر المستمر، أي أن تأثير النظام على شعبه كان قديما، وما زال مستمرا، ويشمل الحقوق المجردة والجانب المعيشي كذلك، وبعد ذلك محفّزا إضافيا على تحرك الشعب الإيراني ضد النظام في هذه الظرفية المواتية التي صوّرها نتياها. أما فعل (يهدّد) فهو فعل لفظي طلبّي استهدف إسرائيل بوصفها موضوعا لمقول نتياها، أي تهديد وجود إسرائيل من قبل النظام الإيراني، وهذا الوضع هو ما جعل إسرائيل تتحرك، ومن ثم يمكن للشعب الإيراني أيضا أن يتحرك، ما دام وجوده مهّددا هو الآخر. كما أنه إذا كان فعل التهديد -الذي يعدّ لفظيا- مسوّغا لرد الفعل الإسرائيليّ، ففعل الاضطهاد -الذي يعدّ ماديا- أشد استدعاء لردة الفعل من الشعب الإيراني، لأن وقعه أكبر من وقع الأول. ومن ثم فهناك مقابلة ضمنيّة بين هذه الأفعال.

### 3.2 نحو التحويلات

في خصوص إخفاء الحقائق، لم يعتمد نتياها في خطابه إلى ذلك، لأن غرضه مختلف تماما، وهو إظهار حقيقة النظام الإيراني، فكان يظهر الفاعل إلى جانب الفعل، خاصة أن الأفعال المسندة إلى النظام كانت كلّها سلبية. أما ما تعلّق بنتياها وبإسرائيل، فإنه تعمّد أيضا إظهار الفاعل ما دام الغرض هو مساندة الشعب الإيراني، ومحاربة الشر الذي يمثله النظام الإيراني. فقد صرّح بالفعل وفاعله لأنه يعطي الحق

للفاعل في تصرّفاته، ويقدم له المشروعية في ما يفعل، وخير مثال على ذلك قوله: ضربنا كبار القادة العسكريين وعلماء نوويين كبارا... مع ذلك، يمكن ملاحظة محاولة للتنصل من المسؤولية في بداية الخطاب، فحينما تحدث نتياهو قائلا: «نحن في خضمّ إحدى أعظم العمليات العسكرية في التاريخ»، حاول تصوير الأمر كأنه فرض على إسرائيل ولم تختره، بل وجدت نفسها فجأة وسط تلك العملية. ثم إن الهدف من العملية هو «تحييد التهديد النووي والصاروخي»، وهذا نموذج من التأسيم الذي مُهد له بما سبق، حيث لم يُشر إلى الفاعل، لأن الإشارة إليه في بداية الخطاب ستكون غير مبرّرة. وبهذا لم يُذكر الفاعلون تصرّحا إلا بعد تلك البداية في الخطاب، أي بعد إحداث نتياهو سياقاً تسويغياً لكل الأفعال التي سيشير إليها في ما بعد، في ما يشبه التمهيد الذي يستجلب قبول الجمهور. ويمكن رسم ذلك وفق هذا الشكل:

الشكل 1: خطاطة موضحة لطريقة إخفاء الفاعلين في الخطاب [من إعداد الباحث]



شكّلت مقدّمة الخطاب تسويغاً للأفعال التي تلتها، لهذا غاب فيها ذكر الفاعلين. وهو ما لم يعد نتياهو بحاجة إليه في بقية النص، حيث أظهر الفاعلين بنوع من التصميم والتعمّد الواضحين، كما أن المسوّغات تجمع بين إسرائيل وإيران على شكل ضحيتين لفاعل مشترك.

### 3.3 نحو التصنيف

في ما يخصّ التلاعب بالمصطلحات، فقد سُجّلت في خطاب نتياهو حالات من إعادة المعجمة، وكذا المبالغة في المعجمة، من ضمن اختياراته اللغوية. أولاً؛ إعادة المعجمة: أبرز مثال لإعادة المعجمة في الخطاب هو تسمية العملية العسكرية بـ«الأسد الصاعد» (Rising Lion)، وتهدف هذه التسمية إلى جعل العملية العسكرية مقبولة في الداخل الإسرائيلي في الخصوص، فمن خلال تسميتها بهذا الشكل، فإنها ستزيد من شجاعة الجنود الذين انخرطوا فيها، كما ستكون لها حمولة دينية، «شعب كالأسد يقوم، وكالليث يرتفع، لا ينام حتى يأكل الفريسة ويشرب دم القتلى»، (سفر العدد، الإصحاح 23-24)، أما بالنسبة لقبية الجمهور، فإن التسمية قد لا يكون لها أي معنى ديني في نظره، لكنها تخفي الحقيقة الأساسية، وهي العملية أو الاعتداء أو الهجوم العسكري أو الغارة، بما يحمله ذلك من تناول على دولة ذات سيادة. ومن المظاهر الأخرى لإعادة المعجمة تسمية النظام الإيراني بالنظام الإسلامي، وله الوظيفة نفسها التي أدتها التسمية السابقة، ففي مرحلة أولى تمثل التسمية مقابلاً للنظام اليهودي، كما تُحدِث لدى الجمهور العام في الداخل وفي الغرب مسوغاً من طريق التهويل من خطورة الإسلام السياسي والمتشدد الذي لا يقبل التعايش مع الآخر (إسرائيل). ويتضح من هذا أن الخطاب يستهدف بشكل ضمني جهات أخرى غير الجهة المباشرة.

يفسّر ذلك عدم استخدام نتياهو لتعبير (النظام الإيراني)، وهو التعبير المناسب في الأعراف الدولية حين الحديث عن قيادة دولة معينة، واستخدم كلمة (النظام) مرة واحدة فحسب، دون أن تقترب بأيّ وصف بعدها: «النظام لا يعرف ما الذي أصابه». غير ذلك فالكلمة تأتي مقترنة بأوصاف سلبية كثيرة، وهو ما يقودنا إلى المظهر الثاني من مظاهر التصنيف.

ثانياً؛ المبالغة في المعجمة: من الملاحظ استخدام نتياهو مصطلح «النظام الإسلامي» في خطابه ثلاث مرات، ثم استخدام عبارات: «النظام الشرير»، و«النظام القمعي»، و«النظام الدموي»، و«النظام القاتل». ويظهر هذا نقطة التركيز الكبيرة عند نتياهو، وهي النظام الذي يجب تحييده في نظره، لأنه بكل صفاته يشكل تهديداً للبشرية لا لإسرائيل وحدها أو للشعب الإيراني وحده. لكنّ التركيز عليه هو استجلاء لأيديولوجيا نتياهو الذي يؤمن بأن النظام في إيران نظام غير صالح ولا يستحق الوجود لأنه يهدّد

وجود إسرائيل في نظره، ويسعى في خطابه إلى إقناع الشعب الإيراني بالموقف نفسه. لم يكن هذا السعي محض صدفة، فالمتحدث يعي أن الفرصة مواتية لتأليب الداخل الإيراني على النظام، لسببين: الأول أنه يعرف جيدا بوجود بعض الفئات التي تعارض النظام بشدة، ومن ثم قد تستفيد من هذه الفرصة، كما صوّرها المتحدث في الأفعال التي جعلها فيها مستفيدة حينما تحدث عن أفعال إسرائيل، وضحية حينما تحدث عن أفعال النظام. والسبب الثاني جاء في الخطاب بشكل صريح: «إنه لم يكن أضعف من هذا اليوم»، أي النظام في إيران.

من جهة أخرى، فإن توظيف المتحدث للصفات السيئة في تصويره للنظام، يهدف إلى تأطيرها تأطيرا سلبيا، ذلك أن التأطير السلبي في المجال السياسي له أهمية بالغة عند المتحدث، فهو محفّز على الفعل. ويجعل الموصوف فاقدا للشرعية السياسية، والأخلاقية؛ لكونه «دمويًا، وقاتلا، وشريرا، وقمعيًا». ومن ثم فإنها «تنزع الشرعية عن أفعال الخصم ومواقفه في الصراع، وتشيطنها» (Torwel, 2015, p. 263). فما من رأي سيمدح إيران داخل إسرائيل، وهذا معروف، ومن ثم فإن المستهدف في هذه الحالة هو الداخل الإيراني الذي يُعوّل عليه من أجل التغيير، في إطار ما يشبه الربيع العربي. حيث إن الأطر الأخلاقية حينما تشتغل باعتبارها مبررا أخلاقيا للحرب، فذلك لكونها تشكل جاذبية عاطفية قوية، (Ibid, p. 268) ونفضي إلى التوافق حول القضية.

#### 3.4 نحو الصيغية

في ما يخص العلاقة بين نتيهاهو ومخاطبيه، فقد دبرها بطريقة فعّالة، عن طريق التلاعب باللغة لخدمة السياسة، أملا أن تحقق الغرض المرجو منها، لأن الأمر يستحق المحاولة. ومن الملاحظ فيها أن طريقة مخاطبة نتيهاهو للشعب الإيراني غريبة نوعا ما، بالنظر إلى تاريخ التصريحات والصراع بين النظامين، وامتداد ذلك إلى الشعبين من خلال التعبئة المتواصلة. وتظهر الغرابة في قمة التواضع التي يخاطب بها نتيهاهو الشعب الإيراني، مستخدما صفات حسنة، ثم يتوقف عند ذكرها لحظة صمت لإثباتها ولفت الانتباه إليها. يظهر ذلك في استخدامه للعبارات التالية: «أيها الشعب الإيراني الفخور»، و«الأمة الإيرانية الصديقة للأمة الإسرائيلية»، و«المرأة، الحياة، الحرية»، و«شعب إيران الشجاع».

يهدف المتحدث من استخدام هذه الصيغ إلى تفخيم الآخر، لهذا اختار صفات تذكّر المتلقي بمكانته الحقيقية التي كان معروفا بها، فهذا الشعب فخور وشجاع، وهذه الصفات لا تسمح له بأن يتنازل عن مكانته أمام النظام الإيراني. هذا نوع من التأطير

الأخلاقيّ الإيجابيّ لآخر، وهو نقيض التأطير الأخلاقيّ السلبيّ الذي تعرض له النظام الإيرانيّ في الخطاب. فالتأطير الإيجابيّ قد يكون بسبب النتيجة المرجوة، وقد يكون مجسّداً بالصفات الأخلاقية الجيدة التي تُضفى على الآخر، وفي الحالتين معاً فالمسألة تتعلق بغاية ذاتية، وليس بحكم موضوعيّ على المتلقي.

الطريقة الثانية التي اعتمدها نتيها هو في خطابه هي التماهي مع المتلقي، إنك تقنع المرء حينما تستطيع التحدث بلغته من خلال الكلام والإيماءات والنبرة والصورة والموقف والفكرة، ومن خلال مطابقة طرقك مع طرقه (Burke, 1969, p. 55)، أو بالتظاهر بعيش ألمه وتقاسمه معه. يشبه الأمر طريقة عمل الممثل المسرحيّ حينما يتممّص دور الشخصية لدرجة يصعب معها فصله عنها، وهنا يحدث أكبر تأثير لدى الجمهور يصل إلى حد التصديق. ومثال ذلك من الخطاب (المرأة، الحياة، الحرية)، فقط نطقها بالفارسيّة (Zan, Zendegi, Azadi) ثم ترجمها إلى الإنجليزيّة (Woman, Life, Freedom)، ليفهمها الجميع.

تعود جذور الشعار إلى الحركة النسويّة الكردية في الشرق الأوسط، قبل أن ينتقل إلى السياق الإيراني بعد وفاة (مهسا أميني Mahsa Amini). على يد شرطة الأخلاق الإيرانية سنة 2022 -بحسب التقارير الإعلاميّة- حيث برز الشعار من جديد في الاحتجاجات المناهضة للعنف الذي أدى إلى وفاة تلك الفتاة (Afary & Anderson, 2023, pp. 82-98). أضف إلى ذلك أن هذه الاستراتيجية الخطابية طريقة تقرب من الآخر، بناء على التمثيل بالعلاقة التي تجمع إسرائيل بالأكراد. وأكثر من ذلك، رسالة للنظام تدل على أن إسرائيل أقرب مما يتصوّر، ولعلّ الأحداث التي أنتجت الخطاب تثبت ذلك.

يعدّ استخدام نتيها هو لهذا الشعار مصادرة سياسيّة هدفها تقاسم المعاناة والظلم مع الشعب الإيراني، وتصويره شعبا يريزح تحت وطأة الاضطهاد، وكأنه يقول لهم: «أنا معكم وأشعر بما تشعرون لأنني ضحية مثلكم، فتصرّفوا كما تصرّفنا نحن لتغيير الوضع». وتلك طريقة للنزول من موقع السلطة إلى مرتبة الجمهور، أو على الأقل إيهام الجمهور بذلك. ومن أنجح طرائق التعزيز ذكره للملك الفارسيّ (كورش العظيم أو سايرس العظيم)، فتلك وسيلة أخرى للتماهي مع الشعب، من خلال مشاركته تاريخه. وهو في الحقيقة تاريخ مشترك بالقوّة، ومكسوّ بصبغة دينيّة، حيث اكتسب كورش العظيم شهرة كبيرة في التاريخ اليهوديّ، نظراً لدوره في تحرير اليهود من الأسر البابليّ والسماح لهم بالعودة إلى أورشليم وإعادة بناء الهيكل. فقد جاء في العهد القديم: «في السنة الأولى لكورش ملك

الفرس شاء الربّ أن يتم ما تكلم به على لسان إرميا، فأيقظ ضمير كورش فأطلق في مملكته كلّها نداء مكتوبا جاء فيه: «هذا ما يقول كورش ملك الفرس: ... وكلّ من بقي من شعبه في السبي وكان بحاجة إلى معونة للعودة إلى أورشليم، فليمدّه أهل المكان الذي يقيم فيه بالفضة والذهب والمال والبهائم» (سفر عزرا، الإصحاح 1). يوثق هذا النصّ العلاقة القديمة بين اليهود والفرس، لذلك استقدم نتياهو القصة دون تفاصيلها، مفترضا أن الشعب الإيراني على دراية بتاريخه.

تلك إذن طريقة أخرى لاستمالة الجمهور، وهي بعث الأصول التاريخية للصدقة بين الشعبين: «الأمة الإيرانية الصديقة للأمة الإسرائيلية». لا يهمننا هنا السرد التاريخي الموجز الذي اتبعه المتحدث فحسب، بل يهمننا كذلك استخدام لقب «الأمة» بدلا من «الشعب»، لأن المصطلح المستخدم له تأثير قوميّ ودينيّ في الآن نفسه، ثم إن الصدقة القديمة بين الأمتين من شأنها كسر الجمود في العلاقة بينهما، وبعثها من جديد، مع نسيان الأحقاد التي تراكمت بسبب الصراع الطويل بين النظامين. إنه فصل بين النظام والرعيّة مجددا، ومن ثم إقصاء وإدماج.

### 3.5 الضمائر

من أبرز نقاط التلاعب بالعلاقة البيشخصية في الخطاب، التلاعب بالضمائر، وقد استخدم نتياهو ضمير المتكلم المفرد (أنا) وما ينوب عنه، للتفرّد بالأفعال المحورية في الخطاب (أودّ، بلادي، أنا معكم)، فمخاطبة الشعب الإيراني هي رغبة خاصة من نتياهو، واختيار حرّ لم يفرضه عليه أحد، وبما أن الأمر كذلك، فإن ما سيقوله يستحق متابعة الجمهور الذي وجّه له، لأنه اتخذ خطوة جريئة بالتحدث إلى شعب بينه وبينهم بون شاسع في كل المجالات، مع ما يكتنف ذلك من أخطار قد يجرها عليه الخطاب داخليًا. فقد خاطر، إذا، حبا في الجمهور الذي يخاطبه، وعلى هذا الأخير أن يقدر ذلك. وفي مقابل ذلك، نسب البلاد لنفسه ليثبت خدمته إياها، وأنه في مهمته التاريخية للحفاظ عليها، فهو حاميا والمسؤول عنها، ومن حقه القيام بما يلزم للدفاع عنها بشكل شخصيّ ضد التهديد الإيراني. وفي خضم ذلك فهو شخصيًا يتضامن مع الشعب الإيراني، لأنه، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، يشعر بمعاناته؛ جرّاء أفعال النظام، وبالنتيجة فهو يريد له الخير، وسيسانده لتحقيق ذلك.

استخدم المتحدث ضمير (نحن) للإحالة على نفسه مع إسرائيل، في كل الأفعال الأخرى التي حدثت، منها ضرب إيران، والقيام بعملية عسكريّة، واحترام الشعب الإيراني

والوقوف معه. فمن جهة يسمح الضمير بإيهام المتلقي بشساعة القاعدة التي تدعّمه، إذ تمثل كل الشعب الإسرائيليّ مع قيادته، وليس نتّياهو وحده. ومن جهة أخرى استُخدم الضمير لإضفاء الغموض على الفاعل الحقيقيّ في بقيّة الأفعال. فقد أشرنا إلى أن الفاعلين قد ذكروا بعد مقدمة الخطاب، لكن ذلك لا يعني أنهم واضحون، حيث يمزج الضمير بين القيادة السياسية والعسكرية والشعب.

خُصّ الشعب الإيرانيّ بضمير (أنتم)، نظرا لكونه مخاطبا، أي: أن له مكانة داخل الخطاب وهو فاعل فيه، وفي الوقت نفسه لتمييزه عن المتحدث ومن يمثلهم، وبالموازاة مع ذلك كان الغرض هو جمع كلّ أطراف الشعب الإيرانيّ تحت ضمير واحد دون تمييز بينهم، وهذا يُشعر الجمهور بأهميته في الخطاب، لأنه يلغي المسافات الافتراضية بينه وبين المتحدث. إلا أن هذا الضمير يعزل الشعب الإيرانيّ عن إسرائيل، فالوضع الذي يوجد فيه لا يسمح إلا بعلاقة التعاطف والمساندة، لا بعلاقة التقرب القسوي.

أما النظام الإيرانيّ فقد ميّزه المتحدث بضمير الغائب (هو)، وفي ذلك تعييب له في الخطاب، وتقليل من أهميته، وعزله بتمييزه عن عناصر الخطاب الأساسية: المتحدث والجمهور. فالغرض الحقيقيّ من الخطاب هو إلغاء النظام من الاعتبار، وإلغاء تأثيره في الشعب. ويمكن توضيح توظيف الضمائر في هذا الجدول:

### الجدول 3: تصنيف الضمائر بحسب المشاركين في الخطاب [من إعداد الباحث]

الضمير	أنا	نحن	أنتم	هو
المرجع	نتّياهو	نتّياهو وإسرائيل	الشعب الإيرانيّ	النظام الإيرانيّ
الوظيفة	التفرد والذاتية	الإخفاء والإدماج	التضمين والفرز	التمييز والإلغاء

هكذا تظهر الوظيفة التمييزية والإقصائية للضمير، فضمير (نحن) أقصى كل ما له علاقة بإيران، وضمير (أنتم) أقصى النظام الإيرانيّ، وضمير (هو) عزل النظام الإيرانيّ وقلّل من قدره.

### 3.6 أفعال الكلام

صنف جون سيرل (John Searle) أفعال الكلام إلى خمسة أقسام، بحسب الغرض الضمنيّ من الكلام؛ لأن المتحدث حينما يقول شيئا، فإنه في الحقيقة يفعل شيئا. وبناء على هذا التصنيف، يمكن ضبط علاقة الكلمات بالعالم من خلال الكلام

انطلاقاً من خمسة أوجه، وهي أقسام أفعال الكلام التي أشار إليها سيرل، أي: الأفعال التقريرية، والأفعال التوجيهية، والأفعال الالتزامية، والأفعال التعبيرية، والأفعال الإعلانية أو التصريحية (John Searle, 1979, pp. 12-16).

ليست العبرة باستعمال أفعال الكلام في الخطاب، لأن الكلام بصفة عامة أفعال. لكن العبرة بتعمد هذا التوظيف وطريقته، وهو ما نستخلصه من خطاب ننتياهو، فلئن لم يستخدم كل الأصناف، إلا أنه نظم الجزء الذي وظفه تنظيماً فاعلاً، حيث يمكن رصد ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية في خطابه، وهي الأفعال التقريرية (أربع مرات)، والتوجيهية (أربع مرات) والالتزامية (مرة واحدة).

يرد الفعل التقريري ليخبر المتلقي بمعلومة معينة: «نحن في خضم إحدى أعظم العمليات العسكرية في التاريخ»، وبما أن الأمر يتسم بكل تلك الأهمية التاريخية، فهنا يأتي الفعل التوجيهي ليشجع الجمهور على الفعل: «نمهد لكم الطريق لتحقيق هدفكم»، وذلك باستغلال الحقيقة التاريخية المعبر عنها بالفعل التقريري السابق، والتشجيع على القيام بفعل معين. ثم يأتي فعل تقرير آخر، يثبت الحالة الراهنة في الميدان: «ضربنا كبار القادة العسكريين»، ثم يليه فعل توجيهي يحث على الفعل: «حان الوقت أن تتحدوا ... بالدفاع عن حريتكم»، باستثمار الحالة المعبر عنها في الفعل التقريري السابق مرة أخرى. ويأتي ذلك فعل توجيهي تحريضي آخر: «هذه فرصتكم للوقوف وإسماع أصواتكم»، فالحالة الراهنة التي تمثل لحظة ضعف لم يسبق للنظام اختبارها، مناسبة قد لا تتكرر للقيام بردة فعل تجاهه، ونيل الحرية والخروج من تسلطه.

يأتي مرة أخرى فعل تقرير يبين أن: «معركة إسرائيل ليست معكم»، ومن ثم فعليكم القيام بفعل آخر، يتمثل في توجيه من المتحدث إلى محاربة الظلام: «نوركم سيهزم الظلام»، قبل أن يعبر المتحدث عن التزام وحيد أمام الشعب الإيراني، وهو: «أنا معكم، شعب إسرائيل معكم»، وهو بدوره فعل التزامي تحريضي، يحفز المتلقي بإيهامه بالتزام إسرائيل بتوفير غطاء ومساندة له.

الطريقة التي وُزِعَ بها ننتياهو أفعال الكلام في الخطاب كانت خادمة له، وخادمة للموضوع في وحدته وتسلسله، والمهم أنه لم يظهر التزاماً كبيراً تجاه الشعب الإيراني، أكثر من تحريضه لتحمل مسؤوليته في تغيير الوضع الذي يعيشه، مغرباً إياه بحقائق مدروسة، كان يقدمها في شكل طعوم إخبارية تتغيا دفعه إلى هدم القلعة من الداخل.

## 3.7 نحو النصّ

لا يفصل بناء النص عن بقيّة العناصر في وظيفته الخطابية الإقناعية، لأنه بدوره اختيار من مجموعة من الاحتمالات، كلّ احتمال له تأثير يشدّ أو يضعف بحسب نوعه، ومن ثمّ فإنّ البناء العام للخطاب، ووسائل انسجامة وتسلسله، تستدعي الوقوف عندها لاستجلاء أدوارها في الإسهام في تحقيق غرض المتحدث منه. وبالنظر إلى طريقة الربط بين استراتيجيات الخطاب التي اتبعتها نتيهاهو، نجد أنه وصل بينها في نسج محكم من طريق التوليف بين الأفعال والأزمنة وأفعال الكلام والتنظيم، وإلحاق ذلك كله بالمعنى المقصود من الخطاب في إطار من التدرج من التقرير إلى التوجيه، ومن الإخفاء إلى الإظهار، ومن الزمن الماضي إلى الزمن الحاضر المستمرّ ثم المستقبل.

أسهمت هذه العناصر في تنظيم الخطاب، كما عزّزت باعتماد أدوات اتساق متعدّدة، أهمّها:

أولاً؛ الإحالة: حيث عمد المتحدث إلى الحفاظ على المرجع في النص، والإحالة عليه بطريقة تظهر كل مرجع دون خلطه بغيره، فلم يُسجّل في الخطاب أيّ انقطاع أو غموض مرجعيّ، لأن الهدف هو التمييز بين المشاركين، وعدم ترك الفرصة للمتلقّي للاجتهاد في تحديد مرجع الضمير. إضافة إلى أن «تشكيل المعنى أو إبرازه يعتمد على وضع الضمائر داخل النص، إذ إن هذه الضمائر من بين الوسائل التي تحقق التماسك الداخلي والخارجي» (الفقي، 2000، الجزء 1، ص. 161)، فكلاً من الاستعمال والتنظيم له وظيفة في تماسك النص.

ثانياً؛ التكرار: سبقت الإشارة إلى وظيفة التكرار في إطار المبالغة في المعجمة، لكنّه اضطلع بوظيفة أخرى في اتساق النص، حيث حافظ على تسلسله وحضور الموضوع طوال الخطاب، وقد تنوعت أغراض هذا التكرار، ولعل أبرزها «تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة» (نفسه، الجزء 2، ص. 20)، ومن ثمّ الإسهام في هيكلية النص وتدقّق أفكاره، علماً أن الخطاب المدرّس تكرّرت فيه وحدات بؤرية شكّلت أعمدة الموضوع هي: «النظام الإسلاميّ»، و«الشعب الإيرانيّ»، و«التهديد الصاروخيّ والنوويّ».

ثالثاً؛ علاقات السببية: بنى المتحدث خطابه محبوباً بعلاقات تجتمع تحت مفهوم السببية بوصفها وسيلة لتحقيق انسجام النص (de Beaugrande & Dressler, 1996, pp. 4-5)، وقد ركّز في ذلك على علاقتين: علاقة السبب، حيث شكّلت

- مجموعة من الأحداث شروطاً لازمة لتحقيق أحداث أخرى. رأينا ذلك في التلاعب بالأفعال الكلامية التقريرية والتوجيهية، وكذا في تسويغ تصرفات إسرائيل بمواجهة التهديد الذي تشكله إيران، باعتبار ذلك مجرد ردات فعل على الأسباب التي تخلقها إيران. وعلاقة النتيجة، إذ تعدّ الأحداث التي تعيشها إيران في خضم الهجوم الإسرائيلي عليها نتيجة مباشرة لأفعالها، وهذا منظم طوال النص، حيث يمكن القول إن الخطاب بأكمله مبني على هاتين العلاقتين.
- رابعاً؛ نمط السرد: اتبع نتياهو في خطابه نمطاً سردياً ارتكز على التلاعب بمقولة الزمن، ليس من خلال استحضر شذرات من التاريخ، وإن بشكل موجز على غير عادته. ولكن بالتصرف في مقولة التاريخ نفسها بوصفها عملية صناعة؛ إذ بين تاريخ حاليّ يُسَطَّر، وماضٍ قريبٍ نسبياً، وآخر أقدم، يمكن للشعب الإيراني بناء مستقبله، لتقاطع هذه التواريخ مشكلةً تسلسل الخطاب كما يلي:
- التاريخ الحالي: ذكر نتياهو عملية «الأسد الصاعد» في بداية الخطاب، وربطها بالتاريخ، فهي تمثل عملية تاريخية عظيمة، حيث إن التاريخ الآن تصنعه إسرائيل بتفعيل هذه العملية التي تعتبر وعداً تاريخياً قديماً جاء في التوراة، لكن صياغته بهذه الطريقة تُخفي الحقائق النصية الواردة في النص الأصلي، وفي الوقت نفسه ترسخ الإيمان به.
  - الماضي القريب: وصف نتياهو النظام الإسلامي في إيران بأنه اضطهد شعبه لنصف قرن، ومنعه من الحرية والعيش الكريم، خاصة أن إيران كان لها إرث تاريخي عظيم، لكن ذلك الإرث توقف عن النمو في ظل حكم النظام الإسلامي في نظره، لذلك حان الوقت لاسترجاعه.
  - التاريخ الأقدم: وصف نتياهو الأمة الإيرانية والأمة الإسرائيلية بالصدقيتين منذ عهد كورش العظيم، وهو الملك الإيراني الذي أسهم في تحرير اليهود من الأسر البابلي، وقد حان الوقت لإسرائيل لترد الجميل، فتحرر الشعب الإيراني من قبضة النظام الإسلامي الذي يأسره الآن.
  - المستقبل: يستشرف نتياهو أن يهزم نور الشعب الإيراني الظلام الذي يمثله النظام الإسلامي، وذلك بمساعدة من إسرائيل ليسترجع الشعب الإيراني أمجادهم. تلك إذاً، هي الطريقة التي سرد بها نتياهو الأحداث في خطابه السياسي، وضمّن بها سلاسة السرد وجاذبيته لدى المتلقي، وشدّ انتباهه للوقائع التي وردت فيه. وتفتن

في النسج بين كل الاستراتيجيات التي تَوَقَّع منها أن تحقق غرضه الخطابي، ففي النهاية هو سياسي له أهداف براغماتية، ولا يهَمُّه من اللغة إلا وظيفتها وقوتها في تحقيق تلك الأغراض، بعيدا عن أي اعتبارات إنسانية أو أخلاقية.

## خاتمة

كان هدفنا من هذه الدراسة استجلاء طرائق الالتفاف اللغوي التي وُظِّفها ننتياهو في خطابه، ليس لأن المخاطب يحسن النية بالخطاب الذي تلقاه - بالرغم من أن هذا الاحتمال وارد- لكن لأنه لا يعي الوسائل المروّعة التي وُظِّفت فيه لغاية سياسية. فحتى لو كان قد أخذ حذرَه من تأثيره فيه، فإن هذا التأثير قد يأتيه من حيث لا يحتسب، وهنا تكمن خطورة اللغة، لأنها تشكل الوقائع كما يشاء صاحبها.

وإذا أشرنا في هذه المقالة إلى جملة من الاستراتيجيات الخطابية غير البريئة، فإن التوعية بها مسؤولية أخلاقية قبل أن تكون علمية، لأن تعدد تلك الاستراتيجيات مدعاة لزيادة الخبرة بها، فالمخاطب قد يسلم من بعضها، لكنّه لا يضمن السلامة من بعضها الآخر، باعتبارها تتفاوت من حيث التأثير والفعالية، زيادة على أنها تعمل في جوّ من التكاثف والتآزر، فكلّ طريقة خطابية توطد الأخرى وتدعمها، وتستفيد منها بدورها. كلّ هذا يحدث متخفياً وراء الكلمات التي تصنع العالم وتغيّره.

رأينا إذا، كيف أن ننتياهو سحر أقل مما أمكنه تسخيره للتأثير في جمهور استثنائي، موظفا أفعال الكلام بطريقة مدروسة، ومستفيدا من بعض إمكانيات اللغة في التغيير، متقربا إلى المتلقي، ومغريا إياه بنتيجة موعودة لا يضمن تحققها. وقد جرت العادة أن يستثمر أكثر من هذه العناصر في خطابه، لكن ذلك لا يعني أن ما استدعاه كان قاصرا عن أداء المطلوب، ففي النهاية لا بد أن هناك بعض الأصداء له في الداخل الإيراني، سواء بالموافقة، وهذا كان بشكل محتشم بحسب ما ورد في الإعلام، أو بالمعارضة، وخير مثال على ذلك أن الكثير من الأوساط الشعبية الإيرانية انتبهت إلى أن التغيير والمساعدة لا تأتي على رؤوس الصواريخ وهدير الطائرات. وفطنت إلى أن التماهي مع أوجاع الشعب الإيراني ليس إلا لونا من ألوان حربائية سرعان ما سيغيّرها السياق المتبدل بدوره، إلا أن هذه الفطنة قد لا تكون في جزء كبير منها ناتجة عن الوعي بأفخاخ اللغة.

كان بالإمكان تجاوز كل هذا الحديث عن خطاب ننتياهو، ففي النهاية لا يمكن لعاقل أن يتوقع أنه يفعل ما يفعله لسواد عيون الشعب الإيراني، لكن الأمر يستحق التوقف

لحظة وطرح السؤال التالي: لماذا لقي هذا الخطاب متابعة واسعة وتغطية من الإعلام؟ ليس الإعلام من يصنع الحقيقة بالتركيز على أطر وإهمال أخرى؟ ما الذي يضمن عدم تسرب آثار الخطاب السيئة إلى ذوي الوعي النقدي الضعيف أو المنعدم؟ ففي النهاية ليس الجميع مطالباً بأن يكون ناقدًا لسانياً، لكن على الجميع أن يكون مشككاً في ما يقال في السياق السياسي. وفي النهاية ليس الجميع عاقلاً في عالم يستغل أي نقطة ضعف ممكنة للنيل من خصومه بالسلطان وباللسان.

### لائحة المراجع

#### أولاً- المراجع العربية

- الفقى، صبحي إبراهيم. (2000) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج. 1، وج. 2 دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- الفغالي، بولس وأنطوان عوكر. (2007) العهد القديم العبري: ترجمة بين السطور، الجامعة الأنطونية، لبنان.
- المسدي، عبد السلام. (2007) السياسة وسلطة اللغة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
- بكار، سعيد. (2020) «في مفهوم اللسانيات النقدية»، ضمن: أ. طيب بوقرط، اللسانيات العربية، مراجعات وتطبيقات، منشورات ألفا للوثائق، الجزائر، صص. 353-392.
- بكار، سعيد. (2021) «خطاب الحقيقة وحقيقة الخطاب: مقارنة نقدية للخطاب السياسي»، مجلة دراسات، المجلد. 10، العدد. 02، صص. 191-211.

#### ثانياً- المراجع الأجنبية

- Burke, Kenneth. (1969) *A Rhetoric of Motives*, California: University of California Press.
- De Beaugrande, Robert & Wolfgang Dressler. (1996) *Introduction to Text Linguistics*. New York: Longman.
- Fowler, Roger & Gunther Kress. (1979) "Critical Linguistics". In Roger Fowler et al. eds. *Language and Control*, London, Routledge. pp. 185-213.
- Searle, John Rogers. (1979) *Expression and Meaning: Studies in the Theory of Speech Acts*, Cambridge, Cambridge University Press.

- Fowler, Roger. (1996) "On critical linguistics", In: Carmen Rosa Caldas-Coulthard & Malcom Coulthard. eds. *Texts and Practices: Readings in Critical Discourse Analysis*, London, Routledge. pp. 3-14.
- Halliday, Michael Kirkwood Alexander. (2014) *Halliday's Introduction to Functional Grammar*. Fourth Edition. Revised by Christian Matthiessen, London/New York, Routledge.
- Torwel, Vitalis. (2015) "Moral Framing and the Development of Political Conflicts: An Analysis of New York Times' Stories in the Build up to the 2003 Iraqi War", *Athens Journal of Mass Media and Communications*, 1(4). pp. 257-274.
- Abu Khaled, Diana Yehya. (2020) "A Critical Discourse Analysis of Benjamin Netanyahu's Speech at the United Nations General Assembly in 2014", *International Journal of Linguistics, Literature and Translation*, 3(3), pp. 34-47.
- Afary, Janet & Kevin B. Anderson. (2023) "Woman, Life, Freedom: The Origins of the Uprising in Iran, Published by University of Pennsylvania Press", 70, (1), pp. 82-98.
- Aparicio, Ana María Agud. (2023) "Critical Theory of Linguistics and Language: A Humanistic, Historical and Comparative Approach to Linguistic Ideologies", *Colección Lingüística*, Núm. 81, pp. 17-48.
- AlAsttal, Tasnim (2024) "Unveiling the Power of Words: A critical Discourse Analysis of Benjamin Netanyahu's Speech at the United Nations General Assembly on September 27, 2024", *International Journal of Linguistics, Literature and Translation*, 7, (12), pp. 205-214.
- Algurjia, Hiba Dhafer Abdulkader et al. (2024) "Manufacturing Consent: A Critical Discourse Analysis of Benjamin Netanyahu's Speech to the United States Congress in 2024", *Journal of*

*International Crisis and Risk Communication Research*, Volume 7, (11). pp. 2807-2818.

- Itani, Ghina. (2025) “Beyond Mere Words: Unveiling the Speech Acts behind Netanyahu’s October 7 Speech”, *Open Journal of Modern Linguistics*, 15(2), pp. 445-460.

### ملحق بخطاب نتياهو

خطاب نتياهو للشعب الإيراني، بتاريخ 13 يونيو 2025، عقب هجوم إسرائيل على إيران: المدة: دقيقتان وست ثوان

الليلة أود التحدث إليكم، أيها الشعب الإيراني الفخور، نحن في خضمّ إحدى أعظم العمليات العسكرية في التاريخ، عملية الأسد الصاعد.

النظام الإسلامي الذي اضطهكم لما يقرب الخمسين عاماً، يهدد بتدمير بلادنا، دولة إسرائيل. والهدف من عملية إسرائيل العسكرية هو تحييد التهديد النووي والصاروخي باليستي الذي يشكّله النظام الإسلامي على إسرائيل. ونحن إذ نحقق هدفنا، فإننا نمهد لكم الطريق أيضاً لتحقيق هدفكم، وهو الحرية.

خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية، ضربنا كبار القادة العسكريين وعلماء نوويين كباراً، ومنشأة التخريب المهمة للنظام الإسلامي، وجزءاً كبيراً من ترسانته من الصواريخ باليستية. المزيد قادم في الطريق، النظام لا يعرف ما الذي أصابه، أو ما الذي سيصيبه.

لطالما كانت الأمة الإيرانية والأمة الإسرائيلية صديقتين منذ عهد سايرس/كورش العظيم، لقد حان الوقت لكم أن تتحدوا حول علمكم وإرثكم التاريخي، بالدفاع عن حريتكم من النظام الشرير والقمعي. إنه لم يكن أبداً أضعف من الآن. هذه فرصتكم للوقوف وإسماع أصواتكم: Zan, Zendegi, Azadi / المرأة، الحياة، الحرية.

كما قلت يوم أمس ومرات عديدة قبله، معركة إسرائيل ليست معكم، ليست معكم شعب إيران الشجاع الذي نحترمه ونقدّره، معركتنا هي مع عدونا المشترك، النظام الدموي والقاتل الذي يضطهكم ويفقركم.

شعب إيران الشجاع، نوركم سيهزم الظلام، أنا معكم، شعب إسرائيل معكم.

اطلع عليه في: 2025/09/10 في: <https://short-url.org/1f3DT>

**التحليل النقدي للخطاب  
والعلوم المعرفية**



# التصور الاستعاري للمرأة في الأمثال الحسانية

## دراسة في ضوء التحليل النقدي للاستعارة

د. سعيد بكار

الكلية المتعددة التخصصات بالسمارة، جامعة ابن زهر

s.bakkar@uiz.ac.ma

<https://orcid.org/0009-0007-3005-528X>

### الملخص

درست هذه المقالة التصوير الاستعاري للإنسان الصحراوي البدوي للمرأة، بغاية إماطة اللثام عن التصورات السلبية التي تسهم في تقزيم مكانتها في هذا المجتمع وتحطّ منها. ولتحقيق هذه الغاية اعتمدنا مقارنة التحليل النقدي للاستعارة لجوناثان تشارترس بلاك إطارا تحليليا قادرا على الكشف عن الجانب المظلم لتصوير المرأة والتفكير فيها، وذلك في أفق التوعية بهذا الجانب، ومن ثم تمييز الآثار السلبية في التصورات الاستعارية التي قد لا نلتفت لأهميتها في حديثنا اليومي، ولا سيما في الأمثال الشعبية التي نوظفها في هذا الحديث. وتوصلت المقالة إلى أن الأمثال الحسانية صوّرت المرأة الصحراوية استعاريا على أنها خيمة ولباس دلالة على كونها سترا للرجل وحماية له من المعاصي، ولكن أيضا للدلالة على تقييد حريته، وإمكانية استبداله لزوج جديدة بزوج قديمة. كما فكرت فيها بأنها شجرة مقطوعة وشوكة حادة دلالة على عدم تقديرها من جهة، وإبراز الوضع الاجتماعي المتدني لها من جهة أخرى. فضلا عن تصويرها بوصفها حيوانا بالمزرعة وحيوانا برياً، فدّل التصوير الأول على النظر إليها بأنها مصدر للإنتاج (الولادة)، والأنس والاستمتاع (الامتطاء)، ودل الثاني على الخطر والتهديد، وأغفلت السمات الإيجابية للحيوانات من قبيل القوة أو الاستقلالية أو الذكاء أو البراعة.

الكلمات المفتاحية: المرأة، الاستعارة التصويرية، الأمثال الحسانية، التحليل النقدي للاستعارة.



# METAPHORICAL CONCEPTION OF WOMEN IN HASSANI PROVERBS A CRITICAL ANALYSIS STUDY

Dr. Said BAKKAR

Es-Semara Multidisciplinary College, Ibn Zohr University  
s.bakkar@uiz.ac.ma

<https://orcid.org/0009-0007-3005-528X>

## ABSTRACT

This article investigates the metaphorical conception of the Sahraoui Bedouin of women in an attempt to unveil the negative conceptions contributing to devaluating and belittling its position in this society. In order to achieve this, Jonathan Charteris-Black's Critical Analysis Approach to metaphors is used as an analytical framework to disclose the dark side of portraying women and thinking about them. The real purpose being making people aware of these metaphors and their negative impact that might often go unnoticed in everyday talk, especially in popular discourse.

The study illustrates how Hassani proverbs metaphorically depict the Saharoui women as tents and clothes alluding to their role as fronts and shields for their husbands against sinning, but also as barriers blocking the latter's freedom and as being replaceable. Other metaphors also suggest that a woman is but a cut tree or a sharp thorn to underestimate her value and emphasize her inferiority to man. Finally, there are many metaphors conceptualizing women as farm animals or wild ones. The former signifies that they are a species meant for breeding, entertainment and intercourse, whereas the latter is meant to warn against them being a menace and a source of danger in a clear absence to any positive connotations linked to animals such as strength, independence, wit, and skill.

**Keywords:** Women, Conceptual Metaphors, Hassani Proverbs, Critical Analysis of Metaphors

## مقدمة

تربط الإنسان باللغة رابطة وثيقة الصلة لا تنفك عراها أبداً، فهو حينما يكون طفلاً لا يتعلم اللغة شكلاً خالصاً فحسب (صِوَاةً، ومعجماً، وتركيباً وتداولاً)، بل يكتسب بتعلمها ثقافة تشمل المعتقدات والمعارف والتقاليد والدين والقانون وغير ذلك. ولما كان محتوى اللغة ذهنياً مرتبطاً بتصورات تتعلق بفهم العالم الذي نعيش فيه، فإن الباحث مدفوع إلى دراسة هذه الجدلية بين اللغة والذهن، وكيف يؤثر بعضهما في الآخر فضلاً عن تأثيرهما في السلوك البشري اعتقاداً أو فعلاً. والأمثال من الخطابات البشرية الغنية بالمحتوى والبلغية في الشكل؛ وذلك لتميزها بالأسلوب البليغ المتمثل في اللفظ المختصر، والمعنى الكثيف، والدقة في التشبيه، وجمال الكناية، وذيق الصيت، واحتوائها على خزان مليء بالقيم والمبادئ وأنماط السلوك. وهي كثيرة الاستعمال في المجتمعات المعاصرة، ولا سيما في المجتمعات ذات الثقافات الشعبية «التي تنبهر بالناس الذين يمتلكون الكثير من الأمثال والذين يعرفون كيفية استخدامها في اللحظة المناسبة» (Schipper, 2006, p. 23).

تعدّ التعابير الاستعارية وسيلة مهمة لكشف البعد الذهني للإنسان حول موضوعات العالم المحيطة به، وهي من الوسائل الرئيسة في نشر المعتقدات وترسيخها. وهي بعيدة كل البعد عن الحياد في تمثيل الواقع، بل تحكمها عناصر أيديولوجية متعددة بتعدّد مصالحي المجموعات البشرية التي تتجّها؛ فالأوروبي ينتج تعابير استعارية تؤيد وضعه المتميز على الرجل الشرقي، وكذلك يفعل الأبيض للأسود، والرجل للمرأة. ينصب اهتمام هذه المقالة على التعابير الاستعارية التي ينتجها الرجل أو المجتمع الذكوري تجاه المرأة. وقد وجدنا أن المرأة وُصفت في مختلف الثقافات الإنسانية أوصافاً كثيرة، لكنها تنتظم في مجموعة من الأصناف، ولعل أهمها: «الطعام»، و«الحيوانات»، و«الأشياء»، و«القربة»، فضلاً عن بعض الصور النمطية الاجتماعية (Kövecses, 2006, p. 152). ومع ذلك، تنبغي الإشارة إلى أن التصورات الثقافية الخاصة بالمرأة تختلف من ثقافة إلى أخرى، وذلك نحو نزوع اليابانيين إلى تصوير المرأة بالنباتات (Takada et al., 2010)، ونزوع سكان الجبل الأسود إلى وصف المرأة بالابن والرجل (Kittay, 1988, p. 63)، ووصف المرأة في الثقافة السلافية بالسيارة (Bratić and Stamatović, 2017)، إلى غير ذلك من الأوصاف الخاصة بكل ثقافة على حدة. وترتبط هذه الاختلافات،

بحسب زولطان كوفيتشيش (Zoltán Kövecses) بأبعاد عدّة تشمل ما هو اجتماعي، ومحلي، وإثني، وأسلوب، وفردية (Kövecses, 2010, p. 217).

تشير هذه الأوصاف إلى استعارات تصويرية مؤطرة للنظر إلى المرأة. ويمكن تعريف الاستعارة التصويرية بأنها جسر يربط بين ما هو معروف وما هو غير معروف، ومعنى ذلك أنها ربط بين مجالين تصويريين أو دمج بين فضاءين تصويريين، وليست اللغة أو التعبير الاستعاري سوى تجل لهذا الربط أو تحقّق سطحي له. ولما كانت الاستعارة التصويرية عملية معرفية تقع في الذهن، فهذا يبرز دورها الحاسم في عملية الفهم، ولكن أيضا دورها في عملية تأييد بعض الأطر الذهنية التي تكون لها دعائم أيديولوجية.

نحاج في هذه المقالة بأن الاستعارات التصويرية المرتبطة بالمرأة في معظم الأمثال الحسانية تحمل نظرة سلبية تجاهها، وتؤيد وَضْعِيَّتْهَا الدونية في المجتمع مقارنة بالرجل، خاصة أن الأمثال في متخيل الشعوب حكمة بالغة، ونصوص شبيهة بالمقدّس<sup>(1)</sup>. ونرى أن إبراز آثار هذه الاستعارات السلبية في المجتمع، والتحذير من استعمالها في الخطاب العام بصفة عامة وفي المحادثات اليومية بصفة خاصة، أمر لا مناص له لمحلل الخطاب الذي يدعي أنه ذو نزعة نقدية.

لقد اعتمدنا في جمع متن هذه المقالة مجموعة من الأمثال الحسانية حول المرأة الصحراوية في كتاب إبراهيم الحيسن المرأة في الأمثال الحسانية (الحيسن، 2013)؛ نظرا لكونه خصّ كتابه بموضوع المرأة، مُورِدًا معظم الأمثال التي جمعها من مصادر متعددة حول الأمثال الحسانية (انظر على سبيل المثال: منت البرناوي، 2010؛ الشنقيطي، 1989؛ بن حامد، 1990؛ بن لمام، 1998، ولد البكاي، 2002، ولد آبنو، د. ت). وسبب اختيارنا للمرأة الصحراوية دون غيرها هو الانطباع الشائع بأن المرأة الصحراوية تمتلك مكانة كبيرة في المجتمع، ولها ما ليس لغيرها في المجتمعات الأخرى<sup>(2)</sup>. ونحاول اكتشاف حقيقة هذا الأمر بدراسة الأمثال دراسة نقدية متبعين مقارنة جوناثان شارترس

(1) - ساقّت مينيكه شيبير في كتابها إياك والزواج من امرأة كبيرة القدمين هذا النص الذي ورد على لسان دون كيشوت: «يا شانسو، في رأيي أن المثل صحيح دائما؛ ما دام عبارة عن ملاحظات قائمة على التجربة التي هي أم العلوم». انظر:

Schipper, 2006, p. 13.

(2) - ترى مباركة بن البراء في تقديمها لكتاب إبراهيم الحيسن: المرأة في الأمثال الحسانية «أن خصوصية المرأة الصحراوية -والتي تشكل استثناء بالمقارنة مع مثيلتها في العالم الإسلامي- تجعل منها موضوعا يستحق التوقف والدّرس»، إبراهيم الحيسن، 2013، ص. 9.

بلاك (Jonathan Charteris-Black) «التحليل النقدي للاستعارة»؛ بادئين بتحديد الاستعارات التصويرية فتحليلها فتأويلها فتفسيرها. ونهدف بذلك إلى الإسهام في فهم إدراك المجتمع الصحراوي للمرأة، بكشف مكونات أيديولوجياته بشأنها، ومنظوره الذي ينظر منه إليها. وسنقسم مقالتنا إلى ثلاثة محاور؛ نعرف في المحور الأول المثل، محددين خصائصه ومميزاته الفنية باختصار، ثم نعرف في المحور الثاني التحليل النقدي للاستعارة، متوقفين باختصار على منهجية تطبيقه، ثم نخصص المحور الثالث لتحليل الاستعارات المرتبطة بالمرأة في الأمثال الحسانية وفق مجالات المصدر المستعملة في تمثيلها تمثيلا استعاريا.

### 1- المثل: دراسة في البنية والوظيفة

يدل المثل في اللغة على معنى الشبه والنظير، بينما يعرف في الاصطلاح بأنه «قول موجز سائر، صائب المعنى، تشبه به حالة حادثة بحالة سالفة» (قطامش، 1988، ص. 11). ويقصد عبد المجيد قطامش بالجملة الأخيرة من تعريفه أن المثل يستعمل في حالات مشابهة لمضربه الأول، أي للسبب الذي قيل فيه بدءا. ونحن لا نتفق معه في قول إن المثل صائب المعنى، فقد لا يكون كذلك، بل قد يكون خاطئ المعنى. أما عن كونه قولاً موجزاً ويقوم على تشبيه مضربه بمورده، فنقبله بنسبية، حيث يمكن استخدام الأمثال من دون حاجة إلى الشبه، بل بوصفه استراتيجية حجاجية.

عرفت مينيكه شيبير -ذات النزعة النقدية للأمثال لا النزعة التقديسية لها- المثل بأنه: «أقوال بليغة ومختصرة تجسد تجسيدا بارعا حقيقة معترفا بها أو معتقدا محبوبا» (Schipper, 2006, p. 22) لكن هذا التعريف الذي استخلصته من أقوال الباحثين الذين عُنوا بدراسة الأمثال لم يمنعها من القول: «يجب التأكيد من البداية أن هذا الكتاب لا يتحدث عن الواقع؛ فالأمثال لا تظهر الواقع. والعديد من هذه النصوص القصيرة تبرزُ مثلاً، وانحرافات مؤسفة عن هذه المُثُل، كما يتصورها المدافعون عن أصحاب تلك المصالح» (Schipper, 2006, p. 20).

يمكن القول، إذا، إن الأمثال أقوال قصيرة بليغة تُظهر تصورا ذهنيا حول ممارسة اجتماعية معيّنة. وقد تكون هذه التصورات إيجابية وسلبية، وإذا كانت إيجابية، فيجب تعزيزها. وإذا كانت سلبية، فيجب كشفها وإبراز آثارها السلبية في المجتمع، والتنوعية بمخاطر استعمالها. كما تتميز الأمثال من ناحية المحتوى بالوظيفة التقييمية لسلك

الناس، والحفاظ على وضعهم القائم، والصواب والسلطة المتمثلان في تعبير الأمثال عن الحس السليم، والقيم، والسلوك (Schipper, 2006, p. 22). علاوة على جانب المحتوى في تعريف الأمثال، يمكن الإشارة إلى: (أ) جانب الشكل المتمثل في: الشكل الفني الموجز، وسرعة الحفظ والتذكر بسبب البنية الإيقاعية أو الغموض المثيرين للانتباه، والاعتماد على الصور البيانية ومن بينها الاستعارة. و (ب) جانب الوظيفة في الأمثال، إذ تقيّم السلوك، وتوجه الناس إلى الأفعال المقبولة، وتنتهي عن الأفعال المذمومة، وتبرز تصور مجموعة بشرية ما للعالم ومكوناته، كما تظهر بطبيعة الحال مصالح المجموعة المهيمنة، وهو ما يمكن دعوته بوظيفة إضفاء الشرعية على مصالح الذات ونزعتها من الآخر، كيفما كان هذا الآخر شرقياً أو غريباً أو مهاجراً أو أسوداً أو امرأة، وغير ذلك.

قال الرازي: «إن المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه؛ وذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، وبصير الحس مطابقاً للعقل، وذلك هو النهاية في الإيضاح» (التفسير الكبير، جز 1، ص. 293، نقلاً عن الفياض، 1995، ص. 88).

يُبنى المثل وفق أنماط متعددة من قبيل: الذي يريد (أ)، فليفعل (ب): اللَّيِّ دَائِرٌ لِمَهِيَّةٍ يُشَدُّ لَمَرَّةٍ السَّمِيَّةِ (الذي يريد المرأة الهادئة، فليتزوج امرأة سميئة)، أو (أ) هو (ب): مَنْتَ عَمَّ الرَّاجِلُ سَرْوَالُو (ابنة عم الرجل سروال له)، أو (أ) ليس هو (ب): النَّسَبُ مَاهُ دَرَاغَةٌ تَفْسَخُهَا، وَتَلْبَسُهَا (المصاهرة ليس لباساً تنزعه وتلبس غيره)، أو لا وجود ل (أ) من دون (ب): كُلُّ مَسَلَةٍ بِنَكْلِبِهَا، وَكَلْبُ الْحَيْمَةِ مُوَلَّأُهَا (لا وجود لشيء من دون قلب، وقلب الدار الزوجة)، أو (أ) أفضل من (ب) لَبَّازٌ وَالسَّلَامَةُ، وَلَا عَرَسُ النَّدَامَةِ (البوار والسلامة أفضل من الزواج الذي يندم عليه)، أو إذا كان (أ) فستكون (ب): لَمَرَّةٌ يَلَا كَتَبَتْ كَتَلَتْ (إذا تعلّمت المرأة الكتابة فتلت)، ويمكن قياس أمثال أخرى على هذه الأنماط.

## 2- التحليل النقدي للاستعارة

لو أردنا تعريف التحليل النقدي للاستعارة لقلنا إنه مقارنة ذات توجه نقدي في تحليل الخطاب، وهي مقارنة تُعنى أساساً بتحليل الاستعارات التصويرية. وقد حاولت دمج بعض نظريات الاستعارة التصويرية مع التحليل النقدي للخطاب. ورائداها هما جوناثان تشارترس بلاك وأندرى غواتلي (Andrew Goatly). يقول غواتلي متحدثاً عن كتابه

غسل الدماغ: الاستعارة والأيدولوجيا المخفأة: «هذا الكتاب هو محاولة لتخصيب اللسانيات المعرفية والتفسيرات الاستعارية والتحليل النقدي للخطاب، وهو ما دعاه تشارترس بلاك بالتحليل النقدي للاستعارة» (Goatly, 2007, p. 2).

تُحلَّل هذه المقاربة الاستعارة بغاية كشف المقاصد المخفأة وغير الواعية في استعمالها (Charteris-Black, 2004, p. 34)؛ أي كشف الأيدولوجيات التي تُوصِّلها. والهدف من ذلك زيادة الوعي باستعمالها، ما يمكِّن الأفراد من التعامل معها وتقديم طرائق بديلة لفهم العالم الذي يعيشون فيه (Ibid, p. 243). وبعبارة تشارترس بلاك الموجزة «يعطينا امتلاك الحق في اختيار استعاراتنا الحق في تقديم طرائق بديلة للتفكير في العالم والإحساس به، وهذا الأمر مظهرٌ أساسيٌّ من مظاهر الحرية البشرية» (Ibid, p. 252).

بناء على ما سبق، يمكننا القول إن مقارنة التحليل النقدي للاستعارة تُعنى بتقديم تأويل بديل لتصور العالم، ما يتيح الاختيار ومقاومة أي نزعة احتكارية لتصور العالم وكيف ينبغي أن يكون. وخلافاً للتعريف المعرفي أو البلاغي للاستعارة، يتبنى تشارترس بلاك تصوراً ثلاثي الأبعاد ينظر فيه إلى الاستعارة انطلاقاً مما هو معرفي ولغوي وتداولي. ويعرفها بأنها: «طريقة في التفكير، وطريقة في الإقناع، فضلاً عن كونها ظاهرة لغوية» (Ibid, p. 22).

يركز تشارترس بلاك على البعد الأيدولوجي للاستعارة، ويعتبرها وسيطاً بين الأساس الواعي والعقلاني للأيدولوجيا والعناصر الأسطورية غير الواعية، مفعلةً بذلك الموارد الواعية وغير الواعية للجمهور بُعْيَةَ التأثير في استجابته العقلانية والأخلاقية والعاطفية بصورة مباشرة (Charteris-Black, 2011, p. 50). وتقوم منهجية تحليله على ثلاثة أبعاد نوضحها وفق ما يأتي:

## 2-1- تحديد الاستعارة

يقوم المحلل في هذه المرحلة بقراءة عينة من النصوص قراءة مُفَصَّلَةً ودقيقة لتحديد الاستعارات المرشحة للبحث والدراسة، والمعيار الذي يحكم تحديد الاستعارة هو «استعمال الكلمة أو العبارة بمعنى يختلف عن المعنى الشائع أو الأساسي الذي يظهر عبر تحديد المجال المصدر الذي يختلف عن المجال الهدف» (Ibid, p. 45)، ثم

دراسة سياقية للمتن من أجل تحديد «الكلمات المفتاحية»<sup>(1)</sup> المرتبطة بتلك الاستعارات. وتجدر الإشارة هنا إلى اهتمام تشارترس بلاك بالاستعارات المألوفة<sup>(2)</sup>؛ نظرا لما تتضمنه من تقييم مُخفَى للأشياء في العالم الخارجي. ويستعين في هذه الخطوة بلسانيات المتن منهجية لتحديد الاستعارة بمعرفة المعاني الملازمة للكلمات التي استعملت استعمالا استعاريا. وعلاوة على ذلك، تعزز هذه المنهجية النتائج المتوصل إليها بما أنها تصفي عليها بعدا كيميا.

## 2-2- تأويل الاستعارة

يعمل المحلل في هذه الخطوة على تأسيس علاقة بين الاستعارات المحددة والعوامل المعرفية والتداولية المحددة لها؛ وذلك بإبراز الاستعارات التصورية التي تحكمها. ووظف تشارترس بلاك المقاربة الدلالية المعرفية في هذه الخطوة. ويتمثل الادعاء الأساس لها في أن الذهن متجسّد بطبيعته، وأن الفكر عبارة عن مفاهيم غير واعية في الغالب، وأن المفاهيم المجردة استعارية بشكل كبير (7). (Lakoff & Johnson, 1999, p. 7). وتنشأ الاستعارة من استعارات ضمنية (أو تصورية) تنشأ بدورها من التجارب الجسدية البشرية للمكان والحركة والاحتواء، وغير ذلك (Charteris-Black, 2011, p. 45).

## 2-3- تفسير الاستعارة ونقدها

يشمل تفسير الاستعارات تحديد الأثر الاجتماعي للاستعارات المستعملة في الخطاب ودورها في الإقناع. ويصل تشارترس بلاك إلى هذا الأمر بتحديد الحافز الأيديولوجي المشكل لها. ويتحدّد النقد في إبراز خطورة الاستعارات وأثرها السلبي في المجتمع، من قبيل تسويغ العنصرية، أو كره الإسلام، أو غير ذلك. ويوظف في هذه الخطوة التحليل النقدي للخطاب والنظريات الاجتماعية النقدية.

## 3- صورة المرأة في الأمثال الحسانية: تصنيف ونقد

يؤكد إبراهيم الحيسن أن الأمثال الشعبية الصحراوية تشكل أحد مصادر الحكمة

(1) - الكلمة المفتاحية هي أي كلمة تتكرر تكرارا كبيرا في خطاب معين. أنظر لمزيد من الاطلاع: (Charteris-Black, 2019, p. 22).

(2) - الاستعارات المألوفة هي استعارة استعملت بشكل مطرد في مجتمع لغوي معين، ومن ثم قلّ وعينا بتوترها الدلالي (أنظر لمزيد من الاطلاع: Charteris-Black 2004 p. 21).



والتربية والتثقيف بالصحراء؛ لارتكازها على ما هو جوهرى وثابت في حياة الناس وتجاربهم. وبما أنها كذلك فهي تشمل المبادئ الأخلاقية والقيم وأنماط السلوكية مُحددة قواعد التصرف والمعاملة والتدبير والتسيير (الحيسن، 2013، صص. 38-39). وقد جرد الحيسن مجموعة من المقاصد التي تتوخاها الأمثال في الثقافة الحسانية، وتتمثل في:

- المقصد البيداغوجي: تعليم المبادئ والأخلاق والقيم والسلوك.
- المقصد السوسولوجي: السعي إلى خلق الاندماج داخل الجماعة وتوليد الشعور بالانتماء.
- المقصد النقدي: نبذ السلوكات التي تتنافى مع قيم المجتمع والإسهام في التوعية الاجتماعية.
- المقصد الثقافي: ترسيخ المعارف ونشرها، وإنعاش الذكاء وتقوية الذهن والمخيلة.
- المقصد العاطفي والنفسي: تهذيب الانفعالات وتصريفها (نفسه، صص. 39-40).

علاوة على هذه المقاصد، حدّد الحيسن مجموعة من الخصائص التي تميز الأمثال الحسانية، نوردتها في هذه النقطة:

- تنبع الأمثال الحسانية من بيئة شعبية، وتتسم بطابع محلي.
- تعتمد فنون البلاغة والبيان والبديع.
- تُعتمد في المحادثات اليومية بشكل متكرر ومطّرد.
- تعتمد على مجموعة من الحكايات والقصص الشعبية المليئة بالمعاني والقيم.
- تمثّل إبداعاً أدبياً وحجة قولية.
- تعدّ مرآة معبّرة بصدق عن العادات والتقاليد والأعراف والطقوس والقيم المشتركة (نفسه، صص. 40-42).

وعلى الرغم من انتباه الحيسن إلى رسم الأمثال لصورة مناقضة لوضعيتها الاعتبارية في المجتمع الحساني، إلا أنه لم يتوقف عند هذا التناقض، ولم يحاول تفسيره، عاداً إياه عنفاً معنوياً يمارس على المرأة. ثم مضى يذكر أوصاف المرأة أمّاً وزوجة وقريبة، إلى آخره. وهذا الأمر مفهوم في هذا الكتاب، إذ هو تجميع للأمثال وترتيب لها في أبواب موضوعاتية، ولا يدعي الباحث صدوره عن نزعة نقدية أو محاولة تفسيرية، وهذا نقيض ما نحاول القيام به هنا.

تجدد الإشارة إلى أن الحيسن انتبه في معرض بحثه عن صورة المرأة الصحراوية في

الأمثال الحسانية إلى ورود ذكرها انطلاقاً من مفردات عدة هي «النَيْثُ، تَيْشِيْرْتُ، أَطْفَلَةٌ، لَمْرَةٌ، لَعْلِيَاتُ، لَعْرَبُ، لَمُ، مَوْلَاتُ الخَيْمَةِ، لَمْتَخَلِيَّةٌ، تَيْكَدْلَاتِنُ، لَكَارَهَةٌ، لَعْرُوضُ، لَخَادَمُ، لَكَهْلَةٌ، لَعْرُوزُ، بَتِّي» (نفسه، ص. 13). وهذا مهم في مرحلة تحديد الاستعارات التصويرية الخاصة بالمرأة الصحراوية.

لقد قمنا بالاطلاع على الكتاب وجردنا الأمثال التي تتضمن تشبيهاً أو استعارة أو كناية بالمعنى البلاغي القديم. ونشير هنا إلى أن التشبيه والاستعارة البلاغيين يندرجان في إطار الاستعارة التصويرية بينما تندرج الكناية في إطار الكناية التصويرية بالمعنى اللساني المعرفي. واعتماداً على قراءتنا للدراسات السابقة وجدنا أن الكون الذي نعيش فيه يُقسّم إلى سلسلة تراتبية نجد في أسفلها أنواعاً مختلفة من الجمادات كالمعادن والحجارة والعناصر الأربعة، وبعدها نجد أنواعاً مختلفة من الكائنات التي تنمو كالزهور والنباتات، ثم نجد الحيوانات، ثم البشر، ثم المخلوقات السماوية، ثم في الأعلى نجد الإله. وفي كل مستوى نجد مستويات فرعية محددة وفق درجات السلطة في ارتباط بعضهم مع بعض (مثلاً في مملكة الحيوانات نجد أن الأسد أعلى من الأرنب الذي هو أعلى بدوره من الدود). وتفترض سلسلة النظام الطبيعي للكون سيطرة الأشكال العليا على الأشكال الدنيا (Rodríguez, 2009). وانطلاقاً من هذه السلسلة خلصنا إلى هذه الأصناف:

### 3-1- المرأة شيء

يحتاج كوفيتشيش أن تصور المرأة بوصفها شيئاً يتوزع إلى النظر إليها بأنها سلعة أو لعبة، وأن التصورات الاستعارية للمرأة بوصفها سلعة تفترض وجود بعض الاستعارات التصويرية العامة التي لها علاقة بالحياة و/أو العلاقات البشرية؛ فإذا كانت المرأة سلعة، فإن الرجل يجب أن يكون هو من يشتري هذه السلعة، وإذا كانت لعبة، فإن الرجل هو الذي سيلعب بها. وهكذا تظهر لنا هذه العلاقات: العلاقات البشرية هي تبادلات تجارية، والمرأة سلعة/منتوجات، والرجال زبناء (Kövecses, 2006, p. 153). وقد وجدنا مجموعة من الاستعارات التصويرية التي تصف المرأة بأنها سلعة نوردها في هذا الجدول<sup>(1)</sup>:

(1) - نشير إلى أننا سنكتب المثل ونضع بين قوسين رقم الصفحة التي ورد فيها في كتاب الحيسن حول المرأة الصحراوية، 2013.

## الجدول 1

تصور المرأة الصحراوية بوصفها شيئاً في الأمثال الحسانية [من إعداد الباحث]

تعبيرها الاستعاري	مصدر الاستعارة
<p>– اللَّيْ بِلَا حَيْمَةَ بِلَا كَرْعَةَ فَ التَّرَابِ. (ص. 80)</p> <p>[تفصيح: الذي ليست له زوجة كالذي ليس له نصيب في الأرض]</p> <p>– مَعْكُودٌ فِيهَا حَيْطٌ، أَوْ مَعْكُودَةٌ فَرُقْبَةٌ فَلَانٌ. (ص. 83)</p> <p>[تفصيح: الذي عُقد عليها خيط، أو الذي عقدت على رقبة فلان]</p> <p>– مَنَتْ عَمَ الرَّاجِلِ سَرْوَالُو. (ص. 83).</p> <p>[تفصيح: ابنة عم الرجل سروال له]</p> <p>– لَعَلِيَّاتُ اِعْمَائِمَ لَجُوَادٍ وَأَنْعَائِلُ لَكَلَابِ. (ص. 119)</p> <p>[تفصيح: النساء عمائم الأجواد ونعال الكلاب]</p>	النسيج
<p>– الشَّوْكَةُ مَنْ اصْغَرَهَا امْحَدَّةُ. (ص. 117)</p> <p>[تفصيح: المرأة تكون ثرثرة منذ صغرها كالشوكة التي تكون حادة وإن كانت صغيرة]</p> <p>– لَمَرَّ زَرْبَايَةَ (ص. 145)</p> <p>[تفصيح: المرأة شجرة مقطوعة]</p>	النبات
<p>– لَمَرَّةٌ كَيْفَ السِّيْكَةِ يَلَا هَمَّكَ أَتَسَكَّمَهَا تُدَكِّدُكَ. (ص. 123)</p> <p>[تفصيح: المرأة مثل عود السيك، إذا أردت أن تقيم أوده انكسر]</p>	الألعاب

تنتمي فئة النسيج إلى المنتجات البشرية، ومن الطبيعي جدا ربط المرأة بها؛ ما دامت حرفة بيع النساء في الأسواق كانت من الممارسات التقليدية السابقة. ومن الطبيعي أن تستمر هذه النظرة في حديث القبائل الصحراوية، ولا سيما أنها لم تتخلص من العبودية إلا في وقت قريب. ومع ذلك، فإن التصورات الاستعارية الواردة في الجدول، وإن كانت تستمد استعمالها من التقاليد القديمة إلا أنها ترسم لنا مدلولات محلية أخرى.

مما يلفت الانتباه في الجدول تصوير المرأة بأنها خيمة، ثم بكونها لباسا (سروالا تارة، وعمامة تارة ثانية، ونعلا تارة ثالثة)، أو خيطا. ويكفي في الثقافة الصحراوية عن المرأة برّبة الخيمة (مُولَاتْ حَيْمُتُو). ونلاحظ في هذه الاستعارات بروز دلالة الحماية والستر؛ وذلك بسبب أنها قائمة على خطاطة صورة الحاوية. وقد أكد مارك جونسون (Mark Johnson) أن الاحتواء من أكثر السمات بروزا في تجاربنا الجسدية؛ بما أننا نعي أجسادنا بوصفها حاويات ثلاثية الأبعاد، فنحن نضع فيها الأشياء، ونخرجها منها، ثم تشملنا الأشياء الأخرى. وحدّد خمس نتائج لتجربة الاحتواء هي:

- 1- تشمل تجربة الاحتواء في العادة الحماية من قوى خارجية أو مقاومتها.
- 2- يحدّد الاحتواء القوى في الحاوية ويقيدها فيها.
- 3- يقود تقييد القوى إلى الثبات النسبي للشيء المحتوى في المكان.
- 4- يعني الثبات النسبي في المكان في الحاوية أن الشيء المحتوى أصبح قابلا للرؤية أو عدم قابل لها من بعض الملاحظين.
- 5- يمكن للاحتواء أن يتميز بخاصية التعدية. فلو كنت في سريري والسرير في الغرفة، فإنني أنا أيضا في الغرفة (Johnson, 1987, pp. 21-22).

توضح لنا هذه النتائج أن المرأة حماية للرجل من جهة، وتقييد له من جهة أخرى؛ فهي تحميه من الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها جراء طيشه أو نزقه، فتكون وجاء له أو سروالا أو عمامة، وفي الآن نفسه تحدّد من حرّيته. إضافة إلى هذا الدلالات، نلمس بعدا سلبيا في تصوير المرأة بأنها لباس، فاللباس يمكن ارتداؤه ويمكن خلعه، كما يمكن الاستغناء عنه ورميه، وتغييره بلباس جديد. كما يمكن فك الخيط المعقود. وهو ما يجعل من كثرة الزواج وتغيير الزوجات أمرا مألوفا في هذا المجتمع.

كان استعمال النباتات لتوصيف المرأة سلبيا أيضا، فقد قرنت بالشوك ثم بالشجرة المقطوعة (زَرْبَايَة)، وإن كان الشوك يدل على الألم الناتج عن الوخز، فإن الشجرة المقطوعة تدل على عدم الخضوع للنساء وعدم الاستماع إليهن<sup>(1)</sup>. وتؤيد الاستعارتان صورتين نمطيتين عن المرأة، أي الثرثرة المشبّهة بحدّة الشوك، ونقص العقل المشبّهة بالشجرة المقطوعة. والملاحظ في استعمال النباتات مصدرا للاستعارة التركيز على أمرين: النمو والكبر، والقَطْع والتشذيب والصغر (Kövecses, 2005, p. 209). ويبدو أن

(1) - علّق الحيسن على هذا المثل قائلا: «المرأة شجرة مقطوعة منّ توّجه إلى وجهتها غلبته، ومن أعطاهما بظهره استطاع جرّها. يضرب لعدم الخضوع للنساء». أنظر: الحيسن، 2013، ص. 145.

الأمثال الحسانية تميل إلى الأمر الثاني الخاص بالقطع والصغر، فالمرأة شجرة مقطوعة وشوكة صغيرة. وقد أول كوفيتشيش تشبيه المرأة بالشيء بعدم تقديرها واحترمها، نظرا للوضع الاجتماعي المتدني لها (Kövecses, 2006, p. 154).

آخر الاستعارات في هذا المحور هو استعارة المرأة لعبة، والمقصود هنا لعبة السيك اللعبة الشعبية الخاصة بالنساء، والسيك عبارة عن عود معوج يصنع من شجرة الجدازي. وقد علق الحيسن على هذا المثل قائلا: «المرأة كالضلع الأعوج إذا حاولت تقويمها انكسرت. يضرب للخص على الاعتناء بالمرأة والتعامل معها برفق» (الحيسن، 2013، ص. 123).

غير خاف أن استمداد هذه الاستعارة من البعد النباتي، بيد أن القصد منها هنا هو رسم صورة سلبية عن المرأة، وهي مسألة غفل عنها الحيسن عازيا للمثل بعدا إيجابيا، بينما في الحقيقة يبرز ذلك أن المرأة لا يمكن صلاحها، فهي من بداية خلقها وهي عوجاء. وغير خاف أن الطريق المستقيم أفضل من المعوج، وأن الشيء المستقيم عموما أفضل من المعوج. وهذا سببه التجربة الجسدية للبشر، فالمعوج لا يتيح تبيين الأمر، وقد يخفي أمورا، ومن ثم يحول دون الفهم، بينما الأمر المستقيم واضح ومفهوم. ولذلك توضع علامات التشوير الطرقية في المنعرجات وغيرها. إن تجربة الإنسان مع الأعوجاج ترتبط بعدم اليقين والخوف. والمرأة بما أنها عود معوج لا يمكن أن يقام أوذته تبعث على عدم الثقة بها والخوف من تصرفاتها.

### 3-2- المرأة حيوان

يعدُّ تصور المرأة بوصفها حيوانا من أكثر الاستعارات بروزا في الثقافات الإنسانية، وذلك نتيجة التعايش اليومي معها. وهناك نص لحمزة بن الحسن الأصفهاني يبرز هذا الحضور الكبير لعالم الحيوان في كلام العرب، نورد منه هذا المقتطف:

«إن أكثر أمثال العرب مضروبة بالبهائم. فهم لا يكادون يذمّون ويمدحون إلا بما يجدون في البهائم ... [و]السبب في تفرد العرب باستعمال ذلك دون سائر الأمم، أن العرب أناس إنما وضعوا بيوتهم وأبنيتهم وسط السباع والأخناش والهمج [الذباب والبعوض] والحشرات، فليس يعثرون إلا بها، ولا يفتحون عيونهم إلا عليها، ولا يرون سواها. فحين تأملوا أخلاق تلك البهائم، فألفوها متفرقة في أنواعها، ثم رأوها مجتمعة في الإنسان الذي يجمع إلى حرص الذئب حذر الغراب، وإلى تدبير الذر كسب النمل، وإلى هداية الحمام حزم الحرباء، وإلى حراسة الكركي حيل الثعالب، إلى غير ذلك من أخلاقها» (الأصفهاني، 1988، ص. 49).

وفي مسعى تفسيري لا وصفي، تشير إيرين لوبيز رودريغيز (Irene López Rodríguez) إلى أن استعارة الناس حيوانات تحكّمها ثنائية «التحكّم» أو «عدم التحكّم»، وسبب ذلك أن الإنسان كائن لديه القدرة على التحكّم في نفسه بسبب قدراته العقلية، بينما الحيوان ليس كذلك. وحينما يصدر عن شخص سلوك لا يتحكّم فيه بغرائزه تُعزى إليه صفات حيوانية، وبهذا يصبح السلوك البشري سلوكاً حيوانياً، والغضب سلوكاً حيوانياً، وغير ذلك (Rodríguez, 2009, p. 81). وغني عن القول إن القيم المرتبطة بالحيوانات قيم ثقافية، فقد تكون لحيوان ما صورة إيجابية في ثقافة (البوم الدال على الحكمة في الغرب) وصورة سلبية في ثقافة أخرى (البوم الدال على الشؤم في الثقافة العربية). وبصفة عامة، تحكّم خمس إواليات تأويل الاستعارات الحيوانية هي: «المسكن الطبيعي»، و«الحجم»، و«المظهر»، و«السلوك»، و«العلاقة بين الحيوان والإنسان» (Ibid., p. 82).

وقد قمنا بجمع الأمثال الحسانية التي شبهت المرأة بالحيوان، وصنفناها في هذا الجدول:

## الجدول 2

صورة المرأة بوصفها حيواناً في الأمثال الحسانية [من إعداد الباحث]

حيوانات البرية	حيوانات المزرعة
<p>الأمّ مأمونة ولو كانت غابونة (ص. 71) [تفصيح: الأم مصدر الأمن وإن كانت دبة] لمرة ألافعة مسمومة (ص. 146) [تفصيح: المرأة أفعى مسمومة] مشرومة كيف أجرانة طالعة السيباز (ص. 147) [تفصيح: امرأة مثل الضفدعة التي تنط على الفراش] لمرة اللي ماهي إمباركة تكوم كيمة الثيرب، تكوم من الدفا وتكيس لكريس (ص. 147) [تفصيح: المرأة غير المباركة تقوم كقيام الأرنب، تذهب من الدفء إلى القر]</p>	<p>لمر فبلد امنين اسلات، ماهو فبلد امنين زبات (ص. 117) [تفصيح: المرة في المكان الذي وضعت فيه لا في المكان الذي نشأت فيه] لمرة ف الدار اعمارة، واخا تعود اعمارة (ص. 121) [تفصيح: المرأة تونس الدار وإن كانت حمارة]</p>

نلاحظ في هذا الجدول غياب صنف الحيوانات الأليفة في وصف المرأة، وربما يرجع هذا الأمر إلى غياب هذه الحيوانات عن هذه الثقافة أو بسبب عدم إيلائها الاهتمام كما تفعل الثقافة الغربية مثلاً. فحضر صنفان نحللهما وفق هذا الترتيب.

### 3-2-1- المرأة حيوان بالمزرعة

ترى لوبيز رودريغيز أن تشبيه امرأة أو رجل بحيوان ما ليس اعتباطياً، وأنه يبرز معتقدات المجتمع حول الذكر أو الأنثى. ولاحظت في اللغة الإنجليزية والإسبانية أن معظم الاستعارات الحيوانية المرتبطة بالرجل تقوم عادةً على الحجم الكبير، والقوة، والمسكن في البرية، وذلك من قبيل الذئب والثور. بينما ينظر إلى النساء بأنهن حيوانات أليفة صغيرة من قبيل الدجاج أو البغاوات (Rodríguez, 2009, pp. 82-83). وهو ما يشير إلى صور نمطية حول الرجال والنساء. وتعبيرها «أن تكون حيواناً برياً، فهذا يعني أن الرجال يحتاجون إلى الحرية وانعدام القيود، وأن تمثل المرأة بأنها حيوان أليف أو من حيوانات الماشية، فهذا يوحي بأن مكانها ينبغي أن يقتصر على المنزل فحسب» (Ibid, p. 83).

إن الوظيفة الأساسية للحيوانات بالمزرعة هي أنها صالحة للاستغلال والأكل. فهي تساعد الإنسان على العمل في الحقل والمزرعة أو تكون مصدراً للطعام. ولو تأملنا الجدول الثاني في الخانة الأولى لوجدنا حيوانين هما الشاة والأتان. والشاة وردت في سياق الولادة، والأتان في سياق ذم الأخلاق. وتشير لوبيز رودريغيز إلى أن هناك رابطاً قوياً بين الدور الأنثوي في إعادة الإنتاج وعمل الحيوانات بالمزرعة؛ حيث ينظر إلى المرأة بأنها كائن يؤدي وظائف حيوانية تتمثل حصراً في الإنجاب والتنشئة. وإضافة إلى ذلك من شأن الحيوانات الثديية أن يركب عليها الرجل، وهو ما يشير إلى الامتطاء ذي الدلالات الجنسية (Ibid, p. 87). وهاتان الدالتان ظاهرتان في المثلين؛ فالمرأة شاة تضع صغارها في منزل زوجها، مما يدل على انفصالها عن منزل عائلتها الأولى، وارتباطها بالخيمة الجديدة. كما أنها تؤنس الرجل، وإن كانت قبيحة وسيئة الخلق.

### 3-2-2- المرأة حيوان بري

تتصف الحيوانات البرية بالحرية، فهي ليست خاضعة للإنسان، إذ لا تحتاج إليه في الحصول على الطعام أو الملحجأ أو الحماية. بل خلافاً لذلك، قد تطرح تهديداً له، وخطراً عليه (Ibid, p. 90). وقد وجدنا خمسة حيوانات برية هي «الدبة»، و«الأفعى»، و«الضفدعة»، و«الأرنب». ونشير هنا إلى أن الأرنب المقصود بها الأرنب البري وليس

أرنب المزرعة. وجميع الأمثال التي وردت فيها هذه الحيوانات تصور المرأة صورة سلبية وتتحدث عنها بشكل سلبي؛ فالأم لا ينبغي الخوف منها وإن كانت دبة، مما يشير إلى دلالة الخطر المرتبطة بهذا الحيوان، والأفعى معلوم خطرهما على الإنسان، فهي تسمم بدنه، أما الضفدعة فترتبط في الحديث المحلي بالوصف بالقبح المتعلق بالتحافة، والأرنب بالخفة، وكلتا الصفتين مذمومة في الثقافة الحسانية. وقد انتهت لوبيز رودريغيز إلى النتيجة نفسها في ذهابها إلى أن كل الحيوانات البرية تقريبا التي وصفت بها النساء استعاريا تظهر تقييمات سلبية. وأن هناك تركيزا على البشاعة والسمنة وعدم الخضوع لتحكم الرجل، وإغفالا للسمات الإيجابية، من قبيل: القوة، والاستقلالية، والذكاء، والبراعة (Ibid, pp. 93-94).

### 3-3- المرأة قريبة من الأقران

ينظر إلى المرأة عادة إما بأنها أم أو أخت، كما ينظر إليها أيضا بأنها عمّة أو خالة أو طفلة أو كهلة بحسب عمرها. وقد توصل كوفيتشيش إلى أن العامية الأميركية تعبر عن خلال استعارتي الأب والأم عن مجموعة من المشاعر أو المواقف تجاه المرأة أو الرجل، اعتمادا على السياق الذي تستخدم فيه، وأن بالإمكان استعمالها لإظهار الاحترام (أو عدم الاحترام) أو إظهار العاطفة أو مزيج بينهما. وأن الاحترام والشعور بالعاطفة يرتبطان باحترام الوالدين وبالعمر؛ فأن تكون كبيرا جدا أو صغيرا جدا، فهذا يحفز شعور العطف؛ لأن الكبير والصغير يحتاجان إلى الاهتمام والحماية، ويستحقان العطف والحب (Kövecses, 2006, pp. 158-159).

وجدنا كثيرا من الاستعارات التي تشير إلى الأم مقدرة لها ومحترمة إياها، وكذلك حال الثقافة العربية عموما. ونمثل لها بهذين المثليين: «رِيحَتْ لَمَاتٌ تُعَيِّشُ» (رائحة الأمهات تبقى على قيد الحياة)، وأيضا «اللِّي أَحْزَنُ مَنْ لَمْ كَهَّانْ» (كاذب من يقول إنه أحزن من الأم) (الحيسن، 2013، ص. 14). بيد أننا وجدنا أمثالا سلبية حول المرأة المسنة وحول العمّة، وهو ما يخالف ما توصل إليه كوفيتشيش في العامية الأمريكية. وهذان المثالان هما:

- العمّة عمّة (ص. 163) (العمّة عمّة).
- لَوَاعَزْ مَاهُ اللَّامَةُ مَعْ لَعَزَائِزْ، لَوَاعَزْ لَفَصَالْ مَعَاهُمْ (ص. 164) (الصعب ليس لقاء المسنات، بل فراقهن).

يبدو أن المثل الأول يصف العمّة بشعور سلبي يصيب المرء جراء قلق أو حزن من أمر ما. ويحث المثل على اتخاذ موقف سلبي من العمّة والحذر منها، والابتعاد عنها

تجنبنا للمكروه الذي قد يصيب المرء بسبب الاقتراب منها. أما المثل الثاني، فيدعو إلى الابتعاد عن النساء المسنات، لأن لهن قدرة على شغل الإنسان والبقاء بجانبهن.

3-4- الكناية التصويرية حول المرأة

انتبه كوفيتشيش إلى أن كثيرا من الصور النمطية حول المرأة تستعمل الكناية. وأن هذه الكنايات عادة ما ترتبط بجوارح المرأة، أو سلوكها أو لباسها إلى غير ذلك (Kövecses, 2006, pp. 160-163). وقد وجدنا مجموعة من الأمثال التي كُتبت عن المرأة أو عن سلوكها باستعمال مجموعة من الأمور المتعلقة بجسدها أو سلوكها، ونورد ذلك موضّحا في هذا الجدول:

### الجدول 3

الكنايات المستخدمة لتصوير المرأة الصحراوية [من إعداد الباحث]

السلوك	العضو	المثل
التجوال والطواف بين البيوت	صفيرة المرأة	1- اللَّيِّ ثَبَاتٌ اَعْلِيهِ الظَّفِيرَةُ، تَصْبَحُ اَعْلِيهِ اللَّحْيَةُ (ص. 99) [تفصيح: ما تتخذها المرأة من قرار في الليل، يقوم به الرجل صباحا]
	الضرس	2- لَمَرَّةٌ لَمَرَّةٌ كَيْفَ الضَّرْسِ لِحَارَةً. (ص. 136) [تفصيح: المرأة المرّة كالضرس المؤلمة]
	جلد المرأة	3- يَلَا تَمَاسُّوا الْجُلُودَ تَكَادُوا الْجُدُودَ. ص. 167 [تفصيح: إذا تماسّت الجلود، تساوت الأنساب]
	الفخذ	4- رَزَقٌ لَمَرَّةٌ تَحْتَ كَايْمَتِهَا، وَرَزَقُ الرَّاجِلِ تَحْتَ كَدْمُو. (ص. 167) [تفصيح: رزق المرأة تحت فخذها، ورزق الرجل تحت قدمه]
	القلب	5- كُلُّ مَسْأَلَةٍ بَغْلِبْنَهَا، وَكَلْبُ الْخَيْمَةِ مُوَلَاتِهَا (ص. 172) [تفصيح: لكل مسألة قلب، وقلب المنزل الزوجة]
		6- لَمَرَّةٌ لَيِّ تَطُوفُ، مَا تَعَزَلُ الصُّوفُ (ص. 167) [تفصيح: المرأة الكثيرة التجوال بين بيوت الناس لا تجد وقتا لغزل الصوف]

تتنوع سياقات استعمال هذه الأمثال ودلالاتها. ولكن الدلالة المخففة فيها ترتبط بمسألة المحرّم في الحديث، وهو من أساليب الكلام في معظم اللغات، حيث التعبير عن الدلالة الجنسية يعبر عنه كناية. فلو نظرنا إلى المثل الأول في الجدول، لوجدنا أن المقصود بأن الرجل ينفذ ما تقوله له زوجته ليلاً، وكذلك المثل الثالث يوحي بالعلاقة الجنسية بتماس جلد الزوجين، وكذلك المثل الرابع. في حين نجد أن المثلين الثاني والخامس يكتيان عن الألم والأهمية، ولا توحى الأهمية إلا بجانب الأُس ذي الدلالة الجنسية، والخدمة ذي دلالة العمل بأعباء الخيمة.

يذم المثل السادس سلوك الطواف على المنازل، لأن فعل ذلك يجعل المرأة لا تؤدي واجباتها المنزلية، وهو ما يعزز أيضاً دلالة الخدمة في المنزل. ولئن كانت الأمثال -بحسب إبراهيم الحيسن- مرآة للمجتمع ولخبرته، وتعبيراً صادقاً عن العادات والتقاليد والأعراف والطقوس والقيم المشتركة. و«دستورا للأمة»، بحسب الأديب الموريتاني المختار ولد حماد (الحيسن، 2013، ص. 42)، فإن هذه المرأة تحتاج إلى الصقل، ويحتاج الدستور إلى التعديل. وتحتاج الأذهان إلى بناء نماذج ذهنية قائمة على المساواة والعدل والاعتراف بالآخر، لا على تأييد التفوق والأفضلية التي رسختها الممارسات التاريخية الممتدة إلى زمن الإمام. وما يصدق على المرأة يصدق على باقي المجموعات المهمة في المجتمع.

## خاتمة

تتنمي الأمثال إلى الموروث الثقافي المشترك، ولذلك فهي تتصف بنوع من التبجيل من الناس الذين يستعملونها، ظناً أنها حكمة السلف، وأنها دستور المجتمع، باشمالها على المعايير والقيم الاجتماعية التي تضبط علاقة الأفراد فيما بينهم. ولعل هذه الطبيعة هي ما يجعل منها مسلمات مهيمنة في المجتمع الذي تسود فيها، وحججاً تأتي لتقطع قول كل خطيب أو متكلم، فضلاً عن إضفاء الجانب الرومانسي عليها لارتباطها بالماضي الجميل. غير أن الوعي النقدي باللغة يجعل الدارس يطرح هذه المسلمات جانبا، ويبدأ في عملية نزع ألفة عن المسلمات والحس البديهي لدى الناس لوسائل دلالات الخطابات التراثية، وينزع الألفة عنها في محاولة لكشف الأيديولوجيات الكامنة فيها، وهذه هي غاية التحليل النقدي للخطاب. ولم تُعنَ هذه المقالة سوى بنية لغوية/ معرفية هي الاستعارة، ولكنها بنية مهمة للغاية وكاشفة للتمثيلات الاجتماعية لمجموعة بشرية حول موضوع ما، وفي هذه المقالة حول المرأة الصحراوية.

نحن في غنى عن القول إن المرأة الصحراوية بنفسها تكرر هذه الأمثال وتستشهد بها، وتعتبرها أمراً مقدّساً، فقد أضحت حساً عاماً غير قابل للتشكيك والنقد. وما تراكم من عقود وقرون حول وضعية المرأة في المجتمعات البشرية على اختلافها يجعل من الصعب تغيير هذه الوضعية. لقد أكد تون فان دايك (Teun van Dijk) المتخصص في دراسة الأيديولوجيات أن من خصائصها أن تُكْتَسَبُ ويُعَادُ إنتاجها وتُقَبَلُ بصورة بطيئة وكذلك تَتَغَيَّرُ ببطءٍ (Van Dijk, 2014, p. 99). ولكن لا يعني هذا الاستسلام، وإنما يعني ضرورة بدء غرس تفكير نقدي بين الأوساط الثقافية بالمغرب، وعلى رأسهم الأساتذة بالمدارس لنقل هذه الوعي إلى التلاميذ، ومن ثم إلى المجتمع حتى تكون له القدرة على التغيير نحو الأفضل، بما يضمن المعاملة العادلة للجميع.

إن هذا «البيان النقدي» الذي قدمناه في هذه الخاتمة، لن يمنعنا من تلخيص النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث، ونوردها وفق هذه النقاط:

- صوّرت الأمثال الحسانية المرأة الصحراوية استعارياً على أنها خيمة ولباس دلالة على كونها سترًا للرجل وحماية له من المعاصي، ولكن أيضاً للدلالة على تقييد حريته، وإمكانية استبداله لزوج جديدة بزوج قديمة.
- اعتبرت المرأة الصحراوية في بعض الأمثال شجرة مقطوعة وشوكة حادة دلالة على عدم تقديرها من جهة، وإبراز الوضع الاجتماعي المتدني لها من جهة أخرى.
- يشير النظر إلى المرأة بأنها ضلع أعوج إلى عدم الثقة بها والخوف من تصرفاتها.
- صوّرت الأمثال الحسانية المرأة حيواناً بالمزرعة وحيواناً برياً، فدّل التصوير الأول على النظر إليها بأنها مصدر للإنتاج (الولادة)، والأنس والاستمتاع (الامتطاء)، ودل الثاني على الخطر والتهديد، وأغفلت السمات الإيجابية للحيوانات من قبيل القوة أو الاستقلالية أو الذكاء أو البراعة.
- وصفت الأمثال الحسانية المرأة، بصفتها قريباً وصبغاً سلبياً داعية إلى الحذر من القربيات الكبيرات في السن (العمات والعجائز)، تجنباً لأي مكروه قد يصيب الإنسان جراء الاقتراب منهن.
- كُنّت الأمثال الحسانية عن المرأة بالإشارة إلى عضو من أعضاء جسدها أو بالإشارة إلى سلوكها، وهي إشارات سلبية في معظمها تشير إلى دلالات جنسية أو سلوكيات مذمومة.

## لائحة المراجع

### أولا-المراجع العربية

- الأصفهاني، حمزة بن الحسن. (1988) سوائر الأمثال على أفعال، تحقيق فهمي سعد. بيروت، عالم الكتب.
- بن حامد، المختار. (1990) حياة موريتانيا: الحياة الثقافية. تونس، الدار العربية للكتاب.
- بن لمام، اعززي. (1998) موسوعة الأمثال الحسانية. انواكشوط/موريتانيا، مطبعة الأطلس.
- الحسين، إبراهيم. (2013) المرأة في الأمثال الحسانية: رزق لمر تحث كايمة. الدار البيضاء، مركز الدراسات والأبحاث الحسانية.
- الشنقيطي، أحمد بن الأمين. (1989) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط. الطبعة الرابعة. مصر، مطبعة المدني.
- الفياض، محمد جابر. (1995) الأمثال في القرآن الكريم. الطبعة الثانية. الرياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي.
- قطامش، عبد المجيد. (1988) الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية. دمشق/سورية، دار الفكر.
- منت البرناوي، لعزيزة. (2010) المرأة البيطانية من خلال الأمثال الحسانية. موريتانيا، مختبر علم الاجتماع.
- ولد ابنو، موسى وآخرون. (د.ت) الأمثال والحكم الشعبية الموريتانية. أنواكشوط، اللجنة الوطنية لجمع ونشر الثقافة الشعبية والمعهد التربوي الوطني.
- ولد البكاي، بابا أحمد. (2002). جامع التراث الشعبي: لَغَنَ وأزوان والأمثلة الحسانية مع مضاربهها في كيفان. الدار البيضاء، المطبعة الجديدة.

### ثانيا-المراجع الأجنبية

- Bratić, Vesna & Milica Vuković Stamatović. (2017) "Commodification of Women through Conceptual Metaphors: The Metaphor Woman as a Car in the Western Balkans". *Gender and Language*, 11(1), pp. 51-76.

- Charteris-Black, Jonathan. (2004) *Corpus Approaches to Critical Metaphor Analysis*. New York, Palgrave Macmillan.
- Charteris-Black, Jonathan. (2011) *Politicians and Rhetoric: The Persuasive Power of Metaphor*, Second Edition. New York, Palgrave Macmillan.
- Charteris-Black, Jonathan. (2019) Jonathan. *Metaphors of Brexit: No Cherries on the Cake?* Switzerland, Palgrave Macmillan.
- Goatly, Andrew. (2007) *Washing the Brain: Metaphor and Hidden Ideology*. Amsterdam/Philadelphia, John Benjamins Publishing Company.
- Johnson, Mark. (1987) *The Body in the Mind: The Bodily Basis of Meaning, Imagination, and Reason*. Chicago/London, The University of Chicago Press.
- Kittay, Eva Feder. (2006) "Woman as metaphor". *Hypatia* 3(2), 1988, pp. 63–86.
- Kövecses, Zoltan. (2005) *Metaphor in Culture: Universality and Variation*. Cambridge, Cambridge University Press.
- Kövecses, Zoltan. (2006) "Metaphor and Ideology in Slang: The Case of WOMAN and MAN". *Revue d'Études Françaises*, 11, pp. 151–166.
- Kövecses, Zoltán. (2010) *Metaphor: A Practical Introduction*. New York, Oxford University Press.
- Lakoff, George & Mark Johnson. (1999) *Philosophy in the Flesh: Embodied Mind and its Challenge to Western Thought*. New York, Basic Books.
- López Rodríguez, Irene. (2009) "Of Women, Bitches, Chickens and Vixens: Animal Metaphors for Women in English and Spanish". *Cultura, Lenguaje y Representación*, vol. VII, pp. 77-

100.

- Schipper, Minkey. (2006) *Never Marry a Woman with Big Feet: Women in Proverbs from Around the World*. Amsterdam, Amsterdam University Press.
- Takada, Mari et al., (2010) "A Study of Metaphorical Mapping Involving Socio-Cultural Values: how Woman is Conceptualized in Japanese". In *14th Pacific Asia Conference on Language, Information and Computation: Proceedings*. Tokyo, Waseda University. pp. 301-312.
- van Dijk, Teun. (2014) *Discourse and Knowledge: A Sociocognitive Approach*. Cambridge, Cambridge University Press.

# التحليل النقدي لاستعارات الحب في العربية المغربية

خديجة بوالزيت

جامعة ابن زهر باكاوير، المملكة المغربية  
khadija.bouzzit.13@edu.uiz.ac.ma

<https://orcid.org/0009-0006-5794-7934>

## الملخص

تُعنى مقالة «التحليل النقدي لاستعارات الحب في العربية المغربية» بدراسة الاستعارات التي تستعمل لتصور مفهوم الحب في العربية المغربية ونقدها، وذلك بغية الكشف عن دورها في ترسيخ مفهوم الحب في التمثلات الذهنية المشتركة إما بشكل سلبي أو بشكل إيجابي. ونفترض أن الاستعارة تستعمل لإخفاء رغبات مختلفة ومتناقضة عن الحب؛ لأنها تُوظف لتسوية التسلط وإخفاء التحكم، كما أنها وسيلة من وسائل إضفاء الشرعية على العنف، والتهديد، والإيذاء النفسي، والجسدي.

تتخذ هذه المقالة نظرية التحليل النقدي للاستعارة إطارا عاما لها، ولا سيما ما قدمه جونان شارترس بلاك في هذا المجال. وغايتها نقد استعارات الحب والتنبيه إلى دورها الخطير في تأسيس الثقة وإقناع الطرف الآخر بالحب استعدادا لجعله ضحية. ولتحقيق ذلك لابد من نشر الوعي بكيفية تفكيك الاستعارات وفهمها بشكل يتيح بناء علاقات حب صحيحة وبعيدة عن التضليل والخداع الذي يُمارس بوساطة الاستعارة، وهو ما سيتيح أيضا تشكيل وعي نقدي بدور الاستعارة في التطبيع والاستدراج والتحكم، ومن ثم تأسيس حب صحي مبني على المودة والرحمة والاحترام المتبادل.

الكلمات المفتاحية: عاطفة الحب، التحليل النقدي للاستعارة، الاستعارة التصويرية، العنف.



# A CRITICAL ANALYSIS OF LOVE METAPHORS IN MOROCCAN ARABIC

Khadija BOUZZIT

Ibn Zohr University, Morocco

khadija.bouzzit.13@edu.uiz.ac.ma

<https://orcid.org/0009-0006-5794-7934>

## ABSTRACT

This article critically examines the metaphors used to understand the concept of love in Moroccan Arabic, with the aim of revealing their role in shaping shared perceptions of love, whether positively or negatively. We hypothesize that these metaphors are used to mask conflicting and contradictory desires related to love; they are employed to justify dominance and control, and serve as a means of legitimizing violence, threats, and psychological and physical harm.

The article adopts the theory of critical metaphor analysis as its overarching framework, particularly the contributions of Jonathan Charteris-Black in this field. Its aim is to critically examine metaphors of love and highlight their potentially harmful role in establishing trust and persuading others into romantic relationships, often leading to manipulation and abuse. To achieve this, it is essential to raise awareness about how to deconstruct and understand metaphors, enabling the development of healthy romantic relationships free from the deception and manipulation inherent in their use. This will also foster a critical awareness of the role of metaphor in coercion, manipulation, and control, ultimately promoting healthy love based on affection, compassion, and mutual respect.

**Keywords:** Love, Critical metaphor analysis, Conceptual metaphor, Violence.

أحدث كتاب الاستعارات التي نحيا بها لجورج لاكوف (George Lakoff) ومارك جونسون (Mark Johnson) ثورة معرفية كبيرة في دراسة الاستعارة في علاقتها باللغة وبالفكر؛ فبعدما كانت الاستعارة في الدراسات البلاغية أداة لغوية لا ينال ناصيتها إلا الحاذقون والتمكنون من اللغة، صارت أداة معرفية وركيزة أساسية من ركائز بناء المعرفة، وأصبحت الثقافة والجسد جزآن لا يتجزآن من إنتاج الاستعارة وفهمها وتأويلها. ولما كانت الاستعارة أداة فكر، كان لزاما على الباحثين ألا يقفوا عند حدود تحديد الاستعارات وفهمها في سياق تداولها في علاقتها بالجسد ويتجارب الأفراد الفردية والجماعية؛ بل لا بد لهم من دراسة أثرها في المجتمع ومعرفة الدور الذي تقوم به في بناء تمثلاته وقيمه ومبادئه. ولتحقيق هذه الغاية ظهرت نظرية التحليل النقدي للاستعارة التي تمزج مفاهيم نظرية الاستعارة التصورية وأدواتها بمفاهيم مشروع التحليل النقدي للخطاب وأدواته، وذلك للبحث في دور الاستعارة في ممارسة الشطط في استخدام السلطة وشرعنة الظلم والخداع والتضليل في مختلف مجالات الحياة، أما غايتها فهي نقد هذه الاستعارات وتفكيكها واقتراح بدائل لها تمكن من استعمال الاستعارة وتناولها بشكل آمن بتزويد عامة الناس بطرائق كشف الغش والخداع.

يعدّ مفهوم الحب من المفاهيم التي تُتصوّر استعاريا نظرا لطبيعتها المجردة، ولأن الناس كانوا وما يزالون يستعملون الاستعارة للتعبير عن عاطفة الحب، أصبحت معظم استعارات الحب التصورية مألوفة، حتى إننا نستعملها دون أن نعي أنها استعارات، ودون أن نعي أثرها في إدراكنا للحب، ومن ثم تجربتنا له. لهذا، ستسلط هذه المقالة الضوء على نقد استعارات الحب في العربية المغربية بغية الكشف عن أثرها في المجتمع، مفترضين أن هذه الاستعارات تعد من الاستراتيجيات التي تستعمل لشرعنة العنف والهيمنة والتسلط في العلاقات بين الذكر والأنثى.

## 1. تعريف التحليل النقدي للاستعارة

يعد جوثان شارترس بلاك (Jonathan Charteris-Black) أحد رواد نظرية التحليل النقدي للاستعارة، وينطلق تصوره للاستعارة من عدّها استراتيجية من استراتيجيات الكلام (Charteris-Black, 2011, p.2) وصورة بيانية تستعمل عادة في الإقناع، لأنها تمثل طريقة جديدة في رؤية العالم، وهي طريقة تقدّم أفكارا جديدة بشأنه (Charteris-

7, p. 2004)؛ فهي تعمل بوصفها أداة بلاغية فعّالة للإقناع؛ لأنها تنشط المعرفة الموجودة سلفاً وتستعملها لفهم الأشياء المعروفة بشكل أقل (Charteris-Black, 2011, p. 18).

يركز تصور شارترس بلاك في تحديد ماهية الاستعارة على جانبها الإقناعي؛ فهي أداة من الأدوات التي تستعمل في الخطابات الحجاجية التي يكون هدفها التأثير في المتلقي وإثارة عواطفه بشكل يجعله يتبنى رأياً جديداً ومن ثم سلوكاً جديداً يمليه عليه من هو أعلى سلطة منه؛ فالغاية الأساسية لكثير من استعمالات الاستعارة هي بناء مصدر شرعي لسلطة المتكلم عبر إظهاره بأنه مصيب (Charteris-Black, 2011, p. 33).

تمنح الاستعارة المتحكّمين في الخطاب القدرة على فرض الهيمنة، ما يعني أن لها دوراً في إحداث التغيير؛ لأن اختيار الاستعارة لا يكون عشياً، بل يكون ذا غايات أيديولوجية تداولية. وكشف هذه الغايات وتعريفها مسعى من مساعي التحليل النقدي للاستعارة، إذ يختار المتكلمون الاستعارة لتحقيق أهداف تواصلية خاصة ضمن سياقات خاصة بدلاً من كونها محددة مسبقاً بالتجربة البشرية، كما يجب أن تدمج النظرية الكاملة للاستعارة منظوراً تداولياً يؤول اختيار الاستعارة بالإشارة إلى غايات استعمالها ضمن سياقات خطابية مخصوصة (Charteris-Black, 2004, p. 247) من أجل تطوير وعي نقدي باللغة بصفة عامة وبالاستعارة بصفة خاصة، ما يمكن المتلقي من الوعي بأثر الكلمة والمفردة في تأويل الخطاب، والكشف عما تخفيه الاستعارة ولا يظهر بشكل شفاف في الخطاب (Charteris-Black, 2004, p. 84).

يدعو شارترس بلاك إلى النظر إلى الاستعارة بوصفها اختياراً واعياً يسعى من طريقه الفاعل الذي يمتلك سلطة التحكم في الخطاب إلى إقناع المخاطب أو تضليله، خاصة حينما لا يكون واعياً بأثر الاستعارة ودورها في الخطاب؛ فحينما لا يكون المخاطب واعياً بمقاصد المتكلم يستعمل خداعه، ولا سيما أن الاستعارة تحظى باستسلام السامع وامتناله النهائي، لأنه يعطها مسلماتاً يؤمن بها، لذلك فالقضية المركزية في تقييم فعل الإقناع هي قضية مدى وعي الجمهور بالمقاصد المغرية للمتكلم: فحينما يفنق هذا الوعي، فإنه يكون عرضة للتضليل. (Charteris-Black, 2011, p. 43).

تهتم دراسة الاستعارة من منظور نقدي بكيفية إخفاء الاستعارات لمقاصد المتكلم، عبر النفاذ إلى أثر الاستعارة في المجتمع وفي الفكر الإنساني، حتى يمكن تحديد التضليل بسهولة حينما ينشأ من الاستعارة (Charteris-Black, 2011, p. 44)، خاصة فيما يرتبط

بالاستعارات المألوفة والتواضعية التي ترسّخت في الأذهان إلى درجة أن الناس في غالب الأحيان يستعملونها وهم غير واعين بأنها استعارات. وقد وضح شارترس بلاك أن الاستعارة «تصبح تواضعية حينما تصبح آلية ولا يبذل المتكلم جهدا في فهمها وتتأسس بوصفها صيغة للتفكير بين أعضاء جماعة لغوية» (Charteris-Black, 2011, p. 17).

وَصَّح شارترس بلاك أنه ليس هناك تعريف جامع لماهية الاستعارة؛ لأن أغلب التعاريف تركز على جانب من جوانبها فحسب؛ إذ تُؤكِّد التعاريف التي تعنى بالجانب المعرفي أن الاستعارة مسألة فكر، بما أنها «تتيح فهم شيء ما انطلاقا من شيء آخر» (لايكوف وجونسون، 2009، ص. 23). وفي عبارة لإيلينا سيمينو هي تلك «الظاهرة التي نتكلم وربما نفكر من خلالها في شيء ما بمفردات شيء آخر» (سيمينو، 2003، ص. 21). ومع أن هذين التعريفين يلفتان الانتباه إلى علاقة الاستعارة بالفكر، فإنهما يغفلان الجانبين اللغوي والتداولي للاستعارة. وإضافة إلى هذا، يرى شارترس بلاك أن تصور الاستعارة نسبي ويرتبط بالمتكلم في علاقته باللغة بمختلف الأزمنة؛ إذ ما يعدّ استعارة اليوم قد لا يكون كذلك غدا (Charteris-Black, 2004, p. 20). وبما أنه ليس هناك تعريف جامع ونهائي لماهية الاستعارة، فإن تحديدها يقتضي تضافر ثلاثة معايير هي: المعيار اللغوي، والمعيار التداولي، والمعيار المعرفي. وانطلاقا من هذه المعايير الثلاثة، نصوغ تعريفا مختصرا ومكثفا للاستعارة يقرِّبنا من تصوّر شارترس بلاك الثلاثي الأبعاد: الاستعارة هي كلمة أو جملة تحدث توترا دلاليا في سياق مخصوص، وتتضمن أفكارا مخفية تحيل على نوايا المتكلم وأهدافه الحقيقية، وغايتها الإقناع الذي يفضي إلى تغيير في النظام التصوري للمخاطب أو لجماعة من المخاطبين (Charteris-Black, 2004, p. 21). يبيّن هذا التعريف المختصر ضرورة الأخذ بعين الاعتبار التعلق بين أبعاد الاستعارة الدلالية والتداولية والمعرفية (Charteris-Black, 2004, p. 2). إذا أردنا تقديم «تأويل عميق للبنيات الاستعارية التي تتحكم في سلوكياتنا اليومية وفي إنتاج الخطابات وفهمها» (بكار، 2024، ص. 226)، كما أن الفهم الجيد للاستعارة يسهم في تحديد الكيفية التي تُضفي بها الشرعية على الفعل (Charteris-Black, 2004, p. 3). ركز شارترس بلاك في تحديده لمقاربة التحليل النقدي للاستعارة على النظر إلى الاستعارة بوصفها أداة حاملة لأفكار وأيديولوجيات تكون غالبا مخفية، وقد جعله وعيه بأن آثار الاستعارة كبيرة واستعمالاتها ليست دائما بريئة، يقدم تصورا نقديا للاستعارة هدفه نشر الوعي بخطورتها وبغاياتها المعلنة والمخفية.

وصف شارترس بلاك دمج مقارنتي الدلالة المعرفية والتداولية القائمتين على الدليل من المتن بأنها «تحليل نقدي للاستعارة» (Charteris-Black, 2004, p. 13)؛ فالنظرة التداولية للاستعارة مطلوبة؛ لأنها تستطيع النفاذ إلى دلالات الاستعارة مع الأخذ بعين الاعتبار المعاني التي يقصدها المتكلم في سياقات محددة (Charteris-Black, 2004, p. 17)، أما التعاريف التي قدمها لمقارنته فنوردها وفق الترتيب الآتي:

- التحليل النقدي للاستعارة هو مقارنة لتحليل الاستعارة تهدف إلى كشف المقاصد المخفية (وغير الواعية بشكل محتمل) لمستعملي اللغة (Charteris-Black, 2004, p. 34).

- التحليل النقدي للاستعارة هو مقارنة في تحليل الاستعارات تهدف إلى تحديد النوايا والأيدولوجيات الضمنية في استعمال اللغة (Charteris-Black, 2004, p. 34).

- التحليل النقدي للاستعارة يحدّد أدوار الاستعارة ووظائفها الأيدولوجية (Charteris-Black, 2004, p. 41).

- التحليل النقدي للاستعارة هو مقارنة تدرس كيفية استعمال الاستعارات لإنشاء رؤى مناقضة ومتنافسة حول العالم، أي لإنشاء الأيدولوجيات (Charteris-Black, 2019, p.12).

- السؤال الأخير الذي يحاول التحليل النقدي للاستعارة الإجابة عنه هو: كيف تحقق الاستعارات والأطر والحكايات الرمزية والسيناريوهات آثارها الإقناعية القوية؟ (Charteris-Black, 2019, p. 23)

تنطلق التعاريف السابقة من فكرة مفادها أن الاستعارة شكل لغوي يُختار بشكل واع -أو غير واع، خاصة حينما تكون الاستعارة مألوفة- للإقناع أو التضليل عبر الترويج لأيدولوجيات تخدم من يمتلكون السلطة، وفضح هذه الأيدولوجيات ونشر الوعي بين عامة الناس بخطورة الاستعارة وأدوارها المختلفة هي غايات التحليل النقدي للاستعارة، لذلك «زيادة الوعي بالاستعارة من خلال تحليل نقدي للاستعارة هو تحليل ضروري لتقوية الأفراد وتقديم بدائل لطرائق فهم العالم الذي نعيش فيه» (Charteris-Black, 2004, p. 243)

تسعى مقارنة التحليل النقدي للاستعارة إلى توعية الناس وتعليمهم طرائق تفكيك الاستعارات بشكل يجنبهم الوقوع في شرك الخداع والتضليل، كما تسعى إلى جعلهم

قادرين على فهم العالم بطرائق جديدة مع تقديم بدائل نستطيع بوساطتها مجابهة الأفكار التي يروج لها المتحكّمون في الخطاب، ما يتيح إنشاء استعارات مضادة وخطابا مضادا؛ «فإذا كانت اللغة أداة أولية للتحكم في الناس، فإن الاستعارة هي أداة أولية يمكن للناس عبرها استعادة التحكم في اللغة وإنشاء الخطاب» (Charteris-Black, 2004, p. 253)؛ فكما يمتلك المتحكّمون في الخطاب الحرية في انتقاء استعاراتهم واستعمالها لتحقيق أغراضهم، يمتلك المخاطّبون الحرية في البحث عن الحوافز التي ترفد الاستعارات مع نقدها وتقديم بدائل لها. وفي هذا الصدد قال بلاك «بأن امتلاك الحق في اختيار استعاراتنا يعطينا الحق في تقديم طرائق بديلة للتفكير في العالم والشعور به، وهو مظهر أساسي من مظاهر الحرية البشرية» (Charteris-Black, 2004, p. 253).

لا تقف نظرية التحليل النقدي للاستعارة عند حدود تحديد الاستعارات التصويرية وتصنيفها وتفسيرها في علاقتها بالثقافة والجسد، بل تدمج الأبعاد اللغوية والمعرفية والتداولية من أجل تقديم فهم أفضل للاستعارة، وهو فهمٌ يفضح الغش ويكشف الشطط الذي قد تكون الاستعارة أداة من أدواته، ولتحقيق هذه الغايات لا بد من اعتماد منهجية في التحليل تتأسس على ثلاث مراحل هي: تحديد الاستعارة، وتفسيرها، وتأويلها. وقبل شرح هذه المراحل لا بد من الوقوف عند الخلفيات النظرية لهذه المقاربة.

## 2. الخلفيات النظرية للتحليل النقدي للاستعارة

صرّح شارترس بلاك بأن مقاربة التحليل النقدي للاستعارة هي محاولة لجمع اللسانيات المعرفية، والمقاربات التداولية للاستعارة، والتحليل النقدي للخطاب، ولسانيات المتن (Charteris-Black, 2004, p. 29)، أي أنها مقاربة تتأسس على منظور شمولي للاستعارة ينطلق مما هو لغوي وتداولي ومعرفي، وسنوضح هذه الخلفيات في ما يأتي:

### 2.1 التحليل النقدي للخطاب

يدرس التحليل النقدي للخطاب العلاقات الجدلية بين اللغة والمجتمع والسلطة بغية تفكيك الخطابات المروّجة للأيديولوجيات السلبية بالعمل «على كشف أمثلة من سوء التمثيل أو التمييز في الخطاب العام عبر عمليتي نزع الألفة وإشاعة الوعي» (فولر، 2009، نقلًا عن فلاورديو وريدشاردسن 2019، ص. 206) وقد عرفه سعيد بكار «بأنه برنامج بحث متعدد التخصصات ذو توجه نحو المشكلات الاجتماعية، ويشمل مجموعة من المقاربات التي تسعى إلى كشف العلاقة بين استعمال اللغة والبنى الاجتماعية التي

يجري فيها هذا الاستعمال، ومن ثم النظر هل هذا الاستعمال مكرس لعلاقات سلطة غير متساوية أم لا، وإذا كان كذلك فيجب معالجة هذا المشكل الاجتماعي في مظهره الخطابية والسعي إلى تصحيحه و/أو التوعية به» (بكار، 2024، ص. 47). نلاحظ من هذا التعريف أن التحليل النقدي للخطاب يتقاسم الأهداف نفسها والتحليل النقدي للاستعارة، إذ يركز التعريفان على نشر الوعي ونزع الألفة عن الخطاب واستراتيجياته بصفة عامة، وعن الاستعارة ووظائفها بصفة خاصة.

عُد التحليل النقدي للاستعارة اتجاها جديدا من اتجاهات التحليل النقدي للخطاب، وقد ظهر نتيجة للانتقادات التي وجهت له، والتي كان من أبرزها إهمال اللسانيات المعرفية التي تعنى بدراسة العلاقة بين البنيات اللغوية والبنيات التصورية في أذهان المشاركين في الخطاب (بكار، 2024، ص. 219).

وضح شارترس بلاك أن الغرض من التحليل النقدي للخطاب كما يمارسه رواده هو تقديم تفسير لاختيارات لغوية معينة (بما في ذلك الاستعارة)؛ فمفهوم الاختيار مهم عند تعريف التحليل النقدي للخطاب؛ لأن القضية الأساسية في تحليل الخطاب هي لماذا، في وقت معين، قيلت أشياء معينة من بين كل الأشياء الممكنة التي يمكن قولها؛ فالاختيار يعني البدائل، ومن ثم الإرادة الحرة، لذلك فالهدف الأساسي للتحليل النقدي للخطاب هو فضح الاختيارات غير المشروعة؛ لأنها تظهر هيمنة مجموعة اجتماعية أكثر قوة على مجموعة ضعيفة، لهذا يقترح التحليل النقدي للاستعارة، أن استعمال الاستعارة هو أحد مجالات الاختيار المهمة، لأنه دائما ما يطرح سؤال هل ستستعمل الاستعارة، وماهي الاستعارة التي ستستعمل؟ لأن هذا الاختيار ينقل أيديولوجية. وبغض النظر عن مدى ترسخ الاستعارات اجتماعيا، فإن الحجة القائلة بأنه تم اختيارها تفترض أنها هادفة. لذا فإن افتراض التحليل النقدي للخطاب والتحليل النقدي للاستعارة أن كثيرا من استخدام اللغة له غرض، وأن الغرض من هذه الأساليب هو زيادة الوعي بالاختيارات التي تظهر وتعزز المعتقدات الاجتماعية، خاصة عندما تفرض هذه المعتقدات علاقات اجتماعية استغلالية (Charteris-Black, 2012, p. 8).

انطلاقا من هذا التوضيح الذي قدمه شارترس بلاك للعلاقة بين التحليل النقدي للخطاب والتحليل النقدي للاستعارة، يتضح أن كليهما يحاول إيجاد تفسير للاختيارات اللغوية سواء أكانت استعارة أم غير ذلك، منطلقين من طرح السؤال لماذا هذه المفردة دون غيرها؟ ولماذا هذه الاستعارة دون غيرها؟ وما أبعاد هذه الاختيارات الفكرية والأيديولوجية، وما دورها في فرض نظام يُقهر فيه الضعيف ويزداد فيه القوي قوة؟

## 2.2 الاستعارة التصويرية

أحدث كتاب الاستعارات التي نحيا بها ثورة في مجال الاستعارة؛ إذ اعتمد لايكوف وجونسون على معطيات لغوية للبرهنة على أن جزءا كبيرا من النسق التصوري للبشر استعاري في طبيعته، وبيّنا ضرورة التوقف عن التعامل مع الاستعارة على أساس أنها خاصية لغوية تتعلق باللغة وبالألفاظ فحسب، بل هي مسألة فكر لا يمكن الاستغناء عنها؛ لأنها حاضرة في تصوراتنا وفي أفعالنا وأنشطتنا اليومية. ويتسم التصور المعرفي للاستعارة بخمس سمات أساسية هي:

- الاستعارة خاصية المفاهيم وليس الكلمات.
- وظيفة الاستعارة الفهم الأفضل لبعض المفاهيم، وليست لها غاية جمالية أو فنية فحسب.
- الاستعارة في الغالب ليست قائمة على المشابهة.
- الاستعارة مستعملة بدون جهد في الحياة اليومية من الناس العاديين، وليس فقط من الناس الموهوبين بصفة خاصة.
- الاستعارة أبعد ما تكون عن كونها تزيينا لغويا ممتعا، فهي عملية حتمية للفكر والتفكير البشريين. (Kövecses, 2010, p. x)

ومن الانتقادات التي وجهت للاستعارة التصويرية المعيار اعتمادها على بيانات حدسية (Kövecses, 2011, p. 24) لا تربط الاستعارة بالواقع وبسياق إنتاجها. فظهرت نظريات حاولت تجاوز الانتقادات الموجهة للنموذج المعيار، منها نظرية المزج التصوري لجيل فوكونيي (Gilles Fauconnier) ومارك تورنر (Mark Turner) ونظرية الاستعارة التصويرية الموسعة لزولطان كوفيتشيش، ونظرية التحليل النقدي للاستعارة التي تعتمد مفاهيم الاستعارة التصويرية وأدواتها لتحديد الاستعارة وتأويلها ثم تفسيرها بغية النفاذ إلى أبعادها الأيديولوجية، لذلك عدّ شارترس بلاك الدلالة المعرفية والتحليل النقدي للاستعارة إسهامين لغويين مهمّين في نظرية الخطابة والإقناع في التواصل السياسي (Charteris-Black, 2011, p. 50) وفي غيره من الخطابات.

## 2.3 التداولية

أكد شارترس بلاك أنه على الرغم من كون الاستعارة التصويرية المعيار نظرية سيكولوجية بالأساس إلا أنها لا تقدم تفسيراً للملفوظات التي من المحتمل أن تؤول كاستعارات، وشروط استعمالها ولا الأسباب في استعمالها، وقال «ربما تحدد هذه الأمور انطلاقاً من

مقارنة تداولية». (Charteris-Black, 2004, p. 14) والغاية من إضافة هذا البعد تنبيه المحلل إلى عدم الاكتفاء بمعنى الكلمات، بل بالمعنى الذي يضيفه المتكلمون على تلك الكلمات عند استعمالها في سياقات معينة» (بكار، 2025، صص. 197 - 198).  
 وحينما نتحدث عن ربط الاستعارة بسياق إنتاجها لا بد من الاعتماد على نظرية تداولية، تنطلق من عدّ الإقناع فعلا كلاميا، لأنه يتضمن نية التأثير في الجمهور وتغيير تفكيره (Charteris-Black, 2011, p. 13).

#### 2.4 لسانيات المتن

«يعد المتن مجموعة كبيرة من النصوص الطبيعية، وهي نقيض النصوص التي يبتكرها اللسانيون وفلاسفة اللغة من أجل توضيح وجهة نظرهم، ولا يحكم جمعها أي قيد سواء تعلق بحجمها أو تأليفها أو نوعها فقد تشمل النصوص المكتوبة والمفرغة من نصوص منطوقة، كما تضم اللغة الرسمية والعامية، والخيالية والواقعية، والنصوص التي ينتجها الأطفال أو البالغون، والنصوص من حقب تاريخية مختلفة» (شارترس بلاك، 2004، ص. 31 نقلا عن بكار، 2025، ص. 198).

#### 3. مراحل التحليل النقدي للاستعارة

تقوم منهجية التحليل في مقارنة التحليل النقدي للاستعارة على ثلاث مراحل هي: تحديد الاستعارة، وتأويلها، ثم تفسيرها (Charteris-Black, 2004, pp.34-35). وهي مراحل تشبه مراحل التحليل النقدي للخطاب كما وردت عند نورمان فيركلف (Norman Fairclough)، إذ تعتمد على خلفية لسانية هي النحو الوظيفي النسقي لمايكل هاليداي (Michael Halliday) الذي حدّد وظائف اللغة في ثلاث وظائف أساسية هي: الوظيفة الفكرية والوظيفة النصية والوظيفة البيشخصية<sup>(1)</sup>، والسبب في اختيار هذه الخلفية اللسانية هو أن النحو الوظيفي النسقي يقدم إمكانيات تسهم في كشف الأيديولوجيات المخفأة في الخطاب والتي يعاد إنتاجها ونشرها انطلاقا من استعمالها بشكل يومي (بكار، 2024، ص. 83).

تتجلى الخطوات المنهجية لتحليل الاستعارة تحليلا نقديا في النقاط الآتية:

(1) - أشار بكار في كتابه بلاغة النقد: دراسات في التحليل النقدي للخطاب إلى أن اللسانيات الوظيفية النسقية ليست شرطا لازما لممارسة التحليل النقدي للخطاب، خاصة وأن فان دايك عدها إطارا غير ملائم لدراسة الخطاب نظرا لما فيها من أوجه نقص. (بكار، 2024، ص. 84).



(1) تحديد الاستعارة: تعنى هذه المرحلة بالمعنى الفكري، أي بتحديد ما هو حاضر في النص، وبيان ما إذا كان هناك توتر بين المجال المصدر الحرفي والمجال الهدف الاستعاري. ويكون هذا التحديد دقيقاً وموثوقاً، خاصة ما يتعلق بالاستعارة المألوفة<sup>(1)</sup>. أما المعيار المعتمد فهو حضور تنافر أو توتر دلالي في المستويات اللغوية أو التداولية أو المعرفية يكون ناتجاً عن انتقال في استعمال مجال، حتى لو كان هذا الانتقال حدث منذ مدة وأصبح مألوفاً؛ (Charteris-Black, 2004, pp. 34-35) أي: أن الاستعارات تحدد باعتماد معيار استعمال الكلمة أو العبارة بشكل يختلف عن المعنى الشائع أو الأساسي، ويظهر عبر تحديد المجال المصدر الذي يختلف عن المجال الهدف، إذ لا يمكن أن يكون هناك معنى محوّل من دون مجالين منفصلين مجال مصدر ومجال هدف. (Charteris-Black, 2011, p. 45) وحينما يتحقق التوتر الدلالي؛ إما على المستوى اللغوي أو المعرفي أو التداولي تكون الاستعارة بذلك قد استوفت شروط ترشّحها للتحليل، ليستعين المحلل فيما بعد بلسانيات المتن لدراسة الاستعارة في سياقات مختلفة من أجل النفاذ إلى دلالاتها (Charteris-Black, 2004, p.35).

(2) تأويل الاستعارة: تحدد هذه المرحلة نوع العلاقات الاجتماعية التي تُبنى بواسطة الاستعارة، ويتضمن التأويل إبراز العلاقة بين الاستعارات والعوامل المعرفية والتداولية التي تحددها. إذ نبحت في مرحلة التأويل عن مدى فاعلية اختيارات الاستعارة في بناء التمثيلات الاجتماعية (Charteris-Black, 2004, pp. 37-38) فحسب شارترس بلاك « لا توجد الاستعارة مستقلة في الكلمات، بل هي مظهر لتأويلنا لاستعمالها في سياقات خاصة» (Charteris-Black, 2004, p.176).

(3) تفسير الاستعارة: تحدد هذه المرحلة المعنى النصي؛ أي الطريقة التي ترتبط بها الاستعارات لتصبح منسجمة في علاقتها بالموقف الذي تقع فيه. ويشمل تفسير الاستعارات تحديد الفاعلية الاجتماعية التي تكون متضمنة في إنتاجها، ودورها الاجتماعي في الإقناع، كما يتضمن أيضاً تحديد الوظيفة الخطابية للاستعارات، ما يتيح تحديد باعثها الإيديولوجي والبلاغي. ويأتي الدليل على

(1) الاستعارة المألوفة هي الاستعارة المستعملة بشكل متكرر في مجتمع لغوي معين إلى درجة يقل فيها الوعي بتوترها الدلالي (شارترس بلاك، 2004، 21، نقلاً عن بكار، 2025، ص. 191).

الباعث الإيديولوجي والبلاغي من المتن حيث الاستعارات تقع بدلا من حدس المحلل (Charteris-Black, 2004, p. 39).

#### 4. التحليل النقدي لاستعارات الحب في العربية المغربية

حظيت مفاهيم العاطفة بعناية الباحثين في مبحث الدلالة المعرفية، نظرا لكونها مفاهيم مجردة يصعب القبض عليها وفهمها، لذلك اعتنى الباحثون بدراسة طرائق تشكيلها في الذهن معتمدين في ذلك على ما توصلت إليه العلوم المعرفية في مجال الاستعارة التصويرية، فكان أن درس الباحثون مفاهيم من قبيل: الحب، والغضب، والحزن، فتوصلوا إلى أنها تفهم استعاريا انطلاقا من استعارات تصويرية عالمية وخاصة، وأنها تتأثر بمظاهر الجسدنة، وبما هو ثقافي. وبغية تقديم تصور متكامل وشامل للاستعارة ظهر اتجاه جديد يستثمر مفاهيم الاستعارة التصويرية وأهداف التحليل النقدي للخطاب من أجل النفاذ إلى الغايات الضمنية التي تتضمن الاستغلال وفرض الهيمنة والسيطرة. وإذا كان الباحثون في مبحث التحليل النقدي للاستعارة ركزوا على الهيمنة التي تمارسها الحكومات على الشعوب، أو الحاكم على المحكوم، أو الفاعل السياسي على الجمهور، فإن هناك نوعا آخر من الهيمنة لا بد من كشفه وتحديد استراتيجياته، هو هيمنة الرجل على المرأة وتحكمه فيها خاصة في المجتمعات الأبوية التي تعلي من شأن الرجل وتمنحه سلطة أعلى من المرأة.

تبنى العلاقة بين الرجل والمرأة على الحب الذي يُعد عاطفة ترسخت في الأذهان بوصفها أنبل ما يربط الرجل بالمرأة، لكن حينما نبحت عن أثر هذه العاطفة في حياة المرأة، وحينما نطالع التقارير الوطنية حول وضع المرأة في المغرب، نجد أن نسبة كبيرة من النساء المغربيات يتعرضن للعنف من قبل الأزواج أو من الشركاء الحميمين الذين يبادلونهن الحب. إذ نقرأ في تقرير المملكة المغربية بخصوص وضع المرأة الصادر سنة 2024 الآتي: «لا يزال العنف ضد المرأة، بجميع أشكاله، مشكلة راسخة تمس أكثر من نصف النساء (57٪ سنة 2019)، (...) و يبلغ معدل انتشار العنف ضد المرأة 58٪ في الوسط الحضري و55٪ في الوسط القروي.» (تقرير الدورة 68 للجنة وضع المرأة، 2024، ص. 78) وخلص التقرير إلى أن جميع أشكال العنف التي تتعرض لها المرأة المغربية (العنف الجسدي والعنف الجنسي والعنف الاقتصادي والعنف النفسي) قد ارتفعت نسبتها بين سنتي 2009 و2019.

تبين الإحصاءات السابقة أن أكثر من نصف نساء المغرب يتعرضن للعنف من قبل الرجل الذي يُفترض أنه يبادلهن الحب. وما دام الحب مفهوماً يتصور استعارياً مثله مثل جميع مفاهيم العاطفة، فلا بد من أن نطرح الأسئلة الآتية: هل يمكن لاستعارات الحب أن تخفي العنف وتكون مسوغاً من مسوغاته؟ ألا يمكن أن تسهم الاستعارة في تكريس سلطة الرجل وتحكمه في المرأة؟ وهل يمكن أن يستعمل الرجل الاستعارة لكسب ثقة المرأة استعداداً لجعلها ضحية لنزواته ورغباته، ومن ثم التحكم فيها والسيطرة عليها واستغلالها؟

#### 4.1 تحديد الاستعارات التصورية

اعتماداً على المبادئ العامة لللسانيات المتن، قمنا بجمع استعارات الحب من اللغة الطبيعية التي ينطق بها أغلب المغاربة وهي الدارجة أو ما يسمى عند الباحثين في اللسانيات المقارنة بالعربية المغربية، وذلك من متون مختلفة ومتنوعة منطوقة ومكتوبة (الاستعمال اليومي، أفلام مغربية، أغاني مغربية، كتب أمثال، تدوينات على مواقع التواصل الاجتماعي، إلى غير ذلك) وتوصلنا إلى أن المغاربة يتصورون مفهوم الحب انطلاقاً من استعارات تصورية متنوعة نوردتها في هذا الجدول:

#### الجدول 1: استعارات الحب في العربية المغربية [من إعداد الباحثة]

المجال المصدر ← المجال الهدف	التعابير الاستعارية	الاستعارة التصورية
الحب ← الرحلة الحبيبان ← المسافرين بداية العلاقة ← نقطة البداية المشاكل ← العراقيل الانفصال أو الاستمرار ← نقطة النهاية	مَشْدَيْتِي شُ مَعَايَا الطَّرِيقِ؛ طَرِيقَ الْعَهْدِ طَوِيلَةَ؛ فَطَرِيقَ هَوَاكَ مَعِيئْتِ حَتَّى تَقْضَى حَاجَتِي؛ لَوْ بِنَ عَادِي يَا قَلْبِي مَتَّقَدَّمْ، تَلَفْتُ شَوْفَ وِرَاكَ تَلَقَّا الطَّرِيقَ لِي فُتْنَاهَا ظُلَامَ أَقْلِبِي؛ سَافِرُوا بَجُوجِ فَسُفِينَةَ لَهِيَامْ؛	الحب سفر/رحلة

المجال المصدر ← المجال الهدف	التعبير الاستعارية	الاستعارة التصويرية
<p>الحب ← الوحدة الحبيبان ← قطعة واحدة الحبيبان لا يمكن أن ينفصلا ← القطعة الواحدة لا يمكن أن تشطر نصفين. مصير الحبيين ← مصير القطعة الواحدة.</p>	<p>يَاكَ فُعْهُودُ الزَّوْجِ كَتَنَّا فُقُو نُكُونُو وَاحِدَ مَاشِي جُوجْ؛ مَرَّتِي وَأَنَا وَاحِدٌ؛ مَنْقَلَشْ نُفُوتِ الْعَبْتَةِ ذِيَالِ الدَّارِ بِلَا بِيكْ؛ كَأَنَّا مَكْتِنْفَارُ قُوشْ؛ مَنْفَرَقْنَا غَيْرَ الْمُوتِ.</p>	<p>الحب وحدة</p>
<p>الحب ← العمى المحب ← الأعمى غشاوة على العين ← غشاوة على العين المحب في خطر ← الأعمى في خطر</p>	<p>عِينِيَا تَعْمَضُو كَيَّانَ لِيَا غَيْرِ هُوَ قَدَامِي؛ تَعْمَاوُ لِيَا عِينِي وَمَبْقِيَشْ شَفْتِ قَدَامِي؛ الْحُبُّ كَيْعَمِي وَيَطْمِي؛ عَيْوَبِكْ مَبْقِيَشْ كَنْشُوفُهُمْ وَاقِيلَا هَذَا هُوَ الْحُبُّ الْأَعْمَى.</p>	<p>الحب عمى</p>
<p>الحب ← الجنون الشخص الواقع في الحب ← الشخص المجنون سلوك الواقع في الحب ← سلوك الشخص المجنون الواقع في الحب غير مسؤول عن أفعاله ← المجنون غير مسؤول عن أفعاله الحب فقدان للسيطرة ← الجنون فقدان للسيطرة</p>	<p>كَطَيَّرَ لَعْقَلْ؛ الْعَشَقُ وَلَهَيَامْ غَيَّبُوا لِيَهْ لَعْقَلْ؛ كَتَسَّطَا اَعْلِيهَا؛ كَتَحَمَّقْنِي؛ خُنْتُ مَرَّتِي وَآخَا كَنْحَمَاقْ عَلِيهَا.</p>	<p>الحب جنون</p>

المجال المصدر ← المجال الهدف	التعابير الاستعارية	الاستعارة التصورية
<p>الحب ← المرض الواقع في الحب ← المرض الحب يسبب الألم ← المرض يسبب الألم المحب في حاجة إلى دواء ← المرض يحتاج إلى دواء</p>	<p>تَنُمُوتُ وَهُوَ خَدَايَا عَمُرُو مَعْرِفَ دَوَايَا؛ عَلَّةَ الْحُبِّ كَتَاكُلَ كُلِّ جِسْمُو، فَطَعْ لِكَلَامٍ وَلِمَاكَلَةَ وَالشَّرَابِ؛ لَعَشِيقَ لِهَائِمِ سَقِيمِ الوُحِّ وَلِكَسَدَةَ؛ قَلْبِي مَلْسُوعٌ وَاعْلِيلٌ.</p>	<p>الحب مرض</p>
<p>الحب ← الجرح المحب ← المجرع ألم الحب ← ألم الجرح</p>	<p>يَا شَقَّةَ فَالْقَلْبُ يَا وَعْدِي جَرَحَكَ بِتَلَالَا؛ يَا شَيْخِي فَالْحَالُ جَرَحْنِي حُبِّ النَّاسِ جَرَحْنِي.</p>	<p>الحب جرح</p>
<p>الحب ← الموت مواجهة الحب ← مواجهة الموت الوقوع في الحب ← الموت</p>	<p>كَنَمُوتِ اعْلِيهَا؛ كَنَحْبِكَ وَنَمُوتِ فِيكَ</p>	<p>الحب موت</p>
<p>الحب ← الغرق المُحِب ← الغريق مواجهة الحب ← مواجهة الغرق فقدان التحكم في الذات ← عدم القدرة على مواجهة الغرق الوقوع في الحب ← الغرق</p>	<p>حَاسَّةَ بَرَأْسِي كُلِّ انْهَارُ كَنَغْرَقِ فِيكَ؛ حَاسِ بَرَأْسُو اغْرَقَ فِيهَا.</p>	<p>الحب غرق</p>

المجال المصدر ← المجال الهدف	التعابير الاستعارية	الاستعارة التصويرية
<p>الحب ← السلعة قيمة الحب ← قيمة السلعة الفشل في الحب ← خسارة النجاح في الحب ← ربح</p>	<p>لَا سُومَةَ لِينَا بِلَا بِيكْ؛ أَشْنَاهُو؟ أَنَا اللَّي نَضِيْعُ فَهَادُ لِعَلَّاقَةَ؛ طَلَّقْنِي، أَشْ رَابِحَةٌ مَعَاكَ فَهَادُ الزَّوَاخِ؟ بِلَا بِيكْ مَكْنَسُوا وَالْو.</p>	<p>الحب سلعة</p>
<p>الحب ← الحفرة الوقوع في الحب ← الوقوع في الحفرة قوة الحب ← عمق الحفرة الصعود من الحفرة ← إنهاء علاقة الحب</p>	<p>مَنْجِيْشْ وَنَطِيْحْ؛ يَا وَيْخْ مَنْ طَاخْ فَيِيْرُ وَصَعَابْ عَنَا طَلُوْعُوْ؛ أَنْهَارُ طَيِّحْتُو، طَيِّحْتُو بِيِيْجَامَا ذِيَالْ سَبْعِيْنْ دَرَهْمْ؛ طَايْخْ فِيْهَا طِيْحَتْ لَعْمَى فَالظَّلْمَةَ.</p>	<p>الحب حفرة</p>
<p>الحب ← الذوبان المحب ← الجسم الذائب ارتفاع كثافة الحب ← ذوبان الجسم</p>	<p>قَلْبِيْ فْ حُبِّكَ ذَايِبْ؛ تَيُّدُوْبْ نُهَارْ عُلْ نُهَارْ بِيْحَالْ الشَّمْعَةَ؛ اسْمَعْ لِكَلَامْ لِمَعْسُوْلْ وَذَابْ قَدَّامُوْ؛ أَنَا ذَايِبْ فِيْكَ.</p>	<p>الحب ذوبان</p>
<p>الحب ← الدواء المحب ← المريض تبادل الحب ← العلاج</p>	<p>يُدَاوِيْ قَلْبِيْهَا؛ قَلُوْبِنَا بِكَلِمَةَ لِمَحَبَّةِ دَاوَاوْ؛ لَهُوِيْ قَالُوا كَيْشَافِيْ.</p>	<p>الحب دواء</p>

الاستعارة التصورية	التعابير الاستعارية	المجال المصدر ← المجال الهدف
الحب بإياة	الشُّوْفَةَ فِيهِ كَتَحَيِّي لِقَلْبِي؛ مَنْقَدْرُشْ نَعِيشْ بِلَا بِيكْ؛ كَلِمَةُ أَحْبَبْتُ كَتَرْدُ الْوُجْهِ؛ حَيَاتِي.	الحب ← الحياة الاستمرار في الحب ← البقاء على قيد الحياة فقدان الحبيب ← فقدان الحياة
الحب غذاء	صَارُوا خُبْزُ وَخُبَّيْزُ	الحب ← الغذاء المحبان ← الطعام الرغبة في الحبيب ← الجوع الوصال ← الشبع
الحب حرب	ادْخَلْتُ فُصْرَاعُ مَبِينِ عَقْلِي وَقَلْبِي؛ قَلْبُ مَسْكَ اللَّيْلِ صَابُوءُ سِهَامُ لِعَشْقِ وَلَهْيَامُ؛ سَيْفُكَ بَتَّازُ أَلَالَةَ؛ حُبُّكَ صِرَاعُ؛ أَنَا عَايِشُ مَعَاكَ غَا بِالسِّيَاسَةِ.	الحب ← الحرب الحبيبان ← المتحاربان
الحب ملكية خاصة	كَيْفَاشْ نُجْرَاتْ وَخُدَاتْ لِيهَا مُوسَى ذِيَالَهَا؛ نَتِي ذِيَالِي وَعُنْدِي الْحَقُّ نَتَّحَكِّمُ فِيكَ.	الحب ← الملكية الخاصة المحبوب ← مملوك التحكم في المحبوب ← التحكم في الأملاك
الحب صيد	جَيْتْ نَصَيْدُو صَيَّنْدِي؛ فَشْبَاكُو حَصَّلْنِي.	الحب ← الصيد المُحِب ← الصياد المحبوب ← الفريسة إقناع الآخر بالحب ← إيقاع الفريسة في الشباك

يبين الجدول السابق أن الحب يُفهم في العربية المغربية انطلاقاً من استعارات متعددة ومختلفة؛ منها ما يرسم صورة سلبية للحب في الأذهان، ومنها ما يصوره بشكل مثالي، لكي نحاول بيان أثر هذه الاستعارات في تصور المغاربة للحب، فسنقوم بتأويل هذه الاستعارات وتفسيرها للوقوف على نوع العلاقات التي تبنيها بين الجنسين في المجتمع، وخاصة فيما يرتبط بالكيفية التي تُسوِّغ بها الاستعارة العنف بجميع أشكاله وتجعل النساء يتقبلنه.

#### 4.2 تفسير الاستعارات وتأويلها

تبيّن الاستعارات التصويرية الواردة في الجدول السابق، أن الاستعارة أداة من الأدوات التي تستعمل للترويج لما يسمى بـ«أيديولوجية الحب الرومانسي»، وهي أيديولوجية تتأسس على فكرتين أساسيتين هما: الحب مثالي، والحب عاطفة تستلزم سلوكيات متطرفة (Ben-Ze'ev & Goussinsky, 2008).

أولاً؛ الحب مثالي: تسهم الاستعارة التصويرية في نشر تصور مثالي وغير واقعي عن عاطفة الحب، لذلك حينما يقع المرء في الحب فإنه ينتظر أن يعيش تجربة تستجيب لتمثلاته عن الحب كما تستجيب لأيديولوجيا الحب الرومانسي (Ben-Ze'ev & Goussinsky, 2008, pp. xi-xii)، ومن سمات الحب المثالي التي تسهم الاستعارة في نشرها نجد:

- لا يستطيع الإنسان أن يعيش بدون حب: أي أن بقاء الإنسان على قيد الحياة رهين بوقوعه في الحب وقيامه للحب الحقيقي (Ben-Ze'ev & Goussinsky, 2008, p. 3) ومن بين الاستعارات التصويرية التي تعزز هذه الفكرة، نجد استعارة الحب حياة التي تتضمن هذين التعبيرين الاستعاريين: نُنَا حَيَاتِي، مَنقُدَرشُ نَعِيشُ بلا بيك، والاستعارة التصويرية الحب وحلة التي تتضمن هذه التعابير الاستعارية: أَنَا وَنَنَا وَاحِدٌ، يَأْكُ تَأَفَّقْنَا نُكُونُو وَاحِدٌ، مَتَّفَرَّقْنَا غَيْرَ الْمَوْتِ. تربط هاتان الاستعارتان مصير الحبيبين بعضهما ببعض، وتجعل عيش أحدهما بمعزل عن الآخر أمراً مستحيلاً، حتى في الحالات التي لا يستطيعان فيها التفاهم أو يتعرض فيها أحدهما للإيذاء، فإنه يقرر الصبر رغبة في إنجاح العلاقة.
- يعطي الحب معنى لحياتنا وهو مصدر جميع حاجاتنا: حينما يستعمل المغربي الاستعارات التصويرية، من قبيل: الحب دَفء (بَعَاوُ ذَاكَ الدَّفءُ يَبْقَا بَيْنَاتَهُمْ) والحب دواء (لَهُوَى قَالُوا كَيْشَافِي) والحب غذاء (صَارُوا حُبْرُ وَحُبْرِي)؛ فإنه يقول

بأن لم يعد في حاجة لا إلى دواء ولا إلى طعام، ولا إلى غذاء إلى غير ذلك؛ لأنه يأخذ كفايته ويلبّي حاجاته كلها من عاطفة الحب، لذلك فهو يكرّس فكرة أن الحب هو كل ما نحتاجه لنعيش في هذه الحياة. لكن هذا النوع من الحب يبعدنا عن الواقع، كما يبعدنا عن الناس جميعا ويحول دون فهمنا لمشاعرنا العميقة (Ben-Ze'ev & Goussinsky, 2008, pp. 5-6).

- ينتصر الحب الحقيقي على كل شيء: تعد الاستعارة التصويرية الحب حرب (حُبِّكَ صِرَاعٌ) من بين الاستعارات التي تروج لهذه الفكرة المثالية عن الحب؛ لأن المُحِبَّ يتصور أن وقوعه في الحب يقتضي الدخول في صراع وفي حرب هدفها تحريك العالم والمحاربة لأجل الظفر بمن يحب، ما يعني أن الحب قوة تستطيع مواجهة الجميع، ويكون النصر والغلبة للحب في نهاية المطاف. هكذا يُنظر للحب على أنه قوة قادرة على مواجهة جميع المشكلات. وإذا استمرت هذه المشكلات في الوجود، فإننا مضطرون للتحمل لأننا نؤمن بأن الحب قادر على المواجهة. وهذا النوع من التمثلات يحول بين الإنسان وبين تغيير شخصيته أو اتخاذ قرار الرحيل حينما لا يشعر بالارتياح، ممّا يصيبه بالإحباط والتوتر، ويفضي إلى لوم الشريك على المشاعر السلبية التي يحس بها، ما يعرضه لخطر الوقوع في علاقة حب غير صحية (Ben-Ze'ev & Goussinsky, 2008, pp. 7-8).

- الحب الحقيقي يكون أبدياً: إضافة إلى استعارة الحب حياة تعد استعارة الحب رحلة/سفر (طَرِيقُ الْعَهْدِ طَوِيلَةٌ؛ فَطَرِيقُ هَوَاكَ مَعِيَّتٌ حَتَّى تَقْضَى حَاجَتِي) من الاستعارات التي تروج لفكرة أبدية الحب؛ لأنها تنطلق من النظر إلى الحب بأنه رحلة يبدوها الحبيبان، وهما على يقين من أنهما سيواجهان العديد من العراقيل التي ستقف في طريقهما وتحول دون وصولهما إلى الغاية المنشودة، لكن هذه الفكرة تدعو الطرف الضحية إلى الصبر؛ لأن العنف مثلاً جزء من العراقيل التي يجب تحملها إذا ما أراد إتمام الرحلة.

- الحبيبان وحدة غير قابلة للانفصال: تعبّر كل من استعارة الحب ورحلة واستعارة الحب ذويان (قَلْبِي فِ حُبِّكَ ذَائِبٌ؛ أَنَا ذَائِبٌ فِيكَ) عن فكرة مفادها أن الحب عاطفة تقتضي اتصال الحبيين وانصهارهما واندماجهما بشكل غير قابل للانفصال، ما يجعلهما يفكران وكأنهما كيان واحد. إلا أن هذا النوع من التفكير يجعل المرأة تضطر إلى تحمل تصرّفات الرجل الذي يكون غالباً هو المتحكم

والمسيطر في علاقة الحب، إلا أن إجبار المرأة نفسها على التحمل من أجل ضمان استمرار العلاقة يعرّض الحب لخطر يتجلى في أن أي فعل يقوم به الرجل يؤثر بشكل مبالغ فيه في المرأة، وقد تلوم نفسها عليه لدرجة التصديق بأنها سبب مباشر فيه، لكن حينما تكون هناك مسافة بين الطرفين؛ فإن تلك المسافة تكون قادرة على امتصاص بعض الصدمات، كما تمنح الطرفين القدرة على اتخاذ القرار الصحيح (Ben-Ze'ev & Goussinsky, 2008, p. 14).

تنشئ الاستعارات التصويرية السابقة فئة من النساء يسمّين بالنساء ضحايا الحب الرومانسي أو ضحايا الحب المثالي؛ لأنها توهم بأننا نعيش تجربة حب تستجيب لتمثالاتنا عن الحب كما تستجيب لأيدولوجيا الحب الرومانسي التي تقوم على معتقدات من قبيل: الحبيب هو كل شيء بالنسبة للمحبيب، والحب هو كل ما نحتاجه، ويبقى الحب الحقيقي إلى الأبد ويستطيع هزيمة كل شيء، ويعد الحبيبان الحقيقيان وحدة، والحب استثنائي ولا يمكن تعويضه (Ben-Ze'ev & Goussinsky, 2008, pp. xi-xii)؛ إذ يفهم الحب انطلاقاً من هاته المعتقدات على أنه عاطفة طاهرة وقوة لا تقهر؛ لأنها قادرة على مواجهة جميع الصعوبات، لكن هذا التصور المثالي للحب الذي تسهم الاستعارة في ترسيخه بعيد كل البعد عن الواقع؛ لأن الحب ليس متناقضاً بطبيعته فحسب، وإنما قد يؤدي أيضاً إلى عواقب خطيرة (Ben-Ze'ev & Goussinsky, 2008, p. xii) تتجلى في أن إضفاء المثالية على الحب والعلاقات، يؤدي إلى قبول السلوكيات الضارة بوصفها تعبيراً عن العاطفة (Chung, 2005 cited in Glomb, et al., 2025, p. 4).

أصبح البحث عن إرضاء الطرف الآخر شرطاً ضرورياً من شروط الحب الرومانسي، وهنا من الضروري التمييز بين الإرضاء والتكيف؛ فحينما نحاول إرضاء الآخر؛ فإننا نتقبل بعض الأمور على الرغم من كونها سلبية، لكن حينما نتكيف معه نكف عن رؤية الأمور السلبية على أنها كذلك (Ben-Ze'ev & Goussinsky, 2008, p. xv). وهذا يفضي إلى التضحية بالنفس، والتسوية اللامحدود، وعدم القدرة على إنهاء العلاقة والرحيل، وترك الآخر على الرغم من كونه مؤذياً أو عنيفاً، إلى غير ذلك. وبدلاً من الاعتراف بأنه من المقبول أن تنتهي العلاقات السيئة، فإن أدبيات علم العلاقات ونصوص العلاقات الاجتماعية تحت الأزواج على حل الأمور وعدم الاستسلام والكفاح من أجل إنجاح العلاقة وإبقاء الحب حياً وهذا كله ينشئ عبئاً لا مبرر له على العلاقات (Conley, et al., 2018, p. 124).

ثانياً؛ الحب عاطفة تستلزم سلوكات متطرفة: حينما نطالع الاستعارات التصويرية الواردة في الجدول السابق، نلاحظ أنه إضافة إلى أنها تروج لأفكار مثالية وغير واقعية عن الحب؛ تربط أيضاً الحب الحقيقي والأبدي بسلوكات متطرفة وعنيفة لدرجة أن أفراد المجتمع أصبحوا يعدّون ضرب الرجل للمرأة تعبيراً عن حبه لها، إذ نقرأ في تعاليق «جريدة هسبريس» الإلكترونية بعد نشرها لنتائج تقرير يرصد نسبة تعرّض النساء المغربيات للعنف من الرجال، ما يشجع على العنف ويعدّه تعبيراً عن الحب، ومن أمثلة ذلك: رآه هَذَاكَ غَيْرَ تَعْبِيرٍ عَنِ الْحُبِّ، هَذَا الْمُنْتَظَمَاتُ مَفَاهِمِينَ وَالْو [ذاك مجرد تعبير عن الحب، هاته المنظمات لا تفهم شيئاً] مَلِي تَدْخُلُ لِدَارِ سَوَاطِ لَمْرَةَ يَلَا اِنْتَا مَعْرِفَتِيْشْ عَلاشْ هِي رَاة عَارَافَةَ [حينما تدخل إلى المنزل اضرب المرأة؛ فإن لم تكن تعرف أنت السبب فهي تعرفه] (اطلع عليه في: <https://shorturl.at/PDceb>)، حتى أنه اشتهرت مقولة: يَضْرِبُنِي وَمَا يَخْلِي لِي يَضْرِبُنِي [يضرّني لكنه لن يسمح لأحد بضرّي] بين النساء المغربيات اللاتي يتعرضن للضرب من أزواجهن، أي أن الأمر وصل إلى الافتخار بالضرب بوصفه تعبيراً عن الحب.

يتضمن الحب الرومانسي سلوكات متطرفة وعنيفة تكرسها استعارات تصويرية كثيرة منها: الحب جنون، والحب عمى، والحب موت، والحب مرض، والحب نار، والحب حرب، والحب ظلام، والحب غرق، والحب ملكية خاصة، والحب صيد، وغير ذلك. وتركز هذه الاستعارات على جوانب الحب السلبية التي تتجلى في كون الحب عاطفة تذهب العقل وتفقد الإنسان القدرة على التحكم في نفسه وفي تصرفاته (مُخَلِّينِي بِلَا عَقْلٍ)، وتعميه (الْحُبُّ كَيْعْمِي وَيُطْمِي)، وتشعل في قلبه نيران الغيرة، فيتحوّل من شخص عاقل إلى شخص مجنون وأعمى ومريض وغريق تسيطر عليه الغيرة وحب التملك، فيعبر عن حبه بالسيطرة والتحكم والعنف، وعلى الرغم من كون كل هذه السلوكات غير مقبولة في الواقع، إلا أن الاستعارة تشرعنها وتجعل العنف في الحب أمراً مألوفاً، فما دام العنف يقع باسم الحب فلا بأس؛ لأن الحب الحقيقي والأبدي يقتضي الصبر والتضحية.

يعني إضفاء الشرعية على العنف تأييده أو الموافقة الضمنية عليه بوصفه وسيلة مقبولة لحل النزاعات أو السيطرة عليها، وتتجلى الشرعية على المستوى الفردي في تسويغ الأفعال المسيئة، أو التقليل من الضرر الناجم عنها، أو تحويل اللوم إلى الضحية (Baldry et al., 2015, Cited in Glomb, et al., 2025, p. 3) وفيما يخص المستوى

الاجتماعي نرى أنه يُتسامح مع السلوكيات الضارة أو يُتغاضى عنها أو يُطعَم معها، ما يوفر بيئة مناسبة لاستمرار العنف وضمان استدامته في ظل انتشار ثقافة الصمت والامتناع عن التدخل (Gracia, 2004, Cited in Glomb, et al., 2025, p. 3).

تعد استعارات الحب التصورية حججا تستعمل لإفناع المرأة بالحب، وفي الحالات التي يكون فيها الحب علاقة سامة وغير صحية تتأذى فيها المرأة نفسيا وجسديا، تستعمل الاستعارة في البداية بوصفها استراتيجية لتأسيس الثقة استعدادا لجعل المرأة ضحية أو فريسة ثمينة للصيد الذكر، إذ يمكن له قتلها وأسرها أو استعبادها دون شفقة ولا رحمة كما ترسخ ذلك استعارة الحب صيد (Gandomkar & Hashemi, 2024, p. 102)، ثم تستعمل فيما بعد لتقبل العنف وجعله مألوفا لدرجة أنه يصبح لازمة من لوازم الحب. يسهم هذا النوع من الحب الذي تربطه الاستعارة بسلوكيات سلبية في نشر ما يسمى بـ «أساطير الحب المشوّه» التي تربط الحب في الأذهان بسلوكيات سلبية، فتنتشر بذلك أفكار مشوّهة عن الحب تزيد من نسب التعرض للعنف والإيذاء الذي يكون مسوغا بالاعتقاد المشوّه بماهية الحب (الحب جنون، الحب عمى) (Lozano et al., 2024, p. 7).

إن الغاية من تحليل استعارات الحب في العربية المغربية تحليلا نقديا، هو إيجاد بدائل لهذه الاستعارات، والترويج لنوع من الحب لا يتخذ العنف وحب التملك والسيطرة مبادئ له، لذلك دافع آرون بن زيف وروهاما غوسنسكي في كتابهما باسم الحب: الأيديولوجيا الرومانسية وضحايها عن كون الناس في حاجة إلى إيجاد بديل للأيديولوجيا الرومانسية التي تضيف طابعا رومانسيا على العنف (Glomb, et al., 2025, p. 24)، وتتخذ الحب هدفا ساميا يسعى الإنسان إلى تحقيقه (Ben-Ze'ev & Goussinsky, 2008, p. xii). ودعيا إلى مقارنة بديلة سميها المقاربة المُغذّية (The Nurturing Approach) تتأسس على التحول من نموذج حب يقوم على تقدير الآخر (Other-validation) إلى نموذج حب يقوم على تقدير الذات (Self-validation)، وهو نموذج يتمركز حول الذات، ولا يعد تنمية قدراتها واحتياجاتها الحقيقية أنانية، لأن هدفه بناء علاقة حب متكافئة مع الآخر (Ben-Ze'ev & Goussinsky, 2008, p. xvi).

### 4.3 نقد استعارة الحب جنون

تعد الاستعارة التصورية الحب جنون من أكثر الاستعارات التي تستعمل للتعبير عن

عاطفة الحب في العربية المغربية، وتتضمن التعابير الاستعارية الآتية: كُنْحَمَاقُ عَلَيْكَ، حَمَقْتَنِي، هُبَلَاتْنِي، إلى غير ذلك. وتشير كلها إلى دور الحب في إفقاد الإنسان القدرة على التفكير السليم. وبغية تحليل هذه الاستعارة تحليلاً نقدياً سنستعين بنظرية المزج التصوري لجيل فوكونبي ومارك تورنر (Fauconnier & Turner, 2008) التي تمنحنا القدرة على تحديد البنية البارزة للتعبير الاستعاري في سياق تداوله، ثم سنحدد فيما بعد دلالة الاستعارة المخفية وأثرها في فرض الرجل السيطرة على المرأة، ودورها في شرعنة العنف والتطبيع معه ومع جميع أشكال الهيمنة والسيطرة. وذلك انطلاقاً من السياق التواصلي الآتي:

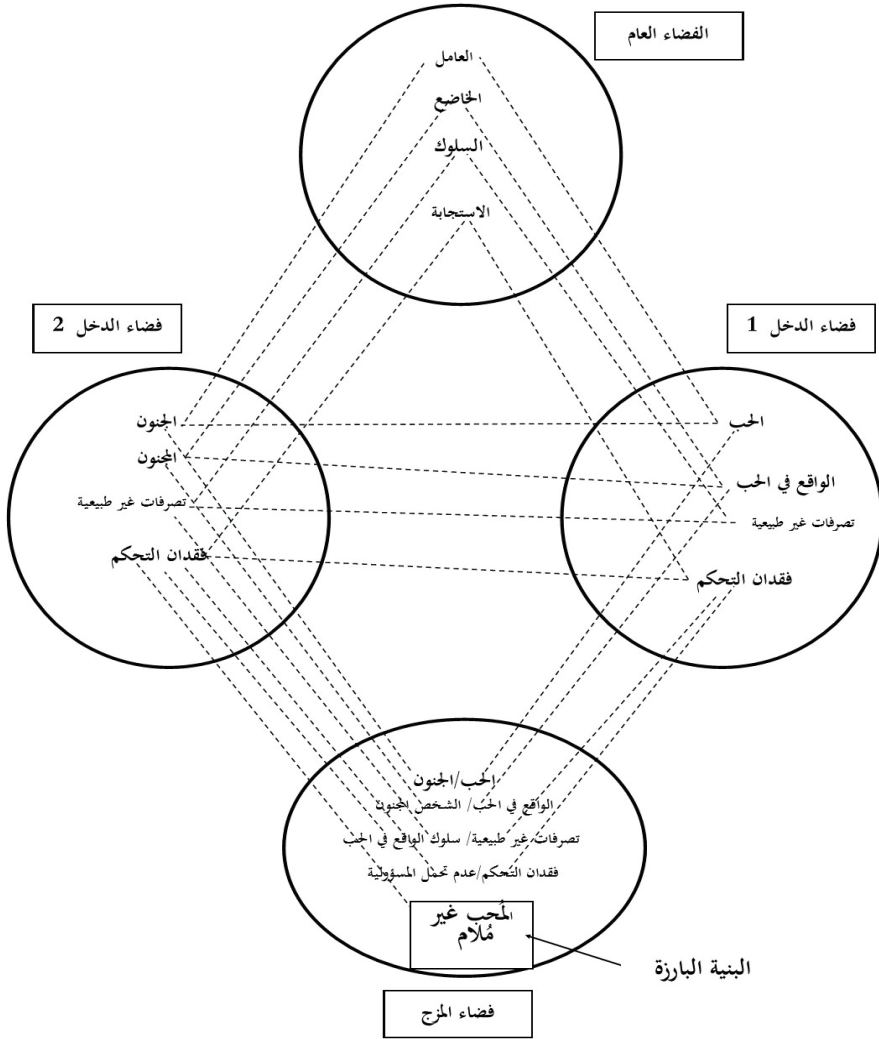
- نَبِي رَاكَ جَنَّتِنِي وَمَخْلَيْتِي لِيَا الْعَقْلُ بِأَشْ نَفَكَرْ؛  
 - حَتَّى أَنَا كَنْحَمَاقُ عَلَيْكَ أَحْيَايَ كَنْتَضَطِي عَلَيْكَ؛  
 - (...)

- وَاللَّهِ مَكْنَتْ بَعَيْتَ نَضْرَبْكَ، مَعْرِفْتَشْ شُنُو وَقَعْ لِيَا، فَكَلْتِ السَّيْطَرَةَ عَلَيَّ رَاسِي،  
 عَفَاكَ أَحْيَايَ غَيْرَ سَكْتِي مَبْكَيشْ وَاللَّهِ مَنَعَاوْنَهَا؛  
 - أَنَا مَبْغَيْتَشْ إِبْقَاوْ الْمَشَاكِلْ بَيْنَاتْنَا، أَنَا مَعْصَبَةٌ وَنَتَا مَكْتَفَاهُمْشْ وَإِدِيكَ سَابِقِينْكَ؛  
 - أَشْنُو دَابَا أَحْيَايَ سَمَحْتِي لِيَا حَيْثُ ضَرَبْتِكَ؛  
 - هَانِيَّةٌ أَحْبَبِي غَيْرَ مَتَعَاوْنَشْ؛  
 - لَا لَا مَنَعَاوْنَشْ آخِرَ مَرَّةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. (اطلع عليه في: <https://shorturl.at/>)

(ZsnKj)

يعبر زوجان في هذا السياق التواصلي عن مدى حبهما لبعضهما بعضاً، وهو حب وصل إلى درجة الجنون، لكن حدث أن وقع سوء تفاهم بينهما، دفع الرجل إلى ضرب زوجته، لكنه ما لبث أن ندم على فعلته، فطلب الاعتذار. وقد سوَّغ ما قام به بفقدان السيطرة على نفسه، ليطلب من زوجته أن تسامحه وهو متأكد من أنها ستفعل، وإعداداً لها بعدم تكرار ما فعل مرة أخرى، فما كان منها إلا أن سامحته لأنها تحبه.

الشكل 1: الإسقاطات الاستعارية لاستعارة الحب جنون [من إنجاز الباحثة]



تركز استعارة الحب جنون على جانبين اثنين من جوانب العاطفة هما: السلبية والتحكم؛ فالفهم الشعبي لعاطفة الحب، يركز على عدّ الحب تجربة سلبية تُفقد الإنسان السيطرة على نفسه وعلى أفعاله، ويظهر ذلك في استجابات المحب السلوكية والجسدية التي تكون غير طبيعية، ولا تكون الذات مسؤولة عنها لأنها نتيجة قوة داخلية لا تستطيع مواجهتها، لذلك يُنظر إلى العنف الذي يكون مميّزًا غالبًا على أنه انفجار



فردى للغضب، يُعزى إلى «فقدان السيطرة» بدلاً من تصويره على أنه ترويج لنمط من سوء المعاملة، كما يسوغ العنف، ويطبّع معه، ويؤطره بوصفه حادثاً معزولاً غير متوقع ولا مفر منه (Gillespie et al., 2013; Herbst & Gez, 2012, Cited in Glomb, et al., 2025, p. 4).

ترفع استعارة الحب جنون اللوم عن المحب، فما دام مجنوناً فهو معذور ولا يمكن محاسبته ولا معاقبته ولا قطع العلاقة معه؛ لأن العنف (ضرباً كان أو إهانة، أو تحكما، أو استغلالاً، أو خيانة، أو تهديداً، أو غير ذلك) أمر غير متحكم فيه وخارج عن السيطرة، وتزيد السلطة التي يخولها المجتمع للرجل الأمر سوءاً، إذ يُتوقع من المرأة التي تتعرض للعنف أن تسامح الرجل (أَشْنُو دَابَا أَحْيَاتِي، سَمَحْتِي لِيَا حَيْثُ ضَرَبْتِكُ) [وماذا الآن، هل سامحتني يا حياتي لأنني ضربتك]. والخطير أنها تسامحه، وتتكيف مع العنف وتتقبله؛ لأن من ضربها يدعي أنه مجنون بحبها. ما يؤكد أن اختيار الرجل لاستعارات أنا مجنون بحبك، وأنت حياتي، ولا أستطيع العيش بدونك، ليس بريئاً، بل له غايات هي فرض الهيمنة والسيطرة على المرأة التي تعد أقل قوة منه. وما دامت المرأة قد سامحت الرجل فقد تحققت فيها شروط التأثير في المتلقي، والتي افترض تون فان دايك (Teun van Dijk) أنها تحضر في ثلاثة أمور: أن يكون المتحدث ذا سلطة، وأن يكون المتلقي ذا ثقة في المتحدث، وألا يكون للمتلقي تجربة تخالف ما يقوله المتكلم (فان دايك، نقلاً عن بكار، 2025، ص. 209).

إن نزع الألفة عن هذا النوع من الاستعارات صار أمراً ضرورياً وملحاً، لأن بناء مجتمع سليم يبدأ ببناء أسرة يعيش فيها الرجل والمرأة علاقة حب صحيّة؛ إذ يجب أن تعلم النساء أن إضفاء طابع رومانسي على العنف بوساطة الاستعارة، لا يجعل من العنف أمراً عادياً، بل العنف بجميع أشكاله يظل جريمة يعاقب عليها القانون، وإن لم تكن المرأة قادرة على اتخاذ أي إجراء قانوني، خاصة في الحالات التي ينظر فيها إلى العنف الزوجي على أنه مشكلة زوجية أو قضية عائلية، لا يمكن إدخالها في الحكم الجنائي (Meyer, 2011; Pallatino et al., 2019, Cited in Glomb, et al., 2025, p. 4)، فعليها اتخاذ القرار والرحيل قبل أن تفقد حياتها.

## خاتمة

نستنتج إذاً، أن تحليل استعارات الحب تحليلاً نقدياً، مكّننا من الوقوف على الغايات

الضمنية التي تخفيها استعارات الحب في العربية المغربية، وهي غايات لا نعيها ولا نعي أدوارها في تشكيل تصورنا للحب، ومن ثم طريقة عيشنا له. تسعى معظم استعارات الحب التصورية في العربية المغربية إلى ترسيخ «أيديولوجية الحب الرومانسي» التي تتأسس على فكرتين أساسيتين: أولاهما أن الحب مثالي ولا يمكن أن يكون مؤذيا، وثانيهما أن الحب عاطفة تستلزم سلوكيات متطرفة ترسم في الأذهان صورة مشوهة للحب؛ فالإيمان بمثالية الحب يحول دون إمكانية تصوّره سببا من أسباب العنف والتحكم، ما يفضي إلى تقبُّل العنف وعدّه تعبيراً عن الحب يستدعي الصبر والتضحية للحفاظ على أودية الحب عوضاً عن التفكير في الرحيل وبدء حياة جديدة.

إن حديثنا عن أثر استعارات الحب ودورها في زيادة حالات العنف ضد المرأة في المغرب، جاء من منظور علاقة السلطة التي تربط الجنسين في هذا البلد، فقيم المجتمع ومبادئه والتنشئة الاجتماعية، تعطي الرجل الحق في التحكم في المرأة وتجعله أقوى وأعلى سلطة منها، لكن على الرغم من كل هذا فنحن لا ننكر إمكانية تعرض الرجل لآثار الاستعارة؛ فما دام استعمال الاستعارة اختياراً غير بريء دائماً، يمكن لأي طرف استعمالها لتحقيق مصالحه وأغراضه الشخصية بغض النظر عن جنسه وعن السلطة التي يخولها له المجتمع.

## لائحة المراجع

### أولاً- المراجع باللغة العربية

- بكار، سعيد. (2024). بلاغة النقد: دراسات في التحليل النقدي للخطاب. الدار البيضاء، أفريقيا الشرق.
- بكار، سعيد. (2025) «الاستعارة والأيديولوجيا دراسة نقدية لاستعارات السياسة اللغوية بالمغرب». مجلة اللساني، المجلد 2، العدد 3، صص. 185-209.
- تقرير المملكة المغربية للدورة 68 للجنة وضع المرأة. (2024) وزارة التضامن والإدماج الاجتماعي والأسرة.
- سيمينو، إينا. (2003) الاستعارة في الخطاب. (ترجمة عماد عبد اللطيف وخالد توفيق). القاهرة، المركز القومي للترجمة.
- فلاورديو، جون وجون ريدشاردسن. (2019) «مقدمة كتاب دليل روتلج للدراسات

- النقدية للخطاب». (ترجمة سعيد بكار وأحمد العياشي)، أنساق لغوية وثقافية، العدد 1، صص. 205-218.
- لايكوف، جورج ومارك، جونسون. (2009) الاستعارات التي نحيا بها. (ترجمة عبد المجيد جحفة). الدار البيضاء، دار توبقال للنشر.

## ثانياً- المراجع باللغة الإنجليزية

- Ben-Ze'ev, Aaron & Ruhama Goussinsky. (2008) *In the name of love :Romantic Ideology and its Victims*, Oxford University Press :Oxford.
- Charteris-Black, Jonathan. (2004) *Corpus Approaches to Critical Metaphor Analysis*. New York, Palgrave Macmillan.
- Charteris-Black, Jonathan. (2011) *Politicians and Rhetoric :The Persuasive Power of Metaphor*. Second Edition. New York: Palgrave Macmillan.
- Charteris-Black, Jonathan. (2012) (Forensic Deliberations on Purposeful Metaphor."Metaphor and the Social World,(1), pp. 1-21.
- Charteris-Black, Jonathan. (2019) *Metaphors of Brexit :No Cherries on the Cake?* Switzerland :Palgrave Macmillan.
- Conley, Terri et al. (2018) "Love is Political :How Power and Bias Influence our Intimate Lives", In Robert Jeffrey Sternberg, Robert Sternberg, Karin Weis, *The new psychology of love*. Second Edition. Cambridge :Cambridge University Press, pp. 117-137.
- Fauconnier, Gilles & Mark Turner. (2008) *The Way We Think: Conceptual Blending and the Mind's Hidden Complexities*. New York :Basic books.
- Gandomkar, Raheleh and Masoom Hashemi. (2024) "The Conceptual Domain of Hunting and Its Negative Representation

- in Love :A Cognitive-Cultural Analysis .«*Research in Western Iranian Languages and Dialects* ,12(3) ,pp .101-119.
- Glomb, Kaja et al) .2025“ (Does love forgive all? The Role of the Romantic Love Narratives in the Legitimization of Intimate Partner Violence”, *Psychology, Crime & Law*, 31(7), pp.1-32.
  - Kövecses, Zoltan. (2010) *Metaphor :A Practical Introduction*. Second Edition .New York :Oxford University Press.
  - Vallejo Lozano ,Vanessa et al). (2024) “The Myths of Romantic Love and Violence in Courtship ,”*Revista de Gestão Social e Ambiental* ,18(5), pp.1-13.
  - Zoltán ,Kövecses. (2011) “Methodological Issues in Conceptual Metaphor Theory”, In Sandra Handl ,Hans-Jörg Schmid. *Windows to the Mind :Metaphor ,Metonymy and Conceptual Blending* .Berlin/New York :Walter de Gruyter ,pp.23-39.

التحليل النقدي للخطاب  
والسيمياءات



## الدين والإشهار

### مقاربة سيميائية اجتماعية لشريط إشهاري لأمنية بنك

إبراهيم شكري

مختبر الأنساق اللغوية والثقافية/ جامعة ابن زهر، المملكة المغربية

Ib.choukri@hotmail.com

<https://orcid.org/0009-0001-6973-0541>

#### الملخص

تُعنى هذه المقالة بدراسة البعد الديني في الخطاب الإشهاري من منظور السيميائيات الاجتماعية، من خلال تحليل شريط إشهاري لبنك «أمنية بنك» التشاركي بالمغرب، يقدم قصة امرأة اقتنت سيارة تحقيقاً لأمنية والدها. يهدف البحث إلى الكشف عن الكيفية التي يوظف بها الخطاب الديني في خدمة المقاصد التسويقية عبر تفعيل منظومة من الرموز والمضامين التي تجمع بين القيم الإيمانية والغايات الاقتصادية. استثمرت الدراسة اللسانيات النقدية والنحو البصري للكشف عن التفاعلات بين المكونات اللغوية والبصرية في بناء المعنى الإشهاري وإنتاج الأثر الإقناعي. وقد أظهرت نتائج التحليل أن الخطاب الإشهاري يوظف المرجعية الدينية بوصفها أداة لإضفاء المشروعية الرمزية على النموذج البنكي التشاركي، كما يسعى إلى التوفيق بين القيم الروحية ومتطلبات الحياة المعاصرة، من خلال تمثيل للاستهلاك يُظهر تصوراً جديداً للالتزام الديني في المجتمع المغربي.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الإشهاري، السيميائيات الاجتماعية، البعد الديني، الأبنك التشاركية، أمنية بنك.



# RELIGION AND ADVERTISING

## A SOCIO-SEMIOTIC APPROACH TO AN UMNIA BANK ADVERTISEMENT

Ibrahim Choukri

Laboratory of Linguistic and Cultural Systems / Ibn Zohr University, Morocco

Tb.choukri@hotmail.com

<https://orcid.org/0009-0001-6973-0541>

### ABSTRACT

This article examines the religious dimension of advertising discourse through the lens of social semiotics, focusing on an advertising video produced by the Moroccan participatory bank Umnia Bank. The video narrates the story of a woman who purchases a car in fulfillment of her father's wish. The study aims to reveal how religious discourse is mobilized to serve marketing purposes by activating a system of symbols and meanings that bridge faith-based values with economic objectives. It employs concepts from Critical Linguistics and Visual Grammar to explore the interaction between linguistic and visual components in constructing advertising meaning and generating persuasive effect. The analysis shows that advertising discourse employs religious references as a means of conferring symbolic legitimacy on the participatory banking model, while seeking to reconcile spiritual values with the demands of contemporary life through a representation of consumption that reflects a new understanding of religious commitment within Moroccan society.

**Keywords:** Advertising discourse, Social Semiotics, Religious dimension, Participatory banks, Umnia Bank.

يعدّ استعمال الدين في الإشهار أمراً مألوفاً في المجتمعات المتديّنة التي تأسرها اللغة الدينية برموزها ودلالاتها. وقد بدأ استثمار هذا الأمر منذ بداية ظهور الإسلام؛ إذ احتفظت لنا كتب التراث العربي بقصص تبرز أثر الدين في الإشهار، ومن هذه القصص الدائرة على ألسن الناس اليوم قصة الزاهد والمرأة ذات الخمار الأسود، وهذا نص لما جاء فيها: «ومن أخبار الدارمي عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد قال: قدم تاجر من الكوفة المدينة بخُمُر فباعها كلها، وبقيت السود، فلم تنفق. وكان التاجر صديقاً للدارمي، فشكا إليه ذلك. وقد كان الدارمي نسك وترك الغناء وقول الشعر، فقال له: لا تهتم بذلك، فإني سأنفقها لك حتى تبيعها بأعلى ثمن تريده، ثم قال:

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا صنعت براهب متعبّد

قد كان شمّر للصلاة ثيابه حتى وقفت له بباب المسجد

وغنى فيه، وكذلك غنى فيه سنان الكاتب، وشاع في الناس، وقالوا: قد فتن الدارمي ورجع عن نسكه. فلم يبق في المدينة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود، بما أحب واختار حتى نفذ ما كان مع العراقي منها، فلما علم ذلك الدارمي، رجع إلى نسكه ولزم المسجد حتى مات» (الدواداري، 1992، الجزء الخامس، صص. 28-29).

مجمل القول إن الإشهار، سواء في شكله القديم أو الحديث، يوظف كل ما من شأنه أن يثير اهتمام الجمهور، ويقنعه من أجل شراء منتج أو الاستفادة من خدمة معينة. وقد انتهى المشتغلون بالبعد الديني في الإشهار إلى أن دراسته في عصرنا الحالي اتخذت ثلاثة أشكال: شكل درس إشهار المنتجات المثيرة للجدل (De Run, et al., 2010)؛ وشكل درس حضور القيم الدينية في الإشهارات (Fam and Grohs, 2010)؛ وشكل درس ردات فعل المستهلكين على الإشهارات التي تحتوي إشارات أو رموزاً دينية (Lumpkins, 2010)؛ وسنركز في هذه المقالة على الشكل الثاني، أي كيفية حضور القيم الدينية في الإشهارات. مع ضرورة الإشارة إلى أن الشكل الثالث متضمّن في هذه الدراسة ما دمنا نعتقد أن دمج الرموز الدينية في الإشهار يتوخى تحقيق ثلاثة ظروف ملائمة للإقناع، أي: «المصدقية»، و«الجاذبية»، و«السلطة»؛ إذ كلما كان الإشهار جذاباً ويحمل رموزاً ذات مصداقية لدى الجمهور وذات سلطة كان أكثر إقناعاً وسبيلاً لتحقيق الاقتناع.



بناء على ما سبق، سنخصص هذه المقالة لدراسة حالة لإشهار استثماره بنك تشاركي يُدعى «أمنية بنك» بهدف إقناع المغاربة بجدوى التعامل معه، وشراء السيارات عبر خدماته. وسنمهد لهذه المقالة بحديث عن البنوك التشاركية، ثم نبسط إطارنا النظري، لنتنقل بعدها لتحليل شعار أمانة بنك والشريط الذي أنتجه تحليلاً سيميائياً اجتماعياً.

## 1. البنوك التشاركية في المغرب: الماهية والوظائف

تندرج البنوك التشاركية ضمن ما أسماه القانون رقم 12.103 بـ«مؤسسات الائتمان والهيئات المعتمدة في حكمها» (بنك المغرب، 2022)<sup>(1)</sup>، وقد تم تعريفها في المادة 54 بأنها: «الأشخاص الاعتبارية الخاضعة لأحكام هذا القسم [قسم البنوك التشاركية] والمؤهلة لمزاولة الأنشطة المشار إليها في المادة الأولى والمادتين 55، و58 من هذا القانون، وكذا العمليات التجارية والمالية والاستثمارية بصفة اعتيادية بعد الرأي بالمطابقة الصادر عن المجلس العلمي الأعلى المشار إليه في المادة 62 أدناه. [و] يجب ألا تؤدي هذه الأنشطة والعمليات المشار إليها أعلاه إلى تحصيل أو دفع فائدة أو هما معا» (نفسه، ص. 33).

بناء على هذا القانون، تتميز البنوك التشاركية بأنها: تخضع لرقابة البنك المركزي ورقابة المجلس العلمي الأعلى، ولا تباع نقودا مقابل نقود بل تباع سلعا أو تشارك الزبون في مشاريع مختلفة، ويمنع عليها تلقي أي فوائد وبأي شكل من الأشكال، وتقوم بالبيع والمشاركات باعتبارها منتوجات بديلة عن القرض التقليدي، إضافة إلى الخدمات المصرفية المختلفة من إصدار البطاقات والشيكات والتحويلات والصرف، وغيرها.

بعد صدور النص القانوني المؤطر للبنوك التشاركية، وافق بنك المغرب في 2 يناير 2017 على الترخيص لخمسة بنوك تشاركية، وثلاث نوافذ تشاركية للعمل بشكل رسمي في المغرب، ثم رخص لنافذة رابعة في عام 2019، وهذه البنوك هي: بنك الصفاء، والأخضر بنك، وبنك اليسر، وأمنية بنك، وبنك الكرم. أما النوافذ، فهي: النجمة بنك، الرضى بنك، دار الأمان، سند للتمويل.

وقد أفاد بنك المغرب أن عدد وكالات الأبنك التقليدية بلغ خلال سنة 2024: 5486 وكالة، مقابل 206 وكالة للبنوك التشاركية، و9 وكالات للأبنك الخارجية (اطلع عليه في:

(1) صدر هذا القانون بتاريخ 2014، والنسخة التي عملنا عليها نسخة مَحْتِنَة صدرت سنة 2022.

20/08/2025، في: <https://short-link.me/17eAj>). وقد أشار تقرير بنك المغرب للسنة المالية 2024 إلى أن عدد عقود القروض الشبيطة ارتفعت بنسبة 1 في المائة إلى 8.5 مليون عقد، منحت منها البنوك التقليدية نسبة 66 في المائة، بينما منحت جمعيات القروض الصغرى منها نسبة 17 في المائة، ومنحت شركات التمويل منها نسبة 16 في المائة، ومنحت البنوك والنوافذ التشاركية منها نسبة 1 في المائة (التقرير السنوي للسنة المالية 2024، ص. 207). وبمقارنة هذه الأرقام، يتضح أن المالية التشاركية تمثل نسبة ضئيلة جدا لا تصل إلى 2 في المائة من المالية التقليدية. وقد فسّر محمد جعواني هذا الإحجام عن التعامل مع منتجات البنوك التشاركية بالأسباب الآتية (جعواني، د. ت، ص. 24):

- الغلاء وارتفاع التكلفة: فهي تقدّم ما يماثل ما تقدمه البنوك التقليدية.
- ضعف الدعاية والتوعية اللازمين بحقيقتها وطبيعة معاملاتها: ولا سيما أن كثيرا من المنتظرين كانوا يتصورونها مؤسسات للقرض الحسن، فخابت انتظاراتهم، مما جعل بعض الناس يرون فيها حيلة من حيل الاستحواذ على أموالهم، مشككين في «إسلاميتها» و«شرعية» معاملاتها.
- غياب التربة والمناخ الطبيعيين: خاصة أن المنظومة التشريعية والاقتصادية والسياسية للمغرب تشتغل وفق منطقتين ورؤية مخالفتين لما تقتضيه البنوك التشاركية. ولما كان الأمر كذلك، كان من الضروري على البنوك التشاركية أن تواكب عملها التجاري بمجموعة من الإشهارات التي تجذب المستهلكين، وتقنعهم بالتعامل معها، موظفة الأبعاد الدينية في عملية الإقناع.

## 2. مفهوم السيميائيات الاجتماعية

يمكن تعريف السيميائيات الاجتماعية بأنها نظرية تعنى بصنّاع المعنى وصناعة المعنى؛ إذ تدرس وسائل نشر المعلومات، وصيغ التواصل التي يستعملها الناس، ويطورونها لتمثيل فهمهم للعالم، وتشكيل علاقات السلطة مع الآخرين. كما أنها تمارس تحليلا كفييا دقيقا لتسجيل صناعة المعنى، من قبيل: المنتجات المادية، والنصوص، وإعادة الكتابة؛ وذلك بدراسة إنتاج الخطاب ونشره من خلال مجموعة من السياقات الاجتماعية والثقافية التي يُصنع المعنى فيها (Bezemer & Jewitt, 2009, p. 1255). وفضلا عن هذا كله، لا تربط السيميائيات الاجتماعية السلطة بالمعنى فحسب، وإنما

تحليل أيضا على معنى السلطة (Hodge & Kress, 1988, p. 2). ولنضرب مثلا بالتبادلات التجارية التي تجري في السوق، حيث توجد ديناميات سلطة تتفاعل بين المنتج والموزع أو التاجر ومستهلك الأيديولوجيا، بما في ذلك استعمالاتها العملية. تمتاز السيميائيات الاجتماعية عن السيميائيات التقليدية بثلاث ميزات: الأمر الأول هو مصطلح الحافزية في مقابل الاعتباطية؛ فالسيميائيون الاجتماعيون صرّحوا بأنهم يفترضون أن «مصالح صانعي العلامة تقود إلى علاقة ذات حافز بين الدال والمدلول، ومن ثم إلى علامات ذات حافز. يسعى صانع العلامة إلى إنتاج تمثيل ملائم لمعناه. ومصالحة صانعي العلامة مشفرة بشكل مباشر في الأدوات الشكلية للتمثيل والتواصل. وهذا في مجمله مخالف للافتراضات في سيميائيات سوسير، حيث تعالج العلاقة بوصفها علاقة اعتباطية في معظم الأمثلة» (Kress, Leite, Garcia & Van Leeuwen, 1997, p. 259). الأمر الثاني إيمان السيميائيات الاجتماعية بأن الأيديولوجيا تشغل في كل الصيغ التواصلية، وهي في ذلك تخالف السيميائيات العامة التي ترى أن التمثيلات البصرية تقع خارج الأيديولوجيا؛ فالبصري تمثيل شفاف، ويتيح إمكانية قراءة معناه من دون إشكالية، أي من «المحتوى» الصريح للصور. الأمر الثالث الذي تختلف فيه السيميائيات الاجتماعية عن السيميائيات العامة ونظرية الفن هو عدم الاكتفاء بالجانب المعجمي في الصورة، والعناية بالبنيات التركيبية للتمثيلات البصرية؛ أي بنحو الصورة، ويُذلت في هذا المضممار جهود كبيرة؛ سواء من خلال التنظير، أو من خلال النماذج العملية (Ibid). وقد عرفت السيميائيات الاجتماعية تطورا، يمكن إبرازه في المحورين الفرعيين الآتيين.

### 2.1 النسخة الأولى من السيميائيات الاجتماعية

يمكن التمييز بين نوعين من السيميائيات الاجتماعية؛ سيميائيات اجتماعية عامة تشمل العديد من التخصصات المرتبطة بالبعد الاجتماعي للمعاني، وذلك نحو ما نقرأ في هذا النص: «يعتني هذا الكتاب بالتعبيرات اللسانية، وخاصة غير اللسانية، التي تسكن مجالاتنا وأمكنتنا الاجتماعية. ويحاول أن يرى ما لا يرى عادة من نصّيات وأنسجة رمزية يصعب الإمساك بخيوطها دون مقارنة تسمح بالتنافذ بين السيميولوجيا والسوسولوجيا، ضمن حقل منهجي ومعرفي واحد» (بوعزيزي، 2010، ص. 13). وسيميائيات اجتماعية خاصة معنية بدراسة المظاهر الاجتماعية للمعنى بالانطلاق من النحو الوظيفي النسقي لمايكل هاليداي، أي السيميائيات المهمة ببناء نحو للصورة كيفما كان نوعها. وفي عبارة

لهاليداي: «يجسد الناس البنية الاجتماعية من خلال أفعالهم اليومية، ويؤكدون مكانتهم وأدوارهم، ويؤسسون الأنظمة المشتركة للقيم والمعرفة ويحوّلونها [...] وعلينا أن ننتقل من الخارج إلى الداخل، ونؤول اللغة بالإحالة على مكانها في العملية الاجتماعية. وهذا ليس شبيهاً بأخذ جملة معزولة وزرعها في دفيئة نسميها سياقاً اجتماعياً. إنه يشمل مهمة صعبة تركّز الاهتمام بشكل متزامن على المعاني الفعلية والمحتملة، وتأويل الخطاب والنظام اللغوي اللذين يكمنان خلف ذلك انطلاقاً من شبكة مركبة بلا حدود لاحتمالية المعنى الذي ندعوه ثقافة» (Halliday, 1978, p. 2).

بعد عشر سنوات من هذا التصريح، بلور روبرت هودج وغانثر كريس هذه الدعوة في إطار نظري سميّاهُ: «سيمياتيات اجتماعية»، وهو عنوان كتابهما (Hodge & Kress, 1988). وصرّحاً بأن نحو هاليداي كان له تأثير عميق في نظريتهما (Hodge & Kress, 1988, p. 270). وباستحضار أن الباحثين هما في الأصل لسانيان نقديان، نفهم نزعتهم النقدية في هذا الكتاب، ومحاولتهما فتح اللسانيات النقدية على مختلف أنظمة العلامات الأخرى غير اللغة، من قبيل: الصور، والتلفاز، والصور الهزلية، والنحت، والأزياء، والمعمار، والثقافة، ووسائل الإعلام، والتعليم، والإشهار. كما وسعّا تصورهما للغة بوصفها أيديولوجية إلى كل الأدوات التي يشكل بها المجتمع ثقافته ومعانيه؛ أي «النصوص، والسياقات، والفاعلون، وموضوعات المعنى، والبنيات الاجتماعية، والقوى الاجتماعية، وعلاقاتها المركبة» (Ibid, p. viii).

انتقد هودج وكريس في كتابهما السيمييات السائدة في زمنهما التي تشبه اللسانيات في «تركيزها على البنيات والشفرات على حساب الوظائف والاستعمالات الاجتماعية لأنظمة السيميائية، وتعالقاتها المركبة مع الأنظمة السيميائية في الممارسة الاجتماعية، وكل العوامل التي تقدّم حافزها، وأصولها ووجهاتها، وشكلها وجوهرها» (Ibid, p. 1). وهذا الانتقاد سمح لهما باقتراح مقارنة جديدة في دراسة أنظمة المعنى سميّاهُ سيمييات اجتماعية، أي سيمييات جديدة مخالفة للاتجاهات السيميائية الأخرى.

انطلق هودج وكريس من النقد الماركسي للرأسمالية، ومن نظرة إلى الأيديولوجيا بوصفها «مستوى من المعنى الاجتماعي ذات وظائف وتوجّهات ومحتوى متميز عند طبقة أو مجموعة اجتماعية» (Ibid, p. 3) ويمكن لهذه الأيديولوجيا أن تمزج بأخرى لتمثيل النظام الاجتماعي الذي يعمل على خدمة مصالح المسيطر والتابع في الآن نفسه. انطلق الباحثان أيضاً من النظرية البنوية للسيمييات عند سوسير بوصفها «دليلاً

مضادا» (an antiguide)، وصاغها «سيمياثيات بديلة» (Ibid, p. 18)، انطلاقا من «سلة قمامة سوسير» (Saussure's Rubbish Bin) (Ibid)، ووضعها في هذه السيمياثيات مظاهر اللغة التي اختزلها سوسير، أو عاملها بأنها ثابتة ولا تحتاج إلى مزيد من التحليل اللغوي، أو ادعى أنها غير صالحة للتحليل العلمي، أو استبعدها من اللسانيات والسيمياثيات بوصفها ظواهر تقع خارج السيمياثيات. وركزا على: الثقافة والمجتمع والسياسة، وأنظمة سيمياثية أخرى، علاوة على اللغة، أي عمليات الكلام ونتاجه، والممارسات التدليلية في الشفرات الأخرى.

لقد مثلا جوانب متعددة من نظريتهما، في فصول حملت عناوين: «السياق بوصفه معنى»، و«الأسلوب بوصفه أيديولوجيا»، و«التعريفات الاجتماعية للواقعي»، و«التحول والزمن»، إلى آخره. وحللا في هذه الفصول مجموعة واسعة من الظواهر اللفظية والبصرية، وناقشا مجموعة من المنتوجات البصرية، من قبيل: الرسومات، والفسيفساء، والمنحوتات، والصور في المجالات، ورسومات الأطفال، والرسوم المتحركة، والنصوص المكتوبة بخط اليد، وشجرات العائلة، وصور العائلة، وغيرها.

ويمكن القول بنوع من الاختصار إن السيمياثيات الاجتماعية تعد -كما قدمها هودج وكريس- دراسة للأبعاد الاجتماعية للمعنى، وسلطة السيرورات البشرية في التدليل والتأويل لغاية تشكيل الأفراد والمجتمعات. إنها مهتمة بطريقة استخدام اللغة في السياقات الاجتماعية، والطريقة التي نستخدمها بها لتشكيل المجتمع. إنها تشمل أيضا دراسة كيفية تصميم الناس لمعاني النصوص وتأويلهم لها، ومعالجتهم لقضية كيفية تكثيف المعاني بتغيّر المجتمعات (Catalano & Waugh, 2020, p. 48).

## 2.2 النسخة الثانية من السيمياثيات الاجتماعية

شهدت السيمياثيات الاجتماعية تجديدا بنشر كتاب كريس وفان ليفن قراءة الصور: نحو التصميم البصري (Kress & Van Leeuwen, 1990; 1996) في عام 1996؛ حيث مثل هذا الكتاب منعطفًا في النحو البصري وكان أول تفسير منظم له؛ إذ قدّم نظرية شاملة للتواصل البصري. وقد وضع كريس وفان ليفن كتابهما في إطار اللسانيات الوظيفية النسقية، نظرا لأنها قدّمت لهما الأدوات التي احتاجاها في فهم التمثيل البصري والتواصل البصري. وتبها إلى أن المعاني تختلف من صيغة إلى أخرى، وأنه ينبغي تجاوز تأويل معنى العناصر المشكلة للتصميم البصري بمعزل عن بعضها الآخر، وتجاوز التركيز

على المعاني «التقريرية» مقابل «الإيحائية»، والدلالة الإيقونوغرافية مقابل الإيقونولوجية<sup>(1)</sup> للعناصر في الصور.

ويسبب هذا الكتاب نُظْرَ إليهما بأنهما أول مَنْ أضاف الجوانب البصرية للنصوص في السيميائيات الاجتماعية، وبصفة عامة، للتحليل البصري في السيميائيات والمجالات الأخرى، فضلا عن البعد النقدي المتمثل في النظر إلى الصور وصيغ التواصل الأخرى بأنها غير محايدة، بما أنها تبرز العلاقات الاجتماعية وعلاقات السلطة والأيدولوجيا، مؤدين إلى نشأة مبحث يسمّى «تعددية الصيغة».

استوحى كريس وفان ليفن عنوان كتابهما من عنوان كتاب قراءة التلفزيون لجون فيسك وجون هارتلي (Fiske & Hartley, 1979)، مناقشين المدارس الثلاث للسيميائيات التي «طبقت الأفكار من مجال اللسانيات على الصيغ غير اللغوية للتواصل» (Kress & Van Leeuwen, 1996, p. 6). وهذه المدارس هي: مدرسة براغ التي اعتمدت على الشكلايين الروس. ومدرسة باريس السيميائية التي طبقت أفكار سوسير وآخرين. وحركة ثالثة نشأت من تطبيق الأفكار اللسانية على صيغة التمثيل الأخرى. وهي اتجاهان: اتجاه تبلور مع اللسانيات النقدية في السبعينيات في جامعة إيست إنجليا، وقاد إلى بناء نظرية تشمل الصيغ السيميائية الأخرى، ويمثلها كتاب هودج وكريس السيميائيات الاجتماعية. واتجاه تبلور مع اللسانيات الوظيفية النسقية والسيميائيات الاجتماعية للدارسين الأستراليين في دراسة الأدب من منظور سيميائي (Threadgold, Grosz, Kress, 1991; Halliday, 1986; Thibault, 1991)، والموسيقى (Van Leeuwen, 1999)، والسيميائيات البصرية (O'Toole, 1994)، وهو نحو التصميم البصري.

بدأ عمل كريس وفان ليفن حول التواصل البصري في أواخر الثمانينيات، وذلك في حلقة نيوتاون السيميائية في سيدني (the Newtown Semiotic Circle in Sydney)، أي ما دُعي بـ«الصالون السيميائي» (the Semiotics Salon)، حيث شارك في نقاشات ومناقشات حول السيميائيات الاجتماعية التي «تساعد على تشكيل أفكارنا بطرق تتجاوز إدراكنا» (Kress & Van Leeuwen, 2006, p. vii)، مع كل من «جيم مارتن» (Jim Martin) و«فران كريستي» (Fran Christie) (الذين كانا في سيدني)، و«بوب هودج»

(1) الإيقونوغرافيا (iconography) هي دراسة موضوع في الفنون البصرية، والإيقونولوجيا (iconology) هي محاولة تحليل أهمية ذلك الموضوع في الثقافة التي أنتجتها. ينظر لمزيد من الاطلاع: (Panofsky, 1955, pp. 26-54)



(Bob Hodge) (الذي كان في جامعة مردوخ بـ«بيرت» بجنوب أستراليا).  
أجاب كريس وفان ليفن عن بعض الانتقادات الموجهة إلى إطارهما والمتمثلة في استعمالهما للسانيات تُعنى أساساً بما هو لغوي، بالقول إنهما حاولا استعمال مظاهر سيميائيات عامة للنحو الوظيفي النسقي لهاليداي، من قبيل الوظائف الثلاث التي لا «تركز بشكل خاص على ما هو لغوي»، كما أشارا إلى أن هدفهما من إبراز «كيفية عمل التواصل البصري مقارنة باللغة» فهم بشكل خاطئ بوصفه «محاولة لفرض مقولات لغوية على ما هو بصري»، والحال أن هدفهما كان إبراز «الاختلافات بين التواصل اللغوي والتواصل البصري»، وإبراز «المبادئ السيميائية العامة التي تربط اللغة والصورة، والصيغ المتعددة» (Ibid, p. viii).

لم يُعنَ كريس وفان ليفن بدراسة المعجم البصري أو المفردات البصرية مثلما فعلت ذلك العديد من الدراسات السيميائية السابقة عليهما، بما أنهما سعيا إلى القيام بتعميمات حول التصميم البصري ومناقشة «الشروط التاريخية والاجتماعية والثقافية العامة التي تنشئ «اللغة» البصرية وتعيد إنشائها في التقليد الثقافي البصري طوال القرون الخمسة الأخيرة». (Kress & Van Leeuwen, 1996, p. 4)

وظف كريس وفان ليفن مصطلح التصميم البصري بوصفه مصطلحا شاملا يضم العديد من أنواع النصوص البصرية، من قبيل رسوم الأطفال، والأشكال التوضيحية في الكتب المدرسية، وصور الصحف، والمباني العلمية، والخرائط، والرسوم المبيانية. علاوة على الأشكال ثلاثية الأبعاد، من قبيل النحت، ولعب الأطفال، والمعمار (Ibid, p. vii). ويعني مصطلح «نحو» الوارد في عنوان كتابهما كيفية إنتاج المعنى بوساطة أنماط بصرية متكررة، وهكذا قَدِّمًا قائمة بالبنيات التأليفية الأساس في مسار تاريخ السيميائيات البصري، ووضعها منهجية لتحليل كيفية استعمالها في إنتاج المعاني (Kress & Van Leeuwen, 1996, p. 1). وقالوا إن «البنيات البصرية تؤدي المعاني كما تفعل ذلك البنيات اللغوية» (Ibid, p. 2). وركز كتابهما على خلق المعنى أو التمثيل، وقالوا إن التمثيل مسألة مركّبة، إذ تتداخل فيه الأبعاد التاريخية والثقافية والنفسية لمنتج العلامة، فضلا عن السياق الذي تنتج فيه العلامة. ويفهم من هذا الكلام أن العلامات لا توجد سلفا، وإنما هي نتاج عملية بناء محفز بالسياق وبمنتجي العلامات (Ibid, pp. 6-7). وقد قادهما هذا الزعم إلى تبني مفهوم احتمالية المعنى عند هاليداي، ومعناه في النحو البصري أن الصور لا تمتلك معاني ثابتة، وإنما تمتلك إمكانية سيميائية يمكن توظيفها

في سياقات مختلفة (Abousnnouga & Machin, 2013).  
 بنى كريس وفان ليفن كتابهما على نظرية هاليداي اللسانية (Halliday, 1985)،  
 وأعاد تعريفها بأنها «نظرية سيميائية اجتماعية في التواصل» (Kress & van Leeuwen, 1996, p. 40).  
 وناقشا الوظيفة الفكرية للنحو البصري، وميزا فيها بين: التمثيلات السردية  
 (Narrative Representations) التي تبني الفعل الاجتماعي، والتمثيلات التصويرية  
 (Conceptual Representations) التي تبني البناءات الاجتماعية. وفي حالة البنية  
 السردية يكون المشاركون فاعلين مرتبطين بمتجه (Vector)، بمعنى أنهم يصنعون شيئاً  
 لبعضهم بعضاً (Ibid, p. 56). أما في حالة البنيات التصويرية، فالمشاركون يرتبط بعضهم  
 ببعض من خلال نوع العلاقة التي تجمعهم (Ibid, p. 81).

في مناقشتهم للوظيفة البيشخصية تناولا مفهومي التمثيل والتفاعل. وتُعنى هذه  
 الوظيفة «بأنماط التفاعل التي يتيحها «نحو التصميم البصري»، أي بالأشياء التي يمكننا  
 أن يفعلها بعضنا لبعض بوساطة التواصل البصري، وبالعلاقات بين صناعات النصوص  
 البصرية والناظرين إليها» (Ibid, p. 13).

أشار كريس وفان ليفن إلى وجود العديد من العلاقات البيشخصية في الصور؛ إذ نجد  
 في صورة ما مشاركا «يخاطب المشاهدين بشكل مباشر بالنظر إلى الكاميرا» (Ibid, p. 43)  
 أو بالنظر إلى أعين المشاهدين أو يقوم بإشارات دعوة، وسمّيا هذا النوع من الصور  
 بـ«الطلب» (Demand) (Ibid, p. 118)، وقالوا إنها ترتبط بإظهار دلالة التفاعل. كما قد  
 نجد مشاركا «يشيح بنظره عن المشاهد، وفي هذا غياب لدلالة التفاعل، ومن ثم نكون  
 أمام صورة سمّياها بـ«العرض» (Offer) (Ibid, p. 43).

اهتمّ كريس وفان ليفن أيضا بنوع اللقطات ودلالاتها، وميزا فيها بين اللقطة القريبة،  
 واللقطة المتوسطة، واللقطة البعيدة. وربطوا هذه اللقطات بدلالات اجتماعية هي:  
 المسافة الشخصية القريبة، والمسافة الشخصية المحايدة، والمسافة الشخصية البعيدة  
 (Kress & Van Leeuwen, 1996, pp. 130-135).

إضافة إلى ذلك، تحدّث كريس وفان ليفن عن زوايا النظر في الصورة ودلالاتها. وميزا  
 بين الزاوية الأفقية، والزاوية الجانبية؛ إذ تمثل الأولى الانخراط أو الحميمية أو الذاتية،  
 بينما تمثل الثانية الانفصال أو الموضوعية (Ibid, pp. 142-143). كما قالوا إن زاوية  
 اللقطة مهمة أيضا؛ فالزاوية العمودية يمكن أن تدل على الاختلافات في السلطة الرمزية  
 المتخيلة، اعتمادا على ما إذا كان الناظر يرى المشارك من الأعلى، وهو حينئذ يمارس

سلطة رمزية على المشارك الممثل الذي يمكن أن يكون أدنى منزلة أو هشا أو دونيا، أو ينظر إليها من أسفل، وأنثذ تكون للمشارك الممثل سلطة قوة واحترام. وتدل زاوية الكاميرا الأفقية على المساواة، ولا تشير إلى الاختلاف في السلطة (Ibid, p. 146).

ما تناولناه أنفا يتصل بجانب التمثيل، أما الصيغية، فقد حدّد لها كريس وفان ليفن ثماني واسمات بصرية تمتد من «اليقين» إلى «عدم اليقين»، مع تدرج بينهما يتمثل في «الاحتمال» (Ibid, p. 148)، إضافة إلى مفهوم «الطبيعي» الذي يتحدّد وفق معايير اجتماعية لما يعتبر واقعا أو حقيقيا. كما أن هناك «سلام للون»، و«إضفاء السياق»، والتمثيل الذي يتراوح بين «تجريد أقصى»، و«تفصيل أقصى» للصورة، فضلا عن المعايير المحدّدة ثقافيا وتاريخيا لما هو حقيقي وما هو غير حقيقي (Ibid, pp. 165-168).

لقد وجد كريس وفان ليفن أربعة توجّهات في التشفير البصري في المجتمع الغربي، وهي:

(أ) التكنولوجيا، وتقوم على فعالية التمثيل البصري بوصفه نوعا من «الرسوم التقنية» (blueprint).

(ب) الحسية، وتستعمل في سياقات يسيطر فيها مبدأ المتعة.

(ج) المجردة، وتستعملها نخب سوسيوثقافية، ونجدها في الفن الراقي وفي السياقات العلمية والأكاديمية.

(د) الطبيعية، ويفترض أنها حس عام، وهي المسيطرة في مجتمعنا (Ibid, pp. 170-171).

ناقش كريس وفان ليفن مفهوم «التأليف» (Composition) في الوظيفة النصية، وقال إنه يعالج «الطريقة التي تنسجم بها الأفعال التمثيلية والتواصلية فيما ندعوه نصا» (Ibid, p. 14)، ولما كان على «أي نظام سيميائي أن يمتلك قدرة على تشكيل النصوص، وتأليف العلامات بشكل منسجم داخليا ومع السياق الذي تنتج فيه أو الذي تنتج من أجله» (Ibid, p. 41)، قدّم النحو البصري ثلاثة مبادئ من التأليف هي: أولا؛ «قيمة المعلومات» (Information Value) الفكرية، أي مكان العناصر المشكلة للتصميم البصري في اليسار واليمين وفي الأعلى والأسفل. ثانيا؛ «البروز» (Salience) البشخصي الذي يجذب اهتمام الناظر تبعا للتقديم والتأخير، والحجم النسبي، والتقابل في اللون، والاختلافات في حدة اللون وغيرها. ثالثا؛ «التأطير» (Framing) النصي، أي أدوات التأطير التي تبرز ترابط عناصر التصميم أو عدم ترابطه (Kress & van Leeuwen).

183, p. 1996). ويحدث الانفصال بوساطة الاختلاف في اللون أو الشكل أو وجود فضاء فارغ، بينما يحدث الترابط بوساطة متجهات وعناصر مصوّرة، وعناصر تصويرية مجردة أو تكرار للأشكال أو الألوان.

حدّد كريس وفان ليفن ثلاثة أنواع من «قيمة المعلومات»، اعتماداً على المكان في الصورة؛ وهكذا قالوا إن اليسار دال على ما هو «مُعطى» (Given) ومألوف ومتفق عليه وما يمثل نقطة الانطلاق. في حين أن اليمين يدل على «الجديد» غير المعروف الذي لم يتفق عليه ويحتاج إلى اهتمام خاص (Ibid, p. 181). كما قالوا إن الأعلى يعني «المثالي» (Ideal) ويشير إلى التطلعات والرغبات والتمثيل المجرد، في حين يعني الأسفل «الحقيقي» (Real)، ويشير إلى ما هو واقعي وخاص ومفصّل وعملي. وأضافا إلى ذلك، المركز مقابل الهامش؛ بحيث تعتبر «نواة» (Nucleus) المعلومات هي المركز مقابل العناصر التي تكون «ملحقات» (Ancillary) أو «ثانوية» (Secondary) في الهوامش (Ibid, p. 192). أما «البروز» البيشخصي فيرتبط بدرجة جذب عنصر معين الانتباه إلى نفسه؛ إما بسبب حجمه ومكانه في المقدمة، وإما بتداخله مع عناصر أخرى، كلونه ودرجة قيمته اللونية، وحدّته أو غير ذلك (Ibid, p. 210). ويكون «التأطير» إما قويا أو ضعيفا؛ فإذا كان قويا، فما يؤطر يكون وحدة منفصلة من المعلومات، ويظهر السياق طبيعة هذا الفصل، إذ قد يشدد على الفردية والتمايز، ويمثل فجوة من نوع ما، أما إذا كان ضعيفا أو غائبا، فيشدد على هوية المجموعة والانتماء والحس القوي بالارتباط.

### 3. قراءة سيميائية في شريط إشهاري لأمنية بنك

نحلّل في هذا المحور شريطا إشهاريا لبنك «أمنية بنك» التشاركي من منظور سيميائي اجتماعي. وسننطلق أولا من تحليل شعار هذا البنك، ما دام أنه هو أول رسالة إشهارية يوجهها المستهلك/الزبون الذي يرغب في الحصول على خدمة من خدمات هذا البنك، ولظهوره المتكرر أيضا في الشريط الذي سنحلّله.

#### 3.1 شعار أمنية بنك: دراسة سيميائية

يمكن تناول شعار بنك «أمنية بنك» انطلاقاً من ثلاثة مستويات هي دلالة اسم البنك، وطريقة كتابة حرف U، واللونان المستعملان في تصميمه. وبما أن الأمر في حالة هذا البنك التشاركي قائم على فتوى دينية، ومعاملات موثوقة، وتجارب شخصية عدّة، فإن الأمنية هنا: لها دلالة إيجابية تنسجم مع دلالة الحديث النبوي «إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ



فَلْيُكْثِرْ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (الطبراني، 1995، ص. 301). وبهذا، يمكن القول إن البنك اختار لنفسه اسم «أمنية»، للتعبير عن «الرغبة في تحقيق ما يشتهي الإنسان ويحبه» (دروزة، 2000، الجزء السادس، ص. 64)، فالأمنية هي الرغبة وما يطمح إليه الإنسان سواء أكان منزلاً أم سيارة أم مشروعاً. ومن ثم، فإن هذا الاسم (أمنية) يؤثر في المستهلك تأثيراً عاطفياً يجعله يتوق إلى تحقيق رغباته، وهو مطمئن القلب لاعتقاده أنه يجري معاملة حلالاً لا تخالف قيمه ومعتقداته.

أما شعار البنك، فهو خطاب بصري معقد يتجاوز الوظيفة المباشرة المرتبطة بتعريف المستهلك بهذا البنك، ليكون شعاراً مفعماً بالدلالات التي يمكن قراءتها عبر مستويات متعددة. وقبل أن نبدأ تحليل هذه الشعار نورد في الصورة الآتية:

الصورة 1: شعار بنك «أمنية بنك»

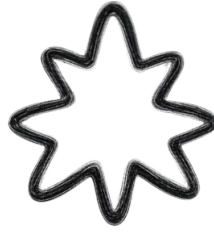


يمكن البدء بتحليل تنظيم المكونات البصرية للشعار المتمثلة في اسم البنك باللغتين العربية والفرنسية، يعلوهما الرمز المجرد على شكل حرف U الذي يمثل الحرف الأول من الاسم مكتوباً بالحروف اللاتينية، والذي يمكن اعتباره أيقوناً دالاً على البنك. وإذا كان الجمع بين اللغتين العربية واللاتينية يوحي بتوجه يخاطب مغاربة الداخل والخارج، فإن الحرف U يحمل في ثنايا شكله الكاليفرافي دلالة الاحتضان، وهو ما يترجم مفهوم «الأمنية» إلى «الأمان»؛ فالشعار بهذا المعنى يقول إن «أمنية البنك» بنك تشاركي يقدم خدمات مالية، وهو حاضن للطموحات والأحلام والأمان المالي.

كُتِبَ حرف U بخط متموج، وتشير «سيكولوجيا الأشكال» إلى أن الخطوط المتموجة لها دلالة استكشاف كل الخيارات، والاستمتاع بالحياة بشكل يومي. لنقرأ هذا النص من مقالة حول علم نفس الأشكال تتحدث عن المنحنيات: «البشر معروفون بالاستجابة

بشكل إيجابي للمنحنيات أكثر من استجاباتهم للخطوط المستقيمة. وبينما الخط المستقيم صلب وراسخ، فالمنحنى لطيف ومدفق. ونتيجة لذلك، ينظر إلى المنحنيات بأنها تجعلنا نحس بالهدوء والراحة» (Verzosa, Retrieved Jun 6, 2022 from <https://bit.ly/3mBCla5>) علاوة على ذلك، يعتقد واسيلي كاندينسكي (Wassily Kandinsky) أن الخطوط والأشكال والألوان وحتى الموسيقى تنسجم في ما بينها وتتداخل. ويرى أن اللون الأصفر يرتبط بالمثلث، واللون الأحمر بالمرجع واللون الأزرق بالدائرة (2, Dreksler & Spence, 2019). ويعني هذا أن اللون العنابي الذي ينتمي إلى دائرة اللون الأزرق ينسجم مع المنحنيات المشكّلة لحرف U. وقد وجد الباحثان ناعومي دريكسلر (Noemi Dreksler) وشارلز سبنس (Charles Spence) أن اللون العنابي يرتبط بهذا الشكل:

الشكل 1: شكل طبيعي يرتبط باللون العنابي (Ibid)



نبّه الباحثان إلى أن الأشكال التي تتكوّن من خطوط منحنية ترتبط بالألوان الساخنة عموماً. والعنابي وفق تصنيف الباحثين ينتمي إلى الألوان نصف الساخنة. ما نود قوله هنا هو أن هناك انسجاماً بين المنحنيات واللون العنابي.

يرتبط المستوى الثاني من قراءتنا لشعار بنك «أمنية بنك» باختيار الألوان؛ إذ من المعلوم أن اختيار الألوان لا يكون اعتباطياً، لأنه قرار يخدم أهدافاً إقناعية محددة. واللون هو جزء من العالم المحيط بنا، ويصاحبنا في حياتنا ويدخل في كل شيء من حولنا، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (سورة النحل، الآية: 13). إن اللون «تأويل للحالات الفيزيولوجية والسيكولوجية المرتبطة عن كثب بحالات النفس المتقلبة ومراحلها العميقة من حب وكراهية، ورضا وطمأنينة، ومن ثم يكتسب اللون رمزية وإيحاءات مترادفة تقريباً، ولهذا السبب يكتسب أهمية بالغة في الرسالة البصرية، لأنه يسهم بشكل بليغ في إيصال الرسالة في كل خطوة من حيث الإدراك وجذب الانتباه وخلق جو عاطفي ملائم» (Soliman, et al., 2024, p. 409).

علاوة هذا فإن الألوان «تضطلع بدور مهم ومفاجئ في التسوق، فهي تؤثر في كل شيء من انطباعنا الأول للعلامة التجارية إلى قرارات شرائنا. إنها مثل همس لا واع يقود عواطفنا وإدراكاتنا من دون أن ندرك ذلك». (Ibid, p. 407)

يظهر أولاً اللون العنابي (الأرجواني الداكن) الذي لونت به كلمة أمنية Umnia، وهو لون يدل على الشغف والقوة ويرتبط في المخيال الجمالي بمعاني الحب والرغبة، ويستعمل غالباً في الأجواء ذات الطابع الرومانسي أو في إيصال رسائل عاطفية قوية. وفي ما يرتبط ببعده الإشهاري، «تستخدم الشركات في هوياتها التجارية للتعبير عن الثقة والموثوقية» (Retrieved September 24, 2025 from <https://short-url.org/1bcWs>). وما دامت الأمنية هنا ينبغي أن تقوم على الحقيقة لا الوهم، فإن هذا اللون يسند هذا المعنى الإيجابي للأمنية لجعلها قابلة للتحقق من جهة، وقائمة على ما هو معقول وحقوقي من جهة أخرى. فيتحقق بذلك التوازن بين العاطفة والعقل الذي يكسب الخطاب الإشهاري عمقه الإقناعي.

أما اللون الثاني، فهو اللون الذهبي الذي كتبت به كلمة بنك Bank، وهو لون مرتبط بالعواطف والإدراك، ويرمز من الناحية النفسية إلى النجاح والإنجاز، كما يبعث على التفاؤل والازدهار والمكانة الرفيعة. وعلاوة على هذه المعاني العامة، يعرف اللون الذهبي بخصائصه المشعة، وقدرته على إضفاء الحيوية على الألوان الأخرى؛ إذ يبرز بتناغمه مع محيطه. وفي مجال التسويق وتصميم العلامات التجارية، يعدّ الذهبي لونا مبرزا للفخامة والجودة والخدمات الحصرية، وغالبا ما تستخدمه العلامات التجارية لإبراز مكانتها المتميزة في السوق. إضافة إلى هذا الأمر، يرتبط اللون الذهبي بدلالات دينية روحانية توحى بالتنوير والهداية (Ochwani, 2025, Retrieved September 24, <https://short-url.org/1bd06>). وقد أشارت الخبيرة الاستراتيجية في التسويق جايشري أوشواني (Jayshree Ochvani) إلى أن التأثير النفسي القوي للذهب يجعله أداة فعالة في مجال الإشهار؛ إذ يثير مشاعر قوية من الطموح والرغبة، ما يسهم في إقامة رابط بين العلامة التجارية وأسلوب الحياة المليء بالنجاح والازدهار، ولذلك يستخدم اللون الذهبي بشكل استراتيجي في المواقع الإلكترونية والمحتوى الإلكتروني لإبراز بعض العناصر الأساسية، وهو ما يجعله خيارا جيدا لإنشاء واجهات مثل تطبيقات الخدمات المصرفية، ومواقع المنتجات الفاخرة (Ibid).

تحليل دلالات اللونين معا إلى معنيين مركزين هما الثقة والنجاح، كما تنفتح على

حمولة دينية تُوحى بالهداية والحكمة. وانطلاقاً من هذا الأفق الدلالي، يمكن القول إن اختيار بنك أمنية بنك لهذين اللونين يندرج في إطار استراتيجية تواصلية رمزية ترمي إلى ترسيخ صورة مؤسسية تقوم على الاطمئنان، والمشروعية، والرؤية المتبصرة. فالشعار، بما يتضمنه من توليفة لونية منسجمة، يسعى إلى إنتاج تمثّل إيجابي لدى المتلقي حول طبيعة البنك التشاركي، بوصفه فضاء يمكنه من تحقيق أمانه وأحلامه من دون معصية خالقه والوقوع في المحرمات. ومن ثمّ، فإن الانسجام اللوني بين العنابي والذهبي يضطلع بدور دلالي في إحياء الشعور بالطمأنينة والحكمة، وهما قيمتان مركزتان في الخطاب البصري لهذه الهوية.

أما الأسطورة التي يبينها الشعار فتكمن في تحويل «الأمنية» من مجرد رغبة بعيدة إلى حقيقة يمكن بلوغها، جاعلاً المستحيل ممكناً بفضل التعامل مع البنك الذي لا يقدم الخدمات المالية فحسب، بل يمنح أيضاً الأمل ويحوّل الأحلام إلى واقع. وقد عزّز هذا المعنى: كتابة اسم البنك في الشعار، واختيار الألوان، وهندسة الحرف/الأيقون U ليكون دالاً على الاحتضان. علاوة على هذا الأمر، يرتبط اللونان العنابي والذهبي في «سيكولوجيا الألوان» بالألوان نصف الساخنة التي تسهم في خلق شعور بالثقة والمشروعية والأمن، مما يشي بأن خدمات بنك «أمنية بنك» آمنة وغير محرمة، إضافة إلى إسهامها في تحقيق آمينات الزبون.

### 3.2.2 بنك أمنية بنك: دراسة سيميائية لشريط إشهاري

لقد قمنا بإعادة كتابة هذا الشريط بشكل مفصّل، وذلك من أجل استخراج مكوناته السيميائية، أي لغته وصوره. وبناء على هذا الأمر، سنقسم التحليل إلى قسمين: قسم نحلل فيه كلمات الشريط، وقسم نحلل فيه بعض صوره.

#### 3.2.1 تحليل لغة الشريط

إن أول ما نلاحظه في هذا الشريط الإشهاري أن الخطاب اللغوي فيه يقوم على بنية سردية واضحة، إذ يوظّف الحكي بوصفه آلية لتأطير الرسالة الإشهارية. وعلى الرغم من أنّ هذا النمط من الخطاب التجاري غالباً ما يُبنى على مبدأ العرض والإقناع المباشر من خلال إبراز خصائص المنتج أو الخدمة، فإن هذا الإشهار اختار تجاوز المنحى الترويجي الصريح لصالح مقاربة سردية تُخفي البعد الربحي أو تُحيله على الخلفية، مقابل إبراز البعد الإنساني والعاطفي.

يتجلى ذلك من خلال قصة امرأة ترافق ابنها ووالدها في رحلةٍ تمكّن فيها الأب من



تحقيق أمنيته بزيارة موطنه القديم ورؤية الشجرة التي كان يلعب بقرنها في طفولته. إن توظيف السرد في الإشهار يُعدّ استراتيجية دلالية وتواصلية تهدف إلى بناء علاقة وجدانية مع المتلقي، إذ يُعدّ الحكي من أكثر الأشكال الخطابية قدرة على استثارة العواطف وخلق التماهي مع الشخصيات، بما يعزز قابلية الإقناع والاستجابة الإيجابية للرسالة الإشهارية. كما يسهم هذا الاختيار السردى في ترسيخ الأثر التذكري، إذ تبقى القصص أكثر حضوراً في الذاكرة مقارنة بالمعطيات الوصفية أو الحجاجية التي تُقدّم خارج الإطار السردى. ونورد الجانب اللغوي للشريط في ما يأتي:

#### إعادة كتابة لغة شريط أمنية بنك

المرأة/الأم: اليوم نهار اكبير. اشريت طونوبيل. ولكن المهم ماشي الطونوبيل. المهم هو الواليد. أيمن ولدي، كييعط ليّه ابا سيدي، من ديما وهو كيعاود لينا على البلاد اللي كان فيها منين كان صغير. الأمنية ديالو هو يرجع يشوف ديك الشجرة اللي كان كيلعب احداها. ولدي أيمن، حتا هو بكثرة ما كيحلم يشوفها ولا ديما كيرسمها. أما أمنيتي أنا، هيا نفرحهم بجوج، ونشوف ولدي كيلعب مع ابا سيدو في بلادو.

الجد/الأب: ما شاء الله، الله يرضي اعليك أبنتي، معندي ميتسالك.

المرأة/الأم: يا الله نمشيو أبا،

الطفل/الحفيد: ابا سيدي، يا الله نمشيو،

الجد/الأب: نمشيو.

المرأة/الأم: جا نهار المفاجأة، توكلت على الله، وشدينا الطريق. قطعنا الجبال، ولكن كلما بعدنا من الدار، قرّينا من الأمنية.

الطفل/الحفيد: ويبي .. ههههه .. واااا

الجد/الأب: يتنهد، اههه

المرأة/الأم: الحمد لله، حققت الأمنية: اشريت طونوبيلتي، فرّحت عائلتي، واطمأن قلبي.

الشاشة: الأمنية تتحقّق .. أمنية بنك: ليطمئن قلبي .. رقم الاتصال، ورابط البنك على الأنترنت.

على الرغم من إيجاز هذا النص، فإنه يزخر بعناصر إقناعية متعدّدة اعتمدت استراتيجيات لغوية وخطابية متنوّعة، جاءت منسجمة مع البعد البصري المصاحب

لها، وهو ما سنعمل على توضيحه. وسنبداً تحليلنا بالمستوى المعجمي، ثم المستوى التركيبي، فالمستوى التداولي، وأخيراً المستوى الخطابي، مع الإشارة إلى أننا سنقتصر على أبرز الملاحظات، مراعاة لحجم المقالة وحدودها.

**أولاً؛ المستوى المعجمي:** تنظر السيميائيات الاجتماعية إلى دلالة الكلمات في ذاتها، ثم دلالتها بوصفها جزءاً من شبكة من المعاني والاختيارات. وبالنظر إلى النص أعلاه نلاحظ أنه يتسم بتكرار لبعض المفردات، وحضور دالٍ لأخرى، في مقابل غياب مقصود أو دالٍ لعناصر لغوية أخرى. وسنشعر بتحليل أنماط الحضور أولاً، ثم نتقل إلى تحليل الغياب وما يحمله من إشارات ضمنية في بناء المعنى.

أول كلمة تتكرر بصيغ مختلفة هي «أمنية»؛ سواء أكان هذا التكرار بالكلام أو الكتابة. ويزيد التكرار من ترسيخ الرسالة الإشهارية، كما يبنى الألفة بين المستهلك والعلامة التجارية (أمنية بنك)، ساعياً إلى ضمان احتفاظ المستهلكين في ذاكرتهم بهذا الاسم. وإذا ربطنا الأمنية بالسر الإشهاري في الشريط، سيتقرر أنها أمنية كل المغريبات اللاتي يسعين إلى إرضاء آبائهن بتحقيق أحلامهم، ويمثل البنك في هذه الحالة الجسر الموصل لفعل ذلك، وهو اسم على مسمى، أي أمنية أمنيات النساء العاملات.

إلى جانب تكرار لفظة «أمنية»، نجد أيضاً تكرار عدد من الكلمات الأخرى مثل: «طونوبيل»، و«أبا سيدي»، و«أيمن»، و«الواليد»، و«المفاجأة»، و«البلاد»، و«الشجرة». وهذه المفردات تشير إلى عناصر الحكاية السردية في الشريط، إذ تُحيل على وجود ذات فاعلة هي الأب تسعى إلى موضوع قيمة يتمثل في زيارة الشجرة في موطنه الأصلي، فيما تتجسّد وسيلة تحقيق الغاية في السيارة التي تُبهرها المؤسسة البنكية لابنته. من هذا المنظور، يتخذ الخطاب الإشهاري هنا شكلاً من السرد السيميائي الذي بُنى فيه العلاقة بين الذات وموضوع القيمة عبر فاعل مساعد، هما في هذا السياق: المرأة العاملة والبنك باعتباره المسرّ لتحقيق الأمنية. كما تكشف الألفاظ الموظفة بالدرجة المغربية عن انتماء المتحدث إلى الطبقة الشعبية؛ إذ تتسم كلماتها بالقرب من المتلقي وبالبساطة التداولية التي تميّز الطبقتين الفقيرة والمتوسطة في المجتمع. ويُسهّم هذا الاختيار اللغوي في توليد إحساس بالحميمية والتلقائية داخل الخطاب، بما يعزّز التطابق الرمزي بين المؤسسة والبنكية وزبائنها المحتملين. وبهذا، يقدم الإشهار تمثلاً ضمناً للبنك بوصفه بنكاً للشعب، وليس بنكاً للأغنياء.

مع ذلك، هناك أمور لم نجد ذكراً لها في هذا الشريط، والمتعلقة بكيفية شراء السيارة،

ونسبة الأرباح مقارنة بما يوجد في السوق، وعدد الأقساط الشهرية، وهل البنك يتيح هذه الإمكانية لجميع المغاربة أم للموظفين فحسب الذين عليهم توقيع عقد يثبت جديتهم وغير ذلك من الوثائق الكثيرة التي يمكنها أن تجعلهم يشنون عن عملية الشراء، لكن الإشهار لا يتحدث عن هذه الأمور، لأنه يفضل الحديث عن الواقع اليوتوبي أكثر من الحديث عن الواقع الفعلي؛ لذلك تتحقق الأمنيات وبيتسم الجميع، والأمور الأخرى أمور تقنية لا ينبغي للموظفين الاهتمام بها.

أمر آخر غائب هو النزعة الاستهلاكية التي يؤسس لها هذا الإشهار، وذلك بدعوته المرأة إلى العمل وتحقيق أحلامها؛ إذ نفهم أن المرأة التي لا تعمل لا تستطيع تحقيق أحلامها، وفي هذا دعوة صريحة لها للخروج إلى سوق العمل. وقد أشار ماشين وفان ليفن إلى أن الخطاب العالمي لوسائل الإعلام يبني هوية استهلاكية للمرأة في هذا العصر، وقوام هذه الهوية هو الاستقلالية، والحرية، والنجاح الوظيفي، والإشباع الجنسي، والتغلب على العقبات التي تحول دون تحقيق هذه الأهداف. ويربح رأس المال العالمي من هذه الهوية الكثير من المكاسب، لأن المرأة ستعبر عن هويتها الجديدة انطلاقاً من السلع الاستهلاكية (Machin & Theo Van Leeuwen, 2007. P. 72).

ثانياً؛ المستوى التركيبي: ندرس في هذا المستوى ظاهرتين هما: «التعدية» و«نحو الفاعل الاجتماعي»، ونجد في نص الشريط تباينا اقتضاه النص السردي المعتمد في الشريط الإشهاري لأمنية بنك. ونوضح ذلك في هذا الجدول:

الجدول 1: أنماط السيرورات في شريط إشهاري لـ «أمنية بنك»

نوعه	الفعل	الجملة
مادي	اشريت	اليوم نهار اكبير. اشريت طونوبيل.
لفظي	كيعييط	أيمن ولدي، كيعييط ليه ابا سيدي.
لفظي	كيعاود	من ديما وهو كيعاود لينا على البلاد اللي كان فيها منين كان صغير.
مادي سلوكي سلوكي	يرجع يشوف يلعب	الأمنية ديالو هو يرجع يشوف ديك الشجرة اللي كان كيلعب احداها.

نوعه	الفعل	الجملة
ذهني مادي	يحلم يرسم	ولدي أيمن، حتا هو بكثرة ما كيحلم يشوفها ولاّ ديما كيرسمها.
ذهني	نفرحهم	أما أميتي أنا، هيا نفرحهم بجوج.
سلوكي	نمشيوا	يا الله نمشيوا أبابا.
ذهني مادي	توكلت شدّينا	توكلت على الله، وشدينا الطريق.
مادي مادي مادي	قطعنا بعدنا قربنا	قطعنا الجبال، ولكن كلما بعدنا من الدار، قربنا من الأمنية.
ذهني ذهني	حققت اطمأن	الحمد لله، حققت الأمنية: اشريت طونويلتي، فرّحت عائلي، واطمأن قلبي.

يمزج هذا الجدول بين الأفعال المادية والذهنية واللفظية والسلوكية. وسنركز على الأفعال الذهنية مع إشارة مقتضبة إلى الأفعال المادية والسلوكية. «تُعنى السيرورات الذهنية بتجربتنا المرتبطة بوعينا الخاص أو بعالمنا الداخلي. وتنقسم إلى أربعة أقسام: إدراكية، ومعرفية، ومعبرة عن رغبة، وعاطفية (أنظر لمزيد من التفصيل: بكار، 2024، صص. 106-107).

بناء على ما سبق، وجدنا أن الأفعال الذهنية التي وظفها مؤلفو الشريط الإشهاري جاءت وفق ما يأتي:

الجدول 2: الأفعال الذهنية في شريط إشهاري لـ «أمنية بنك»

السيرورة	نوعها	نوعها الفرعي
كيحلم	ذهنية	معرفية
نفرح	ذهنية	عاطفية

نوعها الفرعي	نوعها	السيرورة
معرفية	ذهنية	توكلت
معرفية	ذهنية	حققت
عاطفية	ذهنية	اطمأن

جاءت لتعبر أولاً عن المعرفي ثم عن العاطفي، حيث ارتبطت المعرفة بأفعال مثل الحلم والتوكل والتحقق، فيما ارتبطت العاطفة بأفعال مثل الفرح والاطمئنان. وتتيح هذه التوظيفات للأفعال الذهنية توليد التعاطف مع المرأة والطفل، إذ تمنح المتلقي إطلالة على أحلامهم ومشاعرهم الداخلية. وفي عبارة لفان ليفن تخبرنا النصوص بما ينبغي لنا فعله، ولكن أيضاً بما يحس به الناس حول أشياء العالم الذي يعيشون فيه. إنها تصف الأفعال والهويات والمشاعر (Van Leeuwen, 2008. P. 56). كما أشار ماشين وماير إلى أن المشهرين يميلون في الإشهارات إلى ربط أنفسهم بالأفعال الذهنية المعرفية، في حين يعززون إلى المستهلكين الأفعال الذهنية العاطفية؛ وذلك لإيراز قدرتهم على تحقيق احتياجاتهم ورغباتهم من خلال معرفتهم. ويصدق الأمر هنا، إلا أن الشريط يجسد المشهر والمستهلك في الآن نفسه.

ترتبط التعدية بالمشاركين في الخطاب، ولكننا لن نركز على طريقة تحليلهم في اللسانيات الوظيفية النسقية، إذ سنوظف مفهوم «الفاعل الاجتماعي» عند ثيو فان ليفن الذي حاول من خلال تنظيره الإجابة عن سؤال: «ما الطرق التي يمثل بها الفاعلون الاجتماعيون في الخطاب؟ وفي عبارة أخرى: ما الاختيارات التي تمنحها اللغة للإحالة على الأشخاص؟» (بكار، 2024ب، ص. 197)

قد يختار المستشهر استبعاد فاعل اجتماعي معين، إما بحذفه حذفاً تاماً، أو بوضعه في الخلفية. ونلاحظ في النص المصاحب للشريط حذفاً لغويًا للزوج، ووضعا له في الخلفية في الصورة؛ إذ برز مرة واحدة في هاتف الزوجة وهو يتسم. كما هناك حذف لأم المرأة، واقتصار على ابن واحد. وهذا التمثيل ليس اعتبارياً؛ إذ القصد منه بناء هوية العائلة الحديثة التي تكتفي بابن واحد أو اثنين، كما ترسخ صورة نمطية عن ارتباط المرأة بأبيها. قد يختار المتكلم الحديث عن الفاعل الاجتماعي، وفي حديثه عنه قد يمثله بأنه فاعل اجتماعي عامل ومؤثر، وهنا نلاحظ المرأة عاملة ومؤثرة في أبيها الذي أخذ دور

الفاعل الاجتماعي المتأثر، وفي هذا ترسيخ لأيدولوجية نسوية تدعو إلى تقوية المرأة وجعلها فاعلة في المجتمع.

قد يختار المستشهر أيضا الإحالة على الفاعل الاجتماعي إحالة عامة أو إحالة خاصة، ونلاحظ في نص الشريط اعتماده إحالة خاصة أضفى عليها نزعة فردية؛ إذ مثل الأم والجد والحفيد بصفاتهم أفرادا. ثم عينهم بعد ذلك انطلاقا من تسميتهم تسمية مزودة بانتماء «ولدي أيمن»، و«أبا جدي»، و«الواليد»، أي في ارتباط بقرابنتهم العائلية. ويبرز هذا رغبة البنك في جعلنا نخرط في قصة هذه المرأة، وتتعرف على أفراد أسرتها، ونتعاطف مع أحلامهم، ونتأثر بقراراتها التي تحاول تحقيق تلك الأحلام العائلية المشابهة لما يجري في العائلات المغربية.

**ثالثا؛ المستوى الخطابي:** نعالج في هذا المستوى ظاهرتين هما: «النزوع نحو المحادثة»، و«التناص المكوّن». في خصوص النزوع نحو المحادثة، يتجلى في اعتماد الشريط على اللغة الدارجة إضافة إلى الحوار المبني في سياق الحكيم بين المرأة وأبيها وابنها. وتوظف اللغة الدارجة في الإشهار لاستثمار ما يوجد فيها من حمولة ثقافية. وقد سمى فيركلف هذه الظاهرة بـ«النزوع إلى المحادثة» (conversationalization)، عادا إياها جزءا من الممارسة الخطابية، ووظيفتها دمقرطة الممارسات الخطابية من خلال جعل المواطنين العاديين يصلون إلى الخطاب من خلال فهمه واستيعابه، ثم التلاعب بهم والتحكم فيهم من خلال إيهامهم بأنهم يتخذون القرارات التي تعبّر عن إرادتهم (Fairclough, 1995, pp. 10-14). وقد أشار أيضا إلى أن الممارسات الخطابية عرفت تغيرات كبيرة أهمها: أولا؛ انتقال المجتمع المعاصر إلى مجتمع ما بعد تقليدي توجه الناس فيه إلى التفاوض والحوار حول علاقاتهم وهوياتهم، مما تطلب منهم كفايات حوارية متطورة، والتركيز على «مهارات التواصل» المباشرة. ثانيا؛ تميز الثقافة المعاصرة بالحس الترويجي والاستهلاكي، واعتمادها على الخطاب بوصفه وسيلة بيع البضائع والخدمات والأفكار (Fairclough, 1993, p. 141).

ما نفهمه من هذه الظاهرة ومن التغيرات المواكبة لها، هو أن اعتماد اللغة الدارجة في هذا الشريط وغيره من الأشرطة الإشهارية سببه هو إيصال مضمون الرسالة إلى أكبر قدر ممكن من المستهلكين، ثم إيهامهم بأنهم هم الذين يتخذون قرار التعامل مع البنوك لشراء سيارة، وليس السبب في ذلك الرغبة في محاكاة قصة هذه المرأة، ثم هناك هذه المهارة التواصلية التي تتخذ طابعا حكايا بنكهة حوارية مدارها مسكوكات معبرة عن رضى الوالدين (ما شاء الله، الله يرضي اعليك)، حيث تنقلنا إلى الأجواء العائلية التي تسود فيها السعادة. فمن التي

لا تريد رضى أبيها، وتحقيق استقلاليتها المالية، وشراء سيارة تجنبها ما تتعرض له كل امرأة في الشارع وفي المواصلات اليومية من مضايقات وتعب.

المستوى الخطابي الثاني في هذا الشريط هو التناص. ونشير بدءاً إلى أن طارق كويسر المدير العام لوكالة راب (RAPP) المغربية عند سؤاله عن كيفية تعامله مع موضوع إطلاق حملة تواصلية لبنك إسلامي صرّح قائلاً: «بالفعل، كان الأمر جديداً ويتطلب من الوكالة أن تطوّر ردود فعل مختلفة. الخطوة الأولى كانت استبدال مصطلح «إسلامي» بمصطلح «تشاركي»، وهو أمر تنظيمي أيضاً، إذ يمنع استعمال كلمة «إسلام» أو «إسلامي» كما هو الحال بالنسبة للأحزاب السياسية. أما الخطوة الثانية فتمثلت في تجاوز المرجعيات المعتادة التي نستخدمها في تواصل البنوك التقليدية، وإعادة ابتكار تصور خاص يناسب بنكا تشاركيا. وأخيراً، كان علينا أن نغوص في ثقافتنا المحلية، ونستحضر معجمنا ومخزوننا الذهني كمغاربة ومسلمين، حتى نضع أنفسنا مكان المستهلك المستقبلي (Interview with Tarik Guisser, Retrieved September 24, 2025 from <https://short-url.org/1fUiL>).

ما يعيننا من هذا التصريح هو ردة الفعل الأخيرة، أي الغوص في الثقافة المحلية، وبناء تصور ديني مشترك. وقد انتبهنا، ونحن نطلع على موقع أمنية بنك وأيضاً عند مشاهدة بعض المقاطع الإشهارية الختام بعبارة «ليطمئن قلبي». ندعو هذه العبارة «بيخطابية»، لأنها تمزج الخطاب الديني بالخطاب المالي البنكي، وهي مأخوذة من القرآن الكريم؛ إذ قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِكَ ثُمُورٌ قَالَ بَلَىٰ أَلَيْسَ لِي بِظَمِيرٍ قَلْبِي﴾ (سورة البقرة، الآية: 260).

عرّف فيركلف البيخطابية بأنها تناص مكوّن، أي يسهم في بناء النصوص وتغيير الأنواع. «وتسعى دراسة البيخطابية إلى تحديد أنواع الخطاب التي استُتد إليها في عينة الخطاب المحللة» (أنظر: بكار، 2024، ص. 146). والنوع الذي استند إليه هنا هو القرآن الكريم، بما يحمل من رمزية مقدّسة، وإرث معرفي مشترك بين جميع المسلمين. إن الآية القرآنية تبرز السعي الفطري للإنسان المسلم إلى الاطمئنان على أفعاله، وهو بعد يمكن مقارنته بحاجة زبون البنك إلى الاطمئنان تجاه معاملاته المالية، ويقدم البنك نفسه باعتباره مصدراً لهذا الاطمئنان. ومع أن طارق كويسر أجاب عن سؤال حول إمكانية توافق التعامل المصرفي مع أحكام الدين بقوله: «أفضّل القول إنهم [الناس] يبحثون عن شريك مصرفي يشاركهم القيم نفسها، وهذه هي الدقة في الموضوع» (Interview with Tarik Guisser)، إلا أن هذه

القيم المشتركة ليست سوى خطاب ديني يتجلى في المفردات، وفي اللباس، وفي التراكيب الدينية؛ سواء المأخوذة من القرآن الكريم أو من الآثار النبوية أو من كلام الصحابة والعلماء.

### 3.2.2 تحليل بعض صور الشريط

نحلل في هذا المحور بعض الصور التي شكّلت شريط «أمنية بنك الإشهاري»، وذلك بالتركيز على الأبعاد الفكرية والبيشخصية والنصية، أي على الفضاء الذي تجري فيه أحداث الشريط والفاعلين الاجتماعيين فيه، وطبيعة المكان، وطبيعة الإضاءة والألوان، وغير ذلك من الأمور البصرية التي تتضافر مع اللغة والموسيقى من أجل ترك انطباع إيجابي في ذهن المستهلكين، ولا سيما النساء.

أولاً؛ تحليل المستوى الفكري: تستحضر الصور في الإشهار عناصر متعددة، تشمل حوادث، وأشخاصاً، وأمكناً، وأشياء محددة، لكنها لا تكتفي بالإشارة إلى ما هو مرئي فحسب، بل تهدف أيضاً إلى إيصال أفكار ومفاهيم عامة ومجردة. في عبارة أخرى، تُستعمل الصور بوصفها وسيلة للإيحاء بالمضامين الفكرية والمفهومية. فعلى سبيل المثال، تمثل صورة المرأة في شريط أمانة بنك، إضافة إلى صورة الأب/الجد، وصورة الطفل، وصورة المنزل، وصورة السيارة، وغيرها، عناصر مختارة بعناية لإيصال هويات وممارسات معينة، وهو ما سنعمل على تحليله ضمن هذا المستوى. ولنبدأ بصورة المرأة وابنها، مع التركيز على طرق تقديمهما بصريا كما هو موضح في الصورة الآتية:

الصورة 2: صورة المرأة وابنها في شريط أمانة بنك بشأن شراء سيارة



تمثل هذه الصورة المجتزأة من الشريط المرأة التي تحكي قصتها، أي تعاملها مع البنك من أجل شراء سيارة. وهي تتحدث مع زوجها عبر الهاتف الذكي في معرض للسيارات. وما يثير الانتباه في هذه الصورة مجموعة من الأمور؛ أولها لباس المرأة، وثانيها

ابتسامتها، وثالثها الفضاء الذي توجد فيه، ورابعها الملف الذي تحمله بيدها. فضلا عن ابتسامتها ابنها ورفعها لإيهامه إلى الأعلى.

نلاحظ في الصورة أن المرأة لا تزال شابة، والسن عنصر أساس في تحليل الصورة البشرية؛ إذ إن اختيار السن يرجع إلى عدد من العوامل، من قبيل: «لن تباع المنتجات، وما هو سن المجموعة في الصور الذي يمكن أن يترك انطباعا جيدا حول المستهلكين المحتملين» (Wang, 2017, p. 95). وقد ادّعت داير أن «البحث يشير إلى أن متوسط سن الناس في الإشهارات يتقلص عادة بحيث يكون السن المفضل لممثلي الإعلانات هو بين 18 و35، ولا سيما حينما تكون المرأة موضوع الإشهارات، إذ هناك تركيز على الشباب» (Dyer, 1993, p. 97). والسبب في ذلك أن المرأة الشابة الجميلة تجذب انتباه الجمهور، وتؤسس رابطا بين المنتجات والمستهلكين.

الأمر الثاني المثير للاهتمام في الصورة هو تصفية شعر المرأة التي تبدو من خلال الحجاب الذي تضعه على رأسها. وترى داير أن الشعر «هو من الرموز الأكثر قوة في التواصل الثقافي» (Ibid, p. 98). فالصورة تريد أن تخبرنا أن المرأة هي متديّنة لكن تدينها هو تدين منفتح يجمع بين التدين الإسلامي المعتدل والانفتاح الاجتماعي. يظهر التفتح من خلال الشعر الذي يبدو من الحجاب، وهو ما يشير إلى وسطية دينية تشجعها الدولة؛ إذ لا تريد انسلاخا عن الهوية الإسلامية، ولا تشددا دينيا يذهب بها في اتجاه العزلة الدولية وغيرها. إن الصورة هنا خطاب أيديولوجي يطرح الهوية التي تسعى الدولة إلى بنائها.

تلبس المرأة لباسا تقليديا عبارة عن «جلابة» بلون البيج (Beige). وكما أكدت ذلك أمي دو لا هاي (Amy de la Haye) وويلسون إيزابيت (Wilson Elizabeth) يستعمل اللباس لبناء هويات شخصية فضلا عن الجمال والمعاني الأخلاقية والسياسية (de la Haye & Wilson Elizabeth, 1999, p. 1). وترمز الجلابة إلى لباس تقليدي محتشم يستر المرأة، كما يدل على الأصالة والتشبث بالتراث، وهو ما ينفي دلالة الاستغراب عن هذه المرأة، ويرسخ التشبث بالهوية الثقافية المغربية. في هذا الصدد قال مالكوم بيرنارد (Malcolm Barnard): «الأزياء والملابس أيديولوجيان» (Barnard, 1996, p. 39). يضفي اللون على الملابس أناقة بسيطة، كما يبعث مشاعر الرقي. وفي هذه الصورة يبدو لباس المرأة رسميا وأنيقا، مما يعزز السعي إلى الثروة والحياة السعيدة لدى النساء. إضافة إلى ذلك، يضفي هذا اللون جمالا على المرأة، فاللون -بحسب ليندا هولزسي (Linda Holtzschue) - «لغة بصرية» (Holtzschue, 2002, p. 2). وبما أن اللون، فضلا عن

الإضاءة، يسهم في إشعاع الصورة، فهذا يضمن الحصول على الانتباه. تظهر المرأة في معرض للسيارات، وهي تحمل هاتفها بيدها اليسرى، بينما تضم بيدها الأخرى عقد شراء السيارة من «أمنية بنك» الذي يتضح عليه شعار البنك ولونه العنابي البارز. تشتغل هذه العناصر مجتمعة على بناء فضاء بصري دال يُبرز نمط الحياة الذي يُفترض بالنساء السعي خلفه، كما تغرس في الآن ذاته قيما أيديولوجية محددة، أبرزها النزعة الاستهلاكية. يشير الفضاء العام للصورة إلى الفخامة المتجلية في حياة الرفاهية التي تمثلها السيارة التي تم شراؤها من أجل السفر، لا من أجل العمل. ويقدم المشهد بيئة مثالية تجمع بين السيارة والمستهلكين، ممثلين في المرأة وابنها. كما يشير الهاتف المحمول الذي تتحدثه عبره المرأة مع زوجها إلى الانسجام الأسري، إذ يوحي بأن قرار الشراء يحظى بموافقة الرجل ودعمه، وهو في الوقت ذاته رمز للاستشارة والتواصل في انسجام مع الصورة النمطية السائدة بأن النساء يلجأن إلى الرجال عند اتخاذ قرارات تتعلق بالسيارات، لما يُنسب إليهم من خبرة أكبر في هذا المجال.

تفصح الصورة في مجملها بأن نمط حياة المرأة لا ينبغي أن يقتصر على إعداد الطعام والعمل المنزلي فحسب، وإنما ينبغي أن يفتح على الاستمتاع بأوقات الفراغ، والأنشطة الترفيهية، وتحقيق الأهداف والأمنيات، وكل هذه الدلالات تُكسى بمعاني التحضّر والتقدّم وفهم طبيعة الحياة. بطبيعة الحال هناك مجموعة من المعطيات الأخرى التي يمكن تحليلها في هذه الصورة، ولكننا سنكتفي بهذا الجانب، ولا سيما أن هذا المحور معنون بتحليل الوظيفة الفكرية، ولننظر في الجانب الفكري لصورتين أخريين لنحللها ما ييجاز يقتضيه حيز هذه المقالة. ونوردهما وفق ما يأتي:

### الصورة 3: صورة الجد والحفيد من شريط أمنية بنك



من ديمنا وهو كيعاود لينا على البلاذ اللي كان فيها مئين كان صغور

## الصورة 4: صورة الفضاء الذي يحلم الجد بزيارته



تظهر الصورة (3) الجد مع حفيده، حيث يقوم الحفيد بالرسم، وسيظهر لنا فيما بعد أنه يرسم الصورة (4) التي تضم الحفيد والأم والجد. لكن ما يثير الانتباه في الصورة (3) هو الفضاء الذي يوجد فيه الجد والحفيد، إنه فضاء يوحي بالفخامة؛ إذ تتضمن الطاولة سطحاً زجاجياً يشير إلى طبقة مجتمعية متوسطة، إن لم تكن غنية، إضافة إلى النوافذ الكبيرة، والستائر البيضاء المحكمة، والإضاءة الجيدة، وهذا كله يقود إلى انطباع عام بأن هذه العائلة تعيش نمط حياة رغيدة. أما الصورة (4)، فتجسد الفضاء الطبيعي، بحيث يضيف العشب الأخضر، والشجرة الكبيرة، والسماء الزرقاء المتخللة بالغيوم البيضاء إحساساً بالهدوء والسكينة والحياة الطبيعية التي يسعى كل إنسان إلى عيشها. غير أن هذه الصورة لا تقدم لنا معلومات عن مالك الأرض أو صاحبها، إنها موجودة أساساً لإثراء الشريط الإشهاري بمكان جميل ومرغوب في زيارته.

لا تفسر الصورة (3) سبب عدم تمكن الجد من زيارة أرضه وبلده وشجرته؛ فهل المواصفات منعدمة؟ أم أن تحقيق هذا الحلم رهين بامتلاك سيارة؟ كل هذا يوضع في الخلفية، ويكتفي الشريط الإشهاري بتقديم دور البنك في تمكين المرأة من شراء سيارة بوصف ذلك أمنية الأمنيات، وفعلاً جليلاً يرضي الوالدين ومن ثم يرضي الله تعالى. يمكن اعتبار كلتا الصورتين عرضان يقدمان لنا للتأمل فيهما، ولكن الصورة الأولى تنجز فعلين على الأقل؛ الأول هو الفعل السلوكي للنظر الذي يقوم به الجد نحو ما يرسمه الحفيد، والثاني هو الفعل المادي نفسه، أي الرسم. وإذا كان الفعل الأول يدل على العناية والاهتمام، فإن الفعل الثاني يبرز الإبداع والبراءة والأحلام الطفولية البسيطة التي ينبغي للأهل السعي لتحقيقها.

أما الشجرة في الصورة (4)، فهي كبيرة وباسقة، وتشير الأشجار عموماً إلى دلالة الارتباط بالأرض والجذور الممتدة في أعماقها. ويمكن إسقاط هذه الدلالة على البنك، الذي يُجسّد كشجرة متجذرة في الالتزام بالقيم الدينية الأصيلة، أما السيارة فتصور بأنها السبيل الموصلة إلى هذه الشجرة، أي إلى هذه القيم. وبذلك تتحول السيارة التي تم الحصول عليها عبر خدمة لأمنية بنك إلى رمز تعبدي يمثل وسيلة للحفاظ على هذه القيم والسعي لتحقيق الهدف المنشود.

ثانياً؛ المستوى البيشمخي: ندرس في هذا المستوى جملة من العناصر التداولية التي تُنشئ علاقة بين الناظر إلى الصورة والمشاركين فيها، أي بين المرسل البصري والمتلقي. فالصورة تُؤدي وظيفة تواصلية موجهة إلى المشاهد، تستهدف استشارة موقف أو إحساس محددين تجاه المضمون البصري، من أجل اتخاذ موقف معين من الصورة، أو الإحساس بعلاقة، أو الخضوع لسلطة رمزية ضمنية.

بالعودة إلى الصورة (2)، نلاحظ أن المرأة والطفل يتسمان، غير أن ابتسامتهما موجهة إلى الزوج/الأب عبر الهاتف، لا إلى الناظر مباشرة. وقد أشار غاري فيغن (Gary Faigin) إلى أنه: «لا عجب أن تمتلك الحركات الصغيرة التي تغير مظهر الملامح -تعبير الوجه- أهمية كبرى؛ إذ يمكن لأي تلميح بابتسامة أن يبدأ محادثة بين غربيين، ويمكن لأي تلميح بالعبوس أن يثيرا شجاراً بين الأصدقاء» (Faigin, 1992, p. 8). وقد وصف جون هارتلي الابتسامة في الإشهار بأنها «ابتسامة مهنية» (Hartley, 1992, p. 76). نفهم من هذا أن ابتسامة المرأة والطفل تدلان على ابتسامة احترافية هدفها تجاري، أي جذب انتباه المشاهدين، وابتكار سياق إيجابي للخدمة التي تقدمها «أمنية بنك». وقد أكدت داير أن الابتسام يدل على السعادة؛ إذ عادة ما يكون تعبير الوجه في الإشهارات «إيجابياً وسعيداً بشكل مقصود، ومشعاً وسعيداً، ومبتهجاً، إلخ» (Dyer, 1993, p. 99).

تعدّ الصور (2)، و(3)، و(4) عرضاً مقدماً للمشاهد من أجل التأمل فيه، وينسجم هذا الأمر مع ما انتهينا إليه في تحليل كلمات الشريط التي أتت بصيغة تقديم المعلومات، لا بصيغة الطلب من المشاهدين القيام بفعل ما، وقلنا أنّنا إنّ الطلب ضمني، والضمني عادة ما يكون أثره أقوى مما هو صريح. فالرسالة الإشهارية تسعى إلى أن تقتدي كل النساء العاملات بهذه المرأة، أي بشراء سيارة، وإرضاء أبيها، ومن ثم ربّها. وابتسامة المرأة في الصورة (2) تعبير عن سعادة وفرح مرتبطين بشراء السيارة، ومن ثم دفع المستهلكين

المحتملين إلى الإحساس بالراحة، والرغبة في تجربة الإحساس الذي أحست به المرأة وابنها جراء شرائهم سيارة من طريق «أمنية بنك».

إن نظرة المرأة والطفل إلى الهاتف، ونظرة الجد والحفيد إلى الورقة التي يرسم عليها الطفل لها وظيفة إشارية وعقلانية وعاطفية؛ إذ توجّه اهتمام المشاهدين إلى ما يجري في الصورة، وتدفعهم إلى معرفة ما يحدث بين هؤلاء الفاعلين الاجتماعيين، ثم ترسخ إحساسا عاما بعيش ما يعيشونه، ولا سيما أن الصورتين تمثلان لحظات سعادة وفرح، وانسجام عائلي. ويعزز هذا الأمر واقع الجلوس الذي نراه في الصورة (2) والصورة (3)؛ إذ يجلس الطفل في السيارة، ويجلس رفقة جده على كرسي في المنزل. ويشير هذا الجلوس إضافة إلى وقوف المرأة إلى فلسفة اللذة، أي البحث عن المتع، والابتعاد عن المشكلات اليومية المرتبطة بالعمل والدراسة وغيرهما. وتبلغ هذه الفلسفة ذروتها في الصورة (4)، حيث يتداخل الإنسان مع الطبيعة والسيارة في مشهد يوحي بالسكينة والانسجام البيئي والروحي.

صوّرت المرأة وابنها من لقطة قريبة، بينما صوّر الجد وحفيده من لقطة متوسطة، في حين صوّرت العائلة مع الشجرة والطبيعة من لقطة بعيدة. ولكل زاوية دلالة خاصة. وقد أكد ماشين وماير بأن «المسافة في الصور كما في الحياة الواقعية، تشير إلى العلاقات الاجتماعية؛ إذ تُبقي على «مسافة» من الناس الذين لا نريد أن نكون على صلة بهم، ونقترب من الناس الذين نراهم جزءا من دائرة صداقتنا وقربنا. وفي الصور، تترجم المسافة بحجم الإطار، أي اللقطة القريبة، أو المتوسطة، أو البعيدة» (Machin and Mayr, 2012, p. 97).

أخذا بهذا المبدأ، فإن الصورة (2) تدفعنا إلى الاقتراب من المرأة والطفل، ومحاولة محاكاة ما يقومون به، فبما أنهما سعيدان، فسيكون لدينا فضول لمعرفة السبب، والسبب موضوع في وسط الصورة، أي العقد الذي وقعته المرأة لشراء سيارة من «أمنية بنك»، والسعادة التي تظهر في وجه الطفل الذي يخرج رأسه من نافذة السيارة. أما في الصورة (3)، فإننا نجد لقطة متوسطة؛ إذ ليست الغاية الانخراط في ما يفعله الطفل والجد فحسب، وإنما تأمل المكان الذي يوجدان فيه؛ المكان الذي يميّز بالإضاءة الكبيرة الدالة على الفخامة والأثاث الأنيق والنوافذ الكبيرة في إشارة إلى ما يمكن للبنك أن يقدمه للمستهلكين أيضا، أي شراء منزل يشبه هذا المنزل. والصورة (4) لا تريد منا النظر إلى الفاعلين الاجتماعيين في الصورة، وإنما النظر إلى الفضاء الطبيعي الذي توجّهت

إليه العائلة، والذي يوحي بالسكينة والراحة والسلام الذي ينبغي للناس البحث عنه خارج المدن وضجيجها.

التقطت الصور جميعاً من مستوى نظرة عين المشاهد، فليس الناظر إلى الصورة ممتلكاً لسلطة أعلى من الفاعلين الاجتماعيين الممثلين في الصورة، ولا المرأة والجد والحفيد مصورين في أعلى الصورة، ويمتلكون أفضلية على الناظر وسلطة عليه. بخلاف ذلك نجد اللقطات مأخوذة بشكل مساو لنظرة العين، وهذا يخلق مساواة تعزز الرغبة في عيش التجربة نفسها، ومشاعر السعادة نفسها.

ثالثاً؛ المستوى النصي: ندرس في المستوى النصي مجموعة من الأبعاد التي تضمن انسجام الرسالة الإشهارية البصرية. وفي خصوص قيمة المعلومات، نجد أن الصور الثلاث (2)، و(3)، و(4) كلها أتت مركزية ذات وسيط وعناصر غير متقاطعة. ومعنى هذا أنها تجعل الناظر ينظر إلى وسط الصورة، وأنه ليس هناك حاجة إلى النظر إلى يمين الصورة أو يسارها أو النظر إلى أعلى الصورة أو تحتها. وهذا الأمر طبيعي في الثقافة العربية التي تحتفي بالمركز مقابل الهامش، فما ليس مهماً يوضع في هامش إطار الصورة. إذاً، المعلومات المهمة في الصورة وُضعت في مركز اللقطات، حيث المرأة والطفل السعيدان، وحيث غرفة المعيشة التي يرسم فيها الطفل أحلامه بينما يرعاه الجد، وحيث العائلة تقف أمام الشجرة الكبيرة في بيئة طبيعية هادئة.

أما البروز، فهو يرتبط بالسّمات التي تلفت الانتباه في الصورة، أي التي توضع مثلاً في المقدمة. وفي الصورة (2)، نجد الأمر البارز هو المرأة وعقد «أمنية بنك» التي تحضنه إضافة إلى الطفل السعيد، وهذا كله مشدّد عليه للإيحاء بحس عام للسعادة المرتبطة بالتعامل مع البنك. علاوة على ذلك، أسهمت الألوان الفاقعة والمشبعة في إبراز المرأة والغرفة والفضاء الطبيعي، وهي كلها أدوات يستعملها المصممون لإبراز ما يريدون من المستهلكين التركيز عليه. ويعزز هذا الأمر درجة اللون والإضاءة المستعملة في تصوير الشريط، فضلاً عن التركيز على المرأة والغرفة والطبيعة.

أما في ما يرتبط بالتأطير، نجد اشتغال الحد الأقصى من الانقطاع في صورة المرأة التي تصوّر مع ابنها من دون إبراز لطبيعة السيارة والسيارات الموجودة في المعرض. وهذا سببه عدم الترويج لنوع معين السيارات دون أخرى. لذلك كان التأطير مركز على المرأة وعلى عقد «أمنية بنك» وعلى الطفل داخل السيارة من دون إشراك الناظر في رؤية منتجات هذا المعرض. والأمر نفسه تقريباً نجده في صورة الجد والحفيد؛ إذ التأطير يركز

عليهما من دون إظهار تفاصيل المنزل، لأن هناك رغبة في بناء مفهوم السعادة و حياة الرفاهية التي يمكن عيشها بالاعتماد على «أمنية بنك». أما صورة العائلة أمام الشجرة، فهي تبرز الحد الأقصى من الاتصال؛ بما أنها مأخوذة من مسافة بعيدة.

## خاتمة

خصصنا هذه المقالة لدراسة البعد الديني في الخطاب الإشهاري من خلال نموذج محدد لأحد البنوك التشاركية بالمغرب، وهو «أمنية بنك». وبعد تقديم موجز حول نشأة هذه البنوك وسياق ظهورها، قمنا بتحليل شعار البنك، ثم انتقلنا إلى تحليل شريط إشهاري يوجّه خطابه إلى النساء ويدعوهن إلى التعامل مع بنك «أمنية بنك» لاقتناء سيارة. انطلقت دراستنا من منظور السيميائيات الاجتماعية، بهدف إبراز تداخل البعدين اللغوي والبصري في بناء الخطاب الإشهاري. وقد فُصل بين المستويين اللغوي والبصري لأغراض منهجية وتوضيحية، مراعاة للطابع الأكاديمي الذي يقتضي التحليل الدقيق والتطبيق العملي المفصل.

استند التحليل اللغوي إلى مفاهيم اللسانيات النقدية التي تُعدّ الأساس النظري الذي انبثقت منه السيميائيات الاجتماعية، بينما اعتمد التحليل البصري على مفاهيم النحو البصري كما صاغها كريس وفان ليفن في كتابهما قراءة الصور: نحو التصميم البصري، مع الاستعانة بسيكولوجيا الألوان وبعض المقاربات السيميائية والإشهارية.

أفضى التحليل إلى مجموعة من النتائج، أهمها تداخل المستويين اللغوي والبصري في تعزيز الرسالة الإشهارية، بما يجعل كليهما متكاملًا في تحقيق الإقناع والتأثير. كما تبين أن بنك «أمنية بنك» يوظّف في خطابه عناصر من المخزون الديني والثقافي المغربي، من خلال الاسم والشعار والرموز، إلى جانب دمج النزعة الاستهلاكية الرأسمالية بالنزعة النسوية، وذلك من خلال الدعوة بشكل مبطن إلى تحرّر المرأة واستقلالها، وترجيّة وقت فراغها في السفر وتحقيق الأمنيات.

## قائمة المراجع

### أولاً- المراجع العربية

- «التقرير السنوي: قدمه والي بنك المغرب إلى صاحب الجلالة نصره الله»، السنة المالية 2024.

- «شبكة إجمالية من 5701 وكالة بنكية بالمغرب عند متم سنة 2014»، اطلع عليه في: 2025/08/20، في: <https://short-link.me/17eAj>
- الدواداري، أبو بكر بن عبد الله. (1992) كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق دوروتيا كرافولسكي. مصر: عيسى البابي الحلبي.
- الألباني، محمد ناصر الدين. (1992) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة. الرياض/المملكة العربية السعودية: مكتبة المعارف.
- أزلماض، خالد. (2024) «قراءة في القانون الإطار 12.103». مجلة المعرفة، العدد 19، صص. 395-404.
- بكار، سعيد. (2024ب) «خطاب الحرب في ضوء مقارنة الفاعلين الاجتماعيين لثيو فان ليفن». ضمن سعيد بكار وأحمد العياشي. كتاب جماعي. مقالات في التحليل النقدي للخطاب. أكادير: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن زهر. صص. 194-235.
- بكار، سعيد. (2024أ) بلاغة النقد: دراسات في التحليل النقدي للخطاب. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. (1995) المعجم الأوسط. (تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني). القاهرة: دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع.
- القانون البنكي رقم 12.103 المتعلق بمؤسسات الائتمان والهيئات المعتمدة في حكمها.
- بوغيزي، محسن. (2010) السيمولوجيا الاجتماعية. بيروت/لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- دروزة، محمد عزة. (2000) التفسير الحديث: ترتيب السور حسب النزول. الطبعة الثانية. بيروت/لبنان: دار الغرب الإسلامي.

#### ثانيا- المراجع الأجنبية

- Abousnoug, Gill & David Machin. (2013) *The language of War Monuments*. London: Bloomsbury.
- Al-Olayan, Fahad & Kiran Karande. (2000) «A content analysis of magazine advertisements from the United States and the Arab



- world». *Journal of Advertising*, 29(3), pp. 69-82.
- Barnard, Malcolm. (1996) *Fashion as Communication*. London: Routledge.
  - «Be Aware Psychology of Maroon: How Color Influences Good & Bad Emotions», Retrieved September 24, 2025 from <https://short-url.org/1bcWs>
  - Catalano, Theresa & Linda Waugh. (2020) *Critical Discourse Analysis, Critical Discourse Studies and Beyond*. Switzerland: Springer.
  - de la Haye, Amy & Wilson Elizabeth. (1999) *Defining Dress: Dress as Object, Meaning and Identity*. Manchester: Manchester University Press.
  - De Run, Ernest, Mohsin Butt, Hui Jong, and Kim Fam. (2010) «Attitudes towards Offensive Advertising: Malaysian Muslims' Views». *Journal of Islamic Marketing*, 1(1), pp. 25-36.
  - Dreksler, Noemi & Charles Spence. (2019) «A Critical Analysis of Colour-Shape Correspondences; Examining the Replicability of Colour-Shape Associations». *I-Perception*, 10(2), pp. 1-34.
  - Dyer, Gillian. (1993) *Advertising as Communication*. London: Routledge.
  - Faigin, Gary. (1992) *The Artist's Complete Guide to Facial Expression*. New York: Watson-Guption Publications.
  - Fairclough, Norman. (1993) «Critical Discourse Analysis and the Marketization of Public Discourse: The Universities». *Discourse & Society*, 4(2), pp. 133-168.
  - Fairclough, Norman. (1995) *Media Discourse*. London: Arnold.
  - Fam, Kim-Shyan & Reinhard Grohs. (2007) «Cultural Values and Effective Executional Techniques in Advertising». *International*

- Marketing Review*, 24(5), pp. 519-538.
- Fiske, John & John Hartley. (1979) *Reading Television*. London: Methuen.
  - Halliday, Michael. (1978) *Language as Social Semiotic: The Social Interpretation of Language and Meaning*. London: Arnold.
  - Halliday, Michael. (1985) *An introduction to Functional Grammar*. London: Edward Arnold.
  - Hartley, John. (1992) *The Politics of Pictures*. London: Routledge.
  - Hodge, Robert & Gunther Kress. (1988) *Social Semiotics*. Cambridge: Polity Press.
  - Holtzschue, Linda. (2002) *Understanding Color: An Introduction for Designers*. Hoboken: Wiley.
  - Jewitt, Carey, Jeff Bezemer & Kay O'Halloran. (2016) *Introducing Multimodality*. London/New York: Routledge.
  - Kalliny, Morris & Lance Gentry. (2007) «Cultural Values Reflected in Arab and American Television Advertising». *Journal of Current Issues and Research in Advertising*, 29(1), pp. 15-32.
  - Kress, Gunther & Theo van Leeuwen. (1990) *Reading Images*. Geelong, VIC: Deakin University Press.
  - Kress, Gunther & Theo van Leeuwen. (1996) *Reading Images: The Grammar of Visual Design* (London: Routledge).
  - Kress, Gunther, Regina Leite-Garcia & Theo van Leeuwen. (1997) «Discourse Semiotics», In Teun van Dijk. *Discourse as Structure and Process*. London/Thousand Oaks/Nez Delhi: SAGE Publications. pp. 257-291.
  - Lumpkins, Crystal. (2010) «Sacred Symbols as a Peripheral Cue in Health Advertisements: an Assessment of Using Religion to Appeal to African American Women about Breast Cancer

- Screening». In *Journal of Media and Religion*, 9(4), pp.181-201;
- Machin, David Machin & Theo van Leeuwen. (2007) *Global Media Discourse: A Critical Introduction*. London & New York: Routledge.
  - O'Toole, Michael. (1994) *The Language of Displayed Art*. Rutherford, NJ: Fairleigh Dickinson University Press.
  - Ochwani, Jayshree. «Gold Color Meaning and Psychology in Design», (Updated on 16 juin, 2025), Retrieved September 24, 2025 from <https://short-url.org/1bd06>
  - Panofsky, Erwin. (1995) «Iconography and Iconology: An Introduction to the Study of Renaissance Art». In Erwin Panofsky. *Meaning in the Visual Arts: Papers in and on Art History*. Garden City, NY: Doubleday. pp. 26-54.
  - Soliman, Hasnaa et al. (2024) «The Importance of Color in Marketing and Customer Behavior», *Journal of Textiles, Coloration and Polymer Science*, 21(2), pp. 407-418.
  - Taylor, Valerie, Diane Halsteadm & Paula Haynes. (2010) «Consumer Response to Christian Religious Symbols in Advertising». *Journal of Advertising*, 39(2), pp.79-92.
  - The Rolling Notes. (2025) «Tarik Guisser, Directeur Général de RAPP Maroc, revient sur le lancement d'Umnia Bank», (Interview), Retrieved September 24, 2025 from <https://short-url.org/1fUiL>
  - Thibault, Paul. (1991) *Social Semiotics as Praxis: Text, Social Meaning Making, and Nabokov's Ada*. Minneapolis: University of Minnesota Press.
  - Threadgold, Terry, Elizabeth Grosz, Gunther Kress, & Michael Halliday. (1986) *Semiotics, Ideology, Language*. Sydney:

Pathfinder Press.

- van Leeuwen, Theo. (1999) *Speech music, sound*. London: Macmillan.
- van Leeuwen, Theo. (2008) *Discourse and Practice: New Tools for Critical Discourse Analysis*. New York: Oxford University Press.
- van Leeuwen, Theo. (2022) «Re-reading Reading Images», In David Caldwell, John Knox, & James Martin. *Social Semiotics: Developing Theory from Practice*. London: Bloomsbury Academic. pp. 275-293.
- Verzosa, Chad. «The Science of Shapes: Learn the Psychology Behind Basic Forms and Figures in Photography», Retrieved Jun 6, 2022 from <https://bit.ly/3mBCla5>
- Wang, Chong. (2017) *Critical Discourse Analysis of Chinese Advertisement: Case Studies of Household Appliance Advertisements from 1981 to 1996*. Shanghai and Singapore: Jiao Tong University Press and Springer.



# بلاغة التعليق التلفزيوني

## دراسة سيميائية متعددة الصيغ

المصطفى الضو

كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ جامعة ابن زهر أكادير/ المملكة المغربية

nawabmodafar6@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0005-5811-9703>

### الملخص

سعت هذه المقالة إلى تقديم دراسة سيميائية متعددة الصيغ للتعليق التلفزيوني ممثلاً بنموذج عربي حاز شهرة واسعة في مجال الإعلام بتعليقاته المثيرة والمؤثرة هو فوزي بشرى. ولما تتوفر عليه هذه التعليقات من مقومات متنوعة، واعتمادها على آليات تعبيرية جعلتها مناسبة للتحليل والدراسة اعتماداً على هذه المقاربة السيميائية متعددة الصيغ. وتسعى هذه المقالة إلى الإجابة عن السؤال الآتي: ما هي المحددات البلاغية والمقومات اللغوية والبصرية والأدائية التي مكّنت تعليقات فوزي بشرى من تحقيق هذا التأثير القوي والانتشار الواسع بين رواد العالم الأزرق من المشاهدين والقراء؟

يتمثل الهدف من هذه الدراسة في البحث عن طبيعة المقومات البلاغية والمحددات اللغوية والبصرية والأدائية التي كانت سبباً في نجاح التعليقات التلفزيونية لفوزي بشرى في تحقيق هذا الانتشار الواسع والإجماع الكبير على تفردّها وقوتها وتأثيرها، ومن ثم فإنّ التصور المنهجي الذي يمتلك الرؤية المناسبة والأدوات الإجرائية الكفيلة بتحقيق ذلك يجد مرجعيته في السيميائيات الاجتماعية وتحديد المقاربة المتعددة الصيغ، ذلك أن بنية التعليقات التلفزيونية القائمة على تداخل صيغ وأساليب وأدوات مختلفة جعل هذه المقاربة الأنسب في نظرنا.

الكلمات المفتاحية: التعليق التلفزيوني، السيميائيات، تعدد الصيغ، السيميائيات الاجتماعية.



# RHETORIC OF TELEVISION COMMENTARY

## A MULTI-MODAL SEMIOTIC STUDY

Mustapha DAOU

Faculty of Letters and Human Sciences. Ibn Zohr University, Agadir. Morocco  
nawabmodafar6@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0005-5811-9703>

### ABSTRACT

This article presents a multimodal semiotic study of television commentary through the example of Fawzi Bushra, a prominent Arab media figure widely known for his compelling and impactful commentaries. Owing to their rich rhetorical features and reliance on diverse expressive strategies, his commentaries provide a particularly suitable case for analysis from a multimodal semiotic perspective. The study seeks to answer the following question: What rhetorical strategies, and which linguistic, visual, and performative resources, have enabled Bushra's commentaries to generate such powerful influence and achieve broad circulation among audiences and readers across digital platforms?

The objective is to identify the rhetorical and semiotic resources that underpin the success of Bushra's television commentaries, explaining how they have achieved wide resonance and been recognized for their uniqueness, strength, and influence. Methodologically, the study draws on social semiotics, and in particular the multimodal approach, as the interweaving of modes, styles, and techniques in television commentary makes this framework the most relevant.

**Keywords:** Television Commentary, Semiotics, Multimodality, Social Semiotics

## مقدمة

تضطلع وسائل الإعلام بمختلف أصنافها في عالمنا المعاصر بدور حاسم في صناعة الرأي العام وتوجيهه، خاصة مع هذه الثورة التكنولوجية الهائلة وانتشار وسائل الإعلام الحديثة؛ إذ أصبحت الأخبار تُنقل بسرعة غير مسبوقة، مما يعزز تأثيرها في الأفراد والمجتمعات. ويُعدّ الخطاب الإعلامي الإخباري أحد الأدوات الأساسية التي تستخدمها وسائل الإعلام لتحقيق هذا التأثير، بما يتم توظيفه من وسائط متنوعة: اللغة والصور والموسيقى والإيماءات والمحتوى بطرق متقنة لإنشاء سرديات معينة، وتوجيه الرأي العام نحو قضايا محددة قصد التفاعل معها بطرائق ووسائل وأساليب مختلفة.

ولعل من بين أهم أنماط الخطاب الإعلامي وأكثرها رواجاً وتأثيراً التعليقات التلفزيونية؛ وذلك بسبب احتوائها على الصوت والصورة معاً؛ الأمر الذي جعلها تضطلع بدور كبير في تحديد المواقف والحقائق والمعلومات الإعلامية التلفزيونية المقدمة، وفي فك الرموز اللغوية المرتبطة بالحوادث والمحتويات الإعلامية المنشورة ارتباطاً بأهم الحوادث الوطنية والعربية والعالمية.

والتعليق التلفزيوني هو عملية تقديم وصف صوتي ومعلومات حول الحوادث المباشرة أو المسجلة التي تُعرض على التلفزيون. ويُعد المعلق التلفزيوني الشخص الذي يقوم بهذه المهمة، حيث يقدم تعليقات، وتفسيرات، وتحليلات حول ما يحدث على الشاشة لمساعدة المشاهدين على فهم ما يجري بشكل أفضل. وتضطلع التعليقات التلفزيونية بدور مهم في تأطير الحوادث العالمية وتقديمها للمشاهدين بطريقة تؤثر في فهمهم وتصورهم لها. ويتم هذا التأطير بطرق متعددة لها تأثير كبير في الرأي العام، ويكون ذلك بتوفير السياق والخلفية التاريخية، أو الثقافية، أو السياسية، أو الاقتصادية المرتبطة بالحدث. أو توجيه الرأي العام عبر تقديم تحليلات وتفسيرات يؤثر بها المعلقون في أفهام المشاهدين، أو بإضفاء الطابع الإنساني على الأخبار من خلال جعل الحوادث تبدو أكثر قرباً وشخصية بالتركيز على القصص الإنسانية والتجارب الفردية المرتبطة بالحدث. وقد يكون أيضاً بتوضيح التعقيدات بلغة بسيطة ومفهومة، ومن ثم فهم القضايا المعقدة والتفاعلات السياسية والاجتماعية، ثم إثارة النقاش والحوار من خلال تقديم وجهات نظر متعددة وتحليلات متنوعة، مما يسهم في خلق مجتمع أكثر وعياً وانخراطاً في القضايا العالمية والوطنية.

تمثل الدور الفعال للتعليقات التلفزيونية بشكل بارز في متابعتها وتأطيرها لحوادث

«الربيع العربي» التي كانت سلسلة من الاحتجاجات والثورات الشعبية التي اجتاحت العديد من الدول العربية، وكانت مفصلية في تاريخ المنطقة حيث أدت إلى تغييرات سياسية واجتماعية كبيرة؛ انطلقت من تونس بوصفها الفتيلة الأولى التي أشعلت شرارة الربيع العربي في ديسمبر 2010 بعد أن أضرم البائع المتجول محمد البوعزيزي النار في نفسه رفضاً للظلم والإذلال الذي تعرض له من النظام، لتنتقل الاحتجاجات إلى مصر في يناير 2011 ومنها إلى اليمن في التاريخ ذاته، وامتدّت إلى ليبيا في شهر فبراير، وإلى سوريا في شهر مارس من السنة ذاتها.

تلعب وسائل الإعلام العربية خاصة والعالمية بوجه عام، بمختلف أنواعها وأصنافها دوراً بارزاً وفعالاً في تغطية هذه الحوادث، ومواكبتها بالتحليل والقراءة والتعليق، في محاولة لتفسيرها والكشف عن أبعادها وانعكاساتها للجمهور المشاهد والقارئ. ولعل من أبرز أسماء المعلقين التلفزيونيين الذين برزوا بشكل لافت الإعلامي السوداني فوزي بُشري الذي تمكن من إخراج التعليق التلفزيوني من النمط العادي إلى نوع إبداعي يسحر المشاهدين بأسلوبه المتميّز، ويأخذ عقولهم وأخيلتهم ووجدانهم وضمائرهم أيضاً. إنه محلل سياسي متمكن من لغته - تصريحاً وتلميحاً وإيماءات وإشارات وبيانا وتبييناً ونكات بلاغية- كما وُهب صوتاً فخماً، بمعية موهبة وضع كل جملة موضعها الصحيح، مما جعله اسماً بارزاً في هذا المجال.

انطلاقاً مما سبق، تسعى هذه المقالة إلى الإجابة عن السؤال الآتي: ما هي المحددات البلاغية والمقومات اللغوية والبصرية والأدائية التي مكّنت تعليقات فوزي بشري من تحقيق هذا التأثير القوي والانتشار الواسع بين رواد العالم الأزرق من المشاهدين والقراء؟ في سياق الإجابة عن هذا السؤال، سنحلل ثلاثة تعليقات تلفزيونية أنجزها الإعلامي فوزي بشري في إطار تغطيته ومتابعته لحوادث الربيع العربي على قناة الجزيرة، وهذه التعليقات هي: تنحي مبارك، وقتل علي عبد الله صالح، وقتل القذافي.

ننطلق في الإجابة عن السؤال من فرضية مضمونها أن صناعة التعليقات التلفزيونية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بخلفيات فكرية وأيديولوجية تحكم أصحابها؛ إذ يعمدون إلى تمرير أيديولوجياتهم ورؤاهم بخصوص الحوادث، ومواقفهم من الوقائع بواسطة هذه التعليقات، ومن ثمة فإنهم إما يحاولون إعادة إنتاج بنية سلطة جهات ينتمون إلى مؤسساتها أو يخضعون إليها، وتكريس مبادئها وأهدافها وآلياتها، وإما إمارة اللثام عن

الحقائق الخفية لهذه السلطة، وفضح مخططاتها وأهدافها لمحاصرتها وتقويضها والحد من تأييدها ومن ثم التمكن من تغييرها.

وإذا كان الهدف المنشود من هذه الدراسة هو البحث عن طبيعة المقومات البلاغية والمحددات اللغوية والبصرية والأدائية التي كانت وراء نجاح التعليقات التلفزيونية لفوزي بشرى في تحقيق هذا الانتشار، فإن التصور المنهجي الذي يمتلك الرؤية المناسبة والأدوات الإجرائية الكفيلة بتحقيق ذلك يجد مرجعيته في السيميائيات الاجتماعية وتحديد المقاربة المتعددة الصيغ، ذلك أن بنية التعليقات التلفزيونية القائمة على تداخل صيغ وأساليب وأدوات مختلفة جعل هذه المقاربة الأنسب في نظرنا.

تنقسم هذه المقالة إلى محورين؛ أولهما نظري معني بتقديم صورة واضحة عن مقاربة تعددية الصيغ من حيث النشأة والتعريف والمقاربات. وثانيهما تطبيقي عملي مهتم بتحليل ثلاثة تعليقات تلفزيونية للإعلامي فوزي بشرى علق بها على حوادث سقوط/ مصرع ثلاثة حكام عرب في الحراك العربي سنة 2011.

## 1. تعددية الصيغ: النشأة والتعريف

برز مصطلح «تعددية الصيغ» في أواسط التسعينيات. ومنذ ذلك الوقت، نُظمت مجموعة من المؤتمرات والملتقيات الأكاديمية، ونشرت مجموعة من الكتب حول تعددية الصيغ. ومن علامات بروزه حقلاً مستقلاً نشر دليل إرشادي له في سنة 2009، بعنوان دليل روتلج الإرشادي للتحليل المتعدد الصيغ (Jewitt, 2009)، إضافة إلى إصدار مجلة خاصة بالتحليل المتعدد الصيغ بعنوان التواصل متعدد الصيغ (Multimodal Communication)، وذلك في سنة 2012. وقد اعترفت جويت وزميلها بصعوبة تعريف مصطلح «تعددية الصيغ»، ورأوا بأنه من الممكن وصفه بعبارة: «نحن نصنع المعنى بطرق متعددة» أو «نتواصل بطرق متعددة»، منبهين إلى مراعاة الاختلافات النظرية والمنهجية في التخصصات المعنية بدراسة ظاهرة تعددية الصيغ في التواصل والتمثيل (Jewitt, Bezemer and O'Halloran, 2016, p. 1).

ظهر مصطلح «تعددية الصيغ» بادئ الأمر في مقالة لشارلز غودوين (Charles Goodwin) صدرت في عام 1998 بعنوان «الفعل والجسدنة في تفاعل بشري ذي مقام» (Goodwin 2000)، ثم في كتاب غانثر كريس وثيو فان ليفن الخطاب متعدد الصيغ: صيغ التواصل المعاصر ووسائل إعلامه (Kress and Theo van Leeuwen, 2001).

وقد كان هذا الاستعمال المبكر للمصطلح ذا تأثير في التوجهات الفرعية لمقاربات التحليل المتعدد الصيغ، كما سنوضح ذلك في ما بعد؛ بما أن غودوين استعمله في الولايات المتحدة في تخصصين هما: الإثنوميتودولوجيا وتحليل المحادثة، بينما وظّفه كريس وفان ليفن في المملكة المتحدة في تخصص السيميائيات الاجتماعية.

رأت جوّيت وزميلها أن مصطلح «تعددية الصيغ» استعمل للتشديد على أن الناس يستعملون أدوات متعددة لصناعة المعنى (Jewitt, Bezemer and O'Halloran, 2016, p. 2). وعلى الرغم من انقسام التخصصات بحسب تعدّد الصيغ، وذلك بتركيزها على أدوات صناعة المعنى التي تقع ضمن «اختصاصها»، فإن تعددية الصيغ رأّت الحاجة «إلى تجاوز الحدود الإمبريقية للتخصصات الموجودة، وتطوير نظريات ومناهج يمكنها أن تفسر طرق استعمالها للإشارات والكتابة والكلام والأدوات الأخرى معا من أجل إنتاج معان لا يمكن تفسيرها بأي من التخصصات الموجودة» (Jewitt, Bezemer and O'Halloran, 2016, pp. 2-3). ونبه الباحثون في تعددية الصيغ إلى أن التكنولوجيا الحديثة هي التي أسهمت في إدراك حقيقة ضرورة توحيد هذه التخصصات في تخصص واحد، مع إدراك أهمية مزج الموارد المختلفة، كل مورد بإمكانياته الخاصة (Ibid, p. 3). بناء على هذا الوعي، صاغت جوّيت وزميلها ثلاث فرضيات مرتبطة بتعددية الصيغ نوردتها وفق ما يأتي:

- يُصنع المعنى بموارد سيميائية مختلفة، وكل مورد يقدم إمكانات وقيودا متميزة.
- تشمل صناعة المعنى إنتاج كل متعدد الصيغ.
- إذا أردنا دراسة المعنى، نحتاج إلى استحضار كل الموارد السيميائية المستعملة لصناعة كل متكامل (Ibid).

مع ذلك، نبه الباحثون إلى الأخذ بعين الاعتبار أربعة أمور (Ibid., pp. 3-5):  
أولاً؛ لا يستعمل كل شخص يشتغل بتعددية الصيغ تصور صناعة المعنى؛ فبعضهم يرى أنه مهتم بالتواصل المتعدد الصيغ، أو الخطاب المتعدد الصيغ أو التفاعل المتعدد الصيغ. كما لا يستعمل كل باحث يشتغل في تعددية الصيغ مصطلح صيغة؛ فبعضهم يفضل الحديث عن المورد أو المورد السيميائي.

ثانياً؛ كان هناك اهتمام بالروابط بين الأدوات المختلفة لصناعة المعنى قبل تعددية الصيغ، وذلك نحو ما نجده في اهتمام الأنثروبولوجيا اللسانية، وعلم الاجتماع التفاعلي، والتخصصات الأخرى بدراسة الإشارة وارتباطها بالكلام، والارتباط بين

الصورة والكتاب، إلى غير ذلك. وقد قَدّمت هذه الدراسات أفكاراً مهمة حول ما ندعوه اليوم تعددية الصيغ.

ثالثاً؛ على الرغم من سعي مستعملي مصطلح «تعددية الصيغ» إلى تطوير إطار يفسر طرق مزج الناس لأنواع متنوعة لصناعة المعنى، فإن منظوراتهم الإيستيمولوجية مختلفة؛ فبعضهم يرى بأن الاختلافات بين الصورة والكلام كبير جداً ليعامل معه في إطار واحد، وآخرون يرون أنه من الممكن تأسيس مبادئ عامة لصناعة المعنى.

رابعاً؛ الأساس الذي تنبني عليه مقاربات تعددية الصيغ هو الاهتمام بالموارد الثقافية والاجتماعية لصناعة المعنى، وليس الاهتمام بالدلالات فحسب. وضعت جويّت وزميلها مجموعة من المعايير التي توضح محدّدات البحث المتعدد الصيغ ونوع هذه البحوث. وبخصوص المحدّدات أوردوا المعايير الثلاثة الآتية (Jewitt, 2016, pp. 5-6):

- أ- الأهداف وأسئلة البحث: وفيه يطرح الباحث السؤالين الآتيين:
- هل تعالج أسئلة البحث المعنى أو التواصل أو الخطاب أو التفاعل؟
  - هل تهدف الدراسة إلى الإسهام في تطوير نظرية لتعددية الصيغ؟
- ب- النظرية: ويطرح الباحث في هذا الصدد السؤال الآتي:
- ما مكانة تعددية الصيغ في الإطار النظري للدراسة؟
- ج- المنهج: يطرح الباحث الأسئلة الآتية:
- ما المواد الإمبريقية المجموعة والمحلّلة، وكيف حلّلت؟
  - هل المواد المجموعة تشمل توثيق متوجّات بشرية وتفاعلات اجتماعية؟
  - هل الباحثون يهتمون بأدوات صناعة المعنى التي يمكن أن يعاد بناؤها من المواد المجموعة؟
- تبعاً للمعايير السابقة، حدّدت جويّت وزميلها نوعين من البحوث المتعددة الصيغ، أي:

- القيام بتعددية الصيغ: تصميم دراسة تكون فيها تعددية الصيغ مركزية في أهداف البحث وأسئلته، وفي النظرية والمنهج.
- تبني مفاهيم متعددة الصيغ: تصميم دراسة تكون فيها المفاهيم المتعددة الصيغ مستعملة بشكل انتقائي (Ibid, p. 5).

نبتت جوّيت وزميلها في النوع الثاني من البحث المتعدد الصيغ من الحذر من الخلط بين المفاهيم المأخوذة من مقاربات مختلفة، واعتبروا ذلك سبيلا صعبة، ودعوا إلى ضرورة تناغم المفاهيم المتتقا (6). (Ibid, p. 6).

### 1.1 مقاربات متعددة الصيغ

حدّدت جويت وزميلها ثلاث ((1)) مقاربات رئيسة في البحث المتعدد الصيغ هي: «تحليل المحادثة»، و«اللسانيات الوظيفية النسقية»، و«السيمائيات الاجتماعية». مع تبيهم إلى أن المشتغلين في هذه التخصصات الأصلية ليسوا جميعا مهتمين بتعددية الصيغ، فعدد من محلي المحادثة واللسانيين الوظيفيين النسقيين مستمرين في التركيز على دراسة الحديث أو الكلام (6). (Jewitt, Bezemer and O'Halloran, 2016, p. 6). تتقاسم هذه المقاربات الرئيسية مجموعة من السمات المشتركة التي يمكن توضيحها في النقاط الآتية (7): (Ibid, p. 7):

- التركيز على اللغة أثناء الاستعمال، وذلك عن طريق الاهتمام بما يفعله الناس باللغة وكيف يمثلون العالم الاجتماعي من خلال اللغة.
  - تفضيل جمع الآثار الملاحظة لصناعة المعنى وتحليلها، ولا سيما في المنتجات البشرية وتسجيلات الفيديو للتفاعل الاجتماعي.
  - السعي إلى وصف المواد وتفرغها والتعليق عليها وتحليلها في المستوى الميكرو، وذلك من طريق الاهتمام بالتفصيل الدقيق للشكل والمعنى.
  - إنتاج أوصاف شارحة غنية ومفصلة لتنظير العالم الاجتماعي.
  - المحافظة على التركيز على الأدوات الاجتماعية والدامجة لصناعة المعنى التي تتجاوز الكلام والكتابة في أطرها النظرية والمنهجية.
- تختلف هذه المقاربات في مجموعة من الأمور النظرية والمنهجية، ويمكن إيضاحها في الجدول الآتي:

(1) تبغي الإشارة في هذا الصدد إلى أن الباحثين قد جردوا ثلاث مقاربات رئيسية في البحث المتعدد الصيغ هي: اللسانيات الوظيفية النسقية، والسيمائيات الاجتماعية، وتحليل المحادثة، ثم أضافوا خمس مقاربات فرعية هي: السيمائيات الجغرافية، وتحليل الفعل/التفاعل المتعدّدِي الصيغ، والإثنوغرافيا المتعددة الصيغ، وتحليل المتن المتعدد الصيغ، وتحليل التلقي المتعدد الصيغ. أنظر لمزيد من الاطلاع: Jewitt, Bezemer and O'Halloran, 2016.

## الجدول 1:

الاختلافات النظرية والمنهجية في مقاربات تعددية الصيغ الأساسية  
(Jewitt, Bezemer and O'Halloran, 2016, p. 11)

تحليل المحادثة	السيمائيات الاجتماعية	النحو الوظيفي النسقي	
إقرار بالنظام الاجتماعي في التفاعل	إقرار بالسلطة والفاعلية	إقرار بالوظائف الاجتماعية للأشكال	الأهداف
التسلسلية	العلامة محفزة	المعنى بوصفه اختياراً	نظرية المعنى
التفاعلية الأميركية، الإثنوميتودولوجيا	النحو الوظيفي النسقي، اللسانيات النقدية، السيمائيات	الوظيفية الأوروبية	التاريخ
المورد (السيمائي)	الصيغ، المورد السيمائي	المورد السيمائي، الصيغ	مفهمة «أدوات صناعة المعنى»
غودوين، هيث، موندادا	كريس، فان ليفن	أوطول، مارتن، أنسوورث، أوهاالوران	عينات نموذجية
تسجيلات فيديو يبينها الباحث من التفاعل	منتجات، غالباً نصوص	منتجات، بما في ذلك النصوص والأشياء	تركيز إمبريقي
تحليل ميكرو لمجموعة من القطع القصيرة المنتقاة	تحليل ميكرو لقطع قصيرة منتقاة، تحليل تاريخي	تحليل ميكرو لقطع قصيرة منتقاة، تحليل متن، تحليل متعدد الصيغ	مناهج التحليل

## 2. تعليقات فوزي بشرى التلفزيونية حول سقوط حكام العرب في الربيع العربي: دراسة

### متعددة الصيغ

نبدأ هذا المحور بتعريف موجز بفوزي بشرى، ثم ننتقل مباشرة إلى تحليل تعليقاته التلفزيونية متبعين منهجية تبدأ بالبعد اللغوي ثم البعد البصري، على أن نفصل في كل بعد على حدة.

ولد فوزي بشرى عام 1959 بمدينة أبي حجار جنوب مدينة سنحة عاصمة مديرية النيل الأزرق، وانتقل إلى الخرطوم لإكمال دراسته فحصل من جامعتها على درجة البكالوريوس في الآداب بميزة الشرف، ثم انتقل إلى السعودية وعمل فيها لفترة، ثم انتقل إلى قطر وعمل في قناة الجزيرة وأصبح من أشهر الإعلاميين فيها؛ وذلك لتقاريره القوية والفصيحة (اطلع عليه في: <https://short-link.me/HQUS>). وقد سلك «خلال مساره المهني طريقاً غير مألوفة في معالجة الخبر الصحفي من حيث سرديته ولغته، وهي مغامرة وجدت صدى واسعاً لدى جمهور المتلقين ودارسي الصحافة والإعلام. وبات له أسلوبه الخاص الذي يميزه عن غيره من الصحفيين» (اطلع عليه في: <https://short-link.me/HLFi>).

كتب عنه الكثير من الإعلاميين ثناءً على أسلوبه في التعليق وعلى أدائه الصوتي، فمن ذلك قول سليم عزوز: «تقارير فوزي بشرى، تخرج على المتعارف عليه، لتؤسس لنفسها مدرسة مختلفة هي سيدة قواعدها، وفي ظني أن المدربين في برامج كتابة التقارير، سيجدون أنفسهم في أزمة، إن ذكروا القواعد التقليدية لكتابتها، ثم تم استدعاء تقارير فوزي بشرى، مثلاً، إنها تثبت أن القواعد ليست بالضرورة صحيحة في كل الحالات [...] فوزي بشرى لا يعلق على الحوادث، بقدر ما يسبر أغوارها ويفسرها، فإذا بنا أمام مشروط جراح، مارس عمله، في أجواء موسيقية، تمثل في هذا الصوت الفخم، وهذه الكلمات اللحن» (اطلع عليه في: <https://short-link.me/FJiI>).

وقال بسام عوده عن صوته وأدائه: «استطاع أن يسكن في الأذهان. صدى الصوت يأسرك إلى عالم الخيال. هو الإعلامي السوداني فوزي بشرى. في قناة الجزيرة يرتقي بشرى هناك بالصوت واللغة إلى مستوى عال من التأثير والانسجام. خلف شاشة الجزيرة: متعة السرد ومفعول الكلام. يتجلى صوت فوزي بشرى كرنفالا للكلمات، ونسجا من العبارات، حاملا في طبقات صوته مشاهد العالم وحوادثه المتلاحقة، مصطلحات وكلمات تخترق العقول والخيال، وتحفز المشاعر، فهو مثال على تطويع اللغة أداة توثق الحوادث في ذهن المستمعين. تستطيع كلماته الجذب والاستمالة، وتحمل ثقلا معنويا يجعل المستمع يتوقف ليتأمل في الصورة التي تصاحب النص، يضيف المفهوم الأوسع للحوادث» (اطلع عليه في: <https://short-link.me/HLH7>).

نكتفي بهذا القدر، وننتقل إلى تحديد طبيعة بلاغة التعليق في خطاب فوزي بشرى، وذلك وفق مستوى لغوي فبصري، وبينهما تعليقات على المستوى الصوتي.

## 2.1 تحليل البعد اللغوي في التعليقات

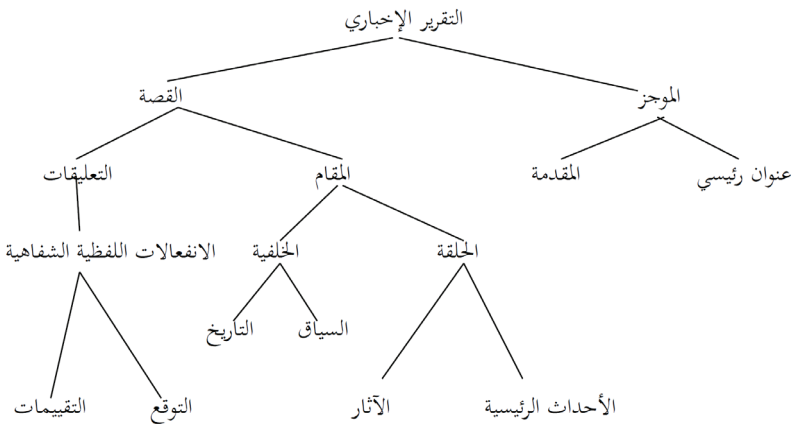
نحاول في هذا المحور الفرعي تحليل التعليقات الثلاثة لفوزي بشرى، وتبع في ذلك مجموعة من المستويات؛ تبدأ بالدلالة، فالتركيب، فالبلاغة، فالتناس. ولكن قبل ذلك، نشير باختصار إلى نمط التعليق الذي ابتكره فوزي بشرى في تعليقاته التلفزيونية.

### 2.1.1 تحليل البناء النصي للتعليقات

يندرج تحليل البناء النصي للتعليقات في تخصص فرعي في تحليل الخطاب يسمّى «تحليل النوع»، وهو مبحث يُعنى بوصف النصوص المتممة إلى نوع خطابي، وذلك عن طريق تحديد بنياتها وسماتها اللغوية أو البصرية التي يستعملها مجتمع خطابي معين من أجل تحقيق غاياته التواصلية. ويركز على تحديد الخطوات التي يتبعها منتج النوع، ثم تحديد التحققات اللغوية أو البصرية لكل خطوة، ودورها في تحقيق الغايات التواصلية. وقد أشار فاوهر وكريس إلى «أن المتكلم أو الكاتب في بنائهما لخطاب منسجم، ينجزان تصورا للنظام الداخلي للمواد التي يقدمانها من حيث تعالقتها وترابطها الداخلي (نقلا عن بكار، 2020، ص. 384). وبما أن التعليق التلفزيوني يندرج بالضرورة في الخطاب الإخباري، فإننا سنستعين بخطاطة تظهر البناء النصي للنصوص الإخبارية بصفة عامة، صاغها تون فان دايك (Teun van Dijk)، ونوردها في الشكل الآتي:

### الشكل 1: البنية الافتراضية لخطاطة الخبر

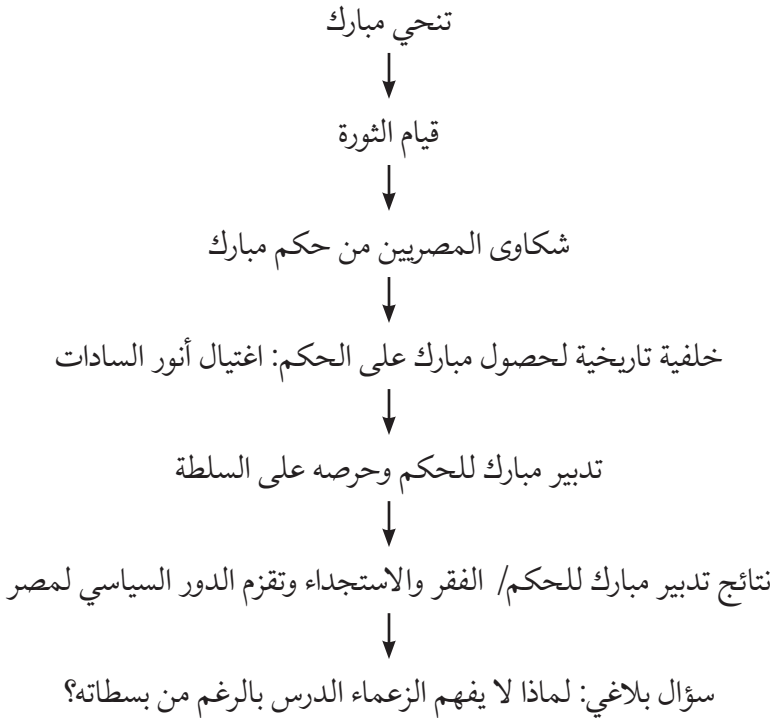
(نقلا عن: بكار، 2012، ص. 23)



بناء على هذا الشكل، وجدنا أن فوزي بشرى يبدأ التعليق بمقدمة تحكي سقوط/ مصرع الزعيم العربي، ففصّة تتفرع إلى مقام الحدث الذي وقع بسرد الحوادث التاريخية التي أدت إلى الثورة، وأثار حكم الزعماء العرب في واقع بلدانهم، فالخلفية التاريخية لتلك الحوادث وسياقها السياسي والاجتماعي، لتأتي الخاتمة بتقويمات أو هي أقرب إلى الحكم التي يدعو فوزي بشرى إلى التأمل فيها والاعتبار بها. ونود أن نشير هنا إلى أن الحكم يعبر عن كيفية شعور منتج النص بشأن المعلومات التي يقدمها، وكيف يكون على يقين بخصوصها. ويأتي الحكم في صيغة إبستيمية (Epistemic modality) تظهر مدى يقين منتج النص بشأن ماهيته. ومثالها قول فوزي: «الثورة تخمد لكنها لا تموت. والتاريخ يسكن حيناً، لكنه لا يتوقف» (<https://short-url.org/1gGUg>) ابتداء من الدقيقة: 05.11). وحتى لا يظل كلامنا نظرياً نقدم الشكل الآتي مثلاً لما رصدناه في البنية النصية لتقارير فوزي بشرى:

## الشكل 2

البنية النصية لتعليق فوزي بشرى على تنحي مبارك عن الحكم [من إعداد الباحث]



إن هذه البنية هي التي تحكم تقاريرنا الثلاثة التي علق بها فوزي بشرى على سقوط بنعلي ومبارك وصالح. وهي بنية تقود -بحسب تعبير محمد حامد جمعة- «المشاهد عبر الألفاظ والمعاني والسيرة الذاتية للحدث والواقعة، وخلفياته إلى نقاط تجعل مجرد إقحام (مداخلة) طرقة عنيفة في ليلة ساكنة، فيفزع المطروق عليه وهو ينساب بك حاملاً المشاهد والصور على أجنحة اللغة الرفيعة والعميقة والدلالات الذكية» (البشير، «فوزي بشرى: خامة صوتية على أثر الجزيرة الفضائية» اطلع عليه في: <https://short-link.me/FJj->). وهذا ما دفع سليم عزوز إلى القول إن تقارير فوزي بشرى تخرج على المتعارف عليه، لتؤسس لنفسها مدرسة مختلفة، ففوزي «لا يعلق على الحوادث، بقدر ما يسبر أغوارها ويفسرها، فإذا بنا أمام مشرط جراح مارس عمله في أجواء موسيقية، تمثل في هذا الصوت الفخم، وهذه الكلمات اللحن» (عزوز، «وحضر فوزي بشرى في حرب الجميع ضد الجميع»، اطلع عليه في: <https://short-link.me/FJiI>).

### 2.1.2 تحليل البعد الدلالي في التعليقات

ذهب فاوولر وكريس إلى أن التصنيف في الخطاب يُبرز التنظيم اللغوي للعالم ويظهر موقف منتج النص من المشارك أو الحدث المتحدّث عنهما. وقد وظّف فاوولر وكريس مفهومي «إعادة المعجمة» و«المبالغة في المعجمة» في إبراز اشتغال التصنيف في الخطاب، واعتبراها أداتين كاشفتين للأيدولوجيا والتمثيل. وذهبا إلى أن إعادة المعجمة تعني تسمية شيء معين له اسم سابق باسم جديد، بينما تستهدف إعادة المعجمة تعزيز منظور جديد للمتكلمين بشأن قضية ما، وذلك بصوغ مفهوم بطريقة جديدة بغية إعادة توجيه معناه السابق. وترتبط المبالغة في المعجمة بالتعبير عن معنى واحد انطلاقاً من مرادفات عديدة، وتشير إلى انشغالات المجموعة والقيم التي تؤمن بها أو تدعو إليها (نقلا عن بكار، 2020، ص. 282).

لاحظنا في التعليقات ورود مجموعة من التصنيفات الخاصة بالحُكّام، وكانت تشغل حيزاً منظماً في التعليقات، حتى إنها ضمنت الانتقال السلس من فكرة إلى أخرى، كما ضمنت أيضاً انسجام التعليق من حيث أفكاره وسلاسة الانتقال من فكرة إلى أخرى. ونمثل لذلك في الجدول الآتي:

## الجدول 2

المبالغة في المعجمة في تعليقات فوزي بشرى [من إعداد الباحث]

التعليق	المبالغة في المعجمة
مصر	الطغاة، ثلاثون عاما.
اليمن	تشابه مصارع الطغاة.
ليبيا	هكذا تشابه مصارع الطغاة، اثنان وأربعون عاما.

يبرز هذا الجدول أمرين؛ أولهما البعد الزمني الدال على الفترة التي قضاها الحكام الساقطون قتلا وفرارا وتنحية؛ إذ من المعلوم أنهم جميعا مكثوا عمرا طويلا في كراسي السلطة. وثانيهما صفة الطاغية التي ألصقها بهم جميعا. والطاغية هو الحاكم المطلق المتعسف في حكمه. وهناك أمر آخر تنبغي الإشارة إليه هنا، هو أن التعليقات الثلاثة تربطها لفظة الطاغية والطغاة؛ فهي تحكم انسجام التعليقات الثلاثة من جهة، كما تحكم انسجام كل تعليق على حدة؛ فالسمات التي أشرنا إليها أعلاه موصوفة بدقة في كل تعليق؛ حيث التعليق تفصيل لكيفية حصول كل زعيم على الحكم وطريقة حكمه ونهايته المأساوية عبر الثورة عليه. ومن ثم، فعبارة «مصارع الطغاة» هي بنية كبرى معنوية للتعليقات الثلاثة.

في جانب آخر، تشير الاختيارات المعجمية إلى مستويات من السلطة على الجمهور؛ إذ يؤثر منتج النص في المخاطبين من خلال ادعاء امتلاك السلطة عليهم، ويحدث هذا إما عن طريق التراتبية في العلاقة بين المخاطب والمخاطب. وإما من خلال ادعاء المعرفة؛ ويخبرنا نص ما في الحالة الأولى بأننا لا نستطيع التصرف وفقا لطريقة معينة بسبب الحفاظ على التراتبية، بينما يخبرنا في الحالة الثانية أنه ينبغي لنا فهم العالم بطريقة خاصة نتيجة معرفته بالوقائع. وتعبير آخر، يعيد منتج النص التاريخ للحوادث والوقائع، وهذا ما نجده في تعليقات فوزي بشرى الذي يؤرخ للحوادث من منظوره الخاص، أو إن صحت العبارة من منظور قناة الجزيرة التي اصطفت من البداية مع المتظاهرين ضد الأنظمة السياسية الاستبدادية.

لننظر الآن إلى المعجم المستخدم في وصف الحراك العربي، وفي وصف الفاعلين الأساسيين فيه، وهو ما نورد في الجدول الآتي:

## الجدول 3

## صفات الشعب وصفات الحكام في تعليقات فوزي بشرى [من إعداد الباحث]

الحرك	الشعب/الدولة	الحكام الساقطون
مصر	<p>الشعب المصري ثائر: «قال الشعبان الثائران».</p> <p>الثورة في مصر وردة: «خرجت الثورة في مصر خروج الوردة من أكمتها».</p> <p>الشعب المصري فقير: «افتقر المواطن والوطن»؛</p> <p>«اتسعت أحزمة الفقر وتزايدت جيوش العاطلين، وانسدت الآفاق في وجه الملايين من المصريين الذين وجدوا أنفسهم تحت خط الفقر».</p> <p>معاناة المواطن المصري: «وتقرّمت خلالها أحلام المواطن المصري في الرفاه والتقدم والديمقراطية والحرية».</p>	<p>الحاكم طاغية: «الشعوب أبقى وأقوى من الطغاة».</p> <p>مبارك دكتاتور: «كان مبارك [...] العنوان السياسي الأوحّد لمصر»؛ و«استطاع ومبارك ورجال التوصل إلى الصيغ السحرية لإحكام السيطرة على الدولة».</p> <p>ديمقراطية شكلية: «مجالس الشعب... مسرح لاستعراض سطوة الحزب الحاكم».</p> <p>مصر مقال سياسي: «مقال سياسي معتمد لعملية السلام غير المؤدية للسلام».</p>
اليمن	<p>شباب متطلع للديمقراطية: «الشباب الذين كانت جريرتهم أنهم تطلعوا إلى حياة جديدة ووطن ديمقراطي يسع الجميع».</p> <p>الحوثيون عفريت: «المبادرة نفسها كانت القمقم الذي خرجت منه الجماعة الحوثية فتية ظافرة مدججة بأيدولوجيا مذهبية».</p> <p>الحوثيون طليعة: «طليعة متقدمة يمتد عمقها العقائدي في إيران والعراق وسورية ولبنان».</p> <p>الثورة ناز: «الثورة تخمد لكنها لا تموت. والتاريخ يسكن حيناً لكنه لا يتوقف».</p>	<p>عبد الله صالح طاغية: «تشابه مصارع الطغاة قتلا وخلعا».</p> <p>الرئيس اليمني المولع بلعبة السلطة انتهى إلى الجمع بين كونه مخلوعاً وقتيلاً في محرابها.</p> <p>عبد الله صالح متناقض: كان صالح إلى قبيل مقتله بيومين يملك من الجرأة على اجترار المتناقضات ما يحار معه المراقب.</p> <p>عبد الله صالح حليف وخصم: وكان الحوثيون وقد استبدوا الأمر في صنعاء كانوا ينتظرون هذه اللحظة، لحظة تصفية الحليف الخصم.</p>

الحرك	الشعب/الدولة	الحكام الساقطون
ليبيا	<p>شعب ليبيا تواق إلى الحرية والكرامة: «لم يجد العقيد معمر القذافي في صرخة شعبه المنادية بالحرية وبالكرامة، ويأسقاط حكمه، ما يستحق الإصغاء».</p> <p>معاناة الشعب الليبي: «أهات الأمهات الثكلى والنساء الأرامل والأطفال الأيتام».</p> <p>الثورة في ليبيا مسيرة خلاص: «ويُرضي أرواح آلاف الليبيين الذين سقطوا في مسيرة الخلاص الدامية من حكمه».</p> <p>الثورة في ليبيا فجر وتحرير وحياة جديدة: «الآن والآن فقط ينبلج الفجر بالنسبة للثوار، ويكتمل التحرير وتعود ليبيا إلى الحياة».</p>	<p>معمر القذافي طاغية: «هكذا تكون مصارع الطغاة تقول شعوبهم».</p> <p>القذافي كثير الألقاب: «الزعيم والقائد الأممي وملك ملوك أفريقيا وعميد الحكام العرب في عرش لا يليق بألقابه الكثير».</p> <p>ليبيا القذافي وكر: «ليبيا [...] كانت وكرا للمؤامرات الإقليمية والدولية».</p> <p>انقلاب القذافي على الملك إدريس مأساة: «الأول من سبتمبر من عام 69 كانت ولادة من رآه مأساة ليبية، في ذلك اليوم صعد إلى ركام المملكة الليبية ضابط نحيف حاد القسما ت اسمه معمر القذافي».</p> <p>معمر القذافي مزاجي ونزق: «فكرة الوحدة العربية على نبلها كانت تجد مقاتلها في مزاجية العقيد الليبي ونزق مواقفه».</p> <p>القذافي تجسيد للتناقض: «كان القذافي تجسيدا للتناقض وعنوانا للغرور والتكبر».</p> <p>الكتاب الأخضر خبز فطير: «فخرج بما سماه الكتاب الأخضر الذي ينظر لمسار ثالث لا هو اشتراكية ولا هو رأسمالية. ومن رحم ذلك التنظير الفطير خرجت الجماهيرية الليبية الاشتراكية العظمى».</p>

نلاحظ في هذا الجدول تقطيبا يمارسه الصحفي فوزي بشرى عبر رسم ملامح متقابلة بين الشعب والحكام، حيث الشعب يمثل الصورة الإيجابية، بينما يمثل الحاكم الصورة السلبية. وحتى حينما تسند صفات سلبية إلى الشعب، فهي نتيجة أفعال الحكام، فهو سبب القتل الذي أصابهم والفقر الذي حلّ بهم، والظلم الذي يعيشونه. وبهذا يرسم التعليق تقاطبا حادا بين طرفين على السامع أو الناظر أو المتلقي بصفة عامة الانحياز

لطرف دون الآخر. وبطبيعة الحال سيكون الطرف الذي ينحاز إليه أي متلق هو الشعب الذي ينتمي إليه من جهة، والذي سيقف مجموعة من الحجج التي تجعل أي إنسان يصطف إلى جانبه.

ما يقع التركيز عليه في الجدول هو الواقع وسببه، ويغيب في التعليق أي حديث عن الأطراف السياسية التي توجه الحراك الشعبي أو تلعب على أوتاره من أجل مصالحها. لقد اختزل الحراك في طرفين هما الشعب الثائر الذي يتوق للحرية والديمقراطية والحياة الحقيقية، والحاكم الظالم الطاغية الذي يحول دون تحقيق ذلك.

الأمر الثاني الذي يمكن الانتباه إليه في الجدول هو «الاستعارات التصورية» التي تبرز نظرة فوزي بشرى للفاعلين الأساسيين في البلدان التي عرفت حراكا شعبيا. فالثورة المصرية وردة، والشعب المصري جيوش من العاطلين، وأحلام المصريين في عهد مبارك شيء قزم، ومصر مقال سياسي، والحوثيون عفريت خرج من قمقم المبادرة الخليجية، والثورة الليبية مسيرة خلاص دامية، وليبيا في عهد القذافي وكر للمؤامرات، وتولي معمر القذافي لرئاسة ليبيا مأساة، والكتاب الأخضر خبز فطير.

من الواضح التقاطب الذي يسم هذه الاستعارات، فضلا عن البعد الأيديولوجي الذي يقسم الحراك وفاعليه بين مناصر للعروبة وباحث عن وحدتها ومدافع عنها، وساع إلى تقسيم هذه الوحدة أو تهديد وجودها. ونقصد هنا استعارة «الحوثيون عفريت خرج من قمقم المبادرة الخليجية»، فالاستعارة هنا ملتبسة، فهل العفريت سيحقق أحلام الشعوب أم سيحقق أحلام الأيديولوجية الإيرانية، ويبدو أن التعليق يوضح المقصود؛ فالحوثيون «طليلة متقدمة تمتد عمقها العقائدي في إيران والعراق وسورية ولبنان». وجميع هذه البلدان تشهد حضورا شيعيا مؤثرا.

تبرز استعارة «الثورة المصرية وردة» صعوبة هذا التفتح في بيئة سياسية سلطوية وتحت نظام سياسي مهيم؛ فكان تعبير تفتح الوردة مقترنا بالشوك الذي يرافق هذا التفتح، ولكن تبقى دلالات التفتح إيجابية، ما دامت تبعث رائحة زكية في الآفاق، وكذلك يريد فوزي من ثورة مصر أن تمتد محاكاتها في كل البلدان التي لا تؤمن بالعروبة وبالوحدة، وتعيش منكفئة على ذاتها راضية بدورها القزم في السياسة والتأثير في المسار السياسي الدولي. وتعبير آخر، يريد التعليق -والجزيرة من خلفه- الإسهام في صناعة بيئة سياسية جديدة تؤطرها إرادة الشعوب لا رغبات الحكام المحدودة. ولذلك كانت تركز في برامجها دائما على قضايا حقوق الإنسان، وإعطاء منبر للأصوات المعارضة للأنظمة السياسية الحاكمة.

تبدو استعارة «مسيرة الخلاص الدامية» مغرقة في البعد الديني، فالخلاص يأتي بعد تقديم التضحيات أو القرابين إن صحت العبارة الدينية، وهذا ما عاشه الشعب الليبي الذي قدّم مجموعة من القتلى في مسيرته للتحرر من ريقة النظام السلطوي والاستبدادي الذي أحكم قبضته عليه العقيد معمر القذافي. وهذا يظهر حجم المأساة، وحقيقة لا مجازية أن ترأس القذافي لليبيا كان مأساة ليبية. وقد أدى هذا الأمر إلى كارثة فعلية، فبحسب طيب غماري: «لم تكن ردة فعل الجيش الليبي كارثية على النظام فحسب، بل على الدولة ككل أيضاً؛ إذ إن تفكك الجيش والدولة معا حوّل ليبيا إلى ملك شاغر، وأرضية خصبة لنمو جميع أشكال الأيديولوجيات المتطرفة وتطورها. ومع أن الثوار تمكنوا، بمساعدة من التحق بهم من القوات المسلحة، من حسم المعركة بقوة وعنفة وسرعة، فإنهم لم يتمكنوا من إعادة بناء ما هدموه فوق رأس القذافي وحاشيته. ودخلت البلاد في حرب أهلية، تساهم في إذكائها جهات داخلية وخارجية كثيرة، وبذلك التحقت ليبيا بنادي الدول الفاشلة، وعجز الليبيون حتى الآن عن إنشاء نظام حكم قادر وثابت وموثوق به» (غماري، 2019، ص. 97).

### 2.1.3 تحليل البعد التركيبي في التعليقات

ندرس في هذا البعد ظاهرتين هما التعديدية والتقديم والتأخير. وذلك لانتباهنا ونحن نقرأ التعليقات أنهما حاضرتان بشكل كبير في صياغة التقرير. ونبدأ بالتعديدية التي هي جزء من الوظيفة الفكرية، وأداة أساسية في تحليل التمثيل. يذهب فاوولر أن التعديدية تعني في النحو الوظيفي النسقي نظاما تمثيلا «تؤدي فيه الجملة دورا حاسما، وهو نظام يمتلك قدرة كبيرة على تحليل الحدث نفسه بطرائق مختلفة، نظرا لكون التعديدية تظهر لنا أننا نقوم باختيارات عديدة في عملية إنتاج الخطاب، حيث كل اختيار يدل على وجهة نظر معينة لها دلالة إيديولوجية» (نقلا عن بكار، 2020، ص. 372).

يطرح المحلل في تحليل التعديدية أسئلة من قبيل: ما نوع الأفعال المستعملة في تمثيل الحوادث؟ وما نوع المشاركين؟ وما نوع الظروف المستعملة وكيف ترتبط بالحوادث الممثلة؟ وتنقسم الأفعال إلى أربعة أنواع، فهي مادية، أو سلوكية أو ذهنية أو لفظية (بكار، 2024، ص. 103). أما المشارك فهو يكون إما فاعلا للفعل أو متأثرا به أو مستفيدا منه، إلى آخره. وحتى لا نطيل في الحديث النظري، نورد تحليلا للتعديدية في تعليقات فوي بشري، وذلك انطلاقا من الجدولين الآتيين:

## الجدول 4

تحليل التعدية في تعليقات فوزي بشرى: أفعال الشعب [من إعداد الباحث]

الدولة	أفعال الشعب	نوع الفعل
مصر	قال	لفظي
اليمن	خلع تطلع خرج أغرى	مادي ذهني مادي ذهني
ليبيا	قال استنكف عن حياة القطيع طارد سقط وقع تحت نشوة النصر انتقم	لفظي ذهني مادي مادي ذهني ذهني

يشير الجدول أعلاه إلى أن طبيعة الأفعال المرتبطة بالشعب مادية وذهنية ولفظية. والأفعال المادية كلها دالة على الحركة سواء طريقتها (خلع، طارد) أو مكانها (سقط، خرج). وهذا طبيعي ما دامت الثورة في نهاية المطاف حراكا أو حركة نحو التحرير. ومن ثم من الضروري أن يخرج الشعب ليطارد الحكام ويخلعهم؛ فيسقط الحكام صرعى أو نغيا أو فرارا. والفعل اللفظي هو فعل «قال»، وهو فعل دال على الاقتباس، فحينما يقول الشعب شيئا، فإن منتج النص ينقله، ويدل على الموضوعية في نقل الحوادث، وإن كانت هذه الموضوعية أحيانا تقتضي التأويل، كما هو الحال في تعليقي لفوزي بشرى اللذين ورد فيهما فعل قال في عبارتين هما: «ألا بعدا لمبارك وبعدا لزين العابدين: قال الشعبان الثائران»، و«قالوا: وسنطاردك في ما وراء الزنقة في بطن الأرض حفرة حفرة. وقد فعلوا ما قالوا».

أما الأفعال الذهنية في الجدول، فهي عبارة عن ردات فعل للشعب تجاه فساد الحكام أو مواجهتهم لحراك الشعب بالقتل، فكانت أفعال: تطلع، أغرى، استنكف عن حياة القطيع، وقع تحت نشوة النصر، انتقم، دالة على مشاعر الشعب وأحاسيسه.

## الجدول 5

تحليل التعدية في تعليقات فوزي بشرى: أفعال الحكام [من إعداد الباحث]

الدولة	أفعال الحاكم	نوع الفعل
مصر	نجا ظلّ أصبح انتقل أبقى أعي أعلم	وجودي وجودي وجودي مادي وجودي ذهني ذهني
اليمن	يلقى مصيرا انتهى إلى الجمع سفك شرع بذل عرف أدار ظهره دعا أنصاره	وجودي مادي مادي مادي مادي ذهني ذهني لفظي
ليبيا	تجرّع كاس الموت قابل ذاق صعد قاد انقلابا تورّط طوّر أخرج قاد وجد رأى خرج قال تصوّر تساءل	وجودي وجودي ذهني مادي مادي ذهني مادي مادي مادي وجودي ذهني مادي لفظي ذهني لفظي

يوضح هذا الجدول أفعال الحكام، وهي أفعال تتسم بالشروع في الشيء أو الانتقال من حالة لأخرى أو فعل القيادة، وقد أصبحت هذه الأفعال قاتمة بعد قيام الثورة، فحضرت أفعال السفك والقتل. وكانت الأفعال المادية لصيقة بالأفعال الوجودية، ولا سيما أن الثورة هدّدت وجود الحكام، فعبرت عن مصرع الحكام أو نجاتهم من القتل. وحضرت الأفعال الذهنية في صيغة مقتطفات من خطبهم يعلنون فيها للشعب أنهم فهموا الشعب ووعوا مشروعية طلباته، فكانت أفعالاً ذهنية مناورة وردّات فعل على الحراك. أما الأفعال اللفظية، فقد حضر منها إعلان أولها اقتباس من قول حاكم، والثاني دعوة من الحاكم لأنصاره إلى التمرد على الحوثيين.

وفي خصوص التقديم والتأخير، أشار فالولر إلى أن التحليل التركيبي يُعنى «بموضع عناصر الجملة وتركيبها بدلا من معانيها ووظائفها القضوية. مع ذلك هذا لا يعني أن التنظيم التركيبي غير دال، بل هو دال؛ إذ يقدم اختيارات للمتكلم أو الكاتب للتعبير عن حدث معين، ومن ثم إيديولوجية معينة» (بكار، 2020، ص. 382). وقد قال عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز عن التقديم والتأخير: «هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية. لا يزال يفتّر لك عن بدعة، ويفضي بك إلى لطيفة. ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان» (الجرجاني، د. ت، ص. 196). ونمثل للتقديم والتأخير من تعليقات فوزي بشرى بأثلة نوردها في الجدول الآتي:

## الجدول 6

نماذج من التقديم والتأخير في تعليقات فوزي بشرى [من إعداد الباحث]

التعليق	نموذج للتقديم والتأخير فيه
مصر	ألا بعدا لمبارك وبعدا لزين العابدين: قال الشعبان الثائران.
اليمن	ومقتل صالح يقرأ على نحو ما انتصارا للثورة اليمنية، وإن جاء بيد ليست يدها.
ليبيا	هكذا تكون مصارع الطغاة تقول شعوبهم.

نلاحظ في الجدول أن المثال الأول والثالث لهما البنية نفسها، أي المقول ثم جملة القول. فبدلا من أن يقول الصحفي «قال الشعبان الثائران: ألا بُعدا لمبارك وبعدا لزين

العابدين» قلب الجملتين، وكذلك فعل في المثال الثالث. ويدل ذلك على تأكيد المسند إليه وتقوية الحكم وتقديره، فضلا عن الإيقاع الصوتي للإلقاء الذي يضيف مسحة موسيقية على الأداء، فالتقديم والتأخير انزياح في نهاية المطاف، والانزياح التركيبي هدفه معنوي ولكن أيضا صوتي. وفي المثال الثاني المرتبط بمقتل صالح، جاءت الجملة للتركيز على حدث قتل صالح، ثم أتت الجملة بعد ذلك لتفسير هذا القتل وتأويله. وهو ما يبرز تصورا سلبيا من الحكام، وتحذيرا ضمنيا للحكام الآخرين من المصير الذي ينتظرهم.

#### 2.1.4 تحليل البعد التناسي في التعليقات

من اللافت للانتباه في تعليقات فوزي بشرى الحضور القوي للتناص، ولا سيما ما تعلق بالقرآن والأدب. لدرجة أن عبد المطلب صديق قال عن بلاغة تعليقاته: «وأعتقد جازما أن اللفظة القرآنية هي التي فتحت له هذه الآفاق الواسعة من الإبداع. وهو تجاوز بالتقرير الصحفي كونه تقريرا يوضح حالة معينة في بلد معين إلى صورة متحركة أمام ناظرين، مدهشة ومرتزة بلغة القرآن الكريم» (اطلع عليه في: <https://short-link.me/> (FJ)-). ويشير التناص «إلى ظاهرة اقتباس كلام الآخرين وأساليبهم في تلفظاتها، ولكل اقتباس آثار اجتماعية وثقافية وسياسية، وهو ما يدعو إلى الوقوف بالتناصات الموجودة في النصوص ودراسة تاريخ استعمالها» (بكار، 2023، ص. 160). ونورد في الجدول الآتي نماذج من التناصات التي وظفها بشرى في تعليقاته:

#### الجدول 7

#### نماذج من التناص في تعليقات فوزي بشرى [من إعداد الباحث]

التعليق	نموذج التناص فيه
مصر	اليوم ننجيك ببدنك، لتكون لمن خلفك آية. وإن مثل مبارك في شعبه كمثل زين العابدين إذ قال له شعبه أصلح، فأبى أن يكون من المصلحين. ألا بعدا لمبارك وبعدا لزين العابدين: قال الشعبان الثائران. ثلاثون عاما كان مبارك خلالها العنوان السياسي الأوحده لمصر. لم ينصحه خلالها الأصدقاء الحلفاء، سدنة الديمقراطية وحقوق الإنسان في الغرب أن عشر سنين في الحكم تكفي، أو ربع قرن أكثر مما يطيق شعب. وقديما قيل إن من يعيش ثمانين حولا لا أبأ لك يسأم. «إنني أعني هذه التطلعات المشروعة للشعب، وأعلم جيدا قدر همومه ومعاناته».

التعليق	نموذج التناص فيه
اليمن	بن علي: قلت لكم أنا فهمتكم، أي نعم قلت لكم أنا فهمتكم، وقررت. بكل أنواع الأسلحة أحرقوهم. وأنا أدعو الأشقاء في دول الجوار والمتحالفين أن يوقفوا عدوانهم وأن يرفعوا الحصار وأن يفتحوا المطارات وأن يسمحوا للمواد الغذائية والطبية وإسعاف الجرحى وإيصال العالقين في الخارج إلى الوطن، وسنفتح معهم صفحة جديدة. الشعب: الشعب يريد إسقاط النظام
ليبيا	تصبح ليبيا نار حمراء تصبح جمر. وجد الثوار الزعيم والقائد الأممي وملك ملوك أفريقيا وعميد الحكام العرب في عرش لا يليق بألقابه الكثر.

نلاحظ في هذا الجدول حضور ثلاثة أنواع من التناص، نوردتها في النقاط الآتية:  
أولاً- التناص القرآني: يهدف التناص القرآني إلى البرهنة على ما يقوله منتج النص، سواء أكان تعصيذا لفكرة أم دحضا لفكرة أخرى. وقد وظف فوزي بشرى القرآن، ولا سيما في تعليقه على تنحي حسني مبارك؛ ولا سيما أنه من مصر. ويتضح هذا الأمر أكثر بقراءتنا للآيات 90 و91 و92 من سورة يونس، حيث قال فيها الله عز وجل: ﴿وَجَلَّوْنَا بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعُرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِء بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لِيَتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَن ءَايَاتِنَا لَعَفْلُونَ ﴿٩٢﴾﴾. ففرعون مصر الأسبق في عهد موسى أنجاه الله ببدنه حتى يكون عبرة للآخرين، وكذلك فعل بفرعون مصر الحالي، أي حسني مبارك حينما تنحى عن منصبه، فهو لم يفر ولم يقتل، وإنما تنحى في انتظار محاكمته التي ستكون عبرة لمن خدعهم وهُم السلطة.

في التعليق نفسه، يدعو فوزي بشرى على مبارك وزين العابدين، موظفا الفعل المطلق في قوله «بعدا لمبارك وبعد لزين العابدين»، والعبارة تتناص مع الآيتين 94، و95 من سورة هود اللتين جاء فيهما قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ

شُعْبِيًّا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جُثَمِينَ ﴿٩١﴾ كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا آلَا بُعْدًا لِّمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودٌ ﴿٩٠﴾، فيكون الدعاء على الحاكمين شبيها بالدعاء على شعبين لم يؤمنا بالله، ومن ثم هذه الحلقة التاريخية التي تعيد نفسها بموت الطغاة مهما كانوا.

ثانيا- التناص الأديبي: تشكل النصوص الأدبية خزانا مليئا بالأفكار والحكم والقيم التي يمكن دمجها في إنتاج النصوص، ولذلك يستشهد الناس غالبا بأبيات الحكم من أجل الدفاع عن وجهة نظر أو دحض أخرى. وقد وجدنا تناصا شعريا في تعليقه على تحية مبارك؛ إذ قال: «وقديما قيل إن من يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم»، ويتناص هذا القول مع قولي زهير بن أبي سلمى (القرشي، جمهرة أشعار العرب، دت، ص. 176):

وَإِنَّ سَفَاهَ الشَّيْخِ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ      وَإِنَّ الْفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمُ  
سَمِئْتُ تَكَايُفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ      ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ

وقد جاء سياق التناص في استغراب من إصرار مبارك على البقاء في كرسي السلطة على الرغم من وصوله إلى سن الشيخوخة، حيث لا يأمل الإنسان إلا الموت في راحة بعيدا عن مشكلات الحياة. وكأن هذا التناص اتهم بسفه مبارك ولومه على التصاقه بالكرسي.

ثالثا- التناص من خطب الحكام: يشير هذا التناص إلى كلام الحكام الساقطين قتلا وهربا وتنحيا. وقد وظفهم فوزي بشرى في تعليقاته من أجل البرهنة على كلامه أو من أجل السخرية منهم لتشابه أحوالهم. فمبارك قال: «إنني أعي التطلعات المشروعة للشعب، وأعلم جيدا قدر همومه ومعاناته». وهو كلام شبيه بما قاله من قبل زين العابدين، ليدل ذلك على تشابه في التفكير، ومن ثم تشابه في المصير. أما صالح فقد نال تعليق فوزي بشرى على مصرعه النصيب الأكبر من التناصات مع كلامه أو مع كلام زين العابدين، فجاءت نصوصه معبرة عن قمة تناقضه، فمرة يأمر بقتل المحتجين، ومرة يدعو إلى الحوار. ويتناغم هذا التناص مع ما قاله فوزي بشرى عن تناقضاته ولعبه على أحابيل السياسة. وحضر كلام القذافي في التعليق مرة بتهديد حرق ليبيا، ومرة بتهديد الرؤساء العرب على أن الدور قادم عليهم بعد صمتهم عن قتل صدام حسين، فكان في كلتا الحالتين سخرية من خلل إدراكه للأمر؛ لأن الذي احترق إنما هو، والذي قتل إنما هو.

## 2.2 تحليل البعد المرئي في التعليقات

طبّق كريس وفان ليفن التصور الثلاثي للنصوص في اللسانيات الوظيفية النسقية على المرئي، وذهبا إلى إن النص البصري يتكوّن من نظام تمثيل طبقي له ثلاث طبقات: الدلالة، والبصري-النحوي، والشكل البصري. يمثّل المستوى الدلالي تصورات منتج النص البصري وما هو مهتم به وتمثيله. ويوظف في ذلك مفهوم البصري-النحوي، وذلك بتوظيف الفضاء، ووجهة النظر، واللون، والشكل، وغير ذلك. أما الرسومات فهي الوسيلة المستخدمة في التعبير عن تصور منتج النص البصري ولمفاهيم البصري-النحوي، وذلك نحو اعتماد الرسم، أو النحت، أو الكاميرا، أو غير ذلك.

يشمل المستوى الدلالي المستويات الفكرية والبيشخصية والنصية، ولكل مستوى مفاهيم إجرائية توضح اشتغاله. ويمكن توضيحها في النقاط الآتية:

- المستوى الفكري: الصفات، الأوضاع، الأفراد والمجموعات، العموم والخصوص، التعدية.

- المستوى البيشخصي: النظرة، الوقفات، المسافة، الزاوية، الصيغة.

- المستوى النصي: البروز، قيمة المعلومات.

سنحلل الصور المصاحبة للتقارير الثلاثة تبعا لهذه المستويات.

## 2.2.1 المستوى الفكري في الصور المصاحبة لتعليقات فوزي بشرى

تُسنَدُ إلى الفاعلين الأساسيين في خطاب ما صفات معيّنة، والسميائي هو الذي يولي الاهتمام بهذه الصفات؛ إذ يكون مشغولا بالأفكار والقيم التي يوصلها الفاعلون وكيفية تمثيلهم. فتمثيل المرأة مثلا في مجلة كوزموبوليتان يركز على أمور عدّة منها الشعر الفاحم والكعب العالي، وأحمر الشفاه الفاقع، فضلا عن تصويرها في أماكن لا علاقة لها بالمنزل، مما يضفي عليها الفتنة والإغراء والتحرر، وغير ذلك من القيم التي يود منتج تلك المجلة إيصالها (Machin and Mayr, 2012, p. 52).

إضافة إلى ذلك، ينبغي النظر إلى الطريقة التي تستعمل بها الأماكن لإيصال أفكار عامة، والإيحاء بالقيم والهويات والأفكار. ولننظر إلى بعض الصور المصاحبة لتعليقات الثلاثة حتى نكشف نوع الأفكار والقيم التي يود فوزي بشرى وفريقه الإعلامي إيصالها إلينا بشأن «الثورات العربية». ونسوق ذلك في الجدول الآتي:

## الجدول 8

بعض صفات الحكام والشعب في الصور المصاحبة لتعليقات فوزي بشري  
[من إعداد الباحث]

نموذج لصور مصاحبة له	الفاعل	التعليق
	الشعب	مصر
	الحاكم	

نموذج لصور مصاحبة له	الفاعل	التعليق
 <p>اليمن: مقتل علي عبد الله صالح تصفيته طرحه السؤال عن مصير القوات الموالية له</p> <p>الحصاد</p>  <p>اليمن: مقتل علي عبد الله صالح تصفيته طرحه السؤال عن مصير القوات الموالية له</p> <p>الحصاد</p>	<p>الشعب</p>	
 <p>اليمن: مقتل علي عبد الله صالح تصفيته طرحه السؤال عن مصير القوات الموالية له</p> <p>الحصاد</p>  <p>اليمن: مقتل علي عبد الله صالح تصفيته طرحه السؤال عن مصير القوات الموالية له</p> <p>الحصاد</p>	<p>الحاكم</p>	<p>اليمن</p>

نموذج لصور مصاحبة له	الفاعل	التعليق
	الشعب	
	الحاكم	لييا

نلاحظ في هذا الجدول تركيزا على الفاعلين الأساسيين في «الثورات العربية»، أي الحاكم الذي مُثِّل فردا، والشعب الذي مُثِّل بشكل جماعي. وتصوير الشعب بشكل جماعي يجعله متجانسا، وكأن أفرادهم يقفون بجانب بعضهم بعضا، ومن ثم فحراكهم دافعه واحد هو الثورة على الفساد والظلم الذي شمل الجميع، ولا سيما الفقر الذي أصاب أطفالهم وشيبيهم وشبابهم. ومن هنا التركيز على جانب المجاعة في الثورة اليمنية،

ورغيف الخبز في الثورة المصرية، والاستبداد المتجلي في الإطاحة بتمثال القذافي في الثورة الليبية. إنها ثورة الجياع والمظلومين والمقموعين.

بخلاف ذلك، نجد الحاكم فردا، ممّا يشير إلى أنه يتصرف لوحده ويقرر لوحده ومنفرد بالسلطة لوحده. غير أن ما يلاحظ على هذا التصوير الفردي للزعيم هو هذا التركيز على شبابه وشبيه وزيه العسكري أو التقليدي؛ مما يدل على حريائية الزعيم وتكثيفه مع كل الأوضاع السياسية، واستمراره على كرسي الحكم مدة طويلة. ثم مصرعه في النهاية بشكل مأساوي، وقد وجدنا صورا لمبارك وهو في سرير محمول يجيب من داخل سجن المحكمة عن أسئلة القاضي، فضلا عن صور مصرع معمر القذافي وعبد الله صالح. وتعبير آخر، توصل لنا الصور النهائية المأساوية التي تنتظر الحكام المستبدين، كما توصل لنا القدرة الشعبية على الإطاحة بأعتى المستبدين حينما تجتمع على كلمة واحدة؛ وذلك بتحقيق النصر الذي تمثله علامة الانتصار التي ترفعها الفتاتان في الثورة الليبية، ودوس رأس تمثال القذافي بالقدم في الثورة الليبية أيضا.

ينبغي تأويل الاستبعاد أيضا في التعليق المصوّر، حيث غابت عن الصور صورة القتل، واستبدلوا بصور الجرحى، كما غاب عن الصور الألم والقسوة وإفراط الأنظمة القمعية في القتل. ويرجع السبب في ذلك إلى أن قناة الجزيرة لا تريد من الشعوب العربية النظر إلى آثار الثورة السلبية، وإنما رؤية نتائجها. إن خسائر الحراك لم تمثل بشكل كبير بقدر ما مثّلت خسائر النظام؛ وذلك تشجيعا للثورة والثوار.

أمر آخر ينبغي الانتباه إليه في الصور هو المكان الذي أخذت منه الصور، فالشعب مصور في الساحات وفي فضاءات مفتوحة، بينما صُوّر الحكام في فضاءات مغلقة. وتبدو الساحات مرتبطة بالحرية، ونقيضها الفضاءات المغلقة الموحية بالرسومية والقيود الأمنية. وهكذا يرسم تقاطب حاد بين الحرية والقيود، بين الشعب والحاكم، بين الفعل العفوي والفعل المصطنع. وإضافة إلى هذا الأمر نلاحظ أنه في تصوير الحكام كان هناك تركيز على خلفيتهم العسكرية، وذلك في حالتي مبارك والقذافي، بينما صور صالح بلباس رسمي ثم بلباس تقليدي بعد نجاته من محاولة قتله الأولى. وهناك تركيز على رسمية هؤلاء الحكام، وتركيز على لا رسمية الشعب الذي يلبس لباسا عاديا، مما يوحي بعفويته وتعبيره عن الإرادة العامة للشعب.

لقد صاحبت التعليق اللغوي صور الأطفال، مما يوحي ببراءة الثورة، وضرورة حمايتها من المجتمع الدولي. والحجة بسيطة هي أن السماح للحكام بقمع الثورة يعني إعطاء الضوء الأخضر لقتل الأطفال رمز البراءة والمستقبل. وبهذا يصبح نجاح الثورة نجاحا للغد وللمستقبل. وفضلا عن الأطفال، هناك تركيز على الشباب، ولا سيما خروجهم

في مظاهرات كبيرة، وتضحية الشباب بنفسه، وهو ما يتجلى في إصابات بعض الشباب، فصوروا والدماء تنزف من أجسادهم، أو هم محمولون على أيادي المتظاهرين. وفي عبارة أخرى، الشباب وقود الثورة، والأطفال مستقبل الثورة، والمجتمع الدولي حامي هذا المستقبل.

شكلت الصور أفعالاً أهمها الفعل المادي المتمثل في الخروج، وأفعال سلوكية تمثلت في رفع شارة النصر والابتسام، والحلم بغد أفضل. وأفعال لفظية أهمها الصراخ بصوت «يسقط النظام» الذي ورد في التعليقات كلها. وإذا كان الفعل المادي يشير إلى طريقة الحركة، أي إلى الحراك الاجتماعي، فإن الفعل اللفظي هو مضمون هذا الحراك، والفعل السلوكي إشارة لنتائج هذا الحراك، أي الانتصار على قمع النظام الحاكم.

### 2.2.2 المستوى البيشخصي في الصور المصاحبة لتعليقات فوزي بشرى

يرى كريس وفان ليفن أن الصور تنجز أفعالاً كلامية هي العرض والطلب، وذهبا إلى أن أفعال الصورة تتحقق بصرياً من خلال صيغة المخاطبة؛ فلو كان المشارك في الصورة ينظر إلينا، فهو يطلب منا طلباً، وإن لم يكن كذلك، فالصورة عرض لنا من أجل تأملها. وتعبير آخر، في حالة نظر الشخص المصور لنا، فهذا يخلق صيغة مخاطبة بصرية، حيث يكون الناظر معترفاً به ومدعواً إلى ردة فعل معينة. وحينما لا ينظر الشخص الممثل إلى الناظر، فلا نجد طلباً موجّهاً إلى الناظر، ولا نجد استجابة متوقعة. وتعرض للناظر بأنها معلومة متاحة للدراسة والنظر (Kress and van Leeuwen, 1996, p. 124). ونمثل لهذا المستوى بالصور في الجدول الآتي:

### الجدول 9

بعض صور العرض المصاحبة لتعليقات فوزي بشرى [من إعداد الباحث]

التعليق	نموذج لصور مصاحبة له
مصر	

التعليق	نموذج لصور مصاحبة له
اليمن	
ليبيا	

نشير في البداية إلى أن هناك صوراً للحكام وهي في صيغة طلب. وقد أذيعت تلك الصور من القنوات الرسمية للبلدان التي شهدت حراكاً عربياً من أجل طلب الحوار والتهدة والتعاطف من الشعب. وبما أننا نركز على تمثيلات قناة الجزيرة، فقد اخترنا الصور التي أخذها الفريق الإعلامي من أرشيف الجزيرة. وهي لحاكمين عربيين (مبارك والقذافي)، ومجموعة مسلحة تابعة للجماعة الحوثية.

لا ينظر مبارك أو القذافي إلى الناظر، وهو غير مدعو إلى اتخاذ ردة فعل معينة تجاه الصورتين. وكلا الحاكمين ينظر باتجاه آخر غير الناظر؛ فمبارك ينظر باتجاه الصندوق وهو يدلي بصوته في الانتخابات، بينما يشيح القذافي بنظره إلى اليسار وهو يبتسم. يوحي الابتسام بما هو سلبي عادة، فالذي يبتسم يدعونا إلى الابتسام معه، وإلى التعامل معه بطريقة جيدة. وخلافه العبوس الذي يحافظ على المسافة الاجتماعية بين الأشخاص. ويقوم النظر إلى الأسفل تقويماً سلبياً، فهو يعكس حالة الانكسار والقلق. وعلى الرغم من أن صورة مبارك تظهر نوعاً من السخرية التي تبرز في ابتسامه مبارك من صندوق الانتخابات، بما يشي بصورية الانتخابات وشكلية الاقتراع، فإن النظر إلى الأسفل عموماً له دلالة سلبية متعلقة بقلق سياسي وخوفه من المستقبل. أما القذافي الذي يشيح بنظره إلى اليسار في ابتسام؛ فهو يجمع بين دالتين دلالة المستقبل الواعد لصعوده للحكم



وفكره القومي الوجودي، ودلالة الإحباط التي رافقت تحقيق هذا المشروع، حيث انصرف عنه الجميع تاركين إيّاه وحده. ومن ثم كلتا صورتين تدفع الناظر إلى عدم الانخراط مع مبارك والقذافي، وأخذ مسافة منهما. أما صورة الحوثيين، فهي تظهر نظرات حازمة وصارمة مبرزة صعود التيار الجديد غير الرسمي، لكن المسلح بعقيدة أيديولوجية قوية وبأسلحة كثيرة. ونظر الناظر إليهم من الأسفل يوحي بقوتهم وخطرهم.

بخصوص مسافة التقاط الصور، تشير المسافة إلى العلاقات الاجتماعية؛ فنحن نُبقي على «مسافة» من الناس الذين لا نريد أن نكون على صلة بهم، ونقترب من الناس الذين نراهم جزءاً من دائرة صداقتنا وقربتنا. وفي الصور، تترجم المسافة بنوع اللقطة؛ أهي قريبة، أم متوسطة، أم بعيدة. وترتبط المسافة بالانخراط أو عدمه، فالعلاقات الحميمة (القريبة للغاية) تعرف انعدام المسافة بين طرفي هذه العلاقة، بينما العلاقات الاجتماعية المتوترة (البعيدة) تعرف تباعداً بين طرفي العلاقة. ولننظر إلى بعض الصور والمسافة التي التقطت منها في الجدول الآتي:

### الجدول 10

بعض أنماط المسافة في التقاط الصور المصاحبة لتعليقات فوزي بشرى  
[من إعداد الباحث]

التعليق	صور مصاحبة له
مصر	

صور مصاحبة له	التعليق
	اليمن
	ليبيا

أخذت هذه الصور من لقطة قريبة، حيث تشكل جميعا عرضا للتأمل فيه. ويبدو المتظاهرون في الصور جميعا غير محددين بفضل الصورة القريبة التي لم تبرز نهاية المتظاهرين، وجعلتهم امتدادا مفتوحا في مقابل ظهور شرطي واحد. وهو ما يدعونا إلى الانخراط مع المتظاهرين في تظاهرهم وفعلهم الاجتماعي (الثورة)، بما أنهم قريبون منا، والقرب عادة ما يكون صوابا. هنا لا يُقصد أن ننظر إلى أفكار الطفلة أو الرجل الذي يضع قدمه على رأس تمثال القذافي، أو استحضار موقف شخصي أو حميمي منهما، ولكن نُدعى إلى التماهي مع وجهة نظرهما. وتؤدي اللقطة القريبة في حالة الطفلة إلى إثارة موقف التضامن والتآزر معها، بينما تؤدي في حالة التمثال والقدم إلى التأكد من قوة الشعب وقدرته على تحقيق إرادته.

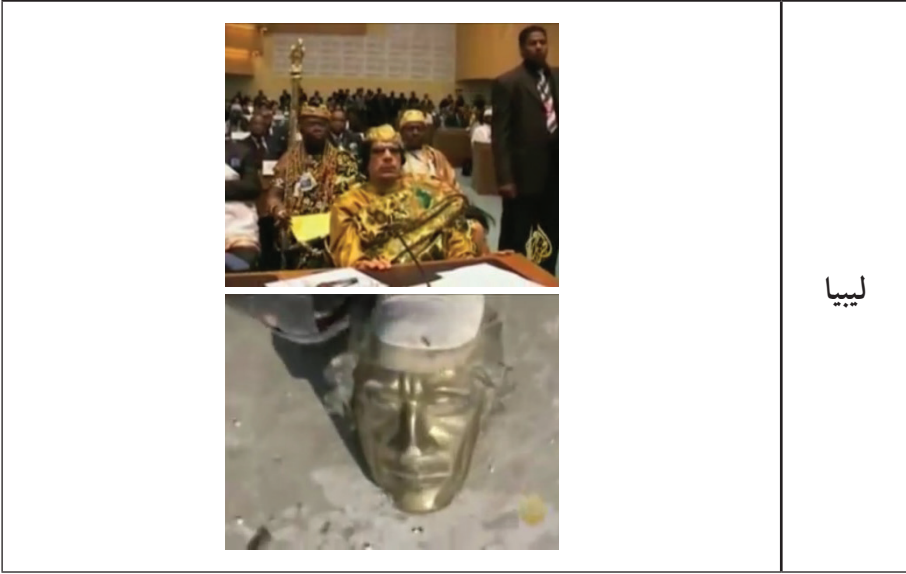
### 2.2.3 المستوى النصي في الصور المصاحبة لتعليقات فوزي بشري

من أهم العناصر في المستوى النصي المرتبط بالصورة البروز. ويعني وضع سمة معينة في المقدمة لتمثيل معنى ما، ولفت انتباهنا إلى هذا المعنى. وهناك عدد من طرائق البروز يمكن أن تتحقق في الصور. إما من طريق استعمال الرموز الثقافية، أو حجم الصورة، أو درجة اللون، أو درجة التركيز، أو التقديم، أو التداخل (Machin and Mayr, 2012, p. 54). ونمثل لذلك بهذا الجدول:

## الجدول 11

بعض أنماط البروز في الصور المصاحبة لتعليقات فوزي بشرى [من إعداد الباحث]

التعليق	نموذج لصور مصاحبة له
مصر	
اليمن	



نجد البروز الناتج من الرموز الثقافية في أربع صور؛ في صورة مبارك بزيه العسكري، مما يشير إلى الشجاعة والمشاركة في الحرب ضد إسرائيل، وتداعيات ذلك على المنخيل الشعبي بأن العسكري حامي البلاد والمدافع عن حدودها وأمنها. وفي صورة الفتاة الصغيرة وأمامها رغيف الخبر، مما يشير إلى الجوع والمجاعة التي أصابت اليمن جراء الحرب الأهلية فيها، ثم في صورتني التعليق المرتبط بليبيا، فهناك زي أفريقي موشى بخريطة أفريقيا باللون الأخضر، في إشارة إلى الكتاب الأخضر من جهة، وإلى ألقاب معمر القذافي من جهة أخرى، أي ملك ملوك أفريقيا. أما الصورة الأخيرة، أي رأس تمثال القذافي وقد داسه مواطن ليبي فيدل على سقوط الطغاة ومصرعهم، وعلى الثورة الشعبية. وبعبارة أخرى هناك بروز لمفاهيم العسكر، والطغاة، والجوع، والثورة. وهي المفاهيم الأساس التي يريد فوزي بشرى ومن خلفه قناة الجزيرة إيصال تصورهما لها إلى أذهان الشعوب العربية؛ أي أن هناك خطرا من العسكر على الحكم العربي، وأن من نتائجه الجوع والظلم والطغيان، وأن نهايته هي الثورة.

والدلالة نفسها نجدها في الحجم، فقد التقطت الصور من مسافة قريبة باستثناء صورة العقيد القذافي التي التقطت من مسافة متوسطة، والسبب في ذلك إظهار الخلفية الأفريقية لتوجّه الأخير، ومع ذلك هو الذي يقع في وسط الصورة ومركزها، مما يشير إلى أهميته، ولا سيما أنه يرتدي ألوانا ذهبية توحى بالملك والغنى والسطوة.

توضع هذه السطوة في صورة أخرى تحت الإرادة الشعبية التي تدوسها. والحداء لونه لون الأرض، مما يشير إلى المالك الحقيقي للأرض والسلطة، بشرط أن يستكشف «عن حياة القطيع». وبخلاف هذا اللون، نجد لون الشر متجليا في صورة عبد الله صالح محترق الوجه، بعد محاولة قتله الأولى، وقد ركزت الصورة على ملامح وجهه التائهة المعبرة عن خوفه وقلقه من مصير محتوم ينتظره.

تبرز صورة مبارك تركيزا على صرامته وجديته، وفي صورة أخرى له بعد مرور أربعين سنة على الحكم نجد النظرات نفسها، مما يوحي بأن منتظر التغيير أو الأمل في جدية هذه النظرات إنما ينتظر شيئا لن يقع. إنها نظرات صورية مثلها مثل الانتخابات التي تجرى كل مرة، معلنة عن نتيجة فوز ساحق للرئيس المخلوع.

### خاتمة

حاولنا في هذه المقالة تقديم تحليل مفصل لبلاغة التعليق عند فوزي بشرى، مركزين على البعدين اللغوي والبصري في التعليق.

وقد وجدنا في الجانب اللغوي أن فوزي بشرى تبني موقفا مساندا للشعوب العربية، وذلك بتصوير الحكام تصويرا سلبيا بوصفهم طغاة ومستبدين وجاهلين وأتباعا للغرب، وتصوير الشعوب العربية تصويرا إيجابيا بوصفها راغبة في التحرر والديمقراطية والعدل. وقد عبّر عن هذا التمثيل انطلاقا من أبعاد دلالية وتركيبية وبلاغية وتناصية، إذ وظف التقديم والتأخير، والمبالغة في المعجمة، والتناص القرآني والشعري لصياغة تقرير مؤثر مبني على خطاطة إخبارية تبدأ بمصرع الحاكم أو تنحيته، ثم تشني بخلفية وصوله إلى الحكم ونتائج حكمه، ثم تنتهي بحكمة سياسية مرتبطة بالحكم.

صاحب هذا التصوير اللغوي صور معبرة عن البعد اللغوي وناطقة بمضمونه، موضحة حيناً، ومضيفة حيناً آخر دلالات أخرى؛ فالحكام عسكريون منقلبون لم يصلوا إلى الحكم بطريقة شرعية، والشعب متجانس متكاثف يسعى إلى التحرر من رقة الحكم العسكري الجائر، والساحة ميدان اعتصامه بوصفها فضاء مفتوحا يقبل كل الإثنيات والأعراق والديانات. كما أسهمت الصور في دفع المشاهدين إلى الانخراط مع الشعب، وأخذ مسافة من الحكام من خلال زوايا النظر ومسافة التقاط الصور.

وبصفة عامة، يمكن إيجاز بلاغة التعليق التلفزيوني لدى فوزي بشرى في ثلاث نقاط: البعد اللغوي للتعليقات: يمتلك فوزي بشرى قدرة إبداعية في مستوى الصياغة اللغوية

من خلال إيجاد طريقة التأليف المناسبة بين البناء النصي الملائم والاختيارات المعجمية والأبعاد الدلالية والتركييبية والبلاغية والتناسبية المناسبة. البعد المرئي البصري للتعليقات: لم يكتفِ فوزي بشرى بالصناعة اللغوية للتقارير الثلاثة، وإنما عبّده بمقومات بصرية تمثلت أساساً في عدد من الصور التي تؤرخ لحوادث الربيع العربي للحكام والشعوب في مصر واليمن وليبيا، وقد نجح في اختيارها لأنها أضافت للغة الكثير من المعاني والدلالات. القدرة الأدائية للمعلّق: نستشهد هنا بمقاطع مما قاله بسام عودة: «صدى الصوت يأسرك إلى عالم الخيال. يرتقي بالصوت واللغة إلى مستوى عال من التأثير والانسجام. متعة السرد ومفعول الكلام. صوت كرنفال للكلمات، ونسج من العبارات. يحمل في طبقات صوته مشاهد العالم وحوادثه المتلاحقة، مصطلحات وكلمات تخترق العقول والخيال، وتحفز المشاعر، فهو مثال على تطويع اللغة أداة توثق الحوادث في ذهن المستمعين. تستطيع كلماته الجذب والاستمالة» (أطلع عليه في: <https://short-url.org/1b31o>).

## لائحة المراجع

### أولاً- المراجع العربية

- بكار، سعيد. (2012) «الخطاب الإخباري والسلطة: مقارنة تحليلية نقدية». أكادير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية/جامعة ابن زهر.
- بكار، سعيد. (2020) بلاغة الخطاب السياسي الشعبي المغربي (2011-2018): دراسة في ضوء التحليل النقدي. قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023.
- بكار، سعيد. (2020). «في مفهوم اللسانيات النقدية». ضمن نعيمة سعدية. مجموعة مؤلفين. اللسانيات العربية: مراجعة ونقد. الجزائر، ألفا للوثائق. صص. 392-353.
- بكار، سعيد. (2024) بلاغة النقد: دراسات في التحليل النقدي للخطاب. الدار البيضاء، أفريقيا الشرق.
- الجرجاني، عبد القاهر. (د.ت) دلائل الإعجاز. (تحقيق محمود محمد شاكر). القاهرة، مكتبة الخانجي.

- غماري، طيبي. (2019) *الجندي والدولة والثورات العربية*. قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- القرشي، أبو زيد. (د.ت) *جمهرة أشعار العرب*. (تحقيق علي محمد البجادي). القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

#### ثانياً- المراجع الأجنبية

- Goodwin, Charles. (2000) "Action and Embodiment within Situated Human Interaction". *Journal of Pragmatics*, 32, pp. 1489–1522.
- Jewitt, Carey, Jeff Bezemer & Kay O'Halloran. (2016) *Introducing Multimodality*. London/New York, Routledge.
- Jewitt, Carey. (2009) *The Routledge Handbook of Multimodal Analysis*. London and New York, Routledge.
- Kress, Gunther & Theo van Leeuwen. (1996) *Reading Images: The Grammar of Visual Design*. London, Routledge.
- Kress, Gunther & Theo van Leeuwen. (2001) *Multimodal Discourse: The Modes and Media of Contemporary Communication*. London/ New York, Edward Arnold/ Nottinghamshire/Oxford University Press.
- Machin, David & Andrea Mayr. (2012) *How to do Critical Discourse Analysis: A Multimodal Introduction*. London, SAGE Publication.

مجالات التحليل النقدي  
للخطاب



## بين الشفافية والضبابية

### تحليل نقدي لاستراتيجيات التملص في خطاب شركات التكنولوجيا أثناء الأزمات

شيماء البهتري

كلية اللغة العربية، جامعة القاضي عياض، مراكش، المملكة المغربية.

c.elbahtari.ced@uca.ac.ma

<https://orcid.org/0009-0007-2972-6429>

#### الملخص

تقدم هذه المقالة إطارًا تحليليًا يستند إلى مقاربات التحليل النقدي للخطاب من أجل فحص الاستراتيجيات اللغوية التي تعتمدها الشركات التكنولوجية الكبرى في صياغة خطابات الأزمات. ويكشف التحليل كيف تُنتج هذه المؤسسات ما يمكن تسميته بالبلاغة التملص، حيث تُوظف أدوات لغوية متقنة، من قبيل الغموض الدلالي، والتأطير الزمني، والتضامن الجماعي، والتقنيات الإحالية غير المحددة، وغير ذلك؛ لإخفاء المسؤولية، وتحييد النقاش، وإعادة توجيه الرأي العام. لا تسعى هذه الخطابات إلى امتصاص الضغط الإعلامي والاجتماعي فحسب، وإنما تعيد أيضًا تشكيل صورة المؤسسة من خلال محاكاة قيم أخلاقية كالمسؤولية والشفافية دون التزام فعلي بها. ومن خلال ربط هذه الظواهر بمفاهيم مثل السلطة، والهيمنة، والأيديولوجيا، يبرز المقال كيف تتحول اللغة إلى أداة لإنتاج الشرعية الرمزية وتدير التوترات المؤسسية بعيدًا عن آليات المحاسبة. وتخلص المقالة إلى ضرورة بناء جهاز تحليلي قادر على كشف العلاقة الملتبسة بين الشكل الخطابي والمضمون السلطوي في سياقات التواصل المؤسستاتي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: الخطاب المؤسستاتي، بلاغة التملص، التحليل النقدي للخطاب، السلطة، الأزمات، شركات التكنولوجيا.



# BETWEEN TRANSPARENCY AND OPACITY

## A CRITICAL ANALYSIS OF ACCOUNTABILITY AVOIDANCE STRATEGIES IN TECH COMPANIES' CRISIS DISCOURSE

Chaymae Elbahtari

Faculty of Arabic Language, Cadi Ayyad University, Marrakech, Morocco.

c.elbahtari.ced@uca.ac.ma

<https://orcid.org/0009-0007-2972-6429>

### ABSTRACT

This article develops an analytical framework grounded in Critical Discourse Analysis (CDA) to examine the linguistic strategies employed by major technology corporations in their crisis communication. The analysis reveals the production of what can be termed a “rhetoric of evasion,” where carefully crafted discursive devices—such as semantic vagueness, temporal reframing, collective dissolution, and unspecified referentiality—are mobilized to obscure responsibility, neutralize critique, and redirect public attention. These corporate discourses do not merely respond to external pressure but actively reconstruct institutional self-representations by simulating ethical values such as accountability and transparency without concrete commitment. By linking these practices to theoretical notions like hegemony, governmentality, and ideological interpellation, the article demonstrates how language becomes a strategic resource for symbolic legitimation and institutional conflict management. It concludes by calling for a more refined analytical toolkit capable of uncovering the entangled relationship between discursive form and power dynamics in contemporary institutional communication.

**Keywords:** Institutional discourse, rhetoric of evasion, Critical Discourse Analysis, power, crisis communication, tech corporations

تفرض التحولات المعاصرة، التي تتقاطع فيها السلطة المؤسسية بالبنى الرقمية وخطابات الأزمات، ضرورة إعادة النظر في طبيعة الخطاب المؤسساتي بوصفه ممارسة لغوية تستبطن آليات الهيمنة وإعادة إنتاج الشرعية. لم يعد الخطاب الصادر عن المؤسسات الكبرى، ولا سيما في قطاع التكنولوجيا، مجرد وسيلة تواصل معلوماتي، بل تحوّل إلى أداة رمزية فاعلة في تشكيل الإدراك العام وصناعة الانطباع الأخلاقي عن الذات المؤسسية. ومن هنا تنبثق مجموعة من الأسئلة التي تستدعي التحليل:

- كيف تُشيد المؤسسات الكبرى صورتها الشرعية في سياقات الأزمات؟
- ما هي الموارد اللغوية والبلاغية التي تعتمد عليها لتأجيل المساءلة أو التنصل منها؟
- إلى أي مدى تبرز هذه الخطابات عمليات أيديولوجية أعمق تقوم على نزع الطابع السياسي عن الفعل المؤسساتي وتمويه مراكز القوة؟

تعتمد هذه الدراسة إطارًا نظريًا وتحليليًا مستندًا إلى المقاربات الكلاسيكية في التحليل النقدي للخطاب، من خلال النموذج الجدلي العلائقي لدى نورمان فيركلف، والمقاربة المعرفية الاجتماعية لتون فان دايك، والمقاربة التاريخية للخطاب التي طورتها روث فوداك مع زملائها. كما تستنير الدراسة بأدبيات ميشال فوكو حول مفهوم «السلطة»، ويتصور لوي ألتوسير لمفهوم «النداء الأيديولوجي»، من أجل مساءلة الكيفيات التي يُنتج بها الخطاب المؤسساتي أنماطًا محددة من التمثلات، ويُفعل آليات رمزية تؤدي إلى الحجب والتطبيع بدلا من المكاشفة والمساءلة.

تقارب الدراسة خطابات الأزمات التي أصدرتها شركات تكنولوجيا كبرى مثل فيسبوك، وغوغل، وتويتر، وأبل، إذ تكشف عن استراتيجيات خطابية تُوظف الغموض الدلالي، وتذويب الفاعل الفردي في الجماعة، والتأطير الأخلاقي المشروط، واللغة التقنية المتوارية، بوصفها أدوات للتملص من المسؤولية. وبالرغم مما تُظهره هذه الخطابات من توازن لغوي ومفردات تدّعي الشفافية، فإنها كثيرًا ما تُخفي اختلالات عميقة في العلاقة بين القول والممارسة، وتسهم في إعادة توزيع المسؤولية بطريقة تفتقر إلى الوضوح والمحاسبة.

من خلال إدراج الخطاب المؤسساتي في سياقاته التاريخية والاجتماعية والأيديولوجية،

تهدف هذه المقالة إلى بلورة أفق إستيمولوجي نقدي يُعيد للغة مكانتها كمجال لصراع السلطة، لا كمجرد أداة للتوصيل. وبهذا، تؤكد الدراسة الطابع الإجرائي للتحليل النقدي للخطاب، بما هو ممارسة تحليلية تقاوم تبيض اللغة، وتفكك الآليات الرمزية التي يُعاد من خلالها إنتاج الهيمنة وتدجين المقاومة.

## 1. نحو تأطير مفهومي للتحليل النقدي للخطاب في سياقات السلطة والمؤسسات

### 1.1 من الخطاب إلى السلطة: آليات الهيمنة وإعادة الإنتاج الأيديولوجي في الممارسات التواصلية

يشكل مفهوم السلطة باعتبارها عنصراً تكوينياً للممارسات الخطابية أساساً إستيمولوجياً جوهرياً للتحليل النقدي للخطاب. إذ تمارس علاقات السلطة وظيفتها ليس بوصفها مجرد انعكاس في الخطاب، وإنما تبنيتها الموارد اللسانية والبلاغية وتشرعها وتطبّعها (قادم والزمانى، 2022). تبرهن المقاربة المعرفية الاجتماعية لفان دايك (van Dijk, 2009) على كيفية إعادة الخطاب النخبوي إنتاج الهيمنة بطريقة منهجية من خلال التلاعب الاستراتيجي بالنماذج الذهنية، إذ يوظف الفاعلون الاجتماعيون استراتيجيات خطابية للمحافظة على البنى غير المتكافئة للسلطة. يكتسب هذا الإطار النظري أهمية خاصة عند فحص التواصل المؤسسي، حيث تعمل السلطة عبر ما يبدو خطاباً محايداً وإعلامياً. كما يكشف تحليل الخطاب السياسي (بكار، 2021) كيف تؤدي الاستراتيجيات الخطابية وظيفية آليات الاستدعاء الأيديولوجي، مبرهنًا أن علاقات السلطة منغرسه في النسيج ذاته للاختيارات اللسانية والترتيبات التركيبية والانتقاءات الدلالية. يستلزم الفحص النقدي للسلطة فهم الخطاب ليس بوصفه وسيطاً شفافاً للتواصل، بل باعتباره موقعاً تتفاوض فيه التراتيبات الاجتماعية ويتنازع حولها وقد تُحوّل أيضاً. يبني هذا الأساس المفهومي أرضية نظرية لتحليل كيف يوظف الفاعلون المؤسسيون، خاصة في حالات الأزمة، الموارد الخطابية للمحافظة على الشرعية مع إخفاء آليات المساءلة.

### 1.2 الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية: العلاقة الجدلية بين اللغة والمجتمع

تقوم المفهمة النظرية للخطاب، باعتباره ممارسة اجتماعية، على تجاوز حدود التحليل اللساني التقليدي، من خلال إدماج اللغة في بنيات اجتماعية وتاريخية أوسع،

ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعلاقات السلطة. تؤسس المقاربة الجدلية العلائقية التي طورها نورمان فيركلاف (Fairclough, 1992) لفهم الخطاب بوصفه عملية مزدوجة: فهو يُشكّل العلاقات الاجتماعية والهويات والبنى المؤسساتية، ويتشكّل في المقابل من خلالها. وتُظهر هذه العلاقة التبادلية أن الخطاب لا يُنتج في فراغ، بل ينبثق من سياقات أيديولوجية تخدم مصالح اجتماعية محددة.

تفرض هذه الرؤية النظرية على الباحث النقدي تجاوز المستوى السطحي للسّمات اللغوية، والانخراط في تحليل أعمق يهدف إلى كشف القوى الاجتماعية المتخفية التي تصوغ الأحداث التواصلية وتمنحها مشروعيتها. في هذا السياق، أبرز الإطار المنهجي الذي قدّمه سعيد البكار في تحليله للاستعارة (بكار، 2022) بوصفها أداة كاشفة عن البنى المفهومية المضمّنة في اللغة التي تبرزُ بدورها أيديولوجيات ثقافية وتعيد إنتاجها؛ إذ مهما بدت الاختيارات اللغوية الاستعارية محايدة، فإنها لا تخلو من دلالات اجتماعية وسياسية مؤثرة (لحويدق، 2015).

انطلاقاً مما سبق، يؤكد هذا التوجه النظري أن التحليل النقدي للخطاب لا يكفي بوصف الظواهر اللغوية، بل يسائل علاقاتها الجدلية مع البنى الاجتماعية والسلطوية الكبرى. لذا، ينبغي أن يُدمج الإطار التحليلي البعد التاريخي، والوضعية المؤسساتية، والنقد الأيديولوجي، للكشف عن الوظيفة الخطابية في إعادة إنتاج النظام الاجتماعي، أو شرعته، أو الدفع في اتجاه تغييره ضمن تشكيلات السلطة المعاصرة.

1.3 بين الوعي والمنهج: نحو إيستيمولوجيا نقدية في تحليل الخطاب المؤسساتي  
يفرض التحليل النقدي للخطاب تبني منظور إيستيمولوجي يقوم على «التبصّر المنهجي»، إذ يُقرّ الباحث بموقعه ضمن البنية المعرفية التي يشغل داخلها، دون التفريط في الصرامة التحليلية المطلوبة لفحص علاقات السلطة المتضمنة في الخطابات. وتنطلق الإيستيمولوجيا النقدية من رفض الفرضيات الوضعية التي تزعم إمكانية إنتاج معرفة موضوعية خالصة، مؤكدة أن كل أداة تحليلية تنبثق بالضرورة من خلفيات نظرية وأيديولوجية محددة. وتبرز أهمية هذا المنظور في المقاربة التاريخية للخطاب كما طورتها روث ووداك (Wodak, 2001)، التي تدعو إلى استخدام منهجية متعددة التخصصات، تمزج بين التحليل اللساني، والتأطير التاريخي، والتصورات المستمدة من النظرية الاجتماعية، مما يُجنّب سقوط التحليل في الاختزال أو عزل الخطاب عن سياقاته السياسية والاجتماعية الأوسع. ويقتضي هذا التبصّر من الباحث الإفصاح عن

افتراضاته النظرية بوضوح، وتطوير أدوات تحليلية قادرة على الكشف عن آليات السلطة الكامنة داخل ممارسات تواصلية تبدو في ظاهرها محايدة. ويُظهر عبد اللطيف وبكار، في تحليلهما لخطاب السلطة (عبد اللطيف وبكار، 2025)، كيف أن الخيارات المنهجية التي يعتمدها الباحث تؤثر بشكل مباشر في النتائج الإيستيمولوجية للتحليل. في هذا السياق، يُملي الإطار النقدي على الباحث الحفاظ على مسافة تحليلية واعية، دون أن يفقد التزامه بكشف مظاهر اللامساواة والهيمنة في الخطابات. فهذه المقاربة تؤسس لفهم الخطاب المؤسساتي بوصفه فضاء مناظرات تسوّغ فيه التفاوتات الاجتماعية، وقد تُقاوم من خلال توظيف استراتيجي للموارد اللسانية والبصرية والرمزية التي تروم الإقناع أو الدحض (قادا، 2016).

## 2. استراتيجيات التملص من المسؤولية في خطابات شركات التكنولوجيا خلال الأزمات

تعدّ الخطابات الصادرة عن المؤسسات الاقتصادية الكبرى، ولا سيما التكنولوجية منها، جزءاً من البنية الرمزية التي تُعيد من خلالها هذه الكيانات إنتاج ذاتها كفاعل مسؤول في الفضاء العمومي، حتى في أشد لحظات الأزمة. وفي مواجهة الضغط الإعلامي والاحتجاج المجتمعي، لا تتوقف هذه الخطابات عند مجرد تسويق الوقائع، وإنما تسعى إلى هندسة تمثلات جديدة للذات المؤسسية، غالباً من خلال موارد لغوية تتسم بالتوازن والانزياح والدقة المقتّعة.

في هذا السياق، يطرح التحليل جملة من الأسئلة المعرفية: كيف تُنتج المؤسسات التكنولوجية الكبرى خطاباً يُظهر الالتزام بينما يُمارس في العمق أشكالاً من التملص؟ وكيف توظّف هذه الكيانات، في لحظات الأزمات، موارد اللغة لتأجيل المواجهة مع المسؤولية، وإعادة توجيه الأنظار بعيداً عن مواضع الخلل؟ بأي صيغ تُخفي السلطة، ويُعاد توزيع المسؤولية، ويُستثمر الغموض التداولي لأغراض دفاعية؟ وبأي ملامح خطابية يتجلى التحوّل من الاعتراف الفعلي إلى مجرد الإيحاء بالنية؟

من خلال استثمار أدوات التحليل النقدي للخطاب، كما طوّرها منظّروه الكبار مثل فيركلف، وفوداك، وفان دايك، تسعى هذه المقاربة إلى تعرية الميكانيزمات اللغوية التي تُنتج «بلاغة التملص» داخل بيانات رسمية تبدو للوهلة الأولى صريحة، لكنها تخفي في طياتها تفاوتاً عميقاً بين الخطاب والممارسة.

## 2.1 تصريح مارك زوكربيرغ حول فضيحة كامبريدج أناليتيكا: استراتيجيات خطابية لتبديد المسؤولية

أظهر مارك زوكربيرغ، في بيانه العلني إبان فضيحة «كامبريدج أناليتيكا 2018» (أنظر: <https://short-url.org/1aO3F>)، مناورات خطابية تعتمدها المؤسسات القوية للتهرب من تحمل المسؤولية المباشرة. فقد قال: «لدينا مسؤولية في حماية بياناتكم، وإذا لم نستطع، فإننا لا نستحق خدمتكم [...] لقد ارتكبنا أخطاء، ولا يزال هناك المزيد مما يجب فعله». وبالرغم من أن الخطاب يوحي بمظهر من الاعتراف بالذنب، إلا أن التحليل النقدي يُبرز أساليب لغوية وتداولية تسعى إلى التملص من المساءلة الحقيقية. استُخدم ضمير الجمع «نحن» مرارًا، ليقوم بوظيفة أيديولوجية تتمثل في إذابة المسؤولية الفردية داخل كيان مؤسسي جماعي. وقد أشار فيركلف إلى أن مثل هذا الضمير في الخطاب المؤسسي يُفضي إلى تمييع المسؤولية (Fairclough, 2003, pp. 13-15)، ولا سيما حين يصدر عن مدير تنفيذي يتعين عليه تحمّل تبعات مباشرة. كما جاءت عبارة «لقد ارتكبنا أخطاء» بصيغة مبهمّة، حيث يُلاحظ غياب فاعل محدد أو ضحية واضحة، وهو ما ينسجم مع ما تعتبره فوداك «تلطيفًا لفظيًا»، إذ تؤدي اللغة الغامضة دورًا في تخفيف حدة الخطأ المدعى (Wodak, 2001, pp. 80-83). اعتمد البيان أيضًا على تأطير زمني ينقل التركيز من المحاسبة الماضية إلى الوعود المستقبلية؛ فعبارة «لا يزال هناك المزيد مما يجب فعله» تُحوّل انتباه الجمهور من الفعل المرتكب إلى إمكانية الإصلاح، مما يتطابق مع ملاحظة فان دايك بشأن استراتيجيات النفي والتقليل التي تنتهجها النخب في خطاباتهما الرسمية (van Dijk, 1995). وبهذا، يتحقق ما يمكن تسميته بـ«التأجيل الاستراتيجي». ويمكن إبراز استراتيجيات التملص في خطاب زوكربيرغ في هذا الجدول:

### الجدول 1

وظائف التملص في خطاب مارك زوكربيرغ [من إعداد الباحثة]

المكون الخطابي	المثال اللغوي	الوظيفة التملصية
التذويب الجماعي	«لدينا مسؤولية...»	إخفاء المسؤولية الفردية ضمن فاعلية جماعية

المكون الخطابي	المثال اللغوي	الوظيفة التملصية
المفردات المبهمة	«أخطاء»	التهرب من التوصيف القانوني أو الأخلاقي الدقيق
التأجيل الزمني	«هناك المزيد مما يجب فعله»	تحويل التركيز من الماضي إلى المستقبل
الشرط الأخلاقي	«إذا لم نستطع..»	تقديم صورة أخلاقية دون التزام عملي

أخيراً، لجأ الخطاب إلى نبرة أخلاقية تشي بمسؤولية معنوية، لكنها تخلو من أي التزام مادي ملموس. فجملة «إذا لم نستطع... فإننا لا نستحق» تُؤسس موقفاً أخلاقياً مشروطاً لا يلزم المتكلم بتحمل نتائج قانونية أو إدارية، وهو ما ينسجم مع تحليل التوسير لوظيفة الخطاب الأيديولوجي في استدعاء الأفراد بوصفهم «ذواتاً أخلاقية» (Althusser, 1971, pp. 127-130)، بينما يقصون فعلياً من ممارسة الفعل السياسي أو القانوني.

2.2 دفاع غوغل عن تتبع الموقع: التعتيم التكنوقراطي وتحميل المستخدم المسؤولية في معرض ردها على الاتهامات المتعلقة بجمع بيانات الموقع الجغرافي للمستخدمين دون علمهم أو بالرغم من إيقافهم للتتبع (أنظر: <https://short-url.org/1fqIC>)، قدّمت شركة غوغل تصريحاً يعتمد خطاباً تقنياً مطمئناً ظاهرياً: «نوفر أوصافاً واضحة لهذه الأدوات، وضوابط قوية تتيح للناس تشغيلها أو إيقافها».

اختيرت ألفاظ مثل «واضحة» و«قوية» بعناية لبناء صورة ظاهرية للشفافية وتمكين المستخدم. غير أن فيركلف يرى أن هذه «الصفات التقييمية» في الخطاب المؤسسي غالباً ما تؤدي وظيفة أيديولوجية، خاصة حين لا تكون مدعومة بأمثلة دقيقة أو تجارب ملموسة (Fairclough, 1992, pp. 179-182). فعبارة «ضوابط قوية» تمثل نموذجاً لما تسميه فوداك وماير بـ«الغموض الاستراتيجي»؛ إذ يبدو اللفظ دقيقاً، لكنه يفتقر إلى وضوح تقني يمكن اختباره (Wodak and Meyer, 2001, pp. 20-23).

تتضمن الجملة ترتيباً نحويّاً يقدّم الفعل المؤسسي «نوفر»، ويؤخر الفعل الفردي للمستخدم، مما يعيد تشكيل بنية الفاعلية بشكل غير متوازن. يشير فان دايك إلى أن مثل هذه البنيات النحوية تُوظف لتكريس تفاوت السلطة (van Dijk, 1995)، حيث

يُفترض ضمناً أن المستخدم يمتلك المعرفة التقنية والقدرة على اتخاذ قرار، بالرغم من تعقيد الواجهة التقنية وتضليلها أحياناً.

اعتمد الخطاب كذلك على «بلاغة الاختيار»، إذ تُنسب حرية القرار إلى المستخدم من خلال القول «يمكنه تشغيلها أو إيقافها»، وهو ما يُفرضي إلى تحميله مسؤولية تعرضه للانتهاك بدلاً من توجيه اللوم إلى الشركة. ويُذكر أن فوكو قد حلل مثل هذه الآليات ضمن مفهوم «حكوماتية الذات»، حيث يُمارس الضبط ليس من خلال القسر، بل عبر الإيهام بالحرية (Foucault, 1977, pp. 200-202). ويمكن توضيح علاقات السلطة مع وظائفها الأيديولوجية وأمثلتها اللغوية في هذا الجدول:

## الجدول 2

بنيات علاقات السلطة ودلالاتها في تصريح شركة غوغل [من إعداد الباحثة]

علاقة السلطة	الوظيفة الأيديولوجية	المثال اللغوي	الاستراتيجية البلاغية
هيمنة الخبرة المؤسسية	يغمض التعقيد	«ضوابط قوية»	الخطاب التكنوقراطي
يحافظ على عدم التماثل المعلوماتي	يحاكي الانفتاح	«أوصاف واضحة»	ادعاءات الشفافية
تحميل المسؤولية الفردية	ينقل المسؤولية	«يمكن للناس تشغيلها أو إيقافها»	بناء وكالة المستخدم
التطبيع التقني	يطبع المراقبة	«هذه الأدوات»	التأكيد الإجرائي

### 2.3 تصريح تويتير حول خطاب الكراهية: سرديات التقدّم والزمنية الأدائية

عبّرت شركة إكس، في خضم الانتقادات المتصاعدة حول خطاب الكراهية في منصّتها (أنظر: <https://short-url.org/1fqzy>)، بقولها: «لقد أحرزنا تقدماً في الحد من السلوك الكريه، لكن لا يزال هناك عمل ينبغي القيام به». وبالرغم مما يبدو من نبرة بناءة، يُخفي هذا التصريح خلفه استراتيجية خطابية قائمة على «الحد التعبيري الأدنى»، حيث تُوظف اعترافات جزئية ولغة إجرائية مؤجلة بغرض كسب القبول العام دون تقديم التزامات واضحة.



ابتدأت الشركة تصريحها بعبارة «لقد أحرزنا تقدماً»، مما يُظهر اعتماداً على «إطار زمني ذاتي التمجيد» يُسلط الضوء على الماضي بوصفه إنجازاً، دون إيراد أي معايير قابلة للقياس أو أدلة ملموسة. وقد أشار فيركلف إلى أن الفاعلين المؤسستين غالباً ما يلجؤون إلى «تعميمات تقويمية» لإضفاء طابع أخلاقي على أفعالهم، دون الالتزام بمستويات الإنجاز أو الشفافية (Fairclough, 1995, p. 91). ثم لجأ الخطاب إلى تركيب نحوي تنازعي يتمثل في حرف الاستدراك «لكن» الذي جاء ليفتح قوساً للاعتراف غير المُلزم: «لكن لا يزال هناك عمل ينبغي القيام به». وقد بيّن فان ليفن أن مثل هذه التراكيب تؤدي إلى «تحييد الفاعل» وتأجيل الفعل تحت ذريعة الحاجة إلى مزيد من الوقت أو الإجراءات (van Leeuwen, 2007, pp. 107-109). والملاحظ غياب أي فاعل يُنسب إليه القيام بهذا «العمل»، مما يُفضي إلى غموض في التوجيه وفقدان للمسؤولية المؤسسية. ويمكن توضيح استراتيجيات شركة إكس الحجاجية في هذا الجدول:

### الجدول 3

الآليات الخطابية لشركة إكس وآثارها ووظائفها التداولية [من إعداد الباحثة]

الآلية الخطابية	آثارها التداولية	وظيفتها التداولية
الثناء الزمني الذاتي	يُبرز الحد الأدنى من الإنجاز بوصفه نجاحاً	لقد أحرزنا تقدماً
التأجيل بالاعتراف المقيد	يُوجّل الإصلاح دون تحديد المسؤولين أو الأطر الزمنية	لكن لا يزال هناك عمل
تغيب الفاعل في المستقبل	يُخفي مَنْ يقع عليه عبء الفعل والمسؤولية	عمل ينبغي القيام به
التوازن النحوي بين الإيجاب والنقص	يُضفي مسحة من الشفافية الزائفة دون تغيير حقيقي	الجمع بين الإنجاز والقصور في صيغة واحدة

هكذا، أنتج الخطاب «وهمّاً بالمساءلة»؛ إذ لم يتطرق إلى الأسباب البنوية لاستمرار خطاب الكراهية، ولا إلى التناقضات القائمة بين السياسات المُعلنة والممارسات التطبيقية. وبهذا، أعاد إنتاج ما عدّه هابرماس «تشويهاً للفعل التواصلي» في ظل هيمنة الإجراءات البيروقراطية على متطلبات الشفافية (Habermas, 1984, pp. 265-267).

2.4 خطاب آبل حول الخصوصية: أيديولوجية الاختيار الليبرالية والأبوية التكنولوجية  
يكشف بيان آبل بشأن شفافية تتبع التطبيقات (أنظر: <https://short-url.org/1aOs>) عن موقف أيديولوجي متطور يحول الامتثال التنظيمي إلى خيار حر؛ إذ قال الإعلان: «نعتقد أن على المستخدمين أن يملكوا الخيار بشأن كيفية استخدام بياناتهم»، وهو ما يمكن اعتباره تعبيراً عن «أداء الأيديولوجيا الأخلاقية»، أكثر مما يبرز التزاماً تقنياً أو قانونياً فعلياً. وقد صيغ بطريقة تُبرز صورة أخلاقية مثالية دون أن تُقدّم وضوحاً في المسألة أو آليات تنفيذية ملموسة.

أُسْتُهْلَ التصريح بالفعل «نعتقد»، وهو فعل يُعبّر عن «المهادنة المعرفية» بدلاً من الالتزام الحازم. وقد أشار شيلتون إلى أن مثل هذه التراكيب تُستعمل في الخطاب السياسي والمؤسساتي لإضفاء طابع قيمى دون تقديم حجج موضوعية ملزمة (Chilton, 2004, p. 58). وهكذا، ظهر التصريح في صورة انحيازٍ إلى «مبدأ الاختيار» من دون ضمان تحقق فعلي له في تجربة المستخدم اليومية. ثم أُعلِيَ من قيمة «الاختيار»، بما يُظهر «تفديساً ليبرالياً زائفاً لفكرة الاستقلالية». إلا أن هذا الاختيار يبقى في الواقع محاطاً بتعقيدات تقنية قد تُقصي المستخدمين الذين لا يمتلكون خبرة رقمية كافية. وقد بيّن فان دايك أن الخطاب النخبوي غالباً ما يُرجع الإشكالات الهيكلية إلى مسؤولية الفرد، مما يُخفي الأطر البنوية غير العادلة (Van Dijk, 2006, pp. 378-381).

إضافة إلى ذلك، أُعتمد في صيغة «كيفية استخدام بياناتهم» على «التأسيّم»، مما يُحجّب الجهات الفعلية التي تستخدم البيانات، مثل الوسطاء والمعلنين وشركات البيانات. وقد صاغ فوكو هذا النمط من الخطاب ضمن مفهوم «مأسسة الرضا»، حيث تُستخدم «الاختيارات» لإخضاع الأفراد من خلال الإيحاء بالحرية لا التمكين (Foucault, 1980, pp. 134-138). ونوضّح الاستراتيجيات الخطابية في تصريح شركة آبل في هذا الجدول:

#### الجدول 4

الاستراتيجيات الخطابية في تصريح شركة آبل [من إعداد الباحثة]

الميزة الخطابية	أثرها البنوي	وظيفتها الأيديولوجية
المهادنة المعرفية «نعتقد»	تغطي غياب التفاصيل التطبيقية	توحي بالانحياز الأخلاقي دون التزام قانوني

الميزة الخطابية	أثرها البنوي	وظيفتها الأيديولوجية
تمجيد «الاختيار»	يخفي تعقيد الإعدادات التقنية ويحمّل الفرد مسؤولية القرار	يظهر استقلالية المستخدم بشكل مثالي
التأسيـم	يغيّب الفاعلين الحقيقيين والوسطاء	إخفاء المسؤولية
تغليب النبرة الأخلاقية على الدقة	يعزز صورة المؤسسة، ويضعف الالتزام السياسي أو الحقوقي	يستبدل الوقائع بمواقف معنوية

### خاتمة

يُفضي تحليل الخطابات المؤسسية الصادرة عن كبريات شركات التكنولوجيا في سياقات الأزمات إلى استخلاص حقيقة مفادها أن اللغة لا تُستعمل للتسويف فحسب، وإنما تُفعل كأداة لإعادة تشكيل العلاقة مع الجمهور عبر إعادة توزيع المسؤوليات وتحجيد مظاهر الفشل.

لقد أظهر الفحص النقدي لهذه الخطابات كيف تتقن هذه المؤسسات توظيف استراتيجيات لغوية تقوم على الغموض الاصطلاحي، والبنية النحوية المموّهة، والأفعال المشروطة أخلاقياً، والتأطير الزمني المتفائل، بما يسمح بإنتاج أثر تواصل يبدو شفافاً في ظاهره، لكنه يفتقر إلى الإلزام والمحاسبة.

تبيّن من خلال التحليل أن ما يُقدّم على أنه خطاب اعتراف أو انخراط في إصلاح ذاتي، ليس إلا شكلاً من أشكال التملص الرمزي، حيث تُعاد صياغة الحدث وتوجيه الانتباه بعيداً عن جوهر الأزمة نحو وعود مؤجلة أو قيم عامة غير قابلة للقياس. كما كشفت الدراسة عن عدم قيام آليات الإقناع في هذه الخطابات على الحجاج البرهاني أو الشفافية المعلوماتية، ولكن على استثمار الرصيد الرمزي للمؤسسة، واستحضار مقولات أخلاقية تحاكي الحس العام دون أن تُلزم البنية الفعلية بأي تغيير. ومن ثم، فإن الخطاب المؤسسي في مثل هذه السياقات لا يبرز اختيارات لغوية فحسب، وإنما يُجسّد رؤية مؤسسية للعالم، تُعيد إنتاج منطق الهيمنة عبر أدوات لغوية محسوبة. وهو

ما يدعو الباحثين إلى تطوير أدوات تحليلية أكثر حساسية لمثل هذه الآليات، والانتقال من تفكيك الظواهر الخطابية إلى مساءلة البنى المعرفية والسياسية التي تنتجها وتمنحها فعاليتها الرمزية.

## لائحة المراجع

### أولاً- المراجع باللغة العربية

- بكار، سعيد. (2021) «خطاب الحقيقة وحقيقة الخطاب: مقارنة نقدية للخطاب السياسي». مجلة دراسات، المجلد 10، العدد 2، صص. 191-211.
- بكار، سعيد. (2022) «الاستعارة في الخطاب السياسي: مقارنة معرفية». ضمن جعفر يايوش. كتاب جماعي. من قضايا اللسانيات المعرفية. الجزائر: ألفا للوثائق، 2021. صص. 29-86.
- عبد اللطيف، عماد وسعيد بكار. (2025) «سلطة الخطاب وخطاب السلطة»، مجلة عالم الفكر، العدد 195، صص. 129-162.
- قادا، عبد العالي. (2016) بلاغة الإقناع: دراسة نظرية وتطبيقية. عمان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- قادم، أحمد وكمال الزماني. (2022) الحجاج وشرعنة الخطاب السياسي. عمان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- لحويديق. عبد العزيز. (2015) نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية: من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون. عمان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

### ثانياً- المراجع باللغة الأجنبية

- Althusser, Louis. (1971) "Ideology and Ideological State Apparatuses (Notes Towards an Investigation)", In Louis Althusser. Lenin and Philosophy and Other Essays, Translated by Ben Brewster. New York and London, Monthly Review Press, 1971. pp. 142-7, 166-76.
- Chilton, Paul. (2004) Analyzing Political Discourse: Theory and Practice. London and New York, Routledge.
- Fairclough, Norman. (1992) Discourse and Social Change.



- Cambridge, Polity Press.
- Fairclough, Norman. (1995) *Critical Discourse Analysis: The Critical Study of Language*. New York, Longman.
  - Fairclough, Norman. (2003) *Analysing Discourse: Textual Analysis for Social Research*. London and New York, Routledge.
  - Foucault, Michel. (1977) *Discipline and Punish: The Birth of the Prison*. (Translated by Alan Sheridan). New York, Random House Vintage Books.
  - Foucault, Michel. (1980) *Power/Knowledge: Selected Interviews and Other Writings, 1972-1977*. (Translated by Clin Gordon et al). New York, Pantheon Books.
  - Habermas, Jürgen. (1984) *The Theory of Communicative Action: Reason and the Rationalization of Society*. Vol. 1. (Translated by Thomas McCarthy). Boston, Beacon Press.
  - Van Dijk, Teun. (1993) *Elite Discourse and Racism*. London, SAGE Publications.
  - Van Dijk, Teun. (1995) *Elite Discourse and the Reproduction of Racism*. London, SAGE Publications.
  - Van Dijk, Teun. (2006) "Discourse and Manipulation", *Discourse and Society*, 17(3), pp. 359–383.
  - Van Dijk, Teun. (2009) "Critical Discourse Studies: A Sociocognitive Approach", In Ruth Wodak & Michael Meyer. Eds. *Methods of Critical Discourse Analysis*. Second Edition. London: SAGE Publications. Pp. 62-86.
  - Van Leeuwen, Theo. (2008) *Discourse and Practice: New Tools for Critical Discourse Analysis*. New York, Oxford University Press.
  - Wodak, Ruth & Michael Meyer. (2009) "Critical Discourse Analysis: History, Theory, Agenda, and Methodology». In Ruth

- Wodak and Michael Meyer. Eds. *Methods of Critical Discourse Analysis*. Second Edition. London, SAGE Publications. Pp. 1-33.
- Wodak, Ruth. (2001) "The Discourse-Historical Approach", In Ruth Wodak & Michael Meyer. Eds. *Methods of Critical Discourse Analysis*. London. Thousand Oaks. New Delhi, SAGE Publications. pp. 63-94.



# تدريسُ الوعي النقدي باللغة

## الماهية والأسس والمبادئ والغايات

عبد الوهاب القشقوري

مدرس لغة عربية بثانوية ابن الهيثم التأهيلية بإمناوت- المغرب

abdelwahabelkachkouri@gmail.com

[https://https://orcid.org/0009-0003-5929-7662](https://orcid.org/0009-0003-5929-7662)

### الملخص

سعت هذه المقالة إلى تسليط الضوء على تدريس الوعي النقدي باللغة من حيث تعريفه، والأسس والمبادئ التي يركز عليها، والغايات المتوخاة من تدريسه في الفصول الدراسية. وتهدف إلى ترسيخ ثقافة تدريس اللغة وفق منظور جديد يقوم على الانتقال من تدريس الوعي اللغوي، حيث التركيز على تمكين الطلاب من ممارسة اللغة ممارسةً سليمةً من الأخطاء، إلى تدريس الوعي النقدي بها في الحقل التربوي العربي خاصة، من خلال كشف علاقتها بالسلطة ودورها في تكريس مظاهر سلبية في المجتمع. علاوة على فحص مدى قدرة هذا التوجه على إحداث تحول إيجابي في تعليم اللغة وتعلمها عبر إيجاد حلول لمشكلات القراءة، والفهم، والتحليل، وتعليم الفكر النقدي بدل التسليم بالحقائق، وشحذ الأذهان بدل الإهمال والتراخي والميل إلى سلوكيات تنتهي بوضع المتعلم خارج أسوار المدرسة، أو ضحية لممارسات لغوية تتحكم فيه دون أن يعي ذلك.

الكلمات المفتاحية: التدريس، الوعي اللغوي، الوعي النقدي باللغة، اللسانيات النقدية، التحليل النقدي للخطاب.



# TEACHING CRITICAL LANGUAGE AWARENESS

## ESSENCE, FOUNDATIONS AND PRINCIPLES, ENDS

Adelwahab Elkachkouri

Arabic language teacher at Ibn Al-Haytham Secondary school in imintanoute, Morocco  
adelwahabelkachkouri@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0003-5929-7662>

### ABSTRACT

This article seeks to shed light on the teaching of *critical language awareness* in terms of its definition, the foundations and principles on which it rests, and the goals intended from its application in the classroom. It aims to establish a culture of language teaching from a new perspective that shifts from teaching *linguistic awareness*—with its emphasis on enabling students to use language correctly and free of errors—towards teaching *critical awareness* of language, particularly in the Arab educational context. This is done by uncovering the relationship between language and power, and by examining its role in perpetuating negative phenomena in society. The article further explores the extent to which this approach can bring about a positive transformation in language teaching and learning, by offering solutions to problems of reading, comprehension, and analysis, and by fostering critical thinking rather than mere acceptance of facts. Its purpose is to sharpen the intellect instead of reinforcing neglect, passivity, or behaviors that ultimately lead learners to drop out of school or fall victim to linguistic practices that control them without their awareness.

**Keywords:** teaching, linguistic awareness, critical language awareness, critical linguistics, critical discourse analysis

## مقدمة

«في البدء» خلق الله آدم، ثم علّمه الأسماء، أو علّمه كيف يسمي الأشياء كطريقة للتفاعل معها وإدراك وظيفتها في الحياة. ويغض النظر عن الفارق الجوهرى بين القدرتين، إلا أن ما ينبغي استخلاصه هو أن آدم مُنح قدرة لا تنفصل عن أساس وجوده؛ فهي وعاء فكره، ومستودع أسراره الواعية واللاواعية، ووسيط إدراكي لما حوله من أشياء، وسلطة يضفي بها الشرعية على الكثير من الممارسات الإيجابية أو السلبية في علاقته بالآخر، إلى غير ذلك.

لكل ذلك وغيره، شكلت اللغة للإنسان، على مدار العصور من اللحظة التي استطاع فيها أن يتعامل معها كموضوع خارج عن ذاته، لغزا عصيا على الفهم الشامل والنهائي؛ فقد بحث الفلاسفة واللغويون وغيرهم في جوانبها المتعددة تبعا لاختلاف منطلقاتهم الفكرية، وأهدافهم، ومناهجهم، والوسائل المتاحة لديهم. وليس هنالك -في تقديرنا- من تفسير لهذا الشغف من البحث سوى أنه يقدم بإخلاص، صورة عن الكيفية التي تصبح فيها اللغة مستودع الألغاز والأسرار والحقائق، وكيف تمنح الباحث شغفا للتفكير والبحث في أكثر مناطقها سرية بهدف الوعي بها كتابة، وخطابا، وتعلّما، وغير ذلك.

تسعى هذه المقالة إلى تسليط الضوء على «تدريس الوعي النقدي باللغة» من حيث ماهيته، ونعني بذلك أن المقالة ستقدم تعريفا لما يسمى بالوعي النقدي باللغة، ثم ستقف عند الأسس والمبادئ التي يركز عليها، والغايات المتوخاة من تدريسه للطلاب سواء في المدارس أو الجامعات، وذلك بهدف ترسيخ ثقافة تدريس اللغة وفق منظور جديد يركز على الوعي النقدي بها في الفصول الدراسية، خاصة في الحقل التربوي العربي. إضافة إلى فحص مدى قدرة هذا التوجه على إحداث تحول إيجابي في تعليم اللغة وتعلّمها عبر إيجاد حلول لمشكلات القراءة، والفهم، والتحليل، وتعليم الفكر النقدي بدلا من التسليم بالحقائق، وشحذ الأذهان بدلا من الإهمال والتراخي والميل إلى سلوكيات تنتهي بوضع المتعلم خارج أسوار المدرسة حيث يصبح عالمة على نفسه والمجتمع، أو ضحية لممارسات لغوية تتحكم فيه دون أن يعي ذلك.

يستمد هذا الموضوع مشروعيته من كون الدراسات التي تناولته نظيرًا وتطبيقًا تبقى، في أغلبها، حبيسة اللغة الإنجليزية. وغيابها اللافت، في حدود اطلاعنا، عن الحقل التربوي العربي مدعاة إلى تخصيص حيز لها في هذه المقالة التي سنتناول فيها هذا الموضوع من جانب وصفي في أفق الإفادة منه في البحوث التطبيقية مستقبلا.

## 1. من تدريس الوعي اللغوي إلى تدريس الوعي النقدي باللغة

بداية، يتجاوز مفهوم التدريس مفاهيم مثل: «التلقين» و«الشحن بالمعلومات»، إلى اعتباره عملية تيسير وتنظيم لوضعيات التعلم بما يراعي جملة من الجوانب التي تتفاعل في هذه العملية مثل الجانب النفسي، والاجتماعي والتربوي. وهذا بالضبط، ما عبّر عنه في دفاتر التربية والتكوين إذ جاء فيها: «التدريس تنظيم وضعيات التعلم، وليس مجرد تلقين للمعارف. ويتعين أن يأخذ هذا التنظيم بعين الاعتبار الأبعاد التربوية والنفسية والاجتماعية التي تتفاعل داخل عملية التعليم والتعلم. بمقتضى ذلك، يكون المدرس مطالباً باقتراح مجموعة من الوضعيات على المتعلمين، تحفزهم على القيام بأنشطة ذهنية تسمح لهم بإدماج المعارف والمكتسبات داخل أطر التفكير الموجودة لديهم، وهو ما دعاه بياجي بعملية: «التكيف» و«الاستيعاب» اللتين تمكّنان من اكتساب الكفايات والمعارف» (دفاتر التربية والتكوين، 2018، ص. 104).

يبدو أن التفكير في دراسة اللغة كان يوازيه دوماً التفكير في تعليمها للناشئة باعتبارها وسيلة لتمير القيم والحاملة للثقافة والهوية إلى غير ذلك. هذا التوازي يتجسد في كون الكثير من الدراسات اللغوية شكلت إطاراً نظرياً لمقاربات بيداغوجية تربوية لتعليم اللغة سواء بالتركيز على تعليم القواعد أو التخلي عنها لصالح جوانب أخرى تيسر سبل تعلمها وتعليمها. غير أن اللافت للانتباه في تعليمها في الفصول الدراسية في الحقل التربوي العربي هو إغفال جانب أساسي مرتبط بعلاقة اللغة بالمجتمع والسلطة وتكريس كل ما هو سلبي مثل اللامساواة، والتمييز العنصري، وتسويغ الحروب، وإضفاء الشرعية على جملة من الممارسات السلبية في شتى المجالات، وقس على هذا.

بهذا المعنى تتوجه هذه الدراسة إلى إثارة الاهتمام بالمنسي في تعليم اللغة في الحقل التربوي العربي. وفي معنى آخر، فإن الهدف هو الانتقال من تدريس «الوعي اللغوي» السائد في الفصول الدراسية، إلى تدريس «الوعي النقدي باللغة» بوصفه توجهاً غائباً ينبغي الاهتمام به.

### 1.1 تدريس الوعي اللغوي أو الوعي باللغة

نقصد بتدريس الوعي اللغوي في هذه المقالة مجموع المعارف التي نتلقاها عن اللغة المتعلقة أساساً، بمستوياتها مثل: التركيب، والمعجم، والصرف، والنحو، والدلالة التي تمكن من استعمالها بشكل سليم في أثناء الكلام أو الكتابة، دون أن يتعدى ذلك الكشف عن

علاقتها بالمجتمع أو السلطة، وما يترتب عن استعمالها، بكيفية معينة، من اضطهاد وظلم للآخر ومحاربتة، وسلب حقوقه. وقد قالت، في هذا السياق، سعاد جابر محمود: «استخدمت تعاريف ومصطلحات متعددة لتعريف الوعي اللغوي منها: فهم، ومعرفة، وحساسية، وحسن إدراك، وتفكير، إلا أن هذه المفردات قد تقصر عن وصف مضمون الوعي كما ينبغي أن يكون، لذا يمكن تعريف الوعي اللغوي بأنه القدرة على تحديد الأخطاء اللغوية في النصوص المكتوبة والمسموعة وتصحيحها، والكتابة السليمة والنطق اللغوي الصحيح وفق أنظمة اللغة العربية الصرفية، والصوتية، والنحوية، والدلالية» (جابر، 2012، ص. 319).

يستفاد من هذا التعريف أن المعلم لن يكون قادراً على تحديد الأخطاء فيما ينتجه طلبته من كلام مكتوب أو شفهي، ما لم يكن، هو الآخر، عارفاً بأنظمة اللغة أو مكونات الوعي اللغوي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والنصية، بيد أن الوعي بهذه المستويات يتوجه دائماً للبحث في سلامة المنطوق أو المكتوب، وهو بالضبط، ما يجعله حبيس ثنائية الصحة والخطأ في استعمال اللغة، سواء من جهة من يعلمها أو يتعلمها. وفي معنى آخر، السائد في تدريس اللغة هو ما اصطلحنا عليه «تدريس الوعي اللغوي»، أما «تدريس الوعي النقدي» بها، حيث يستفيد المتعلم من وعيه اللغوي للكشف عن علاقة اللغة بالسلطة والهيمنة وغيرها يبقى غائباً وهامشياً في أفضل حالاته.

يعزز رأينا ما جاءت به الباحثة كاترين والاس (Wallace Catherine) بشأن انتشار الوعي اللغوي، إذ قالت: «بدأ مصطلح الوعي اللغوي بالانتشار بين مدرّسي اللغات الحديثة، وبدرجة أقل بين مدرسي اللغة الأم (الإنجليزية)، في أواخر سبعينيات القرن العشرين. وتجسد هذا الاهتمام في مواد تعليمية منشورة مثل تلك التي صممها هوكينز (Hawkin, 1984)، [...] غير أن الأهداف الأساسية لعمل الوعي اللغوي التقليدي ووجهت بتحديات في سلسلة أوراق بحثية بعنوان الوعي اللغوي النقدي (Clark et al., 1990; 1991) حيث زعمت هذه الأبحاث أن الوعي اللغوي التقليدي يتعامل مع الاستعمالات اللغوية بسداجة، وينظر إلى الظواهر اللغوية نظرة شاملة وعامة. لذا على الرغم من تناول قضايا التنوع الاجتماعي، إلا أن هناك إهمالاً شبه كامل للاعتبارات الاجتماعية التي تجعل صنفاً لغوياً أو استخداماً ما يبدو أكثر ملاءمة من غيره لأغراض معينة. والأهم وفقاً لهذا النقد كان غياب أي تحليل لمسألة السلطة: كيف تسهم علاقات السلطة في تشكيل التواضعات اللغوية، وكيف يعاد إحداثها باستمرار في الخطاب اليومي» (Wallace, 1998, pp. 10-11).

ما ذهبت إليه كاترين أوثه نورمان فيركلف (Norman Fairclough) في كتابه الوعي النقدي باللغة (Critical Language Awareness)؛ إذ أشار في مقدمة الكتاب إلى أن الكتاب «يساهم في النقاش الدائر حول دور «الوعي اللغوي» في تعليم اللغة وطبيعته، لكن فصول الكتاب وإن كانت تتفق مع التأييد الواسع الذي حظي به الوعي اللغوي في السنوات الأخيرة، فهي تتفق أيضاً، مع الرأي القائل بأن برامج الوعي اللغوي كانت حتى الآن غير نقدية بالقدر الكافي، أي أنها لم تول اهتماماً للجوانب الاجتماعية المهمة للغة، خاصة جوانب العلاقة بين اللغة والسلطة التي ينبغي الكشف عنها وتعريفها في تعليم اللغة» (Fairclough, 2013, p. 1).

يستحضر فيركلف الثمانينيات باعتبارها السياق التاريخي لتبلور مصطلح الوعي اللغوي حيث «استخدم للإشارة تحديداً إلى الدعوة التي قامت بها فئة من معلمي اللغة، والتربويين، واللغويين التطبيقين لإدراج عنصر جديد للوعي اللغوي في المناهج الدراسية، في نهاية المرحلة الابتدائية أو في السنوات الأولى من المرحلة الثانوية» (Ibid). يعاب إذاً، على تعليم اللغة في هذه المرحلة غياب الجانب النقدي بالقدر الكافي، لذلك كان على الباحثين، ومنهم فيركلف ومن معه خصيصاً، أن يضيفوا لهذه الممارسة وعياً نقدياً ليس بغرض تجميل تدريس تعليم اللغة، وإنما لكونه حقاً من حقوق المتعلم ما دام الخطاب التربوي، هو الآخر، لا يخلو من تضليل واستغلال إلى جانب الكثير من الخطابات.

## 1.2 تدريس الوعي النقدي باللغة

إذا كان الغالب على تدريس اللغة التركيز على تمكين المتعلم من «الوعي اللغوي» أو تمكنه منه، أي العلم بمستويات اللغة بما يضمن صحة استعمالها كتابة أو في سياق تلفظي معين، فإن تدريس الوعي النقدي بها يستمد وجوده من هذا الوعي؛ ومعنى ذلك أنه من دون الوعي اللغوي لا يمكن ترسيخ ثقافة التساؤل وممارسة التحقيق في تلك الاختيارات اللغوية التي يستعملها المتكلم في خطابه أو نصه سواء أكان سياسياً، أم تربوياً، أم حقوقياً، أم غير ذلك.

هذا النوع من التحقيق والشك في استعمال اللغة لتكريس السلطة بمختلف تجلياتها، هو ما نعتبره العنصر الجديد الذي أرادت المجموعة أن تضيفه إلى الوعي اللغوي في تعليم اللغة؛ فاللغة قد تكون بريئة قبل أن تستعمل، لكن استعمال الناس لها، بغض النظر عن صفتها، قد ينزع عنها البراءة ويجعلها مطية لتمرير كل ما هو سلبي.

من ثم علينا -بحسب فيركلف ووالاس- أن نتجاوز في تعليمنا للغة منطق الوعي

اللغوي التقليدي، والأخذ بعين الاعتبار الجوانب الخفية في الاختيارات اللغوية لمستعملها. لا يكفي أن يتعلم المتعلم قواعد اللغة ويعيد إنتاجها بمنطق سليم يتفوق فيه على اللحن في الكلام، أو التعثر في كتابة الكلمات والنصوص. هناك شيء لا بد من إضافته يرتبط بتعليم الوعي النقدي بها.

ستتضح هذه الفكرة أكثر عندما نتناول الأسس والمبادئ التي يقوم عليها الوعي النقدي باللغة، وكذلك عند تناول الأهداف المتوخاة من تدريسه للمتعلمين في المدرسة أو الجامعة. وقبل أن نستعرض ما تبقى من المحاور، يبدو أن فيركلف قد بين الفرق بين الوعي اللغوي والوعي النقدي باللغة من خلال انتقاداته لحركة الوعي اللغوي (Awareness Language)، ومن هذه الانتقادات:

- تعتقد هذه الحركة أن المدارس يمكنها تعويض تأثير الطبقة الاجتماعية وتكافؤ رأس المال الثقافي (بورديو 1984)، والحركة تبالغ في قدرة المدارس على الهندسة الاجتماعية، لأن النظام الطبقي يتجدد في مجالات متعددة (ليس في التعليم فحسب).
- غياب النقد الضمني: لا تعترف أعمال حركة الوعي اللغوي بأن نقل الممارسات المرموقة (مثل الإنجليزية المعيارية)، دون تطوير وعي نقدي، يعني شرعيتها ضمناً مع التوزيع غير المتكافئ للرأس المال الثقافي.
- تجميل اللامساواة: الإنجليزية المعيارية ملائمة في المواقف ذات النفوذ الاجتماعية، بينما اللهجات الأخرى ملائمة في الهوامش (Fairclough, 2013, pp. 14-15).

## 2. أسس تدريس الوعي النقدي باللغة

### 2.1 التحليل النقدي للخطاب

يقوم تدريس الوعي النقدي باللغة في الفصول الدراسية على التحليل النقدي للخطاب (Analysis Discourse Critical)، ولأهمية هذا البرنامج سنقف عند تعريفه، وموضوعه، ومقارباته باختصار من خلال التركيز على ما جاء به سعيد بكار في مقالته «التحليل النقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته».

أولاً؛ تعريف التحليل النقدي للخطاب: «هو برنامج بحث متعدد التخصصات ذو توجه مشكلاتي يضم مجموعة من المقاربات التي تسعى إلى كشف العلاقات

بين استعمال اللغة والبنىات الاجتماعية التي يجري فيها هذا الاستعمال، ومن ثم النظر في طبيعة هذا الاستعمال هل هو مكرس لعلاقات سلطة غير متساوية، وإذا كان كذلك فيجب معالجة هذا الخطأ الاجتماعي في مظاهره الخطابية والسعي إلى تصحيحه أو التخفيف منه» (بكار، 2021، ص. 450).

قدم بكار هذا التعريف من خلال المزج بين تصور فيركلف القائم على اعتبار هذا البرنامج «حركة بحث يبتخصيصية ذات توجه مشكلاتي تتضمن مقاربات مختلفة، لكل مقارنة نماذج نظرية مختلفة ومناهج بحث مختلفة وأجندات مختلفة»، وتعريف فان ليفن الذي يرى «أن هذا البرنامج تأسس على تبصر مفاده أن النص والحديث يؤيدان دورا أساسيا في الحفاظ على اللامساواة والظلم والاضطهاد في المجتمع وإضفاء الشرعية عليها. ويوظف تحليل الخطاب من أجل إظهار كيفية حدوث ذلك، والسعي إلى نشر الوعي بهذا المظهر في استعمال اللغة في المجتمع، والدعوة إلى التغيير (نفسه).

ثانيا؛ موضوعه: يستشف من خلال التعريف السابق أن موضوع هذا البرنامج هو الخطاب في مختلف تمظهراته، فالخطاب سواء كان ذا بعد اجتماعي، أو اقتصادي، أو سياسي، أو تربوي، أو حقوقي، أو أدبي، أو غير ذلك يمكن أن يكون موضوع هذا البرنامج. إلا أن بكار لاحظ تركيزه على المواضيع الثلاثة الأولى دون أن ينفي تناوله لباقي الخطابات المذكورة سلفا (نفسه، ص. 451).

ثالثا؛ مقارباته: تتوقف عند مقاربات التحليل النقدي للخطاب باعتبارها الحاضن الأساس للأسس التي يستمدتها تدريس الوعي النقدي باللغة منها، أما فيما يخص هذه المقاربات، فيرى بكار «أن المقاربات الأساسية للتحليل النقدي للخطاب هي ثلاث مقاربات: جدلية فيركلف، وتاريخية فوداك، ومعرفية -اجتماعية فون دايك. وأن ما تبقى من مقاربات هي -نوعا ما- استجابة لبعض المشكلات وأوجه النقص التي تعانيها المقاربات الأساسية الثلاث» (نفسه، ص. 452).

أ - جدلية فيركلف: تتسم هذه المقاربة بتبلورها عبر مراحل يمثل كل مرحلة كتاب من كتب فيركلف، إذ يمثل كتاب اللغة والسلطة (1989) المرحلة الأولى، بينما يمثل كتاب الخطاب والتغير الاجتماعي (1992) المرحلة الثانية، في حين يمثل المرحلة الثالثة كتابه المشترك مع إيزابيلا فيركلف تحليل الخطاب السياسي: منهج لطلبة الدراسات العليا سنة (2012).

تمنحنا المقاربة جملة من المفاهيم التي تقوم عليها الدراسات النقدية للخطاب، وهي التي تشكل بعضا من مبادئ تدريس الوعي النقدي باللغة. من هذه المفاهيم: النقد، والتفسير، والفعل السياسي. ويرى فيركلف فيما أورد بكار أن التفسير هو الجسر الرابط بين النقد والفعل السياسي. ويقصد بالتفسير إبراز العلاقات السببية والجدلية بين الخطاب والعناصر الأخرى المشكلة للحياة الاجتماعية (نفسه، ص. 453).

في سياق متصل يتعلق بالمبادئ، ركّز رومي كلارك (Clark Romy) في مقال له بعنوان «مبادئ الوعي النقدي باللغة وممارساته في الفصل الدراسي» على مفاهيم مثل: الوعي، والتغيير، والتمكين، والتحرير. وهي جملة من الأهداف التي يسعى إليها هذا النموذج من تدريس اللغة، إذ قال في هذا الصدد: «أخيرا، يجب أن يمكن الوعي النقدي باللغة مستخدمي اللغة من تنمية وعيهم (معرفتهم)، كما يجب أن يساعدهم على التحرر من خلال منحهم فرصة تحدي الأعراف القائمة والحق في تقديم بدائل للمساهمة في تشكيل أعراف جديدة» (Clark, 1992, pp. 124-125).

لا يتسع المقام لذكر جميع المفاهيم التي تقوم عليها مقاربة فيركلف كمفهوم نظام الخطاب، والبيخطابية، ومعالجته المختلفة لهذه المفاهيم في المرحلة الثالثة، بيد أن الأساس هو أن هذه المراحل الثلاث تكمل بعضها بعضا، وأن المقاربة تقوم على الجمع بين ثلاثة تقاليد تحليلية تتمثل في: «نظرية السلطة» القائمة على مفهوم الهيمنة عند غرامشي، و«نظرية الممارسة الخطابية» القائمة على مفهومي التناص والبيخطابية، و«النظرية اللسانية» القائمة على النحو الوظيفي النسقي لمايكل هاليداي. كما يُعدُّ فيركلف من خلال هذا التصور كلِّ مثال من أمثلة استخدام اللغة حدثا تواصليا يتكون من ثلاثة أبعاد: «بعد النص» (الكلام، الكتابة، والصورة البصرية، أو مزيج بينها)، و«بعد الممارسة الخطابية» (إنتاج النص واستهلاكه)، و«بعد الممارسة الاجتماعية» (الهيمنة، أو إعادة الإنتاج، أو التغيير). ويرى أنه ينبغي التطرق لكل بعد من الأبعاد الثلاثة في تحليل حدث اتصالي ما (بكار، 2021، صص. 455-456).

ويقليل من المقارنة بين ما نقدمه داخل الفصول الدراسية، وما يدعو له فيركلف في تحليل حدث اتصالي ما، يتضح مدى تركيزنا، في ممارسة تعليم اللغة، على بعد النص من خلال تفكيك مكوناته للتعرف على القواعد، أو جعله مدخلا للاستماع لتطوير الجانب التواصلي، في حين يغيب بعد الممارسة الاجتماعية داخل هذه الفصول، مما يعني أن تعليم اللغة يغيب فيه تعليم الوعي النقدي بها. ولنرى هذا بالملاموس ما علينا

إلا أن نذهب إلى منهجية تدريس علوم اللغة كما جاءت في التوجيهات التربوية (نونبر 2007).

تقول التوجيهات: «تقوم منهجية علوم اللغة على خطوات وعناصر واصفة للنشاط التربوي الهادف إلى قراءة النصوص وتحليلها لغويا في ضوء علوم اللغة وقواعدها ومبادئها من أجل خدمة الأهداف الرامية إلى تنمية الحس الجمالي والتذوق الفني لدى التلاميذ، وصقل قدراتهم التعبيرية نطقا وكتابة» (التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي، 2007، ص. 18).

يبدو أن المنهجية تقف عند الوصف ولا تروم التفسير؛ فالهدف الأسمى - كما هو معلن في الأخير- يرتبط بصقل قدرات المتعلمين التعبيرية نطقا وكتابة، وهذا ما ينسجم مع الخطوات الأربع المقترحة التي تقوم عليها هذه المنهجية:

أولاً؛ قراءة النص الرئيس أو المساعد أو اللغوي قراءة فاحصة.

ثانياً؛ وصف الظاهرة اللغوية المدروسة وتحليلها لاستنباط المبادئ أو القواعد أو إنجاز تطبيقات على الظاهرة المدروسة قصد ترسيخها والوقوف على حدودها، وتوظيفها في إنتاجات شخصية.

ثالثاً؛ إنجاز تطبيقات على الظاهرة المدروسة قصد ترسيخها والوقوف على حدودها، وتوظيفها في إنتاجات شخصية.

رابعاً؛ استثمار معطيات درس علوم اللغة أثناء القراءة المنهجية وفي درس التعبير والإنشاء.

يتبين من خلال الخطوات الأربع غياب ما يفيد أن المنهجية تضع من بين أهدافها البحث في علاقة اللغة بالمجتمع والسلطة، بقدر ما تقف عند خدمة التعبير الكتابي والشفهي لدى المتعلمين من خلال جعل مكون علوم اللغة وظيفيا لخدمة هذين الغرضين.

ب- تاريخية روث فوداك وزملائها: أشار بكار إلى تبلور هذه المقاربة مع روث فوداك ومارتن رايزغل، وخضوعها لتطورات وتغيرات عبر أربع مراحل تبرز اهتمامات مختلفة مثل: دراسة الصور النمطية المعادية للسامية في النمسا مع تبلور الملامح الأساسية للمقاربة في كتاب فوداك وزملائها البناء الخطابي للهوية الوطنية في المرحلة الأولى، ووضع منهجية المقاربة التاريخية للخطاب في المرحلة الثانية، وتأسيس «مركز بحث الخطاب والسياسة والهوية» الذي نقل الاهتمام من الحس الوطني الضيق إلى الدولي

الواسع في المرحلة الثالثة. والتركيز على دستور الاتحاد الأوروبي، وخطابات الإدماج والتمييز والهجرة فيه في المرحلة الرابعة.

أما الجانب المنهجي فذكر بكار أنها تطرح منهجية تتكون من ثماني خطوات تبدأ بالاطلاع على المعرفة السابقة المنتجة حول الموضوع قيد الدراسة، مروراً بجمع المعطيات والبيانات المتعلقة بالموضوع في مختلف الأجناس الخطابية، وتحديد البيانات التي ستحلل، وإعادة كتابتها إن كانت منطوقة، وصياغة سؤال البحث وفرضياته انطلاقاً من قراءة الباحث للمعطيات السابقة إلى أن تنتهي في الخطوة الثامنة بتطبيق نتائج التحليل متى كان ذلك ممكناً» (أنظر لمزيد من التفصيل: بكار 2021، صص. 458-462).

ج- المقاربة المعرفية الاجتماعية: عُرف فان دايك بمساره المعرفي الأكاديمي المتحول حيث انتقلت اهتماماته من مجال لآخر. يظهر ذلك في انتقاله من نحو النص إلى التحليل النقدي للخطاب. وهو تحول ينسجم مع تحوله من المركزية المعرفية الغربية ونقدها إلى نوع من الانحياز إلى الهامش الثقافي المرتبط بالعالم الثالث، خاصة بعد زيارته للمكسيك التي شكلت مرحلة اهتمامه بالعنصرية في الخطاب. قال عماد عبد اللطيف في مقدمة مراجعته لترجمة كتاب الخطاب والسلطة: «في سيرته الأكاديمية من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي يكشف فان دايك عن التحولات التي وسمت حياته الأكاديمية المهنية مستخدماً في عنوانه سيرته تركيباً لغوياً يفيد التحول في ذاته هو: من (كذا).. إلى (كذا)» (فان دايك، 2014، ص. 7).

يذهب بكار إلى أن فان دايك يبدو في مرحلة علم النص متأثراً بالنحو التوليدي من خلال سعيه لبناء نحو للنصوص الأدبية، وبالضبط الشعر السريالي، كما اشتغل مع والتر كيتش في المرحلة الثانية؛ إذ انتبها إلى أن المعالجة الفعلية للنص تختلف عن التحليل الشكلي والبنوي للنص (بكار، 2021، ص. 465). وسيقتل إلى التحليل النقدي للخطاب في بداية التسعينات حين اهتم بالسلطة الاجتماعية، أي كيف تمارس المجتمعات القوية الهيمنة والشطط في ممارسة السلطة على المجتمعات الأضعف، وكيف تكرر بذلك جملة من الممارسات السلبية عبر الخطاب مثل اللامساواة.

هكذا بدا لفان دايك أن على التحليل النقدي للخطاب أن يرتدي قبعة نقدية ليقف في وجه الاضطهاد والاستغلال وأشكاله المتحورة. ويذكر بكار أن اشتغاله مع والتر كيتش في علم نفس معالجة النص جعل ينتبه إلى الرابط المفقود بين البنيات الاجتماعية والبنيات

الخطابية سماه «البنيات المعرفية». ويعود ذلك إلى افتراضه أن التحليل النقدي للخطاب يفشل في تحديد كيفية سنّ بنيات اجتماعية وإضفاء الشرعية عليها أو تأكيدها أو تحديدها من خلال النص والحديث. وسيهتم تبعا لذلك بثلاثة مفاهيم هي الأيديولوجيا، والسياق، والمعرفة (بكار، 2021، ص. 465).

بعد هذا العرض الموجز للتحليل النقدي للخطاب باعتباره الأساس الذي يقوم عليه تدريس الوعي النقدي باللغة، ويستمد منه مفاهيمه وآلياته، هناك جملة من المبادئ نسعى إلى تقديمها باعتبارها توضح رؤية هذا التوجه في كيفية تعليم الوعي النقدي باللغة.

### 3. مبادئ الوعي النقدي باللغة

لا يمكن لهذا النموذج في تعليم اللغة أن يكون له معنى ما لم يضع في اهتمامه مركزية المتعلم من خلال اهتمامه بما يمتلكه من معارف مسبقة، لذلك يرى فيركلف أن الوعي النقدي باللغة يقوم على مبادئ منها:

1- الوعي اللغوي يؤثر في القدرات اللغوية، لكنه لا يهتم ببناء روابط صريحة بين تنمية الوعي وتطوير القدرات: فعمليات الوعي اللغوي معزولة عن الأجزاء الأخرى من التعليم اللغوي كعنصر منفصل في المنهاج. على النقيض من ذلك، يشكل التكامل بين الوعي اللغوي وتطوير الممارسة والقدرات موضوعا مركزيا في المنهج النقدي.

2- يبنى الوعي النقدي من خبرات المتعلم وقدراته الموجودة.

3- يمكن للمعلم مساعدة المتعلم على جعل خبراته (مثل الشعور بالقيود) صريحة ومنظمة كمجموعة من المعارف القابلة للنقاش والتأمل بحيث يمكن استكشاف الجوانب الاجتماعية الكامنة وراءها.

4- يجب الربط المستمر بين العمل على تطوير الوعي النقدي والممارسة اللغوية الفعلية.

5- يجب أن تكون الممارسة هادفة مرتبطة برغبات المتعلم واحتياجاته الحقيقية للتواصل مع أشخاص حقيقيين محددين، لأنها الطريقة الوحيدة لتجربة أخطار ومنافع القرارات اللغوية.

6- هذا الربط للرغبات مع الوعي النقدي يوسع نطاق القرارات ليشمل قرارات حول ما إذا كان يتوجب رفض الممارسات الاجتماعية اللغوية المتعاقد حولها أو تحديدها أو اتباعها» (Fairclough, 2013, p. 17).

يترتب، إذا، على هذه المبادئ الكثير من الغايات والأهداف التي من أجلها نسعى إلى دمج هذا التوجه في الفصول الدراسية سواء الابتدائية أو الثانوية أو الجامعية وربما استفادت منه مجالات أخرى غير تربوية مثل القانون، والطب، وغير ذلك.

#### 4. تدريس الوعي النقدي باللغة: الغايات والأهداف

أوصى المحللون النقديون بتعليم الوعي النقدي باللغة للمتعلمين واعتبروه حقا من حقوقهم؛ ما دام المناخ العالمي السائد هو الميل إلى التضليل والهيمنة والتحكم وممارسة السلطة لخدمة أيديولوجيات ضيقة. والمدرسة أو الجامعة ليست بعيدة عن المجتمع، فإذا كان هذا الأخير هو العالم الكبير، فيمكن اعتبار المدرسة والجامعة عالمين مُصغرين يختزلانه في بنياته وعلاقاته. وكل ما يمكن تمريره من ممارسات سلبية في المجتمع يمكن أيضا، تمريره ضمن هذين الواسطين. ومن هنا كان من الضروري أن يتعلم المتعلمون هذا التوجه في تعلم اللغة لأسباب كثيرة نذكر من بينها:

أولاً؛ تعليم الوعي النقدي باللغة حق للمتعلم: عدَّ فيركلف في كتاب الوعي النقدي باللغة «تعليم الوعي النقدي باللغة» حقا من حقوق المتعلم متجاوزا فكرة الحق في تقارير كوكس وكينجمان التي تتبنى رؤية غير نقدية للوعي اللغوي مثل التركيز على القواعد النحوية أو الثقافة دون تحليل نقدي. وقال: «أستمد فكرة الحق في تعليم اللغة من تقارير كينجمان وكوكس. أعتقد أن هذا الحق أكثر أهمية من الحق الذي يسلطان الضوء عليه، أي حق الأطفال في تعلم اللغة الإنجليزية المعيارية في المدارس» (Fairclough, 2013, p. 28).

ثانياً؛ تعليم الوعي النقدي استجابة لعالم متغير باستمرار: يتغير عالمنا بشكل متسارع، خاصة مع تطور التكنولوجيا، وبرز الذكاء الاصطناعي كوافد جديد بما يحمله من منافع ومخاطر. كما تسود التفاهة، ويكثر التطرف، والاستغلال، والتضليل، وتراجع منظومة القيم لصالح قيم أخرى لا تنسجم وثقافة الكثير من المجتمعات. وفي ظل هذا المناخ المتغير «وفي غياب التفكير النقدي لدى الطلاب، يمكن للجماعات القائدة (متطرفة، سياسية...) تشكيل أفكارها وفقا لأساليبها، لكن بفضل مهارات التحليل النقدي يصبحون على وعي بالمعنى الخفي داخل أنواع النصوص المختلفة. كما أن الوعي بالنص مهم جدا كي لا يستطيع أحد إساءة استخدام نقص معرفتهم لأغراض خطيرة أو استغلالها، فلا

يمكن استغلال الشخص المتعلم، ولا يمكن لأحد أن يملي عليه أفكاره» (Ali, 2011, p. 28).

ثالثاً؛ الوعي بدور اللغة في تغيير المجتمع وتشكيل بنيانه: يؤمن المحللون النقادون للخطاب بأهمية اللغة في تغيير المجتمع، وتغيرها في الوقت نفسه. ومن الأمثلة التي يمكن أن توضح هذا الباب هو أن الإسلام لم يزد عن تغيير خطابه ليتغير بذلك المجتمع الذي كان يعيش على الجاهلية بكل مظهراتها السلبية؛ فبدلاً من خطاب التعددية السليبي (صراع القبائل، وتعدد الآلهة، والعرقية، وغير ذلك)، اشتغل الإسلام على خطاب الوحدة (أمة واحدة، وإله واحد، والناس سواسية، وقس على هذا).

من ثم، من شأن توعية المتعلم بالدور الذي تضطلع به اللغة في تغيير المجتمع، أن يكسبه وعياً بوظائفها التي تتعدى التواصل إلى التأثير وتشكيل بنيات المجتمع وما يعتريها من علاقات. ومن الطبيعي أن تنمو لديه القدرة على نقد الاستعمالات اللغوية في الخطابات التي سيواجهها مستقبلاً، سواء أفي المدرسة، أم في السياسة، أم الإعلام أم في غيرها؛ «فالسيسيون يسيطرون على الخطاب الحكومي والبرلماني ويوظفون الإعلام للتلاعب بالعلاقات، والإعلاميون يتحكمون في خطاب وسائل الإعلام (مؤتمرات صحفية، تقارير، إلى آخره) ويصنعون تضامناً مع الجماعات المهمشة، والأكاديميون يهيمنون على الخطاب التعليمي (محاضرات، ومنشورات، إلى آخره)، والقانونيون يتحكمون بلغة المحاكم والمصطلحات القانونية، إلى غير ذلك» (Ali, 2011, p. 28).

رابعاً؛ المدرسة فضاء تربوي لا يخلو من أيديولوجيا: لم تخلق المدرسة في جوهرها إلا لتمير أيديولوجيا ذات طابع رسمي تسهر عليه الدولة من خلال تنمية حس المواطنة والتشبث بالهوية، وترسيخ ثقافة الانفتاح واحترام الآخر، وغير ذلك. كل ذلك يمر وفق جملة من النصوص أو الخطابات التي يتناولها المتعلمون في الصف (الشعر، والقصة، والرواية، والمسرح، والإشهار، والإعلام). وهي نصوص تُختارُ بعناية، ولا يمكن للمعلم تغييرها إلا بنصوص تتماشى مع مدخلات المنهاج الدراسي كالتربية على القيم، وتنمية الكفايات، والتربية على الاختيار واتخاذ القرار. وعلى سبيل التوضيح فقد روعي في انتقاء النصوص المدرسية المدرجة في الكتب المدرسية بالثانوي التأهيلي هذه الأمور:

- تدرج معرفة التلميذ للنص الأدبي، بحيث لا تكون المقارنة فاعلة إلا بتوسل مبدأ التدرج.
- خدمة هوية التلميذ الوطنية وتشجيعه على الانفتاح على الثقافات الأخرى، لأن من الكفايات الاستراتيجية المستهدفة (تعزيز الانتماء الوطني والتشبث بالهوية الثقافية والحضارية، مع الانفتاح على القيم الإنسانية الإيجابية (الحرية، والديمقراطية، وحقوق الانسان).
- التركيز على النصوص المشهود لها بالجودة الفنية واللغوية العالية (خلوفاً والسعيدى، 2015، ص. 30).

لكن في كثير من الأحيان، ويدافع أيديولوجي مضاد، قد يعتمد بعض المعلمين أو غيرهم، إلى تمرير ما يحملون من أفكار سلبية عبر اختياراتهم اللغوية بوعي أو بدونه، وهي أفكار قد يكون المجتمع غير متصالح معها مثل ظواهر الإلحاد، والمثلية، والمساواة بين الرجل والمرأة، خاصة في قضايا الميراث. وفي أبسط الحالات الميل إلى الانتصار للحدثة ورفض التشبث بالأصول؛ فالمدرس، مثلاً، الذي يعتمد إلى المتنبى دائماً في اختياراته اللغوية لتدريس الظواهر اللغوية، ويحتج به في الدفاع عن القضايا النقدية وغيرها، لا يترك للمتعلم الحق في اختيار التوجه الذي يراه مناسباً لقناعاته، والأمر نفسه مع من يختار أدونيس، أو درويش على الرغم من أن هذين الشاعرين يعتبران المتنبى جدهم في الشعر. وبقليل من الوعي النقدي باللغة يمكن للمتعلم أن يتساءل عن السبب في هذا الاهتمام الزائد بشاعر، أو روائي، أو فيلسوف، دون غيره، أو الإكثار من استعمال صيغة في التعبير دون غيرها (لماذا صيغة المبني المجهول تكثر في الخطاب الاعلامي؟).

خامساً؛ الوعي النقدي باللغة دعوة للتححرر لا للتخدير: هذا يعيدنا إلى رومي كلارك الذي رأى أن الوعي النقدي باللغة يجب أن يمكن مستخدمي اللغة من تنمية وعيهم (معرفتهم)، كما يجب أن يساعدهم على التحرر من خلال منحهم فرصة تحدي الأعراف القائمة والحق في تقديم بدائل للمساهمة في تشكيل أعراف جديدة. وينسجم أيضاً مع الكفايات الاستراتيجية في منهاج اللغة العربية بسلك الثانوي التأهيلي المتعلقة بالانفتاح على القيم الإيجابية مثل: الحرية، والديمقراطية، وحقوق الإنسان.

سادساً؛ تنمية فن القراءة والتحليل: أورد بكار أن فاوولر ذكر أن «فعالية اللسانيات

النقدية تقاس بقدرتها على تزويد القراء بقراءات مزيلة لغموض النصوص المبنية أيديولوجيا، ومن ثم ضرورة إدماجها في النشاط التعليمي لتزويد التلاميذ والطلبة بألية فك شفرة الأيديولوجيا في النصوص» (بكار، 2024، ص. 58).

ينسجم قول فاوولر مع توصيات عديدة للمحللين النقديين للخطاب «من قبيل توصية فيركلف بتدريس الوعي النقدي باللغة، وتقديم فوداك إرشادات للأطباء والأساتذة والمحامين بخصوص الوعي النقدي باستعمال اللغة مع مرضاهم، أو تلاميذهم، أو موكلهم، وفضح فان دايك عنصرية النخبة الأوربية على الرغم من ادعائها عكس ذلك» (بكار، 2024، ص. 56).

سابعاً؛ خلق دينامية جديدة وكسر الرتابة واللامبالاة في الفصول الدراسية: لا يخفى على كثير من معلمي اللغة أن هناك فترات من التعليم تمر داخل الفصل تغلب عليها الرتابة والتهيه بفعل ميل المتعلمين إلى التهاون واللامبالاة، أو بسبب ضعف تحصيلهم القبلي، أو الأساليب التي يوظفها المعلمون، والتي تكون في الغالب نمطية قديمة تركز على الحفظ والتكرار، ما يجعلها تعارض مع جيل من المتعلمين ارتبطت هويته بالتكنولوجيا التي تمنحه الجديد في كل دقيقة على هاتفه أو صفحته على منصات التواصل الاجتماعي.

إن من شأن تعلم مهارة الوعي النقدي باللغة أن يكسر الرتابة داخل الفصل؛ فالمتعلم سيقى يقظاً وستفتح شهيته للمعرفة حين يعلم أن تعلم اللغة يشبه اللعب وعليه ألا يخرج من هذه اللعبة خاسراً، أو حين يتعلم أن النصوص مليئة بالأيديولوجيا التي قد تسلب حقوقه وتستغله بشكل مضاعف، وأن الاختيارات اللغوية في النصوص ليست اعتباطية ولا ينبغي استظهارها قبل ممارسة التحقيق في السبب وراء اختيار مستعملها لها.

ثامناً؛ النظرة النقدية للتعليم: وضع فيركلف في مقدمات الوعي النقدي باللغة النظرة النقدية للتعليم والمدرسة والمنهج النقدي لدراسة اللغة. وافترض أن تطوير وعي نقدي بالعالم وإمكانات تغييره، يجب أن يكون الهدف الرئيسي لجميع التعليم، بما في ذلك تعليم اللغة بمنظور يلخصه فريير Frieire ببلاغة في قوله: «سواء أكانت قطرة مطر (قطرة مطر على وشك السقوط لكنها تجمدت، فولدت جليدية جميلة)، أم طائراً يغرد، أم حافلة تسير، أم شخصاً عنيفاً في الشارع، أم جملة في صحيفة، أم خطاباً سياسياً، أم رفضاً من حبيب، أم أي شيء، يجب علينا أن نتبنى نظرة نقدية،

نظرة الشخص الذي يتساءل ويشك، ويستقصي، ويريد أن يضيء الحياة نفسها التي نعيشها» (Frieire, 1985, Cited in : Fairclough, 2013, p. 7).

## خاتمة

تأسيسا على ما سبق، حاولنا في هذه المقالة تسليط الضوء على «تدريس الوعي النقدي باللغة» باعتباره توجهها منسيا أو مغيبا في تعليم اللغة في الحقل التربوي العربي مقارنة بما هو سائد في تدريس اللغة الإنجليزية في الثقافة الغربية. ولأن المفاهيم تتداخل كان لا بد من الوقوف عند تعريف هذا المفهوم في علاقته بمفهوم «تدريس الوعي اللغوي» الذي يستمد وجوده منه. وقد توصلنا إلى أن من دون معرفة المتعلم بقواعد اللغة يصعب عليه أن يرى المخفي من استعمالها أو اختيارها لدى المستعمل، وفي المقابل يمكن لإدماج هذا التوجه أن يساعد على تنمية الوعي بمكونات اللغة، وما يختبئ وراء استعمالها من تضليل وأيديولوجيا.

هناك أمر إضافي ينبغي الإشارة إليه، يتعلق بالجهد الذي ينبغي أن يبذله المعلم لتعلم هذا التوجه من خلال العودة إلى دراسة التحليل النقدي للخطاب والوعي بتحواله المستمر في المفهوم، والمقاربات، والخلفيات النظرية، فالمعرفة الرصينة بهذا المسار هي السبيل إلى التمكن من نقل هذا التوجه للمتعلم، والاستفادة من مبادئه في تنمية مهارة التحقيق والكشف عن الخطابات المليئة بالتضليل والأيديولوجيا، ودور اللغة في تغيير المجتمع أو إضفاء الشرعية على ممارسات سلبية، هذا بالإضافة إلى ما أشرنا له سلفا من قدرة هذا التوجه على تكسير رتابة الحصوص، وإعطاء معنى للتعلم حيث يصبح تعليم اللغة أو التعلم، عموما، لذيذا بتعبير أرسطو في كتابه فن الشعر.

## لائحة المراجع

### أولا- المراجع العربية:

- بكار، سعيد. (2021) «التحليل النقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته». الخطاب، المجلد 16، العدد 2، صص. 443-476.
- بكار، سعيد. (2024) بلاغة النقد: دراسات في التحليل النقدي للخطاب. الدار البيضاء، أفريقيا الشرق.
- جابر، سعاد محمود. (2012) «فاعلية برنامج أنشطة لغوية مقترحة في تنمية الوعي

- اللغوي لدى طالبات كلية التربية بالمجموعة باستخدام بعض أدوات الجيل الثاني للأترنت (Web 2.0)). المجلة التربوية، العدد 62، يونيو، صص. 307-375.
- خلوفة، عبد العزيز والمختار السعيدى. (2015) ديداكتيك اللغة العربية والمقاربة بالكفايات بالسلك الثانوي التأهيلي: النظرية والتطبيق. الرباط، دار الأمان.
- فان دايك، توين. (2014) الخطاب والسلطة. (ترجمة غيداء علي). القاهرة، المركز القومي للترجمة.
- المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي. (2008) دفاتر التربية والتكوين - ممارسات التدريس والتكوين والتعليم. الرباط، منشورات المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي.
- مديرية المناهج (2007) التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي. الرباط، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي.

#### ثانيا- المراجع الأجنبية:

- Ali, Shamim. (2011) "Critical Language Awareness in Pedagogic Context". English Language Teaching, 4(4), pp. 28-35.
- Fairclough, Norman. (2013) Critical language Awareness. London and New York, Routledge.
- Wallace, Catherine. (1998) "Critical Language Awareness in the Foreign Language Classroom". Thesis for the degree of Doctor of Philosophy Institute of Education University of London.



# بلاغة مقاومة السلطة

## الأدب الشعبي ومديح قوة الكلام

د. عماد عبد اللطيف

جامعة قطر

emad.abdullatif@qu.edu.qa

<https://orcid.org/0000-0002-2180-4142>

### الملخص

تتناول هذه المقالة العلاقة بين الإنسان والسلطة في الحكيم الشعبي العربي. وتحتاج بأن الحكيم الشعبي يقوم بدور معرفي واجتماعي بفضل قدرته الرمزية على نقد السلطة ومقاومتها، ولا سيما في المجتمعات السلطوية. وتحلل عينة من الحكايات الشعبية المصرية الشفهية التي جمعت من محافظة الفيوم، وتشارك في تقديم تمثيلات رمزية لعلاقة الفلاح المصري بالسلطة في قمة الهرم السياسي، أي الملوك والوزراء وأعوانهم. ومن خلال توظيف منهجية تحليل بلاغي نقدي، فحصت المقالة الاستراتيجيات البلاغية التي استعملها الحكاء الشعبي ببراعة لنقد السلطة ومقاومتها وتعريفها، مثل: التورية، والرمز، والمثال، والسخرية، والكناية، والمفارقة. واستكشفت كيف تسهم العلاقة بين الراوي والجمهور في بناء موقف بلاغي من السلطة، وكيف تتحول الحكاية أحياناً إلى أداة للمقاومة الرمزية للسلطة، وأحياناً أخرى إلى أداة لشرعنة الخضوع وتسويغها. وخلصت المقالة إلى أن بلاغة الحكيم الشعبي تمثل فضاءً تتجاذبه القوة والمقاومة، وتجسد وعي الإنسان العربي بقوته وقيوده.

الكلمات المفتاحية: الحكيم الشعبي، السلطة، البلاغة، الخطاب، المقاومة، الثقافة الشعبية.



# THE RHETORIC OF RESISTANCE: FOLKLORE AND THE PRAISE OF WORDS

EMAD ABDUL-LATIF

---

Prof. Emad Abdul-latif

Qatar University

emad.abdullatif@qu.edu.qa

<https://orcid.org/0000-0002-2180-4142>

## ABSTRACT

This study explores the relationship between human beings and authority in Arab folk narratives. It argues that folk storytelling plays an epistemic and social role through its symbolic capacity to critique and resist power, particularly in authoritarian societies. The research analyzes a sample of oral Egyptian folktales collected from the Fayoum Governorate, which share symbolic representations of the relationship between the Egyptian peasant and the ruling elite — namely kings, ministers, and their aides. Employing a critical rhetorical analysis, the study examines the rhetorical strategies skillfully used by the folk storyteller to critique, resist, and expose power, such as punning, symbolism, exemplification, irony, and metaphor. It also investigates how the interaction between the narrator and the audience contributes to constructing a rhetorical stance toward authority, and how the folktale at times becomes a tool for symbolic resistance to power, and at other times a means of legitimizing submission. The study concludes that the rhetoric of folk storytelling constitutes a space shaped by the tension between power and resistance, embodying the Arab individual's awareness of both his strength and his constraints.

**Keywords:** folk narrative, power, rhetoric, discourse, resistance, popular culture.

## مقدمة

على مدار الزمن، كانت العلاقة بين الإنسان والسلطة إحدى الموضوعات التي يُعنى بها الأدب الشعبي العربي في تجلياته المختلفة. وقد ترك الأدباء الشعبيون المجهولون ذخيرة ضخمة من النصوص الشعبية التي تناولت هذه العلاقة، وشاركت في صياغتها. وتنتمي هذه الذخيرة إلى أنواع «أدبية» عدّة مثل: الحدوتة، والحكاية، والأمثال، والمواويل، والأغاني الشعبية، والسير السُّعبيّة، وغير ذلك. ويُعدُّ الحكّي الشعبي في أنواعه الفرعية المختلفة مثل: الحدوتة (الحكاية)، والسهرية، والسيرة، والأمثولة، والخرافة، والأسطورة، مجلّي مهمّاً للكيفية التي كان يُدرِك بها العربي السلطة، ويتعامل معها، ويصوِّرها.

يُتيح الحكّي الشعبي إمكانية استكشاف طرق الصياغة المجازية للعلاقة بين الإنسان والسلطة، وذلك من خلال الكشف عما إذا كانت الحكايات المعنيّة بتمثيل هذه العلاقة تتسم بخصائص بلاغية مميزة، وتتأثر بذخيرة خطابيّة فاعلة في تشكيل التوجهات نحو السلطة، خاصة توجهاته نحو التعبير عن علاقته بها أو وصفها أو نقدها.

تنوع الأسئلة البحثية التي يُمكن أن تُمثل مدخلاً لفحص التجليات الجمالية للسلطة في الحكّي الشعبي مثل: كيف يصوغ الحكّاء العربي علاقته بالسلطة جماليّاً؟ ما التقنيات البلاغية التي يستعملها؟ وما درجة شيوع استعماله لها؟ هل يلجأ إلى التقنيات البلاغية للمراوغة، مثل: التورية، والاستعارة، والتمثيل الكنائي، والرمز، وغير ذلك؟ وكيف يوظف هذه التقنيات البلاغية في التعبير عن رفضه للسلطة، أو مقاومتها؟ وهل يكشف استعمال الحكّاء لخصائص بلاغية بعينها عن ميله إلى مهادنة السلطة والرضوخ لها، أو تسويغ أفعالها والتوحد معها؟ وبصفة عامة، ما الذي يقوله لنا التحليل البلاغي للحكي الشعبي عن موقف الإنسان من السلطة، وعن كيفية تعبيره عن هذا الموقف؟

توفر الإجابة عن هذه الأسئلة معرفة ضروريّة نحتاج إليها في معالجة أسئلة أكثر عمومية أهمها: ما الذي يؤسس بلاغة الحكّي الشعبي المعنيّ بالعلاقة بين الإنسان والسلطة؟ هل يمكن الوقوف على «تحولات» في بلاغة هذا الحكّي نتيجة تعرض العربي المعاصر لأشكال جديدة من الحكّي، مثل: الدراما التلفزيونية، والإذاعية، وأفلام السينما وغيرهما؟ ما هذه التحولات؟ وما دلالتها؟ وما مدى تأثيرها؟ وهل يمكن إعادة صياغة العلاقة بينهما بواسطة حكي جديد، وبلاغة جديدة؟ وكيف يمكن تحقيق ذلك؟<sup>(1)</sup>

(1) نُشر جزء من هذا الفصل ضمن كتاب الحكّي الشعبي بين التراث المنطوق والأدب المكتوب، دار العين للنشر، القاهرة، (2009).

## 1. كيف تتشكل بلاغة الحكى الشعبي؟

توفر البلاغة مدخلاً لدراسة النصوص الحكائية، سواء أكانت رسمية أم شعبية<sup>(1)</sup>. وهي في الوقت ذاته، قد تكون مدخلاً للتمييز بين هذه النصوص التي تنتمي إلى نوع واحد، في حين تنتمي إلى خطابات مختلفة؛ إذ تمكّننا البلاغة من فحص الفرق بين الحكى الشعبي وغير الشعبي بوصفه فرقاً بين بلاغة اللغة العامية التي تتسم بالبساطة، والاقتصاد المتناهي، والارتباط العضوي بتفاصيل الحياة اليومية، والقابلية اللانهائية للتجدد، والقدرة على تأسيس تواصل حميم بين مستخدميها. وذلك في مقابل بلاغة اللغة الفصحى الموصولة بإرث ضخم من التقاليد البلاغية التي تتيه بالجزالة، والرصانة، سواء أفي اختيار مفرداتها، أم تراكيبيها، أم صورها.

تتيح البلاغة لنا أيضاً استكشاف الفرق بين بلاغة الحكى الشعبي، وبلاغة الحكى غير الشعبي من زاوية وسيط التداول؛ فالأول جزء من بلاغة التواصل الشفاهي في ساحات المقاهي، أو على حصير المندرة، أو المصاطب اللبنيّة والحجرية؛ الغنية بالعلامات غير اللغوية من نبر، وتنغيم، وإشارة، وحركة؛ والمنفتحة على آفاق لا محدودة من المتعة التي تولدها مصاحبة الغناء، أو الرقص، أو الموسيقى. وذلك في مقابل بلاغة التواصل الكتابي التي ترتحن بالكلمة، وتحلّها قيود الصفحات في مقابل براح التحدث، وخرّس الحرف في مقابل فصاحة الصوت.

إضافة إلى ذلك، تعطينا البلاغة أدوات لدراسة الفرق بين بلاغة الحكى الشعبي وبلاغة الحكى غير الشعبي بوصفه فرقاً بين حميمية العلاقة المباشرة بين الحكاء أو الراوي الشعبي وجمهوره، والعلاقة غير المباشرة بين الكاتب والجمهور. فالجمهور أثناء الحكى الشعبي ليس مجرد طرف سلبي يستقبل ما يُلقى إليه، بل إنه طرف فاعل مشارك في صياغة موقف الحكى، والحكاية ذاتها. ويستجيب الراوي أو الحكاء بأريحية لاختيارات الجمهور وتفضيلاته، ويلبي عن طيب خاطر توقعاتهم، ويسعى بإصرار إلى إقامة علاقة حميمة معهم. أما الكاتب فهو ينتهي من كتابه قبل أن يتلقاه جمهوره. وعلى الرغم من

(1) أضع مصطلحي: «الشعبي» و«غير الشعبي» بين مزدوجتين؛ لأنهما مصطلحان إشكاليان. فتسمية «غير الشعبي» تعريف بالسلب لا تفيد شيئاً دون تعريف ما هو شعبي بذاته. أما الشعبي فهو عادة ما يُعرّف من خلال وضعه في حالة تقابل مع الرسمي أو الفردي أو الكتابي. وبناء على ذلك، فإن السمات المميّزة لما هو شعبي هي أنه: (1) نتاج الشعب لا النخبة. (2) نتاج جماعي لا فردي. (3) يُتداول شفاهة لا كتابة. (4) تغلب عليه العامية لا الفصحى.

أنه يوجد في ذهن كلِّ مؤلف قارئٍ مثالي أو مستهدف، فإنه لا يستطيع التفاعل مع هذا القارئ أثناء تلقيه ما انتهى من كتابته، كما لا يستطيع (وقد لا يريد) تغيير ما كتبه استجابةً لردود فعل جمهوره إلا نادرًا. وفي إيجاز، يظلُّ مؤلف الحكيم الشفاهي حيًّا حتى انتهاء فعل التلقي، ويظلُّ النص الشفاهي ذاته في حالة تشكُّل أثناءه، و«يموت» مؤلف الحكيم المكتوب بميلاد النص، ويولد النص ذاته مكتملاً ونهائيًا بغض النظر عن جمهوره.

## 2. السلطة والجماعة الشعبية: مرایا الواقع والخطاب

يبدو مفهوم السلطة عصيًّا عن الضبط الاصطلاحي؛ فالسلطة كائن أثيري يوجد في كلِّ مكان؛ في المنزل، والشارع، والجامع، والكنيسة، والحضانة، والجامعة وغير ذلك. وكما أن السلطة في كلِّ مكان، فهي كذلك تتجلى في كلِّ شكل؛ فهناك سلطة اجتماعية، وأخرى دينية، وثالثة أكاديمية، ورابعة سياسية، وخامسة اقتصادية، وهلم جرا. تتجلى السلطة في الكلمة، والذهب، والبندقية، كما تتجلى في الصمت والغياب. وهي تمارس عملها بآليات مختلفة مثل العرف، والقانون، والقوة المادية الخشنة. لكنها مولعة دومًا بالتخفي، فتلبس ثوب الأبوة حينًا، وتتجلى بحلية الإقناع حينًا آخر. تتماهى مع العرف حينًا، وتحمل عصا المقدس، أو القانون حينًا آخر. وأخيرًا، فإن السلطة لا تعرف الاستقرار، ولا الثبات، لا تُمتلك كليَّة، ولا تُفقد كليَّة، لا يحوزها شخص بشكل دائم، ولا يفتردها آخر بشكل دائم؛ بل تقع دومًا في ساحة التجاذب والصراع. يستحوذ عليها بعضهم، فيحاول استردادها آخرون. يفقد المرء أحد أشكالها، فيعوضه بآخر، يخضع جمع لأحد تجلياتها، ويقاوم في الوقت ذاته تجليات أخرى، وهكذا.

لأن السلطة تُجيد التخفي، ولأنها مولعة بالتحويلات؛ فإننا في حالة بحث دائم عن مرایا تبرز واقعها وحالها، وليس أفضل من الخطاب مرآة تظهر عليها حقيقة السلطة المستقرة والمتحوِّلة. ومع أن الخطاب مجلِّي للسلطة؛ تنطبع عليه، كما تنطبع الصورة على الماء، فإنه كذلك وسيلة لصياغتها ومقاومتها، وجسر للوصول إليها، أو سبب لفقدانها. ومن هنا تبرز أهمية الحكيم الشعبي من حيث هو جزء من الخطاب الشعبي الذي تتجلى فيه علاقات السلطة في المجتمع، وتشكُّل بواسطته أو من خلاله. وتزداد أهمية هذا الحكيم إذا وضعنا في الحسبان حقيقة أن كثيرًا من وجوه السلطة، مثل السلطتين السياسيَّة والدينيَّة، أحاطت نفسها بحصون واقية، تحول دون إمكانية الكلام عنها، أي إمكانية رؤيتها. فغالبًا ما يسكت معظم أفراد المجتمعات التقليدية عن الخوض

في علاقات السلطة في تجليها السياسي أو الديني. وعلى مدار قرون اعتاد كثير من المصريين التفكير في التكلم عن علاقات السلطة السياسيّة والدينيّة، والكلام عنها، أو فيها، أو حولها، بوصفها من المحرمات.

تكمن قيمة الحكّي الشعبي في أنه كثيرًا ما يكسر قيود المحرّمات بشكل واع، ليصبح الحكّي لسان الصامتين. فالحكّاء يُعري السلطة التي لا يستطيع مواجهتها، ويسخر من تلك التي لا يملك إلا الخضوع لها. وهو يفعل ذلك مستفيدًا من عدّة بلاغية لا حصر لها؛ تتيح له التعبير بالكناية عما لا يستطيع قوله تصريحًا، وبالتمثيل عما لا يمكنه البوح به تعيينًا، وبالمجاز عما لا يُتاح له إيرادُه بالحقيقة، وبالتورية عما ليس بوسعه الإشارة إليه مباشرة. وبذلك تقف البلاغة في صف المهمّش، والحكّاء في مواجهة السلطة، سواء أتلك التي يسعى إلى الحصول عليها، أم تلك التي يسعى إلى مقاومتها.

لكن البلاغة ليست إلا أداة؛ فهي لا تحمل في ذاتها قيمة أخلاقية، ولا تعبّر بنفسها عن موقف نبيل. ولذلك فكما تُستخدم أحيانًا لتعرية السلطة، ومقاومتها، أو الالتفاف عنها، فإنها توظف في أحيان أخرى كثيرة لتسويغ السلطة، وتعزيز قوتها، وإكسابها بعض الشرعية، وإطالة مدى سيطرتها. إنها تعمل كثيرًا كقوة لفرض قبول السلطة، بل الترحيب بها. ويكون هدفها إنجاز الإخضاع، وتسويغ العجز والإذعان. فالكثير من الحكايات الشعبيّة هي خطابات سلطوية تمارس أشكالًا لا حصر لها من التمييز والفصل، وتُسعى إلى تحقيق هيمنة حائزي السلطة على مفتقديها.

لاحظ أحمد رشدي صالح أن الأدب الشعبي فيه «نظرتان متلازمتان ومتعارضتان؛ إن في العادات، أو التصورات المثالية، أو في الأخلاق، وبالتالي في محتوى الأدب. أما النظرة الأولى فلا مرء في أنها تعبر عن أصحاب السلطة، وتلك ترى أن المجتمع التصاعدي أزلي، وأصلها الأسطوري الاعتقاد بأن الإله أو الآلهة خلقوا العالم ورتبوه درجات، وأن رأس الجماعة البشريّة، في أية ناحية من نواحي نشاطها، إما أنه إله في صورة بشر، أو هو بشر فيه كلمة الله وسره. ومن ثمّ، فالرابطة التي تربط وشائج المجتمع هي تلك القوة الإلهية المتمثلة في فرد أو أفراد قلائل، وأن المجتمع بصورته هذه أزلي لا يتغير. أما النظرة الثانية فتعارض الأولى تمامًا، وتفسر بأن لها أصولها التاريخية أيضًا حين كان المجتمع على المساواة الفطرية البدائية، وحين استمدت مادة حياتها من تمردات المَسودين التي لم تنقطع عبر التاريخ» (صالح، 2002، صص. 94-95).

وقد طرح المؤلف، بعد أن عرض بعض النصوص الدالة على النظرة الأولى، تساؤلًا

يكشف عن مفارقة مهمة، تشيع في الأدب الشعبي، إذ قال «كيف يسوغ للمجردين من السلطة أن يكونوا هم رواتها ومذيعيها؟ والواقع أن المسألة ليست جدلاً أخلاقياً، وإنما الأفكار تتبع السلطة، فإذا ما توافرت لفئة بعينها ذاعت أفكارها، وأصبحت هي الحصيلة الغالبة على من دونها» (نفسه، ص. 98). لقد وضع صالح يده على إحدى أبرز مفارقات الأدب الشعبي؛ فهذا الأدب لا يخدم، في كثير من نصوصه، مصالح الجماعة الشعبية التي أنتجته، بل إنه كثيراً ما يتحرك ضد مصالحها القريبة والبعيدة. وهو سؤال في قلب العلاقة بين الخطاب والسلطة.

تستطيع السلطة الأقوى دائماً فرض أفكارها، ونشرها، وتضمن لها قدرًا من قبول الآخرين نتيجة فرض الصمت عليهم. وبذلك، فإن نصوص الأدب الشعبي تصبح أداة السلطة لفرض سيطرتها وهيمنتها. ويفسّر عبد الحميد حواس أن النصوص التي تخدم السلطة الرسمية تنفذ إلى الأدب الشعبي من الثقافة الرسمية؛ «الثقافة الرسمية تملك من المصالح والفعاليات ما يجعلها قادرة على أن تسعى حثيثاً إلى إنفاذ الأفكار والتصورات التي تبسط هيمنتها، وتوطدها، وتضمن استمرارها» (حواس، 2005، ص. 147). وهكذا يكرس رأي صالح وحواس لثنائية جزئية في إطار الأدب الشعبي؛ طرفها الأول يشمل النصوص التي أنتجتها الجماعة الشعبية ذاتها التي تعبّر من خلالها عن مصالحها ورؤاها، وطرفها الثاني يشمل النصوص التي أنتجتها الجماعة الرسمية المهيمنة لتعبر عن مصالحها ورؤاها، ثم رُوّجت بين أفراد الجماعة الشعبية حتى اعتبرت أدباً شعبياً.

وفي الواقع، فإن الرأي المفسّر لتناقض رؤية الأدب الشعبي للعلاقة مع السلطة تواجهه الكثير من التساؤلات. فالفصل بين أدب شعبي أنتجته الجماعة الشعبية، وآخر أنتجته الجماعة الرسمية، ثم تحوّل إلى أدب شعبي يحتاج إلى أدلة تاريخية، لم يقدّم أحدهما بتوفيرها. كما أنه يطرح تساؤلاً حول الكيفية التي يدمج من خلالها الرسمي في الشعبي. وإذا عرفنا أن الأدب الشعبي كان -وما يزال- يتداول في سياقات حميمة تسمح بمدى أوسع للحرية؛ مثل سياقات الميلاد، والزواج، والطهور، والعمل، والموت، ويكون جمهوره «الأهل، والأصدقاء، والجيران، وغيرهم، وأن الجماعة الشعبية تمارس دومًا عملية إقصاء متوالية لنصوص وكلام، وتستبدل بها نصوصًا وكلامًا آخر، فإن مسألة تبني الجماعة الشعبية للنصوص الرسمية، وتمسكها بها، وتداولها في مثل هذه السياقات الحميمة يصبح مشوبًا بالكثير من الشكوك. وأخيرًا، فإن هذه النظرة تبرز تصورًا خاصًا للجماعة الشعبية يكاد يكون متناقضًا؛ فهي تقدمها بوصفها واعية بضرورة أن يكون ما

تنتج من نصوص وكلام معبراً عن مصالحتها، وأنها لا تنتج من هذه النصوص إلا ما يفي بذلك. لكنها في الوقت نفسه تقدّم الجماعة الشعبية بوصفها كياناً يفتقد القدرة على رفض تداول النصوص والكلام المهذّب لمصالحه، أو يفتقد القدرة على تمييزه، واستبعاده.

التساؤلات السابقة تجعل من الصعب قبول فكرة أن النصوص المكرّسة للسيطرة والمعزّزة للخضوع، أنتجت خارج إطار الجماعة الشعبية، ثم أُفحمت في أدبها. بل إنني أعتقد أن الواقع خلاف؛ فالنصوص التي تُصفي الشرعية على الخضوع للسلطة، وتمهد الأرض أمام القبول الطوعي بها، أيًا كانت ممارستها، هي نتاج أصيل للجماعة الشعبية المصرية. فالأدب الشعبي -الذي مُجّد بشكل شبه دائم من بعض المشتغلين به- لا يحمل عادةً قيمًا تقدمية أو أفكارًا نبيلة، بل ربما كان الأمر خلاف ذلك. وليس ذلك بغريب؛ فإذا أمانا بأن الأدب الشعبي هو تعبير عن الجماعة الشعبية، فإنه من الطبيعي أن يكون النص صورة الجماعة. والجماعة الشعبية المصرية لديها قائمة لا تنتهي من ممارسات الإذعان مثل: الخضوع، والنفاق، والاستكانة، والحقد، والنميمة، والاستسلام للقهْر، والتواكل، وغياب الإبداع، والجمود، وتقديس الأقوى، وغيرها من الصفات التي تظهر في مرآة الأدب الشعبي.

بناءً على ما سبق، فإن النصوص التي تتداولها الجماعة الشعبية على الرغم من أنها تعبر عن مصالح السلطة الرسمية هي نصوص شعبية بامتياز مثلها مثل وصلات النفاق السياسي التي لا تمل الجماعة الشعبية من عزفها للمستبددين، ومثل علامات الخضوع للسلطة التي لا تمل الجماعة ذاتها من إنتاجها. والخلاصة أن الجماعة الشعبية بحاجة ماسة إلى أدب شعبي يسوّغ لها اختياراتها؛ ولأنها اختارت في كثير من فترات التاريخ أن تخضع للسلطة أيًا كان حائزها، أيًا كانت طبيعتها؛ فإن الأدب الذي أنتجته قام بمهمة تسويغ هذا الاختيار، وجعله أمرًا طبيعيًا لا يشير تساؤلًا، أو استنكارًا.

### 3. الحكي الشعبي والسلطة: أبعاد مهمة

سبق لبعض الدارسين تناول العلاقة بين المصري والسلطة في الأدب الشعبي بصفة عامة. وهناك ملاحظتان على هذه الدراسات. أولاً؛ أن معظم هذه الدراسات -إن لم يكن كلها- وجّه اهتمامه للتصورات والمفاهيم التي تصوغ هذه العلاقة، وليس للطريقة التي تتشكل بها في النص الشعبي. فعلى سبيل المثال، قال عبد الحميد حواس محدّدًا الإطار

الذي يتحرك فيه مقاله عن «الحكومة في الثقافة الشعبية»: «يقصر هذا المقال معالجته لمسألة الحكومة وتصورها في الثقافة الشعبية على التصورات، دون التعرض لجماليات التعبيرات التي تُجلى هذه التصورات. فضلاً عن عدم تعرضه لتكوّن هذه التصورات، ومدى عكسها للواقع الذي أنتجها، رغم إدراكه البدهي لجدلية العلاقة بين الواقع، وما ينتج من تصورات، وأفكار، وتعبيرات. ودون إفاضة -أيضاً- في الأهمية المنهجية لربط كل منتج ثقافي بمنتج، والسياق الذي أنتج فيه. سيلجأ -في هذا المستوى من الدرس- إلى فحص المنتجات في عموميتها، لكي يتحصل على الصورة العامة، باعتبار المنتجات جميعاً نصّاً واحداً متصلاً، مع إدراكه أن هذه المعالجة الأفقية لا تكامل إلا بمعالجة رأسية تفحص كل نص في علاقته بظروف إنتاجه المحدد، والجماعة المرجعية التي أنتجته» (حواس، 2005، ص. 131).

الملاحظة الثانية تخص طبيعة المادة التي استُخدمت لاستكناه العلاقة بين المصري والسلطة في الأدب الشعبي. فلم تكن الحكايات الشعبية من بين النصوص الأثرية التي لجأ إليها دارسو الأدب الشعبي المعنيين بالعلاقة بين الشعب والسلطة. فغالباً ما اهتموا بأنواع أخرى أهمها: الأمثال الشعبية، والأغاني الشعبية، والمواويل. ويبدو ذلك مسوّغاً وطبيعياً؛ فالأمثال والأغاني تتعرض بشكل مباشر لهذه العلاقة. وهي، من ثمّ، لا تحتاج إلى جهد كبير في التحليل، أو التأويل للكشف عن تجليات هذه العلاقة. فضلاً عن ذلك، العالم الذي تصوره الأمثال والأغاني غالباً ما يكون موهماً بالحقيقية، وينحو إلى الإيحاء بالتطابق مع عالم البشر الذين ينتجونها؛ وبذلك يمكن الربط بين علاقات السلطة في عالم الأدب المتخيل، وعلاقات السلطة في الواقع الملموس. أما عالم الحكايات الشعبية فهو غالباً عالم خيالي، يتحرك بين السحرة والمردة في عوالم متخيلة تملؤها أدوات سحرية، وبطولات أسطورية لا تعرف قيود الزمان أو المكان، ولا تنطبق عليها قوانين العقل البشري. يبدو عالم الحكايات الشعبية مفارقاً للعالم الواقعي، ومن هنا فإن الربط بينهما قد تواجهه بعض التحرّزات من ناحية، كما يحتاج إلى جهد تأويلي إضافي من ناحية أخرى.

#### 4. قوة البلاغة: الحكى الشعبي وفوبيا الكلام

للسلطة أشكال شتى من الحضور في الحكى الشعبي؛ فهي تتجلى في شخصيات الحكايات، وأحداثها، وبيئاتها. ويفتح الحكى الشعبي عادة عبارات: «كان يا ما كان»،

«يا سعد يا إكرام»، و«ما يحلى الكلام إلا بذكر النبي عليه الصلاة والسلام»، و«كان فيه ملك أو سلطان»، أو «كان فيه أمير بن سلطان»، أو «أميرة بنت سلطان» إلى آخره. وحين يغيب الملك من الحكاية، ويغيب أحد أفراد أسرته فمن المتوقع وجود أعوانه أو ممثليه. ويكتظ تراثنا الحكائي بشخصيات السلطة السياسيّة مثل: وزير الملك، وحاجبه، ومهرّجه، وعسكره، وجلاذه. وتدور أحداث قصص كثيرة في فضاءات السلطة مثل: القصور، وساحات القضاء، وغيرها. كما أن أحداث هذه الحكايات تدور غالباً حول الصراع على السلطة المادية أو المعنوية، وغالباً ما تكتظ بالحيل، والمؤامرات، والخداع، والسلب، والقتل.

لكن حكي السلطة لا يكتمل إلا بشخصيات عادية مثل: الفلاح، والصيد، والخياط، وغيرهم. وفي كثير من الحكايات يدور الصراع بين ممثلي السلطة السياسيّة مثل: الوزير، والملك، أو أحد أعوانهما، وأحد أفراد العامة بهدف الاستحواذ على شيء يمتلكه الشخص العادي، ويسعى ممثل السلطة للاستحواذ عليه بواسطة الحيلة، أو الخداع، أو القهر. ومن الغريب أن كثيراً من هذه الحكايات تنتهي بانتصار الشخص العادي على «كيد» ممثل السلطة. على نحو ما نجد في إحدى أشهر القصص المصرية القديمة؛ أعني قصة الفلاح الفصيح، وهي قصة لها أهمية بلاغية على نحو خاص؛ لأنها تضع قوة الكلمة في مقابل قوة النفوذ والسلطان. وتنتصر للأولى حين تُبرهن على قدرتها الحاسمة في الوصول إلى الإقناع والتأثير<sup>(1)</sup>.

لا يحتاج متصفح الأدب الشعبي إلى كبير عناء كي يحصل على كم هائل من النصوص الشعبية التي تبرهن على سلطة البلاغة؛ أي قدرة الكلمة على إنجاز الفعل عبر الإقناع والتأثير. ويمكن أن نجد في الحكاية الإطار لألف ليلة وليلة المثال الأكثر شهرة على ذلك؛ إذ توضع قوة كلمات شهرزاد -ممثلة في نوع الحكاية الشعبية المحملة بمعارف البشر- في مقابل قوة سيف شهریار، لتنتصر الأولى. وليس من المستغرب أن القوى السحرية في أكثر الحكايات الخرافية تتحقق عبر فعل التلفظ، وسواء أكانت العبارة «افتح يا سمسم»، أم «أبرا كدابرا»، أم «هوكوس بوكوس»، أم غيرها، فإن الكلمة تحوي قوة سحرية غير محدودة<sup>(2)</sup>.

(1) أنظر ترجمة عربية لقصة الفلاح الفصيح ضمن: حسن، 2000.

(2) ارتبطت الكلمة بقوى سحرية في كثير من الثقافات، والمعتقدات القديمة. ويمكن الاطلاع على أمثلة متنوعة من الحضارة المصرية القديمة في: هوتو، 2015، صص. 63-76.

تعالج الحكايات الشعبية المعاصرة أبعادًا شتى للعلاقة بين السلطة السياسيّة والشعب. وسوف أتناول في هذه المقالة بُعدًا واحدًا منها هو: كيف تقوم الحكايات الشعبيّة بنقد السلطة، وتفتح الباب أمام مقاومة الأفراد للسلطة ممثلة في رموزها الرئيسيّة (الملك، والوزير، والسّياف). وسوف أحلّل عيّنة من خمس حكايات (حواديت) شعبية معاصرة، جُمعت في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين من مجتمع فلاحى تقليدي هو محافظة الفيوم التي تقع جنوب غرب القاهرة، بجمهورية مصر العربيّة<sup>(1)</sup>. وتقدّم القصص الخمس ثلاثة أنواع لمقاومة الأفراد العاديين للسلطة القمعية، الأول هو المقاومة بالتهديد والإزاحة، والثاني المقاومة بالسخرية، والثالث المقاومة بقوة النص المكتوب.

#### 4.1 المقاومة بالتهديد والإزاحة: «الملك وعروس البحر»

تتنوّع القصص التي تصور الصراع بين السلطة الرسمية الباطشة، وسلطة الأفراد البسطاء، وتقدّم تصوّرات مختلفة لهذا الصراع بينهما. فعلى سبيل المثال، تحكي حدوتة «الملك وعروسة البحر» عن خياط فقير يشتري سمكة جميلة، ويكتشف أنها فتاة حسناء من أبناء الجان، فيتزوجها، ويعيشان في سعادة. لكن الوزير يرى الفتاة، ويخبر الملك عنها، فيحاول الملك إيجاد مسوّغ لقتل الخياط الفقير حتى يأخذ زوجته، فيكلّفه بخياطة عدد كبير جدًّا من الأثواب، بما يفوق قدرة بشر. لكن الخياط يستطيع تلبية ما يريده الملك بمساعدة أقارب زوجته من الجان. فيطلب الملك طلبًا مستحيلًا جديدًا فيقول للخياط: «هات لنا ولد يكون مولود الليلة دي، ومقطوع خلاصه، ويقول لنا حدوته أولها كذب، وآخرها كذب». ويأتي الفلاح بمولود جني -هو ابن أخت زوجته- يحكي للملك حكاية أولها كذب، وآخرها كذب. وتنتهي الحدوتة نهاية دالة؛ فالرضيع يحكي حكاية مغرقة في الخيال يُنهيها بقوله: «البطيخة الصغيرة قد الفرن والكبيرة قد الجرن... فقعدنا نشق البطيخة بالموس... البطيخة راحت بالعه مني الموس فقلعت بالفلنة والصديري والسروال، وجيت نازل في البطيخة ندوّرع الموس... لقيت سوق فيه جمال... وفيه

(1) جمع خالد أبو الليل هذه الحكايات في الفترة من 2001-2003، ويمكن الاطلاع عليها ضمن: أبو الليل، 2003، الجزء الثاني. والحكايات المدروسة هي (1) حكاية الخياط والملك وعروسة البحر، صص. 555-559. (2) حكاية إن قلت ما تخفش، صص. 548-550. (3) حكاية الملك والوزير وضاع الإنصاف، صص. 193-205. (4) حكاية السر في بير ص. 560. (5) اللي كتب غلب، ص. 576-577.

تيران، وفيه بهائم... يعجي خمسه وعشرين فدان فقعدت كده... فبعدين جت علي لبّايه... اللبّايه إيه... شكنتي ف رجلي... فجيت ماسك اللبّايه... قعدت أفقرها... لقيت فيها الموس... وادي الموس أهو... لقيت الموس ف اللبّايه وادي الموس... والله ما تكلم خالتي، ولا راجل خالتي... يا جلالة الملك لاجي أشقك وأنت نايم.»

تتجلى السلطة السياسيّة في الحكاية السابقة بوصفها تجسيدًا للقوة الغاصبة، التي تستولي على ما تحوزه الطبقات الفقيرة، بما فيها السعادة الأسرية (الممثلة في الزوجة الصالحة في الحكاية). وتروي الحدودية مراحل الصراع بين أصحاب السلطة السياسيّة الممثلة في الملك، وهذه الطبقات الفقيرة ممثلة في الفلاح الفقير. والملاحظ أن هذه السلطة الغاصبة لا يُمكن التغلّب عليها بقوى البشر العادية، وإنما يتطلب الانتصار عليها قوة خارقة، متجاوزة لعالم البشر، ممثلة في الطفل الجني. كما أن المثير للاهتمام أيضًا أن قوة الملك في الحكاية مستمدة بالأساس من قدرتها على تعجيز المحكومين، وأن هذه القوة تفقد قدراتها حين تفشل في إنجاز هذا الشّلل. في صياغة أخرى، فإن قوة المحكومين في الرواية هي العنصر الحاسم. وأخيرًا، تقدّم الحدودية لنا أفعال التهديد اللغوي المدعوم بقوة مادية بوصفها وسيلة مقاومة القوة الغاصبة.

من زاوية أخرى، تقيّد القصّة سقف حركتها في المقاومة الفردية لسلطة السياسة الغاصبة؛ فالملاحظ أن سقف عمل القوة الخارقة التي امتلكها الفلاح الفقير كان تهديد الملك، حتى لا يواصل محاولاته سلب الفلاح ما لديه. على الرغم من أن هذه القوة الخارقة، كان باستطاعتها أن تُريح الملك نفسه، وتمنح السلطة للفلاح الفقير، لو أرادت. ويبدو أن إدراك الأفراد العاديين والطبقات الشعبيّة التي تشكل منهم لقوتهم يقف عائقًا أمام إزاحة السلطة الغاشمة. ويتبدى هذا القصور في الوعي بمكان القوة الحقيقية في صيغة التهديد نفسها الذي تُختتم به القصّة؛ فقد حافظ القاص الشعبي على صفات المخاطبة التقليديّة للملك: «يا جلالة الملك»، وهو يُنجز خطاب التهديد المباشر. وتُمثّل ألفاظ المخاطبة ما هو أكثر من مجرد صيغ عُرْفية للتخاطب، فهي تجليات رمزية لعلاقات القوى، وممارسة فعلية للسلطة. لذا فإن الحفاظ عليها دون مساس علامة رمزية على الاحتفاظ الكامل ببنى السلطة القائمة، على الرغم من تغير موازين القوى على نحو جذري بامتلاك الفلاح لقوة خارقة.

تتكرّر تيمة السلطة الغاصبة في كثير من الحكايات الشعبيّة المصرية. ويبدو هذا مفهومًا ومتوقعًا بسبب التاريخ الطويل من إساءة السلطة السياسيّة لصلاحياتها. وتبرز



الحكايات الشعبية خوفاً متغلغلاً لدى الفلاح المصري العادي من السلطة، وممثلها من ناحية، ورغبة غير معلنة بالانتقام منها من ناحية أخرى. وقد تصل هذه الرغبة إلى حد أخذ السلطة ممن يُسئ استعمالها، على نحو ما نرى في حكاية دالة بعنوان «الملك والوزير وضاع الإنصاف»، إذ تروي الحكاية قصة خطاب فقير وجد كثرًا أثناء عمله، وحين علم الوزير بذلك قتل الخطاب الفقير ليحصل على الكنز الذي عثر عليه الخطاب. ثم دبّر الوزير مكيدة إثر مكيدة؛ لقتل ابن الخطاب الذي تسميه الحكاية «ضاع الإنصاف»؛ لأنه عرف أن الوزير قتل أباه. وفي النهاية، يتمكن الابن من قتل الوزير، وينتهي الصراع بين ممثل السلطة السياسيّة وابن الخطاب بحصول ابن الخطاب على السلطة كاملة بأن يصبح هو الملك.

أول ما يلفت الانتباه في هذه الحدوتة هو عنوانها. فهو يتكوّن من ثلاثة أسماء، يربط بينها حرف العطف (الواو). يكشف استعمال اسمي (الملك والوزير) عن ميل إلى استعمال اللقب الدال على السلطة، بديلاً عن الاسم الطبيعي للأشخاص الذين يمتلكون سلطة. أما اسم «ضاع الإنصاف»، فهو ذو دلالة مزدوجة، فهو اسم ابن الخطاب الفقير، ويعبر عن الفحوى أو الرسالة الضمنية للقصة التي تدور حول غياب العدل. والمثير للاهتمام أن نهاية الحدوتة تدفع باتجاه إعادة النظر في عنوانها، وفي اسم ابن الخطاب؛ إذ يتمكن ابن الخطاب من القضاء على الوزير وخلافة الملك. ومن ثمّ، يتوارى استعمال الاسم الدال على عدم الإنصاف، لصالح لقب (الملك)، الذي يجسد السلطة، وذلك في تجل رومانسي لاسترداد الإنصاف.

ثمة ملاحظة ثانية في الحدوتة تخص طبيعة الشخصية الشريرة فيها، وفي معظم الحكى الشعبي. إذ يُقدّم الوزير في القصة بوصفه الشخصية الشريرة، أما الملك نفسه، فهو شخصية خيرة، يخفي عليه ما يمارسه الوزير من شرور. ويبدو هذا التصور شائعاً إلى حد كبير في الخطاب الشعبي حول السلطة السياسيّة؛ إذ يرسخ صورة الملك المحجوب قسراً عن رعيته، فهو لا يعرف معاناتها، ويخفي عليه ما يمارسه أتباعه من بطش وعدوان. ويشيع استعمال هذه الأسطورة في الخطاب السياسي المدافع عن سلطة الاستبداد في المجتمعات العربيّة<sup>(1)</sup>. وثمة تفسير آخر لظاهرة انتقاد السلطة المعاونة للحاكم الفعلي دون رؤوس السلطة (ملوكاً كانوا، أم خلفاء، أم ولاة) في الحكى الشعبي، وفي الخطاب

(1) هناك حاجة ماسة إلى إنجاز دراسات حول تمثيل شخصية الحاكم في الأدبيات الشعبية بدءاً من الأمثال، والحكم، والحكايات، وانتهاءً بخطب الوعظ والإرشاد.

السياسي عمومًا. فرؤوس السلطة في العالم العربي محصنة ضد النقد؛ بفضل سلطة السيف، أو الدين، أو غيرها. ونقدها ذو كلفة باهظة غالبًا. ومن ثم، يتوجه النقد لجسد السلطة بدلًا من رأسها، وهو ما يكون مقبولاً، بل مُحفِّزاً من السلطة في العادة؛ لأنها تحتاج إلى تبديل أطرافها من حين لآخر. وعادة فإن من يتعرضون للإقصاء هم أكثر معاونيها إخلاصًا؛ إذ هم عادة الأكثر بطشًا وفسادًا، وذلك حتى تبدو في صورة من يصحّ أخطاؤه بنفسه، ومن يستجيب لمطالب الجماهير.

لم تُحل الكلفة الباهظة لنقد الجالسين في قمة هرم السلطة من دون وجود سرديات نقدية ساخرة في الحكايات الشعبية. وربما يرجع هذا إلى أنها تنتقل عادة في سياقات تلقى غير جماهيرية، من فرد إلى آخر، أو مجموعة ضيقة من الأفراد في سياقات شبه مغلقة. ومن ثم، لم تتحول إلى خطاب جماهيري يهدد السلطة بما يكفي لأن تخشاه بشراسة، وذلك على خلاف قصص الوعاظ الرسميين، أو قصاصي الأسواق، والمساجد، والطرقات، وكتاب القصص ممن كانوا يخضعون لمراقبة السلطة وتدخلها<sup>(1)</sup>. ونتيجة للحرية النسبية التي أتيحت لإنتاج الحكايات الشعبية وتلقّيها، ظهرت حكايات تنتقد الملك رأسًا، وتسخر منه في محاولة لمقاومة سلطة البطش على نحو ما سنرى.

## 4.2 المقاومة بالسخرية

تُعدّ السخرية من السلطة الباطشة آلية شائعة من آليات مقاومة السلطة، وتخفيف القلق والتوتر الناشئين عن التعرض لبطشها. وقد اتخذ المجتمع المصري من النكت، والفكاهات، والأمثولات الساخرة، والحكايات الهازئة أداةً للانتقام من سلطة البطش التي نكّلت به على مدار آلاف السنين. وسوف نقدم فيما يأتي أمثلة لحكايات شعبية تُنجز المقاومة بالسخرية.

### 4.2.1 قوة الكلمة المدعومة بالمعرفة: «إن قلت ما تخفش»

تحكي حدوتة «إن قلت ما تخفش»، قصة ثلاث فتيات يتحدّين أمر السلطة بإطفاء جميع الأنوار في البلدة، فيضنن بيتهن، ويجلسن في النور للتحدث عن أحلامهن. يغضب الملك حين يرى بيتًا منيرًا، ويتوجه إليه، ثم يسترق السمع لهن. ويبعث في اليوم التالي من يحضرهن إلى قصره، ويطلب منهن أن يُعدن ما سمعه منهن بالأمس. فتذكر الأولى ما قالته بأنها تحلم بأن يوظفها الملك مساعدة لخباز الملك حتى تجد

(1) رصدت ألفت الروبي بعض تقاليد تداول القصص الشعبي في التراث العربي، انظر: الروبي،

خبزاً تأكله، والثانية تُعيد قولها بأنها تحلم بتعيينها مساعدة لطباخ الملك حتى تأكل طيخاً كل يوم. أما الثالثة فتردد بين نفسها المثل القائل: «إن قلت لا تخف، وإن خفت لا تقل»، وتواجه الملك بأنها قالت إنها لا تقبل حتى أن يمسح الملك لها حذاءها. فيحقق الملك للأختين الأوليين ما حَلَمتا به، ويسجن الثالثة، ويحكم عليها بالإعدام بعد ثلاثة أيام. لكنها تتمكن من الخروج من السجن كل ليلة، وتقابل الملك في الحديقة دون أن يعرفها. وتدعي عدم معرفتها بأصوات الحيوانات التي تسمعها في الحديقة؛ وتطلب من الملك تقليد صوت أحد الحيوانات كل ليلة، فيقلد صوت الكلب، والغراب، والقط. وتحتال عليه فيعطيه منديله، وخاتمه، وساعته، دون أن يعرف هل هذه الفتاة إنسية أم جنيّة. وحين يحل موعد شفقها، تظهر أمام الملك، وتطلعه على حقيقة أنها هي نفسها الفتاة التي جعلته يقلد أصوات الحيوانات، وتريه ما أعطاه لها من أشياء، ومنها خاتم المُلك؛ فيقرر الملك الزواج بها.

تكتظ الحدودية بالرموز الدالة؛ فالملك يفرض بسلطته إطفاء الأنوار، ويقتصص ممن يعصي أمره، ويُنير بيته، والنور رمز مهم من رموز العلم، والوعي، والمعرفة. وعادة ما تستدعي الذاكرة الشعبية ثنائية تربط بينهما هي «العلم نور». وفي كل الأحوال، فإن الحدودية تنطوي على سخرية مريرة من الملك؛ فهي تقدّمه أولاً بوصفه فاعلاً للظلام/الجهل، ثم تجعله في مرتبة الحيوانات؛ فهو ينبح مثل كلب، ويموء مثل قط، ويقاقى مثل غراب عراقي. وأخيراً، تجعل منه الفتاة غرّاً ساذجاً يُسلب كل شيء، بما في ذلك خاتم ملكه من دون مقاومة.

ربما تكمن أمثولة الحكاية في الغاية من السخرية اللاذعة التي قامت بها الفتاة، أعني إثبات أن الملك غير كفاء لأن يخدمها؛ إذ يمكن تأويل الأحداث التي تقع بين البنات والملك على أنها أمثولة للعلاقة بين الحاكم والمحكومين. ففي حين اقتصر حلم أختي الفتاة (اللتين امتثلتا لإطفاء نور بيتهما) على ملء بطنيهما مقابل خدمة السلطة والاستسلام التام لهيمنتها، أدركت الفتاة (التي أصرت أن يظل البيت، أي العقل والروح منيراً) أنها أقوى وأعلى من هذه السلطة نفسها. في تصوُّو يبدو معاصراً على نحو غير متوقع. فالفتاة (الشعب حال امتلاكه للمعرفة) تُدرِك أنها أعلى من الملك قيمة، وأهميّة، ومكانة؛ لأنها ببساطة تمتلك قوة المعرفة التي حصَلَتْها رغم أنف السلطة ذاتها. ولم يكن قرار الملك بقتل الفتاة إلا تجلياً رمزياً لعمليات المحو التي يسعى المستبدون لإجرائها للمتورين من أفراد شعوبهم، لذا كان رد الفتاة على القدر نفسه من القوة، فقد جاء في

شكل سخرية مهينة من الملك حين جعلته طوعياً يحاكي الحيوانات (المفتقدة للعقل (النور)، ويتنازل رمزياً عن سلطته لها بمنحها خاتم ملكه. ويبقى فعل الزواج بوصفه نهاية مفتوحة؛ فقد تكون علاقة الزواج سبباً شرعياً لعلاقة هيمنة حين تسيطر سلطة الملك (الذكورية) على سلطة المعرفة (الأثوية)، لكنها كذلك قد تكون إعلاناً رمزياً عن التشارك في السلطة بين الفتاة والملك، أو المعرفة والسلطة بالأحرى.

#### 4.2.2 قوة اللغة الساخرة: «السر في بير»

إذا كانت حكاية «إن قلت ما تخفش»، تمجد شجاعة قول الحق أمام سلطة غاشمة، وتتخذ من السخرية أداة لترويضها؛ فإن حكاية «السر في بير»، لا تختلف في القيمة ولا الغاية، ولا الغرض. تحكي الحدودية عن ملك اسمه ترکان، له آذان طويلة جداً كالمعزة، تُسبب الضحك لكل من يراها. وكلما استقدم حلاقاً ليقص شعره ضحك على أذنيه، فيعاقبه بالسجن، حتى جاءه حلاق لم يضحك من شكله، ووعده بأن يحفظ سره. وبعد فترة لم يتمكن من كبت السر داخل نفسه، فحفر بئراً عميقاً، ونزل فيه، وظل يردد قائلاً، للملك آذان معزة، وهي مضحكة جداً. وبعد أن ضحك كثيراً، ردم البئر، فنبتت منه أشجار الخيزران، التي تُصنع منها آلة الناي الموسيقية. وكلما صنع أحدهم نايًا، غنى الناي وحده أغنية، تبوح بسر الملك. وحين عرف الملك أن سره قد ذاع، أخرج الحلاقين من السجن، وتخلّى عن العمامة التي يغطي بها أذنيه، فرأى الناس كلهم أذنيه، وضحكوا دون خوف. تعالج الحكاية تيمة السلطة المعيبة التي تُخفي عيها عبر آلية الإسكات القسري لكاشفيه (عبر السجن). وتنطوي الحدودية على ثنائيتين: الصمت في مقابل الكشف، والعقاب في مقابل الكلام. وكما هو الحال في حدودية «إن قلت ما تخفش»، فإن جوهر الحكاية يدور حول قيمة الكلام. والطبيعة في الحدودية هي العدو الأساس للسلطة، فهي التي تردد السر المكتوم، وتشيعه بين الناس. ويبدو أن الحدودية تنتمي إلى نمط القصص التفسيرية؛ أي القصص التي تقدم سياقاً تفسيرياً لظهور قول مثلي، أو عبارة حكمية، أو تلفظ شهير، بواسطة إيجاد إطار حكاية له. والقول المقصود هنا هو «السر في بير»، الذي يُقال في سياق الوعد بحفظ السر. لكن الحدودية في الوقت نفسه تمارس نقداً لمحتوى المثل، إذ تقدّم خلاف فحواه، أي أن السر سيعلن حتى إن وُضع في بئر.

مثلما هو الحال مع حكاية «إن قلت ما تخفش»، ترضخ السلطة لقوة الكلمات. فالقدرة التأثيرية للكلام (الممثلة في إثارتها للضحك)، كانت أقوى من قوة السجن الرمزي للمتكلمين. وذبوع السر وافتضاحه بين الناس دليل آخر على قوة الكلمة في مقابل

السيف. وتبدو نهاية الحكاية مثيرة للاهتمام؛ إذ ارتضت السلطة (ممثلة في الملك)، إظهار عيوبها، ولم تدخل في صراع مع الناس جميعاً محتفظة في الوقت نفسه بسلطتها كاملة. ويبدو أن الحكاية تبرزُ معادلة شديدة الشيوع في العلاقة بين الحاكم والشعب في مصر تحديداً، ويمكن صياغتها في العبارة الآتية: «الحاكم يفعل ما يشاء، والشعب يسخر كما يشاء».

### 4.3 المقاومة بسلطة الكلمة المكتوبة: حكاية «اللي كتب غلب»

تتناول القصتان السابقتان قوة الكلمة المنطوقة لأفراد شعبيين عاديين في مواجهة السلطة المادية للحاكم. ويمكن أن نجد أدلة مشابهة على قوة الكلمة المكتوبة، وبلاغتها، في مقابل سلطة الحاكم المادية. ومن القصص التي تبرهن على ذلك حدوتة «اللي كَتَبَ غَلَبَ»، التي تحكي عن ملك ووزير يشاهدان رجلاً من عامة الناس يكتب أوراقاً، فيستطلعان الأمر، ليكتشفا أنه يسجل أسماء زيجات المستقبل، في أوراق منفصلة، مسجل عليها أن «فلان يتزوج فلانة». فيسأل الملك الرجل عمّن سيتزوج ابنته؛ فيجيبه الرجل أن ابنة الملك سيتزوجها ابن راعي الغنم. يُفاجأ الملك، ويتلصص على بيت الغنم، ليكتشف أن امرأته حُبلى بالفعل، فيطلب من وزيره قتلها هي وابنها، ودفنهما. فيقتلها الوزير، ويدفنها في مقبرة، ظناً أن الولد سيموت في بطن أمه، لكن الولد يخرج من رحم أمه، وينساب له من جسد أمه الميتة لبناً، وينمو، حتى يتمكن من الخروج من المقبرة في وقت يُصادف مرور الملك أمام المقبرة، ويرى الولد الجميل، فيتعهد بتربيته حتى يصبح شاباً. وفي يوم يتجول الشاب مع الملك لاختيار أصحابي العيد، يرى الشاب والده الغنم، فيتعرف عليه، ويقول للملك هذا أبي. فيسأل الملك عن الغنم، فيعرف حكاياته، وحين يُفاجأ بأن الولد الذي رياه هو ابن الغنم يزوجه ابنته راضياً.

تستعيد الحكاية طقوس الخلق الأول، وتقدم الفهم الشعبي لفكرة المصير المحدد سلفاً عبر عملية كتابة في «اللوحة المحفوظة»، وتستبدل الحكاية الفعل الإلهي أو الملائكي بفعل بشري تنبؤي، تكتسب فيه الكلمة المكتوبة قوة نافذة في المستقبل. تتناص الحكاية مع شطر من قصة سيدنا موسى كما وردت في القرآن الكريم؛ فالملك يسعى لقتل الطفل، لكنه ينجو بقدرة إلهية، وتختلف الحكاية في أنها تُحلل زواج ابن الغنم من ابنة الملك محل الصراع المسلح بينهما.

تكمُن أهمية الحدوتة في كونها تبرهن على قوة الكلمة في قلب علاقات السلطة التقليدية. فالملك والوزير لا يستطيعان تغيير الكلمة/المصير التي خطها شخص من

عامة الشعب. وعلى الرغم من استعمالهما لأقصى تعسّف في استعمال السلطة (قتل أم حامل وطفلها)، فإن قوة الكلمة كانت أقوى. وعلى الرغم من أن الحدودية لا تحتوي أي فعل قصاص من الوزير والملك القاتلين، فإن إنفاذ قوة الكلمة ينطوي على تقويض لسلطتيهما معًا. فالكلمة في هذه الحدودية أيضًا كانت وسيلة سلب السلطة من الملك، ونقلها إلى الشعب من خلال فعل الزواج الذي يوظّف في الحكيم الشعبي عادة لنقل السلطة من الأب إلى زوج الابنة.

الحكايات السابقة ليست إلا عيّنة لحكايات أخرى كثيرة يحقق من خلالها الحكاء الشعبي الذي ينتمي إلى عامة الناس «انتصاراته» على ممثلي السلطة السياسيّة؛ يحبط كيدهم، ويكشف خداعهم، ويستعين بقوة الكلمة المنطوقة أو المسموعة لمقاومة قوة البطش التي تتمتع بها السلطة السياسيّة. فهل يخلق الحكاء في الحكيم عالمًا يهرب به من الواقع أم يكون الحكيم سبيله لخلق واقع فعلي جديد؟

## خاتمة

فحصت هذه المقالة بعض أوجه العلاقة بين المصري والسلطة من نافذة الحكيم الشعبي. وبرهنت على أهمية التحليل البلاغي النقدي للحواديت والحكايات الشعبية التي نادرًا ما تُدرس بوصفها خطابات رمزية تُنجز وظائف اجتماعية سياسية. ركزت المقالة تحديدًا على الكيفية التي تتمكن بها الجماعات المهمشة -مثل الفلاحين- من الانتقام الرمزي من السلطة المستبدة من طريق وسائل بلاغية مثل: السخرية، والاستهزاء مستعملة عتادًا من الوسائل البلاغية مثل التعريض والتكنية والتورية والتخييل.

تكشف الحكايات المدروسة عن تنوع الوسائل البلاغية التي يحقق من خلالها الحكاء الشعبي الذي ينتمي إلى عامة الناس انتصارات «رمزية» على ممثلي السلطة السياسيّة؛ إذ يحبط كيدهم، ويكشف خداعهم، ويقاوم بطشهم. كما تكشف الحكايات المدروسة عن شيوع التمثيل السلبي لحائزي السلطة في قمة رأس الهرم السياسي (الملك، والوزير)، وعن خوض الفلاح العادي والإنسان البسيط، رجلا كان أو امرأة، أشكالا من الصراع معهم للحفاظ على حقوقه وممتلكاته التي يسعون لاغتصابها. تقدم الحكايات المدروسة كذلك تمثيلات إيجابية للمرأة تُعد امتدادًا لتمثيلات شهرزاد في ألف ليلة وليلة التي تجعل المرأة وعاء المعرفة، والحكمة، والذكاء.



## قائمة المراجع

- صالح، أحمد رشدي. (2002). الأدب الشعبي. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- حسن، سليم. موسوعة مصر القديمة، الأدب المصري القديم، الهيئة العامة للكتاب، ج 17، طبعة 2000.
- هوتو، ديفيد، «البلاغة المصرية القديمة في عصر الدولتين القديمة والوسطى»، ترجمة عماد عبد اللطيف، مجلة نزوى، عدد 84، أكتوبر 2015، سلطنة عُمان، صص. 63-76.
- أبو الليل، خالد. الحكاية الشعبية: دراسة ميدانية في محافظة الفيوم. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، 2003، الجزء الثاني.
- الروبي، ألفت. (1991). الموقف من القص في تراثنا النقدي. مركز البحوث العربية، القاهرة.

ترجمات  
في التحليل النقدي للخطاب



## التقارب بين

# التحليل النقدي للخطاب واللسانيات المعرفية<sup>(1)</sup>

## أديل بيتيتكليكرك

ترجمة: أ. د. حافظ إسماعيلي علوي

جامعة الشارقة، الشارقة / جامعة محمد الخامس، الرباط

halaoui@sharjah.ac.ae/ hafid.ismaili-alaoui@flsh.um5.ac.ma

<https://orcid.org/0000-0002-8643-6002>

### الملخص

يتناول هذا البحث التقاطع بين اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب بوصفه تحولاً معرفياً ومنهجياً أساسياً في الدراسات اللسانية المعاصرة. ينطلق من فكرة أن التحليل النقدي للخطاب، منذ فان دايك، يقوم على التكامل بين التخصصات، وأن إدماج اللسانيات المعرفية يعمق هذا البعد بتفسير البنية الإدراكية للأيديولوجيا. تقوم المقاربة المعرفية على أن اللغة ليست نظاماً مغلقاً، بل هي نشاط إدراكي يُنتج المعنى عبر التجربة والتصور الذهني، وأن الأثر الأيديولوجي للخطاب ينبع من العمليات المعرفية التي تستثمر الإمكانيات اللغوية في تشكيل الرؤية للعالم.

يقدم البحث إسهامين رئيسين: الأول لفيرونيك كولر التي حللت خطاب الإعلام الاقتصادي مبيّنة أن استعارة «الأعمال حرب» تُعيد إنتاج الهيمنة الذكورية وتُظهر الاستعارة كأداة معرفية واجتماعية لتطبيع الأيديولوجيا. والثاني لكريستوفر هارت الذي استخدم نموذج دينامية القوى لليونارد تالمي في تحليل خطاب الهجرة، مفسراً كيف تُصوّر الهجرة صراعاً بين قوى ناهضة ومناهضة، ما يكشف عن تمثيلات ذهنية تبرّر مواقف أيديولوجية.

يخلص البحث إلى أن هذا التقارب يوسّع أفق التحليل النقدي للخطاب ويجعله قادراً على تفسير إنتاج الأيديولوجيا في مستوياتها اللغوية والمعرفية معاً، وأن اللسانيات المعرفية توفر له أدوات دقيقة لفهم كيفية بناء المعنى وتوجيه الوعي الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات المعرفية، التحليل النقدي للخطاب، الأيديولوجيا، الاستعارة المفهومية، دينامية القوى

(1) Norman Fairclough & Isabela Fairclough. (2018) "A Procedural Approach to Ethical Critique in CDA", in *Critical Discourse Studies*, 15(2), pp. 169-185.



# LE RAPPROCHEMENT ENTRE CDA ET COGNITIVE LINGUISTICS

Translated by: Hafid Ismaili Alaoui

University of Sharjah, Sharjah / Mohammed V University, Rabat  
halaoui@sharjah.ac.ae/ hafid.ismaili-alaoui@flsh.um5.ac.ma

<https://orcid.org/0000-0002-8643-6002>

## ABSTRACT

This research examines the integrative relationship between cognitive linguistics and critical discourse analysis (CDA) as an epistemological and methodological shift in the study of language as both a cognitive and social practice. It starts from the premise that CDA, since van Dijk, has been grounded in interdisciplinarity, and that incorporating cognitive linguistics deepens this orientation by explaining the mental structures underlying the production of ideology. Language, in this view, is understood as a cognitive activity that produces meaning through experience and conceptualization, while the ideological function of discourse is interpreted as stemming from cognitive processes that exploit linguistic resources to shape worldviews.

The research highlights two key contributions: the first by Veronika Koller, who, through her analysis of economic discourse, demonstrated that the metaphor “business is war” reproduces male dominance and serves both cognitive and ideological functions in normalizing power relations; and the second by Christopher Hart, who employed Leonard Talmy’s “force dynamics” model to analyze migration discourse, showing how migrants are represented as active forces facing resistance—a cognitive representation that influences social and political interpretations.

The study concludes that combining cognitive linguistics with critical discourse analysis broadens the analytical scope from linguistic structures to cognitive ones, providing a deeper understanding of how meaning and ideology are constructed and how discourse shapes social awareness.

**Keywords:** Cognitive Linguistics, Critical Discourse Analysis, Ideology, Conceptual Metaphor, Force Dynamics

**Keywords:** Cognitive Linguistics, Critical Discourse Analysis, Ideology, Conceptual Metaphor, Force Dynamics.

شكّل الاعتماد على التكامل بين التخصصات، سواء على مستوى الإسهامات النظرية أو مناهج التحليل، أحد المبادئ الأساس للتحليل النقدي للخطاب منذ بداياته (كما يظهر من خلال تقديم تون فان دايك Teun van Dijk في الافتتاحية الأولى لمجلة *Discourse & Society* عام 1990)، وكان هذا التكامل يظهر دائما بطرائق متعددة وتأثيرات متنوعة استنادا إلى ما توصل إليه الباحثون. والتقارب الذي يعيننا هنا هو ذلك القائم بين المقاربات في اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب. ويعد تون فان دايك، نفسه، أحد أشد المؤيدين لهذا التقارب؛ إذ تتبوأ أعماله منزلة كبيرة من بين الأعمال ذات التأثير القوي التي سنعالجها في هذا الفصل.

شهدت اللسانيات المعرفية تطورا كبيرا في البلدان الأنجلوسكسونية، ولا نسعى هنا إلى عرض تفاصيلها، أو إعداد تقرير إبستيمولوجي بشأنها<sup>(1)</sup>، بل غايتنا الأساس هي إبراز الجوانب التي يستعملها الباحثون في التحليل النقدي للخطاب عند الحديث عن هذا التقارب. تطورت المقاربة المعرفية في الدراسات النقدية للخطاب تطورا كبيرا خلال السنوات الأخيرة (Wodak, 2001d; Graham, 2003; Koller, 2003; O'Halloran, 2003; Koller, 2004; Hart, 2005; Charteris-Black, 2006) في اتجاهات مختلفة. وعدّد كريستوفر هارت Hart Christopher وبيوتر كاب Piotr Cap، وكلاهما متخصص ومؤيد لإدماج المقاربة المعرفية في الدراسات النقدية للخطاب [كما يظهر] في كتابهما *Contemporary Critical Discourse Studies* (2014)، على الأقل أربعة اتجاهات رئيسية: (المقاربة النقدية للاستعارة (Koller 2004)، ونموذج الشرعنة- التقريب (Cap 2006)، والمقاربة المعرفية العامة (Hart 2005)، ومدرسة نوشاتيل لتحليل التلاعب (Oswald & Maillat, 2013)). وتشترك هذه الاتجاهات جميعها في تصور موحد للغة والخطاب.

ما تشترك فيه هذه المقاربات الحديثة هو أنها لا تنظر إلى الإمكانيات الأيديولوجية أو الإقناعية أو التلاعبية للخطاب بوصفها خاصية من خصائص اللّغة ذاتها، وإنما تنظر إليها بوصفها عمليات معرفية تستطيع اللغة استعمالها. (Hart & Cap, 2014, p. 6)

(1) نحيل القراء إلى كتابين شاملين جدًا من أجل اكتساب معرفة معمّقة بهذه التخصص / المجال: William Croft & Alan Cruse. (2004) *Cognitive Linguistics*. (Cambridge: Cambridge University Press).

Dirk Geeraerts & Hubert Cuyckens. (2010) *The Oxford Handbook of Cognitive Linguistics* (Oxford: Oxford University Press).

يشرح كريستوفر هارت في بحثه الموسوم بـ «الأنماط التفاعلية للقوى في خطاب الهجرة: مقارنة لسانية معرفية في التحليل النقدي للخطاب Force-interactive Patterns in Immigration Discourse: A Cognitive Linguistic Approach to CDA، المنشور عام 2011 في مجلة الخطاب والمجتمع *Discourse & Society* ما الذي تعنيه اللسانيات المعرفية، وكيف يمكن من وجهة نظره، بصفته باحثاً في التحليل النقدي للخطاب، أن يُسهّم التقارب بين التخصصين في إفادة كلتا المقاربتين. يكمن القاسم المشترك بين اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب، بحسب هارت، في أن اللسانيات المعرفية تنتمي أكثر إلى برنامج بحثي وإلى أنموذج ضمن العلوم الاجتماعية والمعرفية واللسانية، بدلاً من أن تكون مدرسة ذات نظريات موحدة. ومع ذلك، فإنها تتقاسم عدداً من الفرضيات الأساس: «تشمل هذه الفرضيات، مثلاً، فكرة أن النحو والدلالة يركزان على العمليات العامة نفسها مثل بقية المجالات المعرفية، وأن المعرفة اللغوية بطبيعتها تصورية، ولا يمكن فصلها عن المعرفة غير اللغوية، وأن المعنى يركز على التجربة، وأن اللغة تُستعمل لصناعة التجربة» (Hart, 2011a, p. 270).

وبحسب هارت يمكن للسانيات المعرفية أن تُقدّم للتحليل النقدي للخطاب أدوات تمكنه من تحليل الأيديولوجيا سواء أفي مستوى النص أم في مستوى تلقي النصوص، أي: في مستوى التصوّر، وعرفها بأنها: «العملية المعرفية الدينامية التي تُبنى من خلالها الدلالة»<sup>(1)</sup> (Hart, 2011b, p. 272). وفي الواقع، تقترح اللسانيات المعرفية نماذج للتصور تشرح كيف «تمر» التمثيلات المختلفة للعالم التي هي بطبيعتها أيديولوجية من المتحدثين إلى الخطاب، وبالأخص كيف تؤوّل بعد ذلك عند تلقيها. يمكن للسانيات المعرفية أن تُنمذج التمثيلات الذهنية الأيديولوجية التي تحثّ مستهلكي النصوص على بنائها استجابةً لبنيات معينة في النص، والتي تُشكّل تجربتهم للظواهر الموصوفة. وإضافة إلى ذلك، تُعنى اللسانيات المعرفية، بالظواهر نفسها التي يهتم بها التحليل النقدي للخطاب؛ إذ تعالج اللسانيات المعرفية مثلاً -ضمن اللغة والمعرفية- بنينة المقولات الأساس، من قبيل: الفضاء، والزمن، والمواقف، والأحداث، والكيانات، والأفعال، والعمليات، والحركات، والتموضع، والقوة، والسببية، والقصد، والإرادة. (Fauconnier, 2006).

(1) عملية معرفية دينامية آتية يبني من خلالها المعنى.

إن الادعاء الأساس في اللسانيات المعرفية في خصوص التحليل النقدي للخطاب هو أن بنية هذه المقولات تنطوي دائماً على صناعة. ويحيل مفهوم الصناعة على حقيقة مضمونها أن الظواهر نفسها يمكن تصويرها بطرائق مختلفة، لكن البنيات اللغوية البديلة تفرض تصوّرات خاصة على المشهد المطروح (Langacker, 1991). ومن ثم، تبرز البنيات اللغوية في نص من النصوص تصور منتج النص الخاص للواقع (أو على الأقل بنية يطمح إلى ترويجها بهدف التأثير في استراتيجيات خطابية أيديولوجية) (Hart, 2011b, p. 272). يرى كريستوفر هارت، والباحثون الذين يسعون إلى الجمع بين المقاربات والنماذج المستمدة من بحوث اللسانيات المعرفية والمنظور النقدي للتحليل النقدي للخطاب، عدم وجود أيّ تعارض بين المجالين. وسنقدّم هنا أعمال باحثين اثنين يمثلان في نظرنا هذه الدينامية بشكل بارز.

سنتناول في البداية التحليل النقدي للاستعارة، وهي مقارنة تتمحور، كما يوحي بذلك اسمها، حول الاستعارة<sup>(1)</sup>. وقد انتشرت هذه المقاربة منذ صدور كتاب فيرونيكا كولر Koller Veronika الباحثة بجامعة لانكستر عام 2004، الموسوم بـ الاستعارة والجنوسة في خطاب الأعمال بوسائل الإعلام: دراسة معرفية نقدية *and Metaphor Study Cognitive Critical A :Discourse Media Business in Gender* ((2))، وحظيت باهتمام كبير في أوساط الباحثين في مجال التحليل النقدي للخطاب. بعد ذلك، سنتناول مشروع كريستوفر هارت الذي يسعى إلى دمج أدوات أخرى من اللسانيات المعرفية ضمن التحليل النقدي، مدّعياً أنه إذا كانت المقاربة المعرفية للاستعارة قد أثبتت فعاليتها الكبيرة في مجال التحليل النقدي للخطاب، فإن اللسانيات المعرفية لا تقتصر على هذه المقاربة وحدها، بل تحتوي على عناصر أخرى مثمرة ومفيدة للغاية في مقارنة الدراسات النقدية للخطاب.

(1) Veronika Koller. (2003) «Metaphor Clusters in Business Media Discourse: A Social Cognition Approach». (PhD Thesis) (Vienna: University of Vienna) Jonathan Charteris-Black. (2004) *Corpus Approaches to Critical Metaphor Analysis* (Basingstoke: Palgrave Macmillan); Andreas Musolff. (2004) *Metaphor and Political Discourse: Analogical Reasoning in Debates about Europe* (Houndmills: Palgrave Macmillan).

(2) Veronika Koller. (2004) *Metaphor and Gender in Business Media Discourse: A Critical Cognitive Study* (Basingstoke: Palgrave Macmillan).

## 1. التحليل النقدي للاستعارة

نشرت فيرونیکا كولر كتابها الاستعارة والجنوسة في خطاب الأعمال بوسائل الإعلام: دراسة معرفية نقدية في عام 2004، وهو دراسة طوّرت من خلالها مقاربتها النقدية للاستعارة. وقد ظلّت الاستعارة، حتى ذلك الحين، شبه غائبة عن العلوم اللغوية داخل المجتمعات الناطقة بالإنجليزية التي كان مجال اهتمامها محصوراً في الدراسات الأسلوبية واللسانيات المعرفية، ويجري ذكرها أحياناً عرضاً في تحليل الخطاب، لكنها لا تظهر فعلياً في تحليلات النصوص.

انصبَّ اهتمام فيرونیکا كولر في المقام الأول على خطاب وسائل الإعلام المهمة بالشؤون الاقتصادية (خطاب الأعمال بوسائل الإعلام)، أي: الطريقة التي تعرض بها الصحافة الاقتصادية (مثل الإكونوميست، والفائنتشال تايمز، وغيرهما) الشؤون الاقتصادية والمالية. وفي هذا الإطار، أثار اهتمامها وفرة الاستعارات التي يلجأ إليها الصحفيون، والتي -بحسبها- تُسهّم بوضوح في بناء رؤية دقيقة جدا للعالم. إن إلقاء نظرة سريعة على أي مجلة أو صحيفة اقتصادية تكفي لأن تُدهش القارئ بكثافة اللغة الاستعارية المستخدمة فيها. لنلاحظ المثال العشوائي الآتي:

«في هذا الصيف المفعم بالحب بين الشركات، قد يتحول العناق غير المرغوب فيه بين شركة بيشيني الفرنسية للألمنيوم، وشركة ألكان الكندية المنافسة لها إلى قصة حب معقدة» [...] (The Economist, 2003)

[...] يستطيع الكُتّاب إذاً، من خلال استعمال استعارات خاصّة، تحديد موضوع ما، والدفاع عن تصوّره تصوّراً معيناً، وإقناع القراء بتبني استعارتهم، ومن ثم بناء علاقة معهم. وفي اختصار، تؤدي الاستعارة دوراً مساعداً على بناء نظرة خاصة للواقع.

(Koller, 2004, pp. 1-2)

تبدى لكولر، من خلال تحليلها، أن الاستعارة الأكثر بروزاً في الخطاب الإعلامي الاقتصادي، هي استعارة الحرب (وخاصة الأعمال حرب) يتعلق الأمر عند فيرونیکا كولر باستعارة راسخة في الثقافة، مما يدل أن استعمالها له تداعيات على الممارسات الاجتماعية.

«تكمن خصوصية استعارة [الحرب] في أن الحرب ليست مجالاً موحداً في حد ذاتها؛ إذ تتضمّن مزيجاً من العنف الجسدي والاستراتيجية العسكرية. [...] والنموذج التصوري المرتبط بها متجذّر في الثقافة الغربية، والاستعمال المفروض لهذه الاستعارة

لا يؤدي إلى تجذرها بقوة أكبر فحسب، بل يكون له أثر أيضاً في الطريقة التي تُجرى بها الأعمال. ومع ذلك، فإن نموذج الحرب، على الرغم من انتشاره، فإنه ليس هو النموذج الوحيد المتاح، وهذا ما يثير إشكالية فهم سبب شيوع استعماله» (Koller, 2004, p. 4). تتبنى فيرونيكا كولر المقاربة النقدية، وتتطلع إلى بلوغ هدف الكشف الذي يميز تحليل الخطاب ضمن هذا المنظور. وتبدئ لها أن تحليل الاستعارة قد يكون مثمراً للغاية في هذا المشروع. وذهبت إلى أن الاستعانة بمخزون من الاستعارات الكلاسيكية والتقليدية يتيح للمتكلم التنصل من المسؤولية؛ إذ يمكنه ببساطة التدرّع بالقول: «هكذا نتحدث عن الأمر». وينظر إلى التعبير الاستعاري بوصفه تعبيراً غير إشكالي للواقع، بينما ترى الباحثة أنه يندرج بوضوح ضمن ما تسميه بـ «إضفاء نزعة طبيعية على الخطاب» (وهو مصطلح تستعيّره من فيركلف (Fairclough, 1995a, p. 35)، أي: تعبير يبدو كأنه يبرز الفهم المشترك أو الحس العام، بينما يتضمن في الحقيقة مضموناً أيديولوجياً ينبغي أن يكون التحليل النقدي قادراً على كشفه.

«إن الغاية من أي دراسة نقدية للاستعارة هي الكشف الصريح عن تلك المعاني الضمنية المبنية اجتماعياً واختبارها لمعرفة محتواها الأيديولوجي. وبالنظر إلى الاعتبارات السابقة، يركز هذا الكتاب على الفرضية الآتية: يتميز خطاب الأعمال بوسائل الإعلام بمجموعة من الاستعارات المنسجمة المتمركزة حول استعارة الحرب، وتُساعد هذه الاستعارة على إضفاء الطابع الذكوري على هذا الخطاب وعلى الممارسات الاجتماعية المرتبطة به. [...] وبما أن الحرب يمكن اعتبارها «نشاطاً ذكورياً بامتياز واختباراً أساسياً للرجولة» (Wilson, 1992, p. 892)، فإن استعمالها الاستعاري يساعد على تهميش الأنوثة الاستعارية، إن لم يكن إزالتها، ومن ثم النظر إلى النساء الفعليات خارج المجموعة في مجال الأعمال» (Koller, 2004, p. 5).

ومع ذلك، تشير فيرونيكا كولر إلى أن اللسانيات النقدية والتحليل النقدي للخطاب لم يُبدى اهتماماً حقيقياً بالاستعارة، وحتى حين يحدث ذلك، يُنظر إلى الاستعارة بوصفها عملية أسلوبية، ولا يُعنى بها في بعدها المعرفي أبداً، بينما كانت اللسانيات المعرفية هي الفرع الوحيد من علوم اللغة في التقليد الأنجلوسكسوني الذي درس الاستعارة دراسة عميقة (ويُعدّ كتاب لاكوف وجونسون<sup>(1)</sup> Lakoff &

(1) George Lakoff & Mark Johnson. (1980) *Metaphors We Live By*. (Chicago /London: The University of Chicago Press).

Gunther Johnson, 1980 المرجع المؤسس في هذا المجال وقتئذ. أما غانثر كريس Kress في اللسانيات النقدية، فقد اعترف بالتحليل الاستعاري بوصفه مسارا ذا إمكانات مهمة، لكنه لم يطبِّقه فعليًا (Kress, 1989 [1985], p. 71)، وكذلك فعل نورمان فيركلف Norman Fairclough، في التحليل النقدي للخطاب الذي أشار إلى الاستعارة بوصفها إمكانية تحليلية (Fairclough, 1989, p. 119)، لكنه تجاهلها تمامًا في تحليلاته الخاصة. وبالمثل، نظرت الأعمال المؤسسة لدراسة الاستعارة في اللسانيات المعرفية، في بداياتها، إلى الاستعارة باعتبارها تقاطعًا بين مجالين: المجال الاجتماعي والثقافي، ومجال البنيات الذهنية (Lakoff & Johnson, 1980, p. 156)، غير أن هذه الأعمال انصرفت تركيزها تدريجياً ومع مرور الوقت على المكوّن الاجتماعي والثقافي للاستعارة، إلى التركيز على الجانب الذهني، بل والعصبي والبيولوجي أيضاً. ومن ثم، ترى فيرونیکا كولر أن الجمع بين المقاربتين يمكن أن يسدّ الثغرات في كلا التخصصين.

إن المقاربة النقدية «التقليدية» للاستعارة هي تلك الخاصة بالدلالة المعرفية التي نجدها في كتاب الاستعارات التي نحيا بها *By Live We Metaphors* الصادر في عام 1980 لجورج لاكوف George Lakoff ومارك جونسون Mark Johnson، وهما باحثان أميركيان مؤسسان لللسانيات المعرفية. وقد تصوّرا الاستعارة بوصفها إسقاط مجال تصوري (المجال المصدر) على مجال آخر (المجال الهدف). فعلى سبيل المثال، في استعارة الأعمال حرب يكون المجال المصدر هو مجال الحرب الذي يُسقط على مجال الأعمال.

تقترح اللسانيات المعرفية تصوّراً ثانياً للاستعارة، وهو تصوّر أحدث وأكثر تعقيداً (Fauconnier & Turner, 2002)؛ إذ تُفهم الاستعارة هنا باعتبارها مزجا بين فضاءات ذهنية مختلفة بناءً على نقاط التشابه بينها (نجد على الأقل فضاءين يغذيان الاستعارة بوصفهما مدخلين، وفضاءً عاماً يجمع خصائصهما المشتركة)، وتندمج هذه الفضاءات في فضاء ذهني جديد. فعلى سبيل المثال، عندما يُقال عن شركة ما إنها «تخشى أن تُبتلع وهي نيئة» [يعني أن] يبتلعها عملاق في مجالها، فإن الفضاءين اللذين يغذيان هذه الاستعارة هما: سيناريوها التغذوية والاستحواذ، حيث يتداخلان. وهنا تكون عملية الدمج جزئية فحسب؛ إذ لا تأخذ الاستعارة سوى بعض السمات من كلا المجالين الأساسيين.

تسعى فيرونیکا كولر، من خلال تحليل الخطاب، إلى دراسة البُعد الاجتماعي والثقافي للاستعارة بوصفها عملية معرفية، وتوظيف تحليلها خدمةً للغاية النقدية.

«لقد دُمجَ الاتجاهان [أي: نظرية الاستعارة المعرفية التقليدية، والمقاربات الحديثة مثل نظرية المزج التصوري] في مقارنة ترى أن المشاركين في الخطاب يستعينون بمجموعة من الاستعارات المعقّدة للتفاوض حول الهويات والعلاقات الاجتماعية عبر النص. ويُنظر إلى النص هنا بوصفه متجذراً في الممارسة الخطابية والنماذج المعرفية (الاستعارية). ومن ثم، فإن الاستعارات التي تُستخدم في النص تحدّد لها الاستعارات المترسّخة في الخطاب والمعرفية الاجتماعية وتشكل منها أيضاً. وبهذا، فالهدف العام للبحث النقدي في الاستعارات هو الكشف عن المصالح المخفية التي تؤثر في اختيار الاستعارة في نص ما» (Koller, 2004, p. 9).

تصبح التعبيرات الاستعارية عند فيرونیکا كولر والتحليل النقدي للاستعارة مشيرات مميزة على العمليات المعرفية في تمثيل العالم، ذات وظيفة أيديولوجية؛ بمعنى أن الاستعارات تُسهّم في بناء هذا التمثيل وتُبرزه في الوقت ذاته داخل النص أو الخطاب. واستناداً إلى نمذجة تون فان دايك (التي تظهر من خلال مصطلحات مثل المعرفية الاجتماعية والنماذج الذهنية، والتعريف المشترك للأيدولوجيا)، تقترح كولر إطاراً نظرياً يمنح أهمية خاصة للبعد الاجتماعي-الثقافي للاستعارة ويُوضّح دورها المُميّز في الخطاب:

«يملك كل فرد مخزوناً دينامياً من الاستعارات المعقّدة المتغيرة والتعبيرات الاستعارية المصاحبة لها تحت تصرفه. ومع ذلك، فإن الوصول إلى هذا المخزون وإعادة دمجه يظل مقيّداً بالتفاعل بين المعرفية الاجتماعية والشخصية؛ إذ تغذي المعرفية الأيدولوجيا في شكل نماذج ذهنية (استعارية) يُستعان بها في إنتاج الخطاب. ومن خلال إنتاج الخطاب والنص، يمكن لاستعارات معينة أن تصبح مهيمنة ومهمّة في بناء العلاقات الاجتماعية أو تجسيدها أو تحديدها. وهكذا، يكون للتعبيرات الاستعارية الواردة في الخطاب تداعيات على الاستعارات التصورية في المستوى المعرفي [...] وفي هذه العملية الدائرية، تترسّخ الأيدولوجيا الظاهرة في الاستعارة على المستويين الاجتماعي والمعرفي» [...] (Koller, 2004, p. 42)

تعرض فيرونیکا كولر، في خاتمة كتابها، النتائج العامة لدراساتها حول الاستعارات في مدونتين من الصحافة الاقتصادية (إحدهما تتعلق بالمقالات حول التسويق، والأخرى تتعلق بعمليات الدمج/ الاستحواذ، وذلك عبر أربع جرائد: الإيكونوميست، والفياننشال تايمز، والبيزنيس ويك، والفورتين. وتلاحظ أن الخطاب الإعلامي الاقتصادي والمالي

يستعمل بكثرة الاستعارات المرتبطة بالحرب، والعدوان، والقتال، وهذه الاستعارات نفسها مستمدة مباشرة من الخطابات الأساس داخل المجال الاقتصادي والمالي (صادرة مباشرة عن المشاركين فيه). ولهذا الأمر آثار عديدة في هؤلاء المشاركين أنفسهم، أولها الإسهام في الحفاظ على الهيمنة الذكورية داخل هذا الوسط، لكنها ليست الأثر الوحيد. يمثل إقصاء النساء من خلال تجسيد عالم الأعمال بوصفه ساحة يغلب عليها الطابع الذكوري أحد الأسباب التي تجعل من تغيير الاستعارة يبدو أمراً مرغوباً فيه. وبصرف النظر عن السلبيات التي يسببها المجال الاجتماعي المحدد بالرجال للنساء، فإنه لا يعود بالنفع الكامل على الرجال، ولا سيما في حالة تصوير المجالات الاجتماعية بوصفها مواقع عدائية. حتى وإن كان الأفراد الناجحون الذين ينتمون إلى داخل المجموعة، سواء أكانوا جنوداً أم مدراء، يتوقعون الحصول على مكافآت مادية كبيرة -والأهم من ذلك مكافآت معنوية مثل المكانة والألقاب والنفوذ- فإن هناك مخاطر حقيقية للانتماء إلى داخل المجموعة.

«[...] إن العيش في بيئة تُصوّر استعارياً بوصفها شديدة العدائية، إن لم تكن منطقة حرب، قد يثير مشكلات أخلاقية بتسهيل تقبل بعض السلوكيات مثل القسوة أو العنف غير المقيّد، وهي سلوكيات تُعدّ إشكالية في حالات أخرى (Heilbrunn, 1989, p. 18). وبصرف النظر عن هذه المخاوف الأخلاقية، فإن حالة الحرب الاستعارية قد تثير سمات نفسية شائعة لدى الجنود (-Keen, 1991, pp. 60-61)، وهو ما يمكن أن يكون مضراً بأعضاء داخل المجموعة أنفسهم. ومن المرجح أن تتداخل الهويات العسكرية مع هوية الشركات [...] وبينما بعض صفات الجنود مثل القوة، والشجاعة، والعزيمة، والقدرة على اتخاذ القرار، والعمل تُعدّ إيجابية في حد ذاتها، فغالباً ما تصاحبها حالات سلبية، مثل النظرة الارتياحية إلى العالم، والتفكير المُتطرّف، وكتب مشاعر الخوف، والتعاطف، والشعور بالذنب، إضافةً إلى الهوس بالرتبة والتسلسل الهرمي، وفقدان الطابع الفردي، وإعادة توجيه العدوان نحو الخارج». (Koller, 2004, pp. 172-174)

تُبيّن فيرونيكا كولر من خلال مقارنتها أن تحليل الاستعارات في الخطاب، مع الأخذ بعين الاعتبار جميع أبعادها المعرفية والاجتماعية والثقافية، يُشكّل مساراً مثمراً للتحليل النقدي للخطاب. فمثل هذه المقاربة لا تسهم في كشف الأيديولوجيات وتمثيلات العالم ذات الطابع الأيديولوجي داخل الخطاب فحسب، بل تتيح أيضاً للباحث تقديم عدد من المقترحات لتغيير هذا الوضع، بما ينسجم مع المنظور النقدي.

## توسيع يشمل مجالات أخرى في اللسانيات المعرفية

يرى كريستوفر هارت أن التعاون بين اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب لا ينبغي أن يقتصر على المقاربة النقدية للاستعارة، مهما كانت مثمرة، فهو يبحث عن دمج جوانب وأدوات أخرى مستمدة من المقاربات المعرفية في الدراسات النقدية للخطاب. وسوف نركّز هنا على البحث الذي نشره عام 2011 في مجلة الخطاب والمجتمع *Discourse & Society* الذي يُعدّ خلاصة مقاربتة.

يعمل كريستوفر هارت حاليًا باحثًا في جامعة لانكستر، لكنه بدأ مسيرته البحثية في جامعة إيسست إنجليا التي تُعدّ مهد اللسانيات النقدية. تتمحور أبحاثه حول العلاقة بين الخطاب والمعرفية، وبالتحديد في الخطابات السياسية (بالمعنى الواسع)، وقد كان، منذ بداياته، من أبرز المدافعين عن التقارب بين اللسانيات المعرفية والدراسات النقدية للخطاب، كما تشهد على ذلك مؤلفاته: فقد شارك في تحرير كتاب اللسانيات المعرفية في التحليل النقدي للخطاب: التطبيق والنظرية *Cognitive Linguistics in Critical Discourse* (Hart & Lukes, 2007)<sup>(1)</sup> كتاب التحليل النقدي للخطاب والعلم المعرفي: منظورات جديدة بشأن خطاب الهجرة *Perspectives New: Science Cognitive and Analysis Discourse Critical* (Hart, 2010) *Discourse Immigration on* حررها بالتعاون مع بيوتر كاب، فعرض فيها للاتجاهات الكبرى الراهنة في الدراسات النقدية للخطاب، وخصّ المقاربات المعرفية بأهمية كبيرة<sup>(2)</sup>. (Hart & Cap, 2014) يسعى كريستوفر هارت في بحثه الموسوم بـ «أنماط القوة التفاعلية في خطاب الهجرة: مقارنة لسانية معرفية في التحليل النقدي للخطاب»: Force-interactive patterns in immigration discourse: A Cognitive Linguistic approach to CDA (Hart, 2011a)، إلى إثبات وجهة التقارب بين اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب، وذلك من خلال تطبيق تصوّر مستمد من اللسانيات المعرفية،

(1) Christopher Hart & Dominik Lukes. (2007) *Cognitive Linguistics in Critical Discourse Analysis: Application and Theory* (Cambridge: Cambridge Scholars Publishing).

(2) Christopher Hart & Piotr Cap. (2014) *Contemporary Studies in Critical Discourse Analysis* (Amsterdam: Benjamins).

وهو نموذج ديناميكية القوة لليونارد تالمي<sup>(1)</sup> Leonard Talmy (1988) لدراسة متن صحفي موضوعه الهجرة. ولبلوغ هذا المسعى، استعمل هارت تصنيفاً وضعه بنفسه قَدَم من خلاله سبع عمليات تحقّق عبر الخطاب. وهذه العمليات معروفة في اللسانيات وتحليل الخطاب، يتعلق الأمر بـ: الكناية، والاستعارة، واستعمال الإشارات، إلخ. لكنه أعاد النظر فيها؛ فهي، في نظره، تدل على ثلاث استراتيجيات خطابية خاصة، تقوم بدورها على عمليات معرفية مختلفة، أطلق عليها: التحديد، والتأطير، والتموضع (سنكتبها بخط بارز).

تُعنى استراتيجيات التحديد بمن يُمثّل من الفاعلين الاجتماعيين (بشكل صريح أو ضمني)، وبالادوار التي تُسند إليهم، إضافةً إلى درجة بروزهم أو مستوى التفصيل في الحديث عنهم. فعلى سبيل المثال، يمكن لعمليات التحقّق هاته المرتكزة على الانتباه أن تُسهّم في عدم التركيز على بعض الفاعلين الاجتماعيين أو في نزع طابعهم الفردي. ومن ثم تشمل استراتيجيات التحديد الاستراتيجيات التي تندرج تحت مفهوم «التعتيم» في اللسانيات النقدية. (Fowler et al., 1979; Hodge & Kress, 1979) كما تشمل أيضاً ما يمكن تسميته بـ«نطاق الإحالة»، بما أن التصنيف (بما في ذلك التصنيف الكنائي والتعديلات الكميّة<sup>(2)</sup>) يمكن أن تُستخدم لتحديد مجموعة معيّنة من الفاعلين الاجتماعيين، وفي الوقت ذاته استبعاد فاعلين آخرين من الاضطلاع بدور الفاعل في البنية الإسنادية.

أما استراتيجيات التأطير، فتُعنى بالكيفية التي يعزّابها -عبر التصنيف والاستعارة- إلى كيان أو فعل أو حدث أو عملية أو علاقة خصائص تقييمية بعينها أو سمات بنيوية محددة. ومن ثم، تشمل استراتيجيات التأطير: التقديم السلبي للآخر (van Dijk, 1997c) الذي يتم غالباً عبر استراتيجيات استعارية مثل: إضفاء بعد عسكري، أو نزعة طبيعية، أو بيولوجية على هذا الآخر (Reisigl & Wodak, 2001)، إضافة إلى استراتيجية يمكن أن نسميها «التشكيل البنيوي [...] ويمكن أن تكون استراتيجيات التوقع إشارية أو إستيمية أو وُجوبية. وتُعنى بموقع الفاعلين/ الأحداث الاجتماعية في علاقة بعضهم ببعض (إشارية)، وبموقع الأقوال في ما يتعلق بتصور امرئ معيّن للواقع (إستيمية) أو للأخلاق (وُجوبية)». (Hart, 2011a, pp. 272-273)

(1) Leonard Talmy. (1988) "Force Dynamics in Language and Cognition." in Cognitive Science, 12. pp.49-100.

(2) يقصد هارت بالتعديلات الكمية (scalar adjustments) الألفاظ التي يمكن استعمالها لتمثيل الفاعلين في نص معين، من قبيل: «بعض»، و«كل»، و«معظم»، إلخ. [المترجم]

ولإتمام هذه الصنافة وشرح كيفية عملها في الخطاب، أدخل هارت تصورًا جديدًا مستمدًا من اللسانيات المعرفية لليونارد تالمي، أستاذ الفلسفة واللسانيات بجامعة بوفالو (الولايات المتحدة)، والمتخصص في اللسانيات المعرفية. تعالج نظرية «دينامية القوى» التي وضعها تالمي العمليات الدلالية في الخطاب من منظور الحركة والقوى الممارسة على الفاعلين الاجتماعيين، أو التي يمارسونها هم أنفسهم. ويرجع ذلك إلى فحص الخطاب من خلال التساؤل، على سبيل المثال، عمّا إذا كانت أفعال الفاعلين الاجتماعيين تتم بحرية، أو على خلاف ذلك، نجد/ تعترضها بعض الحواجز؟ وإذا كان الفاعلون الاجتماعيون يمنعون عملية معينة أو يدفعون بها إلى الأمام بإضفاء دينامية عليها؟

إن تجربة القوى ذائعة الانتشار؛ فعلى سبيل المثال، تتطلب كل التفاعلات السببية ممارسة القوى، سواء كُتبت نؤثر في الأجسام الأخرى أو نتأثر بها (Johnson, 1987, p. 42) ولذلك، ليس مستغربًا أنه ينبغي للأنماط في التفاعل الجسدي أن «تسلل إلى نظام المعنى الخاص بنا» (Johnson, 1987, p. 42). وتضطلع خطاطات القوى الدينامية بدور بنيوي في تصوير التفاعلات الجسدية، ومن طريق الاستعارة في تصوير التفاعلات الاجتماعية، والنفسية، والسياسية، والقانونية، واللغوية. يشكل نظام دينامية القوى إطارًا تعميميًا يشتغل في مستوى مفاهيم من قبيل: التسبب، والإتاحة، والمساعدة، والعرقلة» (Talmy, 2000: 409)، ويرتبط الأمر بالطريقة التي يُتصور بها تفاعل الأجسام من حيث ممارسة القوة، ومقاومة القوة، وتجاوز هذه المقاومة، والحواجز التي تعيق ممارسة القوة، وإزالة هذه الحواجز». (Talmy, 2000, p. 274) (Hart, 2011a, p. 274)

يرى كريستوفر هارت أن هذا التصور يكشف بوضوح عن الظواهر الأيديولوجية الممارسة في الخطاب حول الهجرة، وطبقه على عينة من المقالات اليومية للصحافة البريطانية حول الهجرة وحق اللجوء، جمعت بين عام 2000 وعام 2006، ملاحظًا أن التمثيل، من خلال نظام ديناميات القوى، لا يبدو حاضرًا في عملية الهجرة ذاتها فحسب (وهي بطبيعتها عملية مادية)، بل أيضًا في مستوى تمثيل العمليات السياسية والقانونية المرتبطة بالهجرة، مثل طلبات اللجوء والاستئنافات، وما إلى ذلك، على الرغم من وجود طرائق أخرى تستخدم لتمثيل هذه العمليات، مثل الاستعارات المرتبطة بالماء (موجة هجرة، طوفان، إلخ):

ومع ذلك، ليس من الضروري أن تبني القضايا المرتبطة بالهجرة انطلاقة من إطار

تفاعلات القوى؛ أي: أنه لا يجب بالضرورة استدعاء النظام الدينامي للقوى في عملية تصوّرها. ومن ثم، فإن أي تمثيل دينامي للقوى في الخطاب حول الهجرة أيديولوجي بطبيعته. ولتوضيح هذه الفكرة، لنمعن النظر في التباين بين (1) و(2):

(1) تُقدّر أعداد طالبي اللجوء الذين يدخلون إلى البلاد كل شهر بحوالي 1000 و2001 شخص. (صحيفة الميرور، 10 ماي 2002)

(2) مع استمرار وصول طالبي اللجوء إلى بريطانيا بمعدل 5001 شخص أسبوعياً، قد يرتفع عدد المخيمات في نهاية المطاف إلى 20 مخيماً. (صحيفة الصانداي تيليغراف، 28 يوليوز 2002)

تُصوّر الهجرة في المثال (1) بأنها محايدة من منظور دينامية القوى. تمثّل عملية الهجرة بوصفها حركة مباشرة. لا يوجد معوّق لهذه الحركة أو مسبب لها. ومن ثم، هناك مشارك واحد فقط هو الفاعل النحوي «ما بين 1,000 و1,200 من طالبي اللجوء»، ولا وجود لتفاعل القوى. وعلى النقيض من ذلك، في المثال (2) هناك مشارك ضمني ثانٍ؛ إذ يوحى استخدام الاستمرار بوجود قوة سببية تدفع المشارك الذي يشغل موقع الفاعل إلى الهجرة نحو بريطانيا، أو بوجود حاجز أمام عملية الهجرة. ومع ذلك، لا يزال بإمكان طالبي اللجوء الوصول إلى بريطانيا. يُعبّر عن هذين التحقّقين المختلفين بوضوح في (3) و(4): في المثال (3)، يعمل اليأس المتصور «ضغطاً» نفسياً بوصفه قوة تدفع اللاجئيين إلى الهجرة نحو بريطانيا. وفي المثال (4)، تمثل حزمة الإصلاحات حاجزاً أمام عملية الهجرة، لكن مع ذلك تستمر أعداد طالبي اللجوء في الارتفاع.

(3) يعتقد النقاد أن هؤلاء [اللاجئين] سيستمرون على الرغم من ذلك في محاولة خوض تلك الرحلة؛ لياأسهم من دخول المملكة المتحدة. (صحيفة الإكسبريس، 6 نوفمبر 2002)

(4) لكن بعد أن لاحظ السيد بلانكيت استمرار ارتفاع أعداد طالبي اللجوء على الرغم من حزمة الإصلاحات، أعاد أمس إحياء فكرة... (صحيفة الدايلي تيليغراف، 8 أكتوبر 2002)

هناك العديد من المشيرات أو الميسّرات الظرفية الأخرى للتصوّرات القائمة على القوة التفاعلية. فعلى سبيل المثال، تأمل استخدام عبارة تتواصل (keep on) في المثال (5) ولا يزال (still) في المثال (6):

(5) تتواصل أزمة كالي مع استمرار قدوم طالبي اللجوء. (صحيفة الداييلي مايل، 11 نوفمبر 2002)

(6) وبطبيعة الحال، لا يزال [طالبو اللجوء] يواصلون القدوم من كالي. (صحيفة الداييلي مايل، 1 مارس 2003)

إذًا، فإن التحقّقات القائمة على القوة التفاعلية تُستثار بواسطة عناصر من الفئة المغلقة<sup>(1)</sup> مثل أدوات الربط (على سبيل المثال: لأن، وعلى الرغم من) التي تحدّد دور الطرف المعارض وقوته لدى الطرف المشفّر بأنه فاعل، وبواسطة عناصر من فئة شبه مغلقة مثل بعض الظروف التي تشير بوجه عام إلى معارضة دينامية القوى. (Talmy, 2000, p. 416)

يُعبّر عن تحقّقات القوة التفاعلية أيضًا من خلال عناصر معجمية من الفئة المفتوحة التي تُدرج -نتيجة لذلك- في علاقات منتظمة فيما بينها داخل نظام الخطاب. ومن ثم، حينما تظهر «مشيرات دينامية القوى»، في نص ما، فإنها تبرز صناعة مُنتج النص للمشهد باعتباره تفاعلًا للقوى، حاتّة مستهلك النص على تصوّر المشهد بالطريقة نفسها، مع ما يترتّب على ذلك من عواقب أيديولوجية متعددة. وبناء عليه، يمكن لهذه المشيرات أن تُضاف بشكل مفيد إلى قائمة المقولات اللغوية المحلّلة في التحليل النقدي للخطاب. (Hart, 2011a, pp. 274-275)

يقدمّ التصوّر الخاص لديناميات القوى الذي طوّره ليونارد تالمي (1988)، عددًا من النماذج التي تصوغ بشكل منهجي الطريقة التي تمثّل بها أفعال المشاركين. بحسب تالمي، فإن المشاركين قوتان متقابلتان: القوة الناهضة (Agoniste) ويُرّمز لها بـ (AGO) أو المشارك الرئيس، والقوة المناهضة (Antagoniste) ويُرّمز لها بـ (ANT)، وهي مصدر التفاعلات القائمة على القوى. وتعدّ هذه النماذج، في منظور اللسانيات المعرفية، موارد ذهنية على غرار النماذج الذهنية التي طوّرها تون فان دايك، والتي تُثبّت بعض التمثيلات بوصفها مجموعات محدّدة/حتمية/ثابتة، مما يفرض حدودًا على قدرة التفكير وإعادة النظر. وفي عبارة أخرى، فإن هذه النماذج ذات طبيعة أيديولوجية.

(1) الفئة المغلقة (closed class) في اللسانيات المعرفية هي مجموعة محدودة من الكلمات التي تمتلك وظائف نحوية، من قبيل: أدوات التعريف، والضمائر، وحروف الجر، وحروف العطف التي لا تقبل الزيادة. وهي بخلاف عناصر الفئة المفتوحة، من قبيل: الأسماء، والصفات، والأفعال التي تقبل زيادة كلمات جديدة. [المترجم]

تتضمّن استراتيجية التشكيل البنيوي لدينامية القوى في خطاب الهجرة أن: (1) الهجرة تُوظّر بوصفها تفاعلاً جسدياً قد يكون عنيفاً، ويستدعي فكرة «الصراع»، و(2) أن الفاعلين المشقّرين بوصفهم مناهضين وناهضين يوجدون في تعارض مع بعضهم بعضاً. وداخل نظام دينامية القوى، نجد من ثم «بعداً أيديولوجياً في قرار منتج النص بشأن تحديد الدور المخصص للمشاركة» (Wolf & Polzenhagen, 2003, p. 265) ومن خلال تفعيل استراتيجية التحديد عبر إسناد دور، يسند إلى المهاجرين وطالبي اللجوء دور الناهض بشكل روتيني، ويقود ذلك إلى تصوّر المهاجرين وطالبي اللجوء بأنهم محرضون على استخدام القوة. (Hart, 2011a, pp. 275-276)

يحدّد ليونارد تالمي نوعين رئيسيين من النماذج الممكنة في تمثيل التفاعلات وفقاً لدينامية القوى، وهي النماذج التي يوظّفها كريستوفر هارت في تحليله لتمثيل الهجرة. النوع الأول هو خطاطات التعارض الثابتة التي تشمل الحالات التي لا يتغيّر فيها ميزان السيطرة بين الطرفين، حيث ينتصر الطرف الأقوى. وفي هذا الإطار، قد تكون القوة الناهضة هي الأقوى، على الرغم من القوة التي تمارسها القوة المناهضة؛ إذ تنجح في تحقيق ما أرادته (سواء بتنفيذ الفعل الذي كان هدفها، أو بالبقاء في حالة عدم الفعل)، أو بخلاف ذلك، قد تكون القوة المناهضة هي الأقوى، فتجبر القوة الناهضة على القيام بفعل معيّن، أو على التوقف عن فعل ما. يتيح هذا النوع من النماذج لكريستوفر هارت أن يبرهن على البعد الأيديولوجي لبعض الأفعال مثل «دخل في» التي تُعدّ في الغالب أفعالاً محايدة نسبياً.

لننظر في مثالين إضافيين:

- (7) أقرّ شارع داونين [الحكومة البريطانية] بأن الهجرة غير الشرعية كانت مشكلة بسبب تزايد مشاعر الإحباط إزاء [تدفّق الأشخاص (القوة الناهضة)] الذين يدخلون إلى بريطانيا من فرنسا عبر نفق المانش. (الدايلي تلغراف، 21 ماي 2000)
- (8) [المهاجرون غير الشرعيين (القوة الناهضة)] يدخلون إلى بريطانيا عن طريق التسجيل في الجامعات، والحصول على تأشيرات إقامة طويلة فترة الدراسة، ثم يمتنعون عن حضور الدروس الجامعية بعد ذلك. (الصانداي تايمز، 4 سبتمبر 2005).

على الرغم من أن الدخول يبدو محايداً نسبياً إذا ما قورن بالأفعال العاطفية التي غالباً ما تُحلّل ضمن البنية نفسها، مثل «الفيضان» (Gabrielatos & Baker،)

(2008)، فإن تحليل دينامية القوى يكشف الخصائص الأيديولوجية لهذا الفعل؛ إذ يوحي الدخول بوجود حاجز مادي أو قانوني يمكن القوة الناهضة من التفاوض لتحقيق ميلها الداخلي للقوى. في المثال (7)، هناك حاجز مادي ضمني في شكل رقابة على الحدود. وفي المثال (8)، هناك حاجز قانوني ضمني يتجاوزه المهاجرون عبر استغلال «ثغرة» في القانون.

ومن ثم، يتضمّن التحقّق المعبّر عنه في (7) و(8) أيضاً خطاطة دينامية القوى المبيّن في [الشكل الآتي]، حيث تمتلك القوة الناهضة ميلاً داخلياً نحو الفعل يُكبح بالمناهض. ومع ذلك، القوة الناهضة هي الأقوى بين الكيانين، ولا تزال نتيجة تفاعل القوى هي الفعل. وتتضمّن هذه الخطاطة [الآتية] أن الهجرة تتحقّق بوصفها عملية غير خاضعة للمراقبة حالياً، وأن المهاجرين يُقدّمون باعتبارهم أطرافاً مثابرة قادرة على اختراق حواجزنا الوقائية [...] (Hart, 2011a: 278)

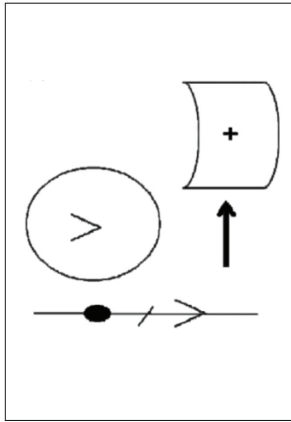
### مخطط الصراع بين قوتين ثابتتين النوع الأول (الفعل هو الذي يتغلب)

	وحدات القوة	الميل الداخلي للقوة
	○ ناهض (نا) □ مناهض (منا)	> موجه نحو الحركة • موجه نحو التوقف
توازن القوى	نتيجة تفاعل القوى	
+ الوحدة الأقوى - الوحدة الأضعف	→ الحركة —•— التوقف	

أما النوع الثاني من الخطاطات، فهو الذي لا تظلّ فيه القوى ثابتة: خطاطات المعارضة مع تغيير في القوى، حيث إما أن ديناميات القوة الموجودة لا تكون ثابتة في هذه الخطاطات، أو أن القوى الموجودة لم تفعل بعد. وتشمل هذه الخطاطات حالتي الإذن أو الحصار؛ ففي حالة الإذن، تكون القوة الناهضة للكيان أو القوة المحورية هي الأضعف، لكن القوة المناهضة، أي: الحدود أو قوانين الهجرة التي تمنع الدخول لا تمارس قوتها (أو يُتوقف عن ممارستها)، ما يتيح للكيان أو القوة المحورية حرية

تنفيذ الفعل (أو التوقف عنه). وفي حالة الحصار، يُوقَف الناهض عن تنفيذ خطته (سواء كانت فعلاً أو توقفاً)، ويُجَبَر على تغيير مساره: فإذا كان في حالة توقف، يُجَبَر على التحرك؛ وإذا كان في حالة حركة، يُجَبَر على التوقف، وذلك بسبب تدخل خصم أقوى منه. وفي كلتا الحالتين، يمكن أن يكون الحديث عن أفعال بالمعنى المادي للكلمة أو عن عمليات جارية:

### مخطط الصراع بين قوتين مع تغيير القوة مثال على الإذن (السماح)

	وحدات القوة	الميل الداخلي للقوة
	ناهض (نا) ○ مناهض (منا) □	موجه نحو الحركة > موجه نحو التوقف ●
توازن القوى	نتيجة تفاعل القوى	
الوحدة الأقوى +	الحركة →	
الوحدة الأضعف -	التوقف —●—	

تشكّل الخطاطة [السابقة] المفهوم الطرازي للإذن، أي: بدء الحركة، ويشار إليها في المثالين (15) و (16):

(15) في غضون ذلك، يتوقع الخبراء أن حكم محكمة الاستئناف سيسمح لـ [مئات آخرين من الأشخاص (القوة الناهضة)] بالدخول إلى بريطانيا. (ذو إكسبريس، 26 يوليو 2001)

(16) برنامج هجرة العمالة منخفضة المهارة الذي سيبدأ في مايو بحصة قدرها 10,000 مهاجر في قطاعي تصنيع الأغذية والضيافة، سيسمح لـ [الكثيرين ممن قد يحاولون القدوم إلى المملكة المتحدة بصفتهم طالبي لجوء القوة الناهضة] بالدخول بشكل قانوني عبر تصاريح عمل. (الدائلي ميل، 10 أبريل 2003)

نلاحظ في المثالين أن القوة الناهضة تظهر الآن بوصفها المفعول به المباشر للفعل المعني، وهو مشير دينامية القوى الذي توحى دلالاته بدور مناهض قويّ تمنع الناهض

من تحقيق ميله الداخلي نحو الحركة. مع ذلك، يتراجع المناهض أو ينسحب، مما يتيح للقوة الناهضة أن تُظهر ميلها. في المثالين، تبقى القوة المناهضة ضمنية، لكن يمكن تفسيرها في المثال (15) على أنها تغيير في القانون ناتج عن سابقة قضائية في المثال (15) أو سياسة ما في (16). إن الصورة المثارة في هذين المثالين هي صورة كيان قوي كان مُقْتَدًا في السابق، ثم أُتيح له المرور بعد إزالة الحاجز. مثل هذا التصوّر يدعو إلى الاستنتاج بأن القوة التي كانت وراء الحاجز كانت تزداد ضغطًا، ومن ثم فإن إطلاقها سيؤدي إلى قوة ذات كثافة متزايدة. (Hart, 2011a, p. 281)

في الختام، يعود كريستوفر هارت إلى الهدفين اللذين سعى إلى تحقيقهما؛ أي: تحليل تمثيل القوى في خطاب الهجرة من أجل إبراز الأسس الأيديولوجية الكامنة في هذا الخطاب، وإثبات جدوى التقريب بين اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب، والاستفادة من التصوّرات المفهومية التي توفرها الأولى لخدمة منظور الثاني. قال هارت:

«أمل أن أكون قد تمكّنت من إظهار الأنماط التفاعلية للقوى المتضمنة في الخطاب حول الهجرة لبنينة تصوراتنا للتفاعلات المادية والسياسية/ القانونية في هذا المجال. [...] إن تحليلات دينامية القوى التي قدّمناها تكشف عن الإمكانيات الأيديولوجية في تصوّرات دينامية القوى في خطاب الهجرة». (Hart, 2011a, p. 284)

### خلاصة

منذ منتصف العقد الأول من الألفية الثالثة، نشهد في الدراسات النقدية للخطاب حركة تقارب مع اللسانيات المعرفية. ويُعد هذا النوع من التقارب أمرًا نموذجيًا في مجال التحليل النقدي للخطاب الذي دأب الباحثون فيه دائما على الدفاع عن التداخل بين التخصصات، والانفتاح على مقاربات أخرى من أجل تحليل القضايا الاجتماعية على الوجه الأكمل.

لمحللي الخطاب الذين ينخرطون في المنظور المعرفي تصور خاص للهدف النقدي؛ فإذا كان الهدف الأساس هو إزالة الغموض عن العمليات الأيديولوجية في الخطاب، فإنهم يرون أن الأيديولوجيا لا تعمل حصريًا في مستوى الخطاب نفسه، بل إن المستوى الخطابى ليس سوى الأثر الظاهر للعمليات المعرفية التي تُعدّ المصدر الحقيقي للأيديولوجيا.

يرى هؤلاء الباحثون أن الأدوات والتصورات التي طورتها اللسانيات المعرفية تمكّن من الكشف عن أنماط التفكير أو النماذج الذهنية المشبّعة بالأنماط الأيديولوجية (كالمعتقدات والقيم، إلخ). ويصبح تحليل الخطاب، مع هذه التصورات، قادرًا على تفسير تلقي الخطابات وتأويلها من جانب الجمهور، متجاوزًا التحليل التقليدي الذي يكتفي بملاحظة آثار الأشكال والتركيبات اللغوية والخطابية. إن مقارنة من هذا القبيل كانت مثمرة بشكل خاص في تحليل الاستعارة، وهي ظاهرة لطالما تجاهلها محللو الخطاب النقديون، لكن الباحثين المهتمين بالتيار المعرفي يُظهرون أن التحليل النقدي للاستعارة ليس المجال الوحيد الذي يمكن أن يستفيد من التحالف مع اللسانيات المعرفية.

#### قائمة المراجع

- Charteris-Black, Jonathan. (2004) *Corpus Approaches to Critical Metaphor Analysis*. Basingstoke: Palgrave Macmillan.
- Croft, William & Alan Cruse. (2004) *Cognitive Linguistics*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Geeraerts, Dirk & Hubert Cuyckens. (2010) *The Oxford Handbook of Cognitive Linguistics*. Oxford: Oxford University Press.
- Hart, Christopher & Dominik Lukes. (2007) *Cognitive Linguistics in Critical Discourse Analysis: Application and Theory*. Cambridge: Cambridge Scholars Publishing.
- Hart, Christopher & Piotr Cap. (2014) *Contemporary Studies in Critical Discourse Analysis*. Amsterdam: Benjamins.
- Koller, Veronika. (2004) *Metaphor and Gender in Business Media Discourse: A Critical Cognitive Study*. Basingstoke: Palgrave Macmillan.
- Lakoff, George & Mark Johnson. (1980) *Metaphors We Live By*. Chicago/London: The University of Chicago Press.
- Musolff, Andreas. (2004) *Metaphor and Political Discourse*:



*Analogical Reasoning in Debates about Europe.* Houndmills:  
Palgrave Macmillan.

- Talmy, Leonard. (1988) "Force Dynamics in Language and Cognition." in *Cognitive Science*, 12. pp.49-100.



## المقاربة التاريخية للخطاب<sup>(1)</sup>

مارتن رايزغل

أستاذ مساعد في اللسانيات الاجتماعية بجامعة برن بألمانيا

ترجمة: محمد بكار

طالب باحث في جامعة جون جوغيس، تولوز، فرنسا.

medbak17@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0007-2038-4290>

### الملخص

يقدم هذا الفصل من الكتاب نظرة عامة حول المقاربة التاريخية للخطاب. يتطرق الكاتب في البداية لتاريخ المقاربة بإيجاز، ثم يبين مكانتها في تخصص الدراسات النقدية للخطاب بالتفصيل في النظرية ومنهجيتها ومناهجها. وبعد ذلك، يعدد الكاتب مميزات المقاربة التاريخية للخطاب، بالإضافة التي تقدمها، والموضوعات التي تهتم بدراستها. وبالإضافة إلى هذا كله، يشرح الفصل الخطوات التي يمكن للباحث اعتمادها لتطبيق هذه المقاربة. وفي الأخير، يتعرض الكاتب إلى بعض الملاحظات حول التحديات التي يمكن للمقاربة التاريخية للخطاب أن تواجهها مستقبلاً.

الكلمات المفتاحية: المقاربة التاريخية للخطاب، الحجاج، الاستراتيجيات الخطابية، التاريخ.

(1) Martin Reisigl, "The Discourse-Historical Approach", In John Flowerdew & John Richardson, (eds.) *The Routledge Handbook of Critical Discourse Studies* (New York/London: Routledge, 2018), pp. 44-59.



# THE DISCOURSE-HISTORICAL APPROACH

MARTIN REISIGL

AN ASSISTANT PROFESSOR FOR SOCIOLINGUISTICS AT THE  
UNIVERSITY OF BERN

---

Translated by: Mohammed BAKKAR

Research student at Jean Jaurès University, Toulouse, France

medbak17@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0006-3871-1117>

## ABSTRACT

This chapter serves as a general overview of the Discourse-Historical Approach (DHA). It starts by providing a concise history of the approach and its relevance in the domain of critical discourse studies. Then, the writer offers a glimpse into DHA's theoretical background and methodology, and methods. Furthermore, the chapter explains the distinguishing characteristics of the approach and its research interests. In addition, the article outlines the steps needed for a researcher to follow so as to apply this specific. Finally, the writer refers to the remarks on DHA's future challenges.

**Keywords:** Discourse-Historical Approach, Argumentation, Discursive Strategies, History.

تبلورت المقاربة التاريخية للخطاب على امتداد العقود الثلاثة الأخيرة، ويهدف هذا الفصل إلى التعريف بها بوصفها إحدى أبرز مقاربات الدراسات النقدية للخطاب؛ بدءاً بانطلاقتها من فيينا، فوصولها إلى لانكاستر، ولوغبورغ وبيرن وأريبرو، ومن ثم انتشارها إلى أماكن أخرى. ويقدم القسم الثاني من الفصل لمحة تاريخية حولها. أما القسم الثالث فيستعرض إطارها النظري والمنهجي، وذلك بإبراز مميزاتا واهتماماتها البحثية مع الإشارة إلى كيفية ومدى تأثرها باللسانيات الاجتماعية والتداولية ولسانيات النص من جهة، وبالنظرية النقدية والتاريخ ونظرية الحجاج واللسانيات السياسية من جهة أخرى. ويتفرع القسم الثالث إلى أربعة أقسام فرعية، يتطرق أولها إلى السمات التي تميز المقاربة التاريخية للخطاب ومقولاتها عن المقاربات التحليلية الأخرى، بما في ذلك مقاربات الدراسات النقدية للخطاب. وأما الأقسام الفرعية الثلاثة المتبقية، فتعنى ببسط المفاهيم الأساس في هذه المقاربة؛ أي النقد والخطاب والسياق. ويعرّج القسم الرابع من هذا الفصل على الخطوات الإرشادية لتطبيق أكاديمي خاص بالمقاربة التاريخية للخطاب، ثم يختتم القسم الخامس والأخير بالإشارة إلى بعض التحديات التي يمكن أن تواجهها مستقبلاً.

## تاريخ المقاربة التاريخية للخطاب

تعد «المقاربة التاريخية للخطاب» إحدى أهم المقاربات النقدية في دراسة الخطاب بالدول الناطقة بالإنجليزية. وتبرز تسمية هذه المقاربة الاهتمام البحثي البالغ الذي توليه للبعد التاريخي، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة ارتكازها عليه، حيث توجد العديد من الدراسات التحليلية التي تندرج نظرياً ومنهجياً ضمن هذه المقاربة على الرغم من عدم تركيزها على البعد التاريخي. ويعود هذا الأمر إلى أن اهتمامات المقاربة في غاية التشعب، ولا يمكن الاقتصار في دراستها على المنظور التاريخي. ويرجع هذا التشعب بالأساس إلى حرص أنصار هذه المقاربة على المراجعة والتطوير المستمرين للمرجعيات النظرية والمنهجيات المتبعة ومناهج التحليل التي اعتمدها طوال العقود الثلاثة الماضية، سواء أكان ذلك بسبب ظهور موضوعات جديدة للبحث، أم بتلقي تعليقات وانتقادات مفيدة من مجموعة الأقران العلمية، أم بفضل ما يستجد في مختلف ميادين العلوم الاجتماعية

من معرفة. وسنقسم التاريخ الموجز لهذه المقاربة إلى أربع مراحل كي يتسنى لنا توضيح تعددية موضوعات هذه المقاربة واهتماماتها<sup>(1)</sup>.

**المرحلة الأولى (1987-1993):** يمكن أن نسمي هذه المرحلة بالتحليل النقدي للخطاب بـ«القييئية» نسبة إلى مكان ظهورها (قيينا)، إذ كان الهدف من تطوير المقاربة التاريخية للخطاب تحليل الصور النمطية لمعاداة السامية مع فهم طريقة إنشائها. وكان ذلك حينما بدأت هذه الصور النمطية في الظهور في الخطابات العلنية، وما شابهها على لسان كورت فالدهايم Kurt Waldheim أثناء الحملة الانتخابية الرئاسية النمساوية لسنة 1986، حيثُ أخفى هذا السياسي ارتباطه بالحزب الاشتراكي الوطني النازي (Wodak et al, 1990; Heer et al, 2008) كما شغل قبل هذه الحملة بسنوات قليلة منصب الأمين العام للأمم المتحدة. وقد تبلورت أربع سمات للمقاربة التاريخية للخطاب من هذا المشروع وهي البيئية مع الالتزام بما هو تاريخي، والعمل الجماعي، ومبدأ التثليث في البيانات والنظريات والمناهج لتعزيز قوة النتائج، والسعي إلى نقل نتائج البحث إلى الواقع العملي. بدأ البحث التحليلي للخطاب بتحليل التجليات اللغوية لمعاداة السامية في الأحكام المسبقة وفق سياقها التاريخي، إذ مَرَجَ بين اللسانيات الاجتماعية والدراسات السردية والأسلوبية والبلاغة والحجاج والبحث التاريخي والسوسولوجي. وتضمنت البيانات التي اشتغل عليها الباحثون الشفهي والمكتوب من التقارير التاريخية للخبراء، والصحف الوطنية والدولية، وتصريحات السياسيين، والأخبار اليومية المداعة، والأخبار التلفزيونية، والمقابلات، والنقاشات والبرامج التلفزيونية، والوثائقيات، ومجريات وقعة لتخليد ذكرى المقاومة النمساوية (أنظر أيضا: Reislgl and Wodak, 2001: 91-143). وقد حضرنا لمعرض حول هذا الموضوع من أجل تحقيق أهداف النقد العملي وتنوير الرأي العام.

وهناك مشروع بحثي آخر ركز على الخطاب الذي رافق ما يصطلح عليه بسنة 1988 النمساوية لتخليد الذكرى<sup>(2)</sup>، حيث أحييت النمسا الذكرى الخمسين لالتحاقها

(1) لمزيد من الاطلاع على تاريخ المقاربة يمكن الرجوع أيضا إلى: (Reislgl, 2011a: 462-473).  
[المؤلف]

(2) عرفت هذه السنة تغيير سردية النمسا من كونها أول ضحية للغزو النازي إلى الاعتراف بأنها كانت شريكا متورطا في مشروع النازية ومعاداة السامية. [المترجم]

بالرايخ الثالث<sup>(1)</sup> الذي وقع سنة 1938. وحلّلت الدراسة الموسومة بعنوان «لغات من الماضي» (Wodak et al, 1994) خطاب خمسة أحداث مهمة: (1) نقاش وسائل الإعلام حول تقرير الخبراء الذي نشرته اللجنة الدولية للمؤرخين حول الماضي النازي لفالدهايم في شهر فبراير من سنة 1983. (2) التخليد السياسي لذكرى احتلال النمسا في مارس 1938. (3) تدشين «النصب التذكاري لمواجهة الحرب والفاشية» الذي أنجزه النحات ألفريد هردليتشكا، وما سبق هذا الحدث من نقاشات مثيرة للجدل حول الأمر. (4) العرض الأول لمسرحية من إخراج طوماس برنارد بعنوان «ميدان الأبطال»<sup>(2)</sup> التي تطرقت لمعاداة السامية بالنمسا وأثرها الترهيبى والطويل الأمد في من نجا من اليهود الذين كانوا ضحية لها. (5) إحياء الذكرى الخمسين لمذبحة 9 نونبر 1938 المعروفة بليلة الزجاج المحطم<sup>(3)</sup>. وقد تضمنت البيانات مجموعة متنوعة وواسعة من الإنتاجات الإعلامية إضافة إلى تصريحات وخطب السياسيين النمساويين. وقد سلط اللسانيون والمؤرخون الضوء على السرديات المتضاربة حول تاريخ النمسا، بما في ذلك السردية المثيرة للجدل مثل ادعاء «أن النمسا هي أول ضحية للسياسية الديكتاتورية للنازية ومنهجها التوسعي».

وفي النصف الثاني من الثمانينيات، نشرت المزيد من البحوث التي اعتمدت المقاربة التاريخية للخطاب في دراسة التواصل بين الطبيب والمريض ومدى استيعاب الناس للقوانين والأخبار المذاعة والإرشادات التي تحث على استعمال لغة محايدة جنسيا في النصوص الإدارية (انظر Wodak, 1996; Lalouschek, Menz and Wodak, 1997; Lutz and Wodak, 1987; Kargl et al. 1990). وعلى الرغم من عدم إيلاء هذه البحوث أهمية للبعد التاريخي في هذه الخطابات، إلا أنها تُظهر انخراطا نقديا

(1) الرايخ الثالث هو تسمية أعطاها النازية لنظام ألمانيا منذ يناير من سنة 1933 حتى ماي 1945 بوصفها خليفة وامتدادا للإمبراطورية الرومانية المقدسة (الرايخ الأول) التي امتد حكمها من القرون الوسطى (سنة 800) إلى العصر الحديث الأول (1806)، والإمبراطورية الألمانية (الرايخ الثاني) التي دام حكمها منذ سنة 1871 إلى سنة 1918. [المترجم]

(2) يرتبط عنوان هذا العمل «ميدان الأبطال» Heldenplatz تاريخيا بتسمية الساحة الموجودة أمام قصر هوفبورغ الإمبراطوري في فيينا بالنمسا، حيث يسكن رئيس النمسا والديوان الفيدرالي. وهي التي ألقى فيها أدولف هتلر الخطاب الذي أعلن فيه عن ضمّ النمسا لألمانيا النازية في 15 مارس من سنة 1938 أمام حشود هائلة من الناس. [المترجم]

(3) عرفت هذه الليلة بهذا الاسم لكمية الزجاج الهائلة الناتجة عن تحطيم متاجر اليهود ومعابدهم ومنازلهم، وقد قتل وأسر عدد كبير من اليهود في هذه الليلة المأساوية. [المترجم]



ونذكر من بين الموضوعات والقضايا الاجتماعية التي درسها مركز البحث هذا في هذه المرحلة:

- 1- الصور الواضحة والخفية للعنصرية في الخطاب السياسي البرلماني، ولا سيما أثناء مناقشة موضوعي اللجوء والهجرة، وذلك في ستة من دول الاتحاد الأوروبي (Wodak and van Dijk, 2000).
  - 2- التواصل الداخلي في منظمات الاتحاد الأوروبي المتعلق بخطابي التشغيل والبطالة في لجان الاتحاد الأوروبي، وخاصة في وكالات المفوضية الأوروبية ولجان الخبرة (Muntigl, Weiss and Wodak, 2000).
  - 3- البناء الخطابي للهويات الأوروبية في خطب السياسيين الألمان والبريطانيين والفرنسيين (مثلا: Wodak and Weiss, 2005).
  - 4- الخطاب النمساوي حول توسع الاتحاد الأوروبي (Galasinska and Krzyzanowski, 2008).
  - 5- النقاش المثير للجدل حول قانون «الحياد الدائم للنمسا» الذي صادقت عليها الدولة في أكتوبر من سنة 1955 (Bischof, Pelinka and Wodak, 2001; Kovács and Wodak, 2003).
  - 6- الخطاب المثير للجدل حول دور القوات المسلحة لألمانيا النازية (الفيرماخت) في الحرب العالمية الثانية وخطاب المعارضين الذي نظمه معهد البحوث الاجتماعية في هامبروج بعنوان «جرائم الفيرماخت» (Heer et al. 2003, 2008).  
تشارك هاته المشاريع البحثية الستة في نقطتين؛ أولاها محاولة فهم العلاقة التي تربط الخطاب والسياسة/السياسات بالهوية، وثانيتهما دراسة دول أوروبية أخرى غير النمسا. وهكذا انتقل تركيز الدراسات انتقلا تدريجيا من النمسا إلى أوروبا، واحتفظت المقاربة بهذا التركيز الدولي وطورته في المرحلة الرابعة.
- المرحلة الرابعة: تعزيز الحضور العالمي للمقاربة التاريخية للخطاب (من 2004 إلى الآن): أَشْرَ مشروعان بحثيان على الانتقال من المرحلة الثالثة إلى المرحلة الرابعة، إذ حَلَّ أحدهما الخطاب المنشور في الصحف المطبوعة حول دستور الاتحاد الأوروبي (Oberhuber et al. 2005; Krzyzanowski and Oberhuber, 2007)، بينما اشتغل المشروع الثاني على خطابات الإدماج والتميز والهجرة في الاتحاد الأوروبي (Krzyzanowski and Wodak, 2008). وأُضحت

جامعة لانكاستر البريطانية المعقل الثاني للمقاربة التاريخية للخطاب بعد منحها درجة الأستاذية لروث فوداك سنة 2004، ثم ما فتئت أن تأسست معاقل جديدة للمقاربة في العقد الذي عقب هذا السنة بكل من جامعة لوفورو البريطانية وبرن السويسرية وأوربرو السويدية<sup>(1)</sup>.

لم تفقد موضوعات البحث الأولى أهميتها في مدرسة فيينا، حيث استمر الباحثون في دراسة التفاعل بين الطبيب والمريض، والتحليل النقدي للخطاب النسوي، وتخليد ذكرى الأحداث السياسية. ولذلك فمن بين الموضوعات التي درسها الباحثون في فيينا ما يخص تمثيلات تجرّبي الألم والمرض وسردياتهما (Menz et al. 2010) والمشكلات التي تعترّي عمليتي الفهم والتأويل بين الأطباء والمرضى الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة إذا كانت معرفة المريض محدودة باللغة الأم للطبيب (Reisigl, 2011b, Menz, 2013). فضلا عن ذلك، حلّل الباحثون البلاغة المتعلقة بتخليد الذكريات النمساوية في سنة 2005 التي كانت حافلة ومتميزة في هذا الجانب (de Cillia and Wodak, 2009)، كما درسوا بلاغة سنة 2015 التي عرفت زخما سياسيا مشابهها في إحياء الذكريات في النمسا. واستفاد الباحثون من حقبة 1995-2015، في مشروع بحث ما يزال مستمرا لحد الآن، في توسيع دائرة ونطاق أول مشروع بحث رائد حول البناء الخطابي للهوية القومية إلى دراسة مقارنة وبعيدة المدى لأحداث تخليد الذكريات السياسية. وقد اضطلعت أهمية المشاركة في إثراء الجانبين الميتا-نظري والمنهجي بدور أقوى وأكبر في دراسات الخطاب في العقد الأخير -بكل من فيينا ولانكاستر (مثلا: Wodak and Krzyzanowski, 2008).

وبدءا من سنة 2004، استمر فريق فوداك بلانكاستر في دراسة سياسة الهوية والهجرة والتمييز، إضافة إلى العلاقة بين الخطاب والسياسة<sup>(2)</sup>. وقد ركزت مشاريع البحث التي أجريت في جامعة لانكاستر، من بين موضوعات عديدة، على الخطاب المرتبط باللاجئين وطالبي اللجوء في الصحافة البريطانية من سنة 1996 إلى سنة 2006 (مثلا: Delanty,

(1) تقريبا بعد نشر كتاب الخطاب والتمييز (Reisigl and Wodak, 2001)، بدأ جون ريتشاردسون أيضا في الانخراط في البحث التاريخي للخطاب (Richardson, 2004). [المؤلف]  
 (2) انتقلت فيرونيكا مولر إلى لانكاستر سنة 2004 مثل روث فوداك، ولكن من دون تنسيق مسبق، ولكن هذا الجوار سرعان ما دفع الباحثين إلى التعاون وتكثيف جهود البحث فيما بينهما. ونتج عن هذا التلاقي مزج كولر للمقاربة المعرفية-الاجتماعية للدراسات النقدية للخطاب وتحليل الاستعارة بالمقاربة التاريخية للخطاب (مثلا: Koller, 2008, 2009). [المؤلف]

(Unger) (2008) (Wodak and Jines, 2011)، والبناء الخطابي للغة الأسكتلندية (Unger) (2013)، والسياسة اللغوية في سياقات تعدد اللغات في دول الاتحاد الأوروبي (مثلاً: Krzyżanowski and Wodak, 2010; Unger, Krzyżanowski and Wodak, 2015)، وأخلاقيات وسائل الإعلام، وتطوير فضاء أوروبي عام في وسائل الإعلام منذ خمسينيات القرن الماضي إلى غاية سنة 2004 (Triandafyllidou, Wodak and) (Krzyżanowski, 2009).

واصلت فوداك وفريق بحثها دراسة الروتين اليومي لممتهني السياسة والتمثيلات التي تزداد عن حياتهم اليومية في المسلسلات التلفزيونية عبر وسائل الإعلام (Muntigl, 2009) (Weiss and Wodak, 2000; Wodak, 2011). ويمثل هذا البحث -ذو التوجه العملي والمهتم بالمنظور الشخصي للمشاركين في الخطاب- نموذجاً لميل المقاربة التاريخية للخطاب إلى إدراج المنهجية الإثنوغرافية في منهجيتها. وبعد البحث الإثنوغرافي في الممارسات اليومية بالمؤسسات السياسية من الموضوعات الرئيسة التي اشتغل عليها ميشال كرزيزانوسكي (2011، أيضاً في هذا الكتاب).

وقد أولى المحللون التاريخيون للخطاب اهتماماً نقدياً بمجالات بحث جديدة من قبيل: خطاب شعبية اليمين، وخطاب الفاشية في أوروبا وخطابي البيئة وتغير المناخ. وقد أجريت العديد من دراسات الحالة خلال السنوات الماضية حول هذه المجالات على أجناس خطابية مختلفة، بما في ذلك تلك التي تركز على التواصل البصري في خطابها السياسي، من قبيل الملصقات، والمنشورات، والقصص المصورة، والوثائقيات، وغير ذلك. ومن بين الدراسات حول الشعبية اليمينية نجد (Reisigl, 2007b, 2012a, 2014a; Richardson and Wodak, 2009; Wodak, KhosraviNik and Mral, 2013; Janushek and) (Reisigl, 2014; Wodak and Forchtner, 2014; Wodak, 2015).

لقد قارنت فوداك في دراستها التي نشرتها سنة 2015 الشعبويين الأوروبيين بأعضاء من حركة «حفلة الشاي» من حيث إنجازاتهم وبلاغتهم (بما في ذلك الحجاج). وتمكنت إثر ذلك من تتبع أصل الصور والملصقات المتنوعة التي أعادت الأحزاب الشعبية الأوروبية استعمالها في سياقات جديدة، وأضفت عليها طابعاً محلياً لإقناع الناس. واهتمت فوداك (2015) ورايزغل (2012، و2014أ) بالعلاقة الوثيقة التي تربط «منطق وسائل الإعلام» ب«منطق الشعبية». وحللت البحوث التي أجريت الخطابات الإعلامية للفاشية الأوروبية في القرن العشرين من حيث أثرها المتعدد الصيغ (Multi-

(modal realizations) سواء في النص أم في الكلام أم في التواصل البصري أم في الموسيقى (فوداك وريتشاردسون (2013) وكوسبي وريتشاردسون (2015)). وعلى الرغم من أن دراسة الفاشية شملت دول النمسا وإيطاليا وغيرها، غير أن بريطانيا نالت حصة الأسد. وأما من أراد الاطلاع على مقارنة نسقية بين البلاغة الفاشية والبلاغة الشعبوية اليمينية فعليه بدراسة أجراها رايزغل (2012ب). وفي ما يخص الأوجه المتعددة لخطابي البيئة وتغير المناخ، فقد تناولهما رايزغل وفوداك (2016، 2009)، وسيدلاسيك (2012، 2014)، وفورتشنر (2015) وكرزبانوسكي (2015).

لقد تبين من النظرة التاريخية الموجزة التي قدمناها أن المقاربة التاريخية للخطاب تتميز بغزارة الإنتاج وقابلية التطور في ميدان الدراسات النقدية للخطاب، وأن هدفها كان دائما حل المشكلات. ولما كانت المشكلات الاجتماعية التي تتعرض لها المقاربة بالتحليل متعددة الأبعاد، فليس من الغريب إذا، أن يجنح الباحثون إلى إجراء أبحاث متخصصة. وعلى الرغم من ذلك، فإن تخصص اللسانيات يظل الأساس الذي تقوم عليه المقاربة التاريخية للخطاب.

### 3. السمات العامة للمقاربة التاريخية للخطاب واهتماماتها البحثية:

- لا تقتصر المقاربة التاريخية للخطاب في دراسة الخطاب على البعد التاريخي، بل تشمل كذلك المجالات الآتية:
- الخطاب والتمييز (مثلا: العنصرية، والإثنية، والقومية، وفويا الأجنبي، وفويا الإسلام، والتمييز الجنسي).
  - العوائق اللغوية في المؤسسات الاجتماعية المختلفة (من قبيل: المستشفيات، وقاعات المحاكم، والسلطات، واللغة الأكاديمية، ووسائل الإعلام).
  - الخطاب والسياسة/السياسات/الحكم (مثلا: سياسة الماضي، والتخليد السياسي للذكريات، وبناء القومية، والاتحاد الأوروبي، والهجرة، واللجوء السياسي، والتعدد اللغوي، والسياسة اللغوية، والشعبوية).
  - الخطاب والهوية (مثلا: الهوية الأوروبية في المستويين المحلي والدولي، والهوية اللغوية).
  - الخطاب والتاريخ (مثلا: الاشتراكية القومية، والفاشية، وتخليد الذكريات، وتاريخ دراسات الخطاب).

- الخطاب في وسائل الإعلام (سواء في وسائل الإعلام التقليدية المطبوعة، أو وسائل التواصل الاجتماعي الجديدة).
- التواصل في المنظمات (مثلا: في مؤسسات الاتحاد الأوروبي).
- الخطاب والبيئة (تغير المناخ).

لا يمكن حصر أهمية تحليل الخطاب في المقاربة التاريخية للخطاب في منهج للتحليل اللغوي؛ إذ هو مشروع متعدد الأبعاد يضم مكونات نظرية ومنهجية ومناهج وممارسات بحثية. وينطلق تحليل الخطاب في هذه المقاربة من البحث الميداني بهدف تطبيق حقيقي للنتائج التي يتوصل إليها في المجتمع. وتستمد هذه المقاربة مرجعيتها في اللسانيات الاجتماعية من كتب باسيل برنشتاين (Basil Bernstein) وآرون سيكوريل (Aaron Cicourel)، وكذلك من الدراسات التي أجراها الباحثون في اللسانيات الاجتماعية التفاعلية والإثنوغرافية بناء على أعمال إيرفين غوفمان (Erving Goffman) حول سوسولوجيا الحياة اليومية.

كما تأثرت المقاربة التاريخية للخطاب ببعض ما أنتجه تخصص التداولية، مثل نظرية الأفعال الكلامية، والتداولية المعرفية، وتحليل المحادثة<sup>(1)</sup>، والتداولية الوظيفية (ابتكرها إهليش ويرين وريدنر وهوفمان، إلى آخره). وقد تأثر الإطار اللساني النصي والسيمائي تأثرا قويا بأعمال فولفغانغ دريسلر (Wolfgang Dressler). وفي بعض الأحيان، يستعين الباحثون في المقاربة التاريخية للخطاب باللسانيات الوظيفية النسقية نظرا للآليات التي تتيحها لتحليل الجانب اللغوي. وقد تعزز كذلك الاهتمام بالبلاغة كثيرا، ولا سيما في ما يخص المجاز ونظرية النوع (مثلا في الخطب السياسية) والإقناع (بما في ذلك الحجاج). تعد السيميائيات الفلسفية لشارلز ساندرس بيرس (Charles Sanders Peirce) المرجع الإيستيمولوجي الأساس الذي تعتمد عليه المقاربة التاريخية للخطاب في دراسة العلامة. ولذلك تتخذ هذه المقاربة موقفا سلبيا من الفلسفة الواقعية أو بالأحرى تصورا وسطيا للفلسفة البنائية في منطلقاتها الإيستيمولوجية. وتمتلك المقاربة التاريخية للخطاب مرجعين فلسفيين آخرين هما: كتاب بحوث فلسفية للودفيغ فيتجنشتاين (Ludwig Wittgenstein)، والنظرية النقدية، ولا سيما أعمال يورغن هابرماس (Jürgen Habermas) حول نماذج الفعل التواصلي وأخلاقيات الخطاب والديمقراطية التداولية. كما لا ننسى أعمال بيير بورديو (Pierre Bourdieu) حول التفكير السوسولوجي

(1) وضعنا الكلمة بين معقوفتين لأن المقصود هو تحليل خاص بالمدرستين الألمانية والنمساوية.

النقدي، وبخاصة مفهوما الحقل (field) والهابتوس (habitus) اللذين ابتكرهما (أنظر أيضا: فورتشنر في هذا العدد).

ونذكر من بين التصورات التي يعتمد عليها الإطار التحليلي للمقارنة في ما يخص البعد التاريخي تصور «التاريخ المفهومي» كما هو مطروح في المقاربة الميتا-تاريخية لرينهارت كوسليك (Reinhart Koselleck) وهايدن وايت (Hayden White). ومن أجل تحليل الحجاج (Reisigl, 2014b)، تستعمل المقاربة التاريخية للخطاب نظريات الحجاج ومناهجه ونماذجه ومبادئه التي وضعها كل من ستيفن تولمين (Stephen Toulmin)، ويورغن هابرماس، وجوزيف كوبرشميدت (Josef Kopperschmidt)، ومانفريد كينبوانتر (Manfred Kienpointner)، ومارتن وينغلر (Martin Wengeler)، وأنصار الجدلية التداولية (Pragma-Dialectics) (مثلا فرانز فان إيمرين (Frans van Eemeren)، وروب غروتندورست (Rob Grootendorst) وفرانشيسكا سنوويك خينمكمانز (Francisca Snoeck Henkemans) وبيتر هوتلوسير (Peter Houtlosser)).

وحين يكون التواصل السياسي موضوع البحث الرئيسي، فإن اللسانيات السياسية الألمانية (مثلا: أعمال بوكهات، وهيرمان، وكلين، ونيهر، ووينغلر) تصير مصدرا لا غنى عنه لمن يبحث عن نماذج نظرية ومنهجية يحتذى بها. ولما كان المحللون النقديون للخطاب يختلفون مع القائلين بإمكانية إجراء بحوث حيادية وخالية من حكم القيمة، فقد وجب التنبيه هنا على أن الالتزام الذي يدّعيه بوكهات (1996) بـ«الحيادية» مردود عليه. ولذلك، فإن الاشتغال على مشروع نقدي للسانيات السياسية يكون وفق إطار المقاربة التاريخية للخطاب (Reisigl, 2008).

### 3.1 موقع المقاربة في حقل دراسات الخطاب

يمكن أن نقول إن المقاربة التاريخية للخطاب -التي تمثل تخصصا صغيرا وسط الحقل الواسع لدراسات الخطاب- تندرج في مجال الدراسات النقدية للخطاب. ويعني هذا التصنيف أن المشتغلين بهذه المقاربة لهم موقف سياسي ونزعة عملية. ومن ثم، فإن هؤلاء المحللين يزعمون قدرتهم على تحرير الناس بنقدهم للبناء الخطابي للشطط في استعمال السلطة والظلم والتمييز الاجتماعي، كما يقولون بأنهم يقدمون معرفة قادرة على التنوير وكشف ما هو مخفي. ويؤكد محللو هذه المقاربة، مثلهم في ذلك مثل باقي المحللين النقديين للخطاب، البعد العملي للخطابات واعتمادها على السياق، وأنها تُبنى وقادرة على أن تبنى. ونذكر كذلك من الأمور المشتركة بين محلي المقاربة

التاريخية للخطاب وغيرهم من المحللين النقاد للخطاب تفضيلهم التركيز على بيانات «واقعية» حول مشكل ما، وتوظيفهم لمناهج تحليل متعددة. أضف إلى ذلك أن كلا الفريقين يرفض تحليل اللغة وفق نظرة شكلية محضة أو خارج السياق الواقعي. ولذلك، فإن محللي المقاربة التاريخية يهتمون بالظواهر التواصلية الشفهية، سواء أعلق الأمر بالظواهر الكبرى والصغرى والمتعددة الصيغ، وبالعلاقات التناسية والبيخطابية، أم بالعوامل الاجتماعية والتاريخية والسياسية والاقتصادية والسيكولوجية، وغير لك.

وعلى الرغم من هذه القواسم المشتركة التي ذكرنا بين المقاربة التاريخية للخطاب وبقية المقاربات في تخصص التحليل النقدي للخطاب، إلا أن هناك مجموعة من السمات التي تميز هذه المقاربة: أولاً؛ تعطي هذه المقاربة أهمية أكبر لموضوعات تاريخية، وللجذور التاريخية، ولنقاط التحول، ولأثر خطابات محددة. ثانياً؛ تعد المقاربة التاريخية للخطاب أكثر التزاماً في مشاريع البحث الكبيرة بألية تثليث المناهج بالمقارنة مع باقي المقاربات الأخرى في التحليل النقدي للخطاب. ثالثاً؛ تعتمد هذه المقاربة اعتماداً أكبر على العمل الجماعي. رابعاً؛ يعد التطبيق العملي لنتائج التحليل، أي النقد العملي - أحياناً - المقصد الأسمى من البحث. فعلى سبيل المثال، قد يقدم الناشطون الذين يستعملون المقاربة التاريخية للخطاب إرشادات لتجنب استعمال لغة تمييزية. خامساً؛ يعدُّ مفهوم البلاغة في المقاربة التاريخية للخطاب أكثر شمولاً من المفهوم الذي يقترحه رواد التحليل النقدي للخطاب (من قبيل: فيركلف وفان دايك)، إذ لا يدل على معنى سلبي. كما أن الحجج مكوّن رئيس من مكوّنات البلاغة في هذه المقاربة. سادساً؛ تولي هذه المقاربة تحليل الحجج أهمية أكبر بالمقارنة مع باقي المقاربات في التحليل النقدي للخطاب، وذلك باستثناء المقاربة التي تروّج لها إيزابيلا فيركلف ونورمان فيركلف، وإن كانت هذه الأخيرة تركز على تحليل محتوى الخطاطات الحجاجية<sup>(1)</sup>. سابعاً؛ يرتبط المنظور السيميائي ارتباطاً واضحاً بنموذج شامل لبورس، بينما ترتبط المقاربة السيميائية الاجتماعية لفان ليفن وغانثر كريس بتقليد سوسير وأتباعه (ويتضمن عمل فيركلف إشارة إلى مفهوم السيميوزيس البورسي، لكنه لا يعدُّ نفسه تابعاً للفلسفة البورسية). ثامناً؛ تفضل المقاربة التاريخية للخطاب مفهومًا متعدد المنظورات للخطاب (أي أن الخطاب ينطوي على منظورات متعددة للواقع الاجتماعي)، وهذا مخالف

(1) لقد أسىء فهم التركيز على الطوبوسات المرتبطة بالمحتوى في المقال الأصلي. وللتوضيح يمكن النظر إلى رايزغل، 2014 ب. [المؤلف]

لمفهوم الخطاب الأحادي المنظور الذي دعا إليه فيركلف وفان ليفن (أي أن الخطاب يتعلق بمنظور واحد من المنظورات الموجودة للواقع الاجتماعي). تأسعا؛ تعد الإحالة على التداولية الوظيفية إحدى أهم السمات المميزة للمقارنة التحليلية للخطاب. عاشرا؛ لا تعتمد هذه المقارنة على نظريات ما بعد البنيوية كما هو الحال في المقاربات الأخرى للتحليل النقدي للخطاب (مثلا: مجموعة ديسبورغ)، بل تميل بدلا من ذلك إلى أفكار هابرماس والنظرية النقدية. وعلى الرغم من هذه الفروقات التي تميّز المقارنة التاريخية للخطاب إلا أن روادها لم ينفكوا ينفكوا ينخرطون في أعمال مشتركة كبيرة مع رواد المقاربات الأخرى.

### 3.2 مفهوم النقد

ظهر مصطلح التحليل النقدي للخطاب في الثمانينيات بوصفه ردة فعل على طرح مضمونه أن تحليل الخطاب لا يعدو عملية الوصف. ولذلك، فإن فيركلف وفون دايك وآخرين كانوا يقصدون بالأساس -بدفاعهم عن «التحليل النقدي للخطاب»- النقد الاجتماعي بمعناه السياسي. ويعني هذا الأخير إصدار حكم على الوضع الراهن، فمثلا يحكم المحلل على خطاب معين ونظمه بناء على تصور بديل أو مثالي. ويخلص المحلل إلى هذا الحكم بعد تحليل يبيّن فيه أوجه قصور الوضع الراهن أو تناقضاته من حيث القيم أو الأعراف أو المعايير التي يفترض أنها أفضل أو أسمى. يوجد ما لا يقل عن ثلاثة مصادر نظرية تعيننا على فهم المقصود عموما بكلمة «نقد» في المقارنة التاريخية للخطاب:

- 1- تستند المقارنة إلى النظرية النقدية في مرحلتها الأولى (في أعمال أدورنو وهوركهايمر وبنجامين)، وبخاصة حينما تكون الغاية نقد الأيديولوجيات الاضطهادية والتمييزية والاستغلالية، والشطط في استعمال السلطة، وصناعة الثقافة<sup>(1)</sup>. ويقول المحللون إن من شأن هذه الأيديولوجيات أن تكون سببا في تسويق مصالح معينة، وتسويق الظلم الاجتماعي الموجود باسم المصلحة العامة.
- 2- يمكن وصف علاقة المقارنة بفوكو بأنها علاقة اهتمام قوي يتخللها بعض التحفظ. ولكن فهمه للنقد يتوافق مع تصور المقارنة، حيث يعدّه فوكو موقفا ويصفه بـ «فن عدم التبعية الفكرية والمادية» (Foucault, 1990: 12). ويعد هذا

(1) حينما تصير الثقافة تجارة تجري وراء المال كما هو الحال في الأفلام والموسيقى ووسائل التواصل عموما، بدلا من أن تكون مجالاً للإبداع والفكر النقدي. [الترجم]

الفهم للنقد بمثابة تمرّد على طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة.

3- كما نذكر من المصادر التي تستند إليها المقاربة في فهم النقد «النظرية النقدية» في نسختها المتأخرة على يد يورغن هابرماس، وذلك في نظريته حول أخلاقيات الخطاب، والديمقراطية التداولية (انظر: Forchtner, 2010, 2011).

يمكن استعمال مقولات المصادقية الأربعة - الحقيقة (تكون نظرية)، والصدق (يكون تعبيرياً)، والحق، وقابلية الفهم - التي ميّز بينها هابرماس لتمييز مفهوم النقد في المقاربة التاريخية للخطاب. وتمثل مقولة قابلية الفهم المقولة الأساسية لأي تواصل، ولذلك نجد مشكلة قابلية الفهم على رأس اهتمامات الباحثين في المعوقات اللغوية في مؤسسات اجتماعية مختلفة (مثلاً في التفاعلات بين الطبيب والمريض في المستشفيات، انظر: Wodak, Menz and Lalouschek, 1989). كما تهتم المقاربة التاريخية بمقولة الصدق حين تدرس التضليل السياسي أو البلاغي، وفي الدراسات حول الكذب ومع ذلك، لا يندرج شكّ المحلل في إمكانية كذب المشارك في خطاب ما في مقولة الصدق فحسب، بل يدخل في مقولة الحقيقة أيضاً. وفي عبارة أخرى، يخرق من يكذب هاتين المقولتين في آن واحد. ولذلك، تعد مقولتا الحقيقة والحق مركبتين في جل الدراسات التاريخية للخطاب. وعادة ما تُخرق مقولة الحقيقة في الخطابات السياسية حول الماضي، وفي الخطابات التي تتحدث عن الهويات القومية (مثلاً: أثناء الإحالة على الصور النمطية القومية) وفي الخطابات حول مسببات تغيّر المناخ وعواقبه. كما تبرز مشكلات كبيرة حول مقولة الحق في الخطابات السياسية التي تسوّغ الأفعال البشرية التي وقعت في الماضي أو تنتقدها، وفي الخطابات التداولية التي تهدف إلى تحديد ما ينبغي فعله وما ينبغي تركه، وفي الخطابات التي تتضمن التمييز، وفي الخطابات حول تغيّر المناخ، وغير ذلك.

تقدم المقاربة التاريخية للخطاب علماً يبنّي على النقد في كل مراحلها، مثلاً: بدءاً من سياق الاستكشاف، ثم في عملية التعليل، وحتى مرحلة التطبيق. وهناك ثلاثة أشكال من النقد يمكن تمييزها في المقاربة التاريخية للخطاب، وهي: النقد المحايث للنص أو الخطاب، والنقد الاجتماعي التشخيصي، والنقد الاستشراقي (انظر Reisigl and Wodak, 2001: 32-35).

1- يتعلق النقد المحايث للنص أو الخطاب أساساً بما هو معرفي، حيث يقيّم المحلل مواطن الصراع والتناقض والتضاربات في البنيات الداخلية للنص أو



الخطاب، مثلاً فيما يرتبط بالاتساق والاقتضاءات والحجاج والبنىات التي تحكم تبادل الأدوار أثناء الكلام. ويعتمد النقد المباحث -من بين أشياء أخرى- على المعايير أو القواعد البلاغية واللسانية النصية والتداولية واللسانيات السياسية والحجاج. وتعتمد المقاربة التاريخية للخطاب -فيما يتعلق بالمعايير المرتبطة بالحجاج- على القواعد الجدلية التداولية العشر للنقاش البنّاء، وهي: (1) حرية المناقشة. (2) الالتزام بتقديم أدلة. (3) دقة الإحالة على الكلام السابق للمنافس (4) الالتزام بالوقائع الحقيقية. (5) دقة الإحالة على الافتراضات الضمنية. (6) الاتفاق على المنطلقات. (7) استعمال خطاطات حجاجية معقولة. (8) سلامة المنطق. (9) قبول نتائج النقاش. (10) التعبير بلغة واضحة، والتأويل الصحيح للكلام (انظر، van Eemeren and Grootendorst, 1992; van Eemeren, 2009).

2- يتسم النقد الاجتماعي التشخيصي بكونه معرفياً وإلزامياً. ويهدف إلى كشف التضييل في الخطاب وبواسطة الخطاب، وكشف الجوانب الإشكالية أخلاقياً للممارسات الخطابية. ويركز هذا النقد على التحكم الاجتماعي الذي تكشفه الفروقات بين ممارسات خطابية وأخرى اجتماعية ووظيفية بالاعتماد على معرفة اجتماعية وتاريخية وسياسية. ويتضمن هذا النقد نقد الأيديولوجيا ونقد إيطوس الفاعلين الاجتماعيين والنقد التداولي والنقد السياسي و«النقد الاجتماعي» (مثلاً: ذلك المرتبط بالتقدير الاجتماعي).

3- يتصف النقد الاستشراقي بنزعة تطبيقية، إذ يهدف إلى تفادي مشكلات التواصل والمعوقات اللغوية، وإلى تحسين التواصل في المؤسسات العمومية عن طريق اقتراح بدائل وإرشادات مبنية على عمل ميداني دقيق. ويمكن أن يمثل النموذج الفلسفي للديمقراطية التداولية مرجعاً ونموذجاً لهذا النقد. وإذا استمر الباحث في ربط هذا النموذج بنظرية الحجاج، فقد يصير بمثابة مرجع نظري ومنهجي قيم، يتيح إمكانية تقويم مجالات مهمة تختص باتخاذ القرارات السياسية العامة وتنظيمها. وينبغي لهذا النموذج أن يلتزم بثلاثة أمور على الأقل:

- 1- مبادئ العقلانية، من قبيل: القواعد الجدلية التداولية للحجاج السليم.
- 2- مبادئ العدالة (1) فيما يتعلق بالمساواة في أساسيات الحقوق السياسية الديمقراطية وحقوق الإنسان. (2) فيما يرتبط بتوزيع الثروة. (3) التعويضات.

#### (4) الإنجازات.

3- الوعي بمعاناة ضحايا التمييز والمحرومين والتعاطف والتضامن معهم.

#### 3.3 مفهوم الخطاب

- يتميز مفهوم الخطاب وفق المقاربة التاريخية للخطاب بعشر سمات على الأقل:
- 1- الخطاب ممارسة سيميائية تُبنى اجتماعيا وتبني ما هو اجتماعي. ومن أجل استيعاب الطابع العملي للخطابات، لا بد من الرجوع إلى التداولية ذات الاتجاه الوظيفي. وحتى نفهم السمة السيميائية، فمن المهم الاستناد إلى سيميائيات بورس والسيميائيات الاجتماعية.
  - 2- يمكن القول إن الخطاب من حيث طابعه البنائي لما هو اجتماعي قادر على تمثيل الواقع الاجتماعي وإحداثه وإعادة إنتاجه وتغييره.
  - 3- في خصوص الطابعين السيميائي والتداولي للخطاب، يعد هذا الأخير وحدة تواصلية وتفاعلية كبرى لا يمكن حصرها في نص واحد أو محادثة واحدة.
  - 4- يتكوّن الخطاب من مجموعات معينة من النصوص والمحادثات والتفاعلات والأحداث السيميائية الواقعية، إضافة إلى وحدات فعل. وتمتلك هذه الوحدات السيميائية رموزاً، أي علامات فريدة، تصلح لغايات محددة في سياقات اجتماعية، ويكون مدارها بين من ينتجها ويوزعها ويستقبلها.
  - 5- ترتبط هذه الوحدات الخطابية الواقعية بأجناس خاصة، وأنماط فعل سيميائية أخرى، من قبيل: الأنواع (بمصطلحات بيرس legisigns).
  - 6- ترتبط الوحدات الخطابية المنتمية إلى خطاب معين ارتباطاً تناصباً بموضوعات كبرى. وتتفرع هذه الأخيرة إلى موضوعات خطابية متنوعة، ثم إلى موضوعات فرعية، ثم إلى خطابات حجاج مرتبطة بالمحتوى (طوبوسات)، وهكذا.
  - 7- تندرج الخطابات في حقول الفعل (السياسية والاقتصادية وغيرهما). وترتبط الوحدات الخطابية وظيفياً بهذه الحقول التي تؤطر الخطابات.
  - 8- تصبح الخطابات ضمن هذه الأطر الوظيفية جزءاً من الآليات العملية؛ لأنها تسهم في بناء النظام الاجتماعي. وتتسم هذه الآليات بأنها مزيج أو شبكة هادفة إلى بناء الخطاب والمعرفة والسلطة والموضوعات. ولما كانت الخطابات جزءاً من هذه الآليات، فإنها تساعد على تنظيم العلاقات الاجتماعية وإنتاجها وإعادة إنتاجها وتحويلها (بما في ذلك علاقات السلطة)، وهذا ينطبق كذلك على المواقع

الاجتماعية والمؤسسات والمعرفة والأيدولوجيات والهويات والموضوعات، وغير ذلك.

9- تتطور الخطابات حول المشكلات الاجتماعية التي تصبح لاحقا نقاط انطلاق للحجاج. ويقع الحجاج بوصفه نمطا من أنماط حل المشكلات في المستويين اللغوي (ومنه جزء بصري كذلك) والمعرفي (انظر: Kopperschmidt, 2000: 70, 45, 59f; Reisigl, 2014b: 32). وتدور هذه الأنماط حول مقولتي الحقيقة والحق. ولما كان التعامل مع هذين النوعين من المقولات يتطلب منظورات مختلفة، فإن هذا يعني أن الخطاب ينطوي على منظورات متعددة.

10- يتغير الخطاب تاريخيا وفق التغير الاجتماعي، ولذلك تحتاج المقاربة التاريخية للخطاب إلى إيلاء أهمية كبرى بالتغير التاريخي.

تدرس التحليلات التاريخية للخطاب بانتظام خمسة أسئلة من أجل مقارنة مختلف السمات والاستراتيجيات الخطابية: يجيب المحللون عن هذه الأسئلة بفضل بحث كفي لبيانات مختلفة (أجناس)، وتطعيمها ببحث كمي مؤسس على المدونات اللغوية. إن الفئات التحليلية للخطاب غير ثابتة 100 في المئة، ولذلك فهي بحاجة إلى التعديل -على الأقل جزئيا- أو التكييف أو التطوير من جديد في كل موضوع بحث جديد. ولما كان حجم المقالة لا يسمح ببسط الفئات التحليلية للخطاب على المختلفة وتطبيقاتها التحليلية المتنوعة في المقاربة التاريخية للخطاب، أكتفي هنا بالإشارة لبعض ما أراه جديرا بالقراءة في هذا الباب، أي (Reisigl and Wodak, 2001: 31-90)، و (Reisigl and Wodak, 2009, 2016)، و (Wodak et al, 2009 (1999): 30-47).

### الجدول 1: الاستراتيجيات الخطابية في المقاربة التاريخية للخطاب

الغاية	استراتيجيات خطابية	أسئلة لمقاربة السمات الخطابية
<ul style="list-style-type: none"> <li>- البناء الخطابي للفاعلين الاجتماعيين.</li> <li>- البناء الخطابي للموضوعات والظواهر والأحداث.</li> <li>- البناء الخطابي للعمليات والأفعال.</li> </ul>	<p>التسمية Nomination</p>	<p>كيف يسمى الأشخاص، وتسمى الموضوعات والظواهر والأحداث والعمليات والأفعال؟ وكيف يحال عليها لغويا في الخطاب قيد التحليل؟</p>

الغاية	استراتيجيات خطابية	أسئلة لمقاربة السمات الخطابية
وصف السمات الخطابية للفاعلين الاجتماعيين والموضوعات والظواهر والأحداث والعمليات والأفعال (مثلا بصورة إيجابية أو سلبية).	الإسناد Predication	ما الخصائص أو السمات المعزوة إلى الفاعلين الاجتماعيين والموضوعات والظواهر والأحداث والعمليات والأفعال المذكورة في الخطاب؟
إقناع المخاطبين بمصادقية مقولات حقيقة وحق معينة.	الحجاج Argumentation	ما الحجج الموظفة في الخطاب؟
تحديد وجهة نظر المتكلم أو الكاتب ومدى مشاركته في التعبير من عدمه.	اعتماد منظور معين Perspectivisation	من أي منظور يُعبّر عن هذه التسميات والإسنادات والحجج؟
تعديل القوة الكلامية للعبارات من حيث قيمتها المعرفية أو الإلزامية.	التلطيف والتشديد Mitigation And Intensification	هل الكلام المعني بالتحليل صريح العبارة؟ وهل اللغة المعبر بها عن هذا الخطاب ملطفة أم متشددة؟

### 3.4 مفهوم السياق

يعد السياق مفهوما أساسيا في الدراسات النقدية للخطاب، وقد أصبح قيمة محددة للخطاب لعدم انفكاك محللي الخطاب (النقديين) عن فهم الخطاب بوصفه «نصا في سياق». وتولي الدراسات النقدية للخطاب أهمية كبرى للسياقات الاجتماعية والسياسية والتاريخية والمعرفية.

ويمكن أن يُقسّم السياق إلى ثلاثة أبعاد: بعد كبير وبعد متوسط وبعد صغير. وتميز المقاربة التاريخية للخطاب بين أربعة أبعاد للسياق:

1- يدرس السياق اللغوي المباشر والمصاحب للنص والخطاب الداخليين: الانسجومات الموضوعاتية والتركييبية، والتعالقات المعجمية، والتضامات، والإيحاءات، والتضمينات، والاقتضاءات، والعمليات التفاعلية المحلية.

2- تعد العلاقة التناسية والبيخطابية بين الملفوظات والنصوص والأجناس والخطابات هي الأخرى بعدا سياقيا (مثلا ما يتعلق بتمثيل الخطاب، والتلميحات، والإيحاءات).

3- تتضمن العوامل الاجتماعية والأطر المؤسسية لسياق موقف معين: طابعا رسميا، ومكانا، وزمانا، ومناسبة، ومخاطبين، وأدوارا تفاعلية وسياسية، وتوجيها سياسيا وأيديولوجيا، ونوعا، وسنا، ومهنة، ومستوى تعليم، وهويات إثنية وجهوية وقومية ودينية، وغير ذلك.

4- يُدمج السياقان الاجتماعي السياسي والتاريخي العامان في التحليل على

المستوى المتوسط والكبير. وينظر في هذه السياق إلى حقول الفعل وتاريخ الحدث الخطابي بالإضافة إلى موضوعات الخطاب. تولي المقاربة التاريخية للخطاب اهتماما خاصا بالبعد الرابع أي السياق التاريخي. ويمكن تمييز ثلاث طرق للقيام بالتحليل التاريخي للخطاب:

1- ينطلق المحلل من جزء من خطاب أو عبارة، ويعيد بناء تاريخه القبلي بربط الحاضر بالماضي. ولتقديم مثال، يمكن القول إن عبارة من قبيل: «نحن نهتم بمديتكم [كارينثيا]» التي صرّح بها ثلاثة سياسيين نمساويين من الحزب الشعبوي اليميني في حملة انتخابية جهوية سنة 2009 تبدو «بريئة». ولكن سمة «البراءة» هاته تزول حينما يستحضر الباحث في التحليل التاريخي للخطاب سياق استعمال العبارة تاريخيا، فقد استعمل يورغ هايدر (Haider Jörg) -المعروف بمواقفه المثيرة للجدل حول تاريخ النازية- العبارة نفسها عام 1991، واستعملها كذلك قبله المسؤول النازي فرديريتش راينه (Rainer Friedrich) سنة 1945 -عضو الحزب الاشتراكي الوطني لكارينثيا- حينما اضطر للاستقالة في نهاية الحرب العالمية الثانية (84-82: 2013: Reissigl).

2- ينطلق الباحث من سلسلة أو متوالية تعاقبية لأجزاء مقتطفة من الخطاب أو عبارات مرتبطة بموضوعاتيا و/أو وظيفيا ويعيد بناء تعالقاتها التاريخية في حقبة معينة. ويمكن بهذه الطريقة لعناصر خطاب معينة أن ترتبط ببعضها الآخر في حقبة معينة من الماضي، من قبيل: حقبة من الشهور، أو السنوات، أو العقود، أو غير ذلك.

3- تتمثل الطريقة الثالثة في التحليل النقدي لكيفية حديث (وكتابة، وغناء، إلى آخره) الفاعلين الاجتماعيين المختلفين حول الماضي (مثلا السياسيين بالمقارنة مع المؤرخين)، ومقارنة التمثيلات السيميائية المختلفة بناء على مقولات حقيقة وحق وصدق.

يمكن أن يمزج الباحث الطرق الثلاث، على سبيل المثال، إذا كانت الدراسة دراسة مقارنة وطويلة زمنيا وحول تخليد الذكريات السياسية في النمسا من سنة 1995 إلى سنة 2005 ثم إلى سنة 2015. ولكننا نواجه تحديين اثنين حينما نحلل البعد التاريخي للخطابات:

1- ما يرتبط بزمن المنظور الداخلي ومنظور محلي الخطاب: ينبغي لمحلي

الخطاب أن يحاولوا فهم منظورات المشاركين في الخطاب التاريخي من أجل تحديد سليم لتاريخ الخطابات. ومن جهة أخرى، يرتبط كل تحليل تاريخي للخطاب بزمان ومنظور للحاضر. ويمكن التعامل مع هذا الإشكال الأخير إذا استحضرننا أن تحليلنا التاريخي للخطاب ليس تحليلًا للماضي فحسب، بل هو تحليل للحاضر كذلك.

2- الفوارق بين المؤكد والحقيقي في الأمور التي استمرت أو انقطعت: فمن جهة، يجب على التحليل التاريخي للخطاب أن يركّز على الفرق بين تأكيد استمرارية شي ما وانقطاعه حقيقةً في عالم الوقائع الجارية. ويمكن لمثل هذا الفرق أن يظهر في البلاغة القومية، إذ يتخلص المتكلم من انقطاع تاريخي باستعمال مجاز زمني يهدف إلى تمثيل قوميته الوطنية إيجابياً. وللتوضيح: كان هنالك حديث عن وجود الجمهورية النمساوية من 90 سنة في بعض خطب تخليد الذكريات النمساوية سنة 2008، وهذا مخالف للواقع لأن جمهورية النمسا لم تكن موجودة من سنة 1934 إلى سنة 1945 (أنظر: Reisigl, 2009). ومن جهة أخرى، قد يركز التحليل التاريخي للخطاب على الفرق بين تأكيد الانقطاع والاستمرارية الحقيقية إلى غاية الأزمنة الحاضرة. وهذا يجعلنا نستحضر صدى الفاشية والاشتراكية القومية بعد 1945 أو تقارب الشعبوية اليمينية واليمين المتطرف.

#### 4. ممارسة البحث

لا غرو أن ممارسة البحث تختلف من مشروع بحثي لآخر. ويرجع هذا الأمر إلى مجموعة من الأسباب العملية (مثلاً: الوقت المتاح والموال المتوافر وعدد الباحثين)، وكذلك إلى الرأي الذي يقول إن المعرفة الجيدة تكون منفتحة على نتائج غير متوقعة، وقد تدفع الباحثين إلى تعديل خططهم البحثية. وتوجد متوالية مبسطة ونموذجية تتكون من ثماني مراحل وخطوات لممارسة البحث في ثلاث دراسات هي: (Reisigl, 2008: 101-117)، و(Reisigl and Wodak, 2009: 96-120 and 2016: 34-56). ويمكن تلخيص هذه المتوالية في ما يأتي:

1- الاطلاع على المعرفة النظرية السابقة والبناء عليها، أي حصر البحوث السابقة وقراءتها ومناقشتها.

2- تجميع البيانات والمعلومات التي تخص السياق المرتبط بالخطابات، والأحداث

- الخطابية، والحقول الاجتماعية، إضافة إلى الفاعلين ووسائل الإعلام السيميائية، والأجناس، والنصوص، والمحادثات، وأنماط الفعل اللغوي، وغير ذلك.
- 3- انتقاء بيانات بعينها وإعدادها للتحليل، أي الاختصار على الأهم تبعا لمعايير واضحة ومصروح بها، وتفريغ تسجيلات الأشرطة، وغير ذلك.
- 4- تحديد سؤال البحث وصياغة فرضيات قائمة على مراجعة الأدبيات والإطالة الأولى على البيانات.
- 5- إجراء تحليل كفي تجريبي يسمح بتمحيص المقولات والفرضيات، ويسمح بتحديد الافتراضات (تتضمن هذه المرحلة تحليلا لغويا كبيرا ومتوسطا وصغيرا بالإضافة إلى تحليل السياق).
- 6- إجراء دراسات حالات مفصلة لكل البيانات بطريقة كيفية، وتطعيمها باستعمال الطريقة الكمية.
- 7- صياغة نقد بعد تأويل النتائج: تؤخذ المعرفة السياقية ذات الصلة في الاعتبار عندما يحال على أبعاد النقد النصية أو الخطابية الداخلية والاجتماعية التشخيصية والاستشراعية.
- 8- تطبيق نتائج التحليل كلما كان ذلك ممكنا.
- عادة، تتحقق الأطوار والخطوات المختلفة باضطراد. وينبغي تعديلها في كل بحث تاريخي للخطاب.

## خاتمة

يعد التغيير مقولة تاريخية أساسية. ونحن نواجه في الحاضر مجموعة من التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والبيئية واسعة النطاق. وتجري هذا التغيرات في المستويات المحلية والجهوية والوطنية والدولية والعالمية. ولا شك أن للخطاب ارتباطا وثيقا بهذه التغيرات. ومن ثم، سيقى للمقاربة التاريخية للخطاب مجال واسع للعمل البحثي في السنوات القادمة. وتتطلب الموضوعات الجديدة المرتبطة بالمشكلات الجديدة والموضوعات المعروفة المرتبطة باستفحال المشكلات الاجتماعية الموجودة سلفا اهتماما نقديا مستعجلا من أنصار المقاربة التاريخية للخطاب.

وستظل الخطابات المتغيرة حول الهجرة وطلب اللجوء والخطابات حول التغيير القومي والدولي للهويات، والخطابات حول تغير المناخ، والخطابات حول وسائل

الإعلام الجديدة، وكذلك الخطابات حول الماضي السياسي المتعدد من بين موضوعات البحث المهمة. ومن أجل فعل الشيء نفسه في ما يتعلق بالموضوعات التجريبية، ينبغي للمقاربة التاريخية للخطاب أن تدرس العلاقات الجديدة بين الخطاب والتميز، وعليها أن تطوّر عتادها النظري والمنهجي لتحديد المقصود بتحليل البعد التاريخي للخطابات. كما يجب على المقاربة في هذا السياق-كإشارة إلى تحديين راهنين فحسب- أن تهتم بالروابط البيخطابية للخطاب حول اللاجئيين وطالبي اللجوء والخطاب الذي يدور حول تغير المناخ.

وسيبقى الخطاب والتميز وعوائق اللغة في المؤسسات الاجتماعية الأساسية من الموضوعات المهمة للبحث والنقد العملي. وعلى الرغم من أن البعد التاريخي للخطاب قد لا يكون جوهريا في هذه البحوث، إلا أن كل واحد منهم يستند إلى ركن من أركان المقاربة التاريخية للخطاب. ويقوم نجاح الانتقادات الاستشرافية على تعزيز التعاون من التخصصات المتعددة بين اللسانيات والبحث التاريخي وعلم الاجتماع والفلسفة وعلم المناخ، وذلك في أفق إحداث إطار أكثر انفتاحا للمقاربة التاريخية للخطاب.

### مراجع إضافية للاطلاع عليها

- Ruth Wodak, Rudolf de Cillia, Martin Reisigl, & Karin Liebhart. (2009) *The Discursive Construction of National Identity*. Second edition. Edinburgh: Edinburgh University Press.

- درس المؤلفون الاستراتيجيات الخطابية والأدوات اللغوية العامة والخاصة الموظفة في بناء الهويات القومية. واهتم الكتاب على الخصوص بالنمسا، لكن العديد من النتائج النظرية والمنهجية والتجريبية مرتبطة بالعديد من الحالات الأخرى لبناء القومية خطابيا.

- Reisigl, Martin and Ruth Wodak. (2001) *Discourse and Discrimination: Rhetorics of Racism and Antisemitism*. London: Routledge.

- هذا الكتاب دراسة لكيفية إنتاج العنصرية ومعاداة السامية والإثنية في الخطاب وإعادة إنتاجها والتعبير عنها. وقد تناول الكاتبان في البداية خمس مقاربات لتحليل للخطاب، قبل أن يقدموا المقاربة التاريخية للخطاب، وقدّموا كذلك ثلاث

دراسات حالة (حول نزعة الشعبوية اليمينية إلى فويا الأجنب، وحول معاداة السامية اليومية، وحول العنصرية البيروقراطية).

- Martin Reisigl, (2008) "Analyzing political rhetoric", In Ruth Wodak & Michal Krzyżanowski. (eds.) *Qualitative Discourse Analysis in the Social Sciences*. London: Palgrave. Pp. 96–120.

- يقدم هذا الفصل التحليل اللساني-السياسي للتواصل السياسي من منظور المقارنة التاريخية للخطاب. ويفسر كيفية دراسة التواصل السياسي في ما يتعلق بلاغته وبنيته الحجاجية. وقد اقترحت ثماني خطوات لممارسة البحث الخاص في تحليل تجريبي كيفية لأجزاء من الخطاب الشعبوي اليميني.

- Martin Reisigl & Ruth Wodak. (2016). The discourse-Historical Approach. In Ruth Wodak & Michael Meyer. eds., *Methods of Critical Discourse Analysis*. Third edition. London, Thousand Oaks, CA, New Delhi: Sage. Pp. 23–61.

- يقدم هذا الفصل مراجعة للسمات الأساسية للمقارنة التاريخية للخطاب. ويشرح المفاهيم الأساس لها، من قبيل: النقد، والسلطة، والخطاب، والنوع، والنص، والسياق، وإعادة الوضع في سياق، والتناص، والبيخطابية. وفضلا عن ذلك، يشرح المبادئ الأساس، والأدوات التحليلية لهذه المقارنة النقدية للخطاب. وأخيرا يوضح، عبر تحليل تجريبي لتقرير إخباري مباشر حول تغير المناخ، الممارسة البحثية في المقارنة التاريخية للخطاب.

### لائحة المراجع

- Bischof, Günter, Anton Pelinka, & Ruth Wodak. eds. (2001) *Neutrality in Austria: Contemporary Austrian Studies*. New Brunswick, London: Transaction Publishers.
- Burkhardt, Armin. (1996) Politolinguistik: Versuch einer Ortsbestimmung. In Josef Klein & Hajo Diekmannshenke. eds. *Sprachstrategien und Dialogblockaden*. Berlin, New York: de Gruyter. Pp. 75–100.

- Cillia, Rudolf de & Ruth Wodak. eds. (2009) *Gedenken im "Gedankenjahr": Zur diskursiven Konstruktion österreichischer Identitäten im Jubiläumsjahr*. Innsbruck: Studienverlag.
- Copsey, Nigel & John Richardson. eds. (2015) *Cultures of Post-war British Fascism*. London, New York: Routledge.
- Delanty, Gerard, Ruth Wodak, & Paul Jones. eds. (2008/2011) *Identity, Belonging and Migration*. Liverpool: Liverpool University Press.
- Forchtner, Bernhard. (2010) "Jürgen Habermas and the Critical Study of Language". *Critical Approaches to Discourse Analysis across Disciplines*, 4(1), pp. 18–37.
- Forchtner, Bernhard. (2011) "Critique, the Discourse-Historical Approach and the Frankfurt School". *Critical Discourse Studies*, 8(1), pp. 1–14.
- Forchtner, Bernhard. (2015) "Extrem Rechte Parteien im Klimawandel: Ein (kurzer) Blick auf die Schweiz, Österreich und Deutschland". In Gudrun Heinrich, Klaus-Dieter Kaiser & Norbert Wiersbinski. eds. *Naturschutz und Rechtsradikalismus*. Berlin: Bundesamt für Naturschutz. Pp. 128–135.
- Foucault, Michel. (1990) *Was Ist Kritik?* Berlin: Merve.
- Galasinska, Aleksandra and Michal Krzyżanowski. eds. (2008) *Discourse and Transformation in Central and Eastern Europe*. Basingstoke: Palgrave Macmillan.
- Heer, Hannes, Walter Manoschek, Alexander Pollak, & Ruth Wodak. eds. (2003) *Wie Geschichte Gemacht wird. Zur Konstruktion von Erinnerungen an Wehrmacht und Zweiten Weltkrieg*. Vienna: Czernin.
- Heer, Hannes, Walter Manoschek, Alexander Pollak, & Ruth



- Wodak. eds. (2008). *The Discursive Construction of History: Remembering the Wehrmacht's War of Annihilation*. Basingstoke: Palgrave Macmillan.
- Januschek, Franz & Martin Reisigl. eds. (2014) *Osnabrücker Beiträge zur Sprachtheorie 86: Populismus in der digitalen Mediendemokratie*. Duisburg: Universitätsverlag Rhein-Ruhr.
  - Kargl, Maria, Karin Wetschanow, Ruth Wodak, & Néla Perle. (1997) *Kreatives Formulieren: Anleitungen zu geschlechtergerechtem Sprachgebrauch*. Vienna: Bundesministerium für Frauenangelegenheiten und Verbraucherschutz.
  - Koller, Veronika. (2008) *Lesbian Discourses: Images of a Community*. London, New York: Routledge.
  - Koller, Veronika. (2009) "Analysing Collective Identity in Discourse: Social Actors and Contexts". In *SEMEN 27*, <http://semen.revues.org/8877>
  - Kopperschmidt, Josef. (2000) *Argumentationstheorie zur Einführung*. Hamburg: Junius.
  - Kovács, Andras & Ruth Wodak. eds. (2003) *NATO, neutrality and national identity: The case of Austria and Hungary*. Vienna: Böhlau.
  - Krzyżanowski, Michal. (2010) *The Discursive Construction of European Identities: A Multi-Level Approach to Discourse and Identity in the Transforming European Union*. Frankfurt am Main: Lang.
  - Krzyżanowski, Michal. (2011) Ethnography and Critical Discourse Analysis: Towards a Problem-Oriented Research Dialogue, *Critical Discourse Studies*, 8(4), pp. 231–238.
  - Krzyżanowski, Michal. (2015) International Leadership Re-

- constructed? On the Ambivalence and Heterogeneity of Identity Discourses in European Union's Policy on Climate Change, *Journal of Language and Politics*, 14(1), pp. 110–133.
- Krzyżanowski, Michal & Florian Oberhuber. (2007) *(Un) doing Europe: Discourses and Practices of Negotiating the EU Constitution*. Brussels: Lang.
  - Krzyżanowski, Michal & Ruth Wodak. (2008) *The Politics of Exclusion: Debating Migration in Austria*. New Brunswick: Transaction Publishers.
  - Krzyżanowski, Michal & Ruth Wodak. (2010) “Hegemonic Multilingualism in/of the EU Institutions: An Inside-Outside Perspective on European Language Policies and Practices”. In von Cornelia Hülmbauer, Eva Vetter, & Heike Böhringer. eds. *Mehrsprachigkeit aus der Perspektive zweier EU-Projekte: Dylan meets Linee*. Frankfurt am Main: Lang. pp. 115–133.
  - Lalouschek, Johanna, Florian Menz, & Ruth Wodak. (1990) “Alltag in der Ambulanz”: *Gespräche zwischen Ärzten, Schwestern und Patienten*. Tübingen: Narr.
  - Lutz, Benedikt. & Ruth Wodak. (1987) *Information für Informierte: Linguistische Studien zu Verständlichkeit und Verstehen von Hörfunknachrichten*. Vienna: Verlag der Österreichischen Akademie der Wissenschaften.
  - Matouschek, von Bernd, Ruth Wodak & Franz Janushek. (1995) *Notwendige Maßnahmen gegen Fremde? Genese und Formen von rassistischen Diskursen der Differenz*. Vienna: Passagen.
  - Menz, Florian. ed. (2013) *Migration und Medizinische Kommunikation: Linguistische Verfahren der PatientInnenbeteiligung und Verständnissicherung in ärztlichen*



- Gespräche mit MigrantInnen*. Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht unipress.
- Menz, Florian, Johanna Lalouschek, Marlene Sator, & Karin Wetschanow. (2010) *Sprechen über Schmerzen: Linguistische, Kulturelle und Semiotische Analysen*. Essen/Duisburg: Universitätsverlag Rhein-Ruhr.
  - Muntigl, Peter, Gilbert Weiss, & Ruth Wodak. (2000) *European Union Discourses on Un/employment: An Interdisciplinary Approach to Employment Policy-Making and Organizational Change*. Amsterdam: Benjamins.
  - Oberhuber, Florian, Christoph Baerenreuter, Michal Krzyżanowski, Heinz Schoenbauer, Ruth Wodak. (2005) “Debating the European Constitution: On Representations of Europe/the EU in the Press”. *Journal of Language and Politics*, 4(2), pp. 227–271.
  - Reisigl, Martin. (2007a) *Nationale Rhetorik in Fest- und Gedenkreden: Eine Diskursanalytische Studie zum “österreichischen Millennium” in den Jahren 1946 und 1996*. Tübingen: Stauffenburg.
  - Reisigl, Martin. (2007b) “The Dynamics of Right-Wing Populist Argumentation in Austria”. In Frans van Eemeren, Snoeck Henkemans, Anthony Blair, Hobart Willard & Bart Garsen. eds. *Proceedings of the Sixth Conference of the International Society for the Study of Argumentation*. Amsterdam: Sic Sat 2007/ International Center for the Study of Argumentation. Pp. 1127–1134.
  - Reisigl, Martin. (2008) “Analyzing Political Rhetoric”. In Ruth Wodak & Michal Krzyżanowski. eds. *Qualitative Discourse*

- Analysis in the Social Sciences*. London: Palgrave. Pp. 96–120.
- Reisigl, Martin. (2009) “Spoken Silence–Bridging Breaks: The Discursive Construction of Historical Continuities and Turning Points in Austrian Commemorative Speeches by Employing Rhetorical Tropes”. In Ruth Wodak and Auer Borea. eds. *Justice and Memory: Confronting Traumatic Pasts: An International Comparison*. Vienna: Passagen. 213–240.
  - Reisigl, Martin. (2011a) “Grundzüge der Wiener Kritischen Diskursanalyse”. In Reiner Keller, Andreas Hirsland, Werner Schneider & Willy Viehöver. eds. *Handbuch Sozialwissenschaftliche Diskursanalyse. Volume 1: Theorien und Methoden*, third edition. Wiesbaden: VS Verlag für Sozialwissenschaften. Pp. 459–497.
  - Reisigl, Martin. (2011b) Schwierige Verständigung. Interkulturelle Gespräche auf der Kopfschmerzambulanz. In Peter Holzer, Manfred Kienpointner, Julia Pröll and Ulla Ratheiser. eds. *An den Grenzen der Sprache: Kommunikation von Un-Sagbarem im Kulturkontakt*. Innsbruck: iup. Pp. 101–127.
  - Reisigl, Martin. (2012a) “Zur kommunikativen Dimension des Rechtspopulismus». In Sir Peter Ustinov Institut, Anton Pelinka & Birgitt Haller. eds. *Populismus – Herausforderung oder Gefahr für die Demokratie?* Vienna: Braumüller. Pp.141–162.
  - Reisigl, Martin. (2012b) “Rechtspopulistische und faschistische Rhetorik – Ein Vergleich”. In *Totalitarismus und Demokratie/ Totalitarianism and Democracy. Zeitschrift für internationale Diktatur- und Freiheitsforschung/An International Journal for the Study of Dictatorship and Liberty*. 9/2/2012: Populismus und Faschismus/ Populism and Fascism. Göttingen: Vandenhoeck &



Ruprecht, pp. 303–323.

- Reisigl, Martin. (2013) “Critical Discourse Analysis”. In Robert Bayley, Richard Cameron, & Ceil Lucas. eds. *The Oxford Handbook of Sociolinguistics*. Oxford: Oxford University Press. Pp. 67–90.
- Reisigl, Martin. (2014a) “Österreichischer Rechtspopulismus im Zeitalter von Mediendemokratie und medialer Erlebnisgesellschaft”. In Franz Janussek & Martin Reisigl. eds. *Osnabrücker Beiträge zur Sprachtheorie 86: Populismus in der digitalen Mediendemokratie*. Duisburg: Universitätsverlag Rhein-Ruhr. Pp. 71–99.
- Reisigl, Martin. (2014b) “Argumentation Analysis and the Discourse-Historical Approach: A Methodological Framework”. In Christopher Hart & Piotr Cap. eds. *Contemporary Critical Discourse Studies*. London: Bloomsbury. Pp. 67–96.
- Reisigl, Martin & Ruth Wodak. (2001) *Discourse and Discrimination: Rhetorics of Racism and Antisemitism*. London: Routledge.
- Reisigl, Martin & Ruth Wodak. (2009) The Discourse-Historical Approach. In Ruth Wodak & Michael Meyer. eds. *Methods of Critical Discourse Analysis*. Second Edition. London, Thousand Oaks, CA, New Delhi: Sage. Pp. 87–121.
- Reisigl, Martin & Ruth Wodak. (2016) The Discourse-Historical Approach. In Ruth Wodak & Michael Meyer. eds. *Methods of Critical Discourse Studies*. Third Edition. London, Thousand Oaks, CA, New Delhi: Sage. Pp. 23–61.
- Richardson, John. (2004) *(Mis)representing Islam: The Racism and Rhetoric of British Broadsheet Newspapers*. Amsterdam:

Benjamins.

- Richardson, John & Ruth Wodak. (2009) "The Impact of Visual Racism: Visual Arguments in Political Leaflets of Austrian and British Far-Right Parties". *Controversia*, 6(2), pp. 45–77.
- Sedlaczek, Andrea Sabine. (2012) *Die visuelle Repräsentation des Klimawandels in Dokumentarfilmen: Eine multimodale kritische Diskursanalyse*. MA Thesis, Vienna.
- Sedlaczek, Andrea Sabine. (2014) Multimodale Repräsentation von Klimawandel und Klimaschutz. *Wiener Linguistische Gazette*. 78A, pp. 14–33.
- Titscher, Stefan, Ruth Wodak, Michael Meyer, & Eva Vetter. (1998) *Methoden der Textanalyse*. Opladen: Westdeutscher Verlag.
- Triandafyllidou, Anna, Ruth Wodak, & Michal Krzyżanowski. eds. (2009) *The European Public Sphere and the Media: Europe in Crisis*. New York: Palgrave.
- Unger, Johann. (2013) *The Discursive Construction of Scots Language: Education, Politics and Everyday Life*. Amsterdam: Benjamins.
- Unger, Johann, Michal Krzyżanowski, & Ruth Wodak. eds. (2015) *Multilingual Encounters in Europe's Institutional Spaces*. London: Bloomsbury Academic.
- Van Eemeren, Frans van, Bart Garssen, & Bert Meuffels. (2009) *Fallacies and Judgments of Reasonableness: Empirical Research Concerning the Pragma-Dialectical Discussion Rules*. Dordrecht: Springer.
- Van Eemeren, Frans van & Rob Grootendorst. (1992) *Argumentation, Communication, and Fallacies: A Pragmadiialectical Perspective*.



- Hillsdale, NJ: Erlbaum.
- Wodak, Ruth. (1996) *Disorders of Discourse*. London/New York: Longman.
  - Wodak, Ruth. (2009/2011). *The Discourse of Politics in Action: Politics as Usual*. New York: Palgrave.
  - Wodak, Ruth. (2015) *The Politics of Fear: What Right-Wing Discourses Mean*. London: Sage.
  - Wodak, Ruth, Rudolf de Cillia, Martin Reisigl, & Karin Liebhart. (1999/2009) *The Discursive Construction of National Identity*, First and Second Edition. Edinburgh: Edinburgh University Press.
  - Wodak, Ruth, Rudolf de Cillia, Martin Reisigl, Karin Liebhart, Klaus Hofstätter, & Maria Kargl. (1998) *Zur diskursiven Konstruktion Nationaler Identität*. Frankfurt am Main: Suhrkamp.
  - Wodak, Ruth & Bernhard Forchtner. (2014) “Embattled Vienna 1683/2010: Right-Wing Populism, Collective Memory and the Functionalization of Politics”, *Visual Communication* 13(2), pp. 231–255.
  - Wodak, Ruth, Majid KhosraviNik, Brigitte Mral. eds. (2013) *Right-Wing Populism in Europe: Politics and Discourse*. London/ New York: Bloomsbury.
  - Wodak, Ruth & Michal Krzyżanowski. eds. (2008) *Qualitative Discourse Analysis in the Social Sciences*. London: Palgrave.
  - Wodak, Ruth, Florian Menz, & Johanna Lalouschek. (1989) *Sprachbarrieren: Die Verständigungskrise der Gesellschaft*. Wien: Edition Atelier.
  - Wodak, Ruth, Florian Menz, Richard Mitten, & Frank Stern. (1994) *Die Sprachen der Vergangenheiten: öffentliches Gedenken in österreichischen und deutschen Medien*. Frankfurt am Main:

Suhrkamp.

- Wodak, Ruth, Johanna Pelikan, Peter Nowak, Helmut Gruber, Rudolf de Cillia, & Richard Mitten. (1990) *“Wir sind alle unschuldige Täter!” Diskurshistorische Studien zum Nachkriegsantisemitismus*. Frankfurt am Main: Suhrkamp.
- Wodak, Ruth & John Richardson. eds. (2013) *Analysing Fascist Discourse: European Fascism in Talk and Text*. London: Routledge.
- Wodak, Ruth & Gilbert Weiss. (2005) “Analyzing European Union Discourses: Theories and Applications”. In Ruth Wodak & Paul Chilton. eds. *A new Agenda in (Critical) Discourse Analysis*. Amsterdam: Benjamins. Pp. 121–135.
- Wodak, Ruth & Teun van Dijk. eds. (2000) *Racism at the Top: Parliamentary Discourses on Ethnic Issues in Six European States*. Klagenfurt-Celovec: Drava.

# مقاربة إجرائية للنقد الأخلاقي في التحليل النقدي للخطاب

نورمان فيركلاف وإيزابيلا فيركلاف (المؤلفان)

ترجمة: د. محمد صوضان

كلية اللغات والآداب والفنون- جامعة ابن طفيل

mohamed.saoudane@uit.ac.ma

<https://orcid.org/0009-0000-3779-2812>

## الملخص

يقترح نورمان فيركلاف وإيزابيلا فيركلاف في هذا المقال<sup>(1)</sup> مقاربة إجرائية للنقد الأخلاقي في التحليل النقدي للخطاب، وهي مقاربة ترتكز على إدماج الحجج العملي بوصفه إطاراً للتفكير في الفعل وصناعة القرار. ويسعى الباحثان بهذه المقاربة إلى تقليص المناصرة والتحيز الذي يدفع إليهما النقد المعياري المنطلق من مصادر معيارية/ قيم مفترضة مسبقاً. وتأتي هذه المقاربة التي تناولها نورمان وإيزابيلا فيركلاف تحت مسمى التفكير الجدلي في سياق مراجعة وإعادة توجيه النموذج العلائقي الجدلي الذي طالما كان الأساس النظري لأعمال نورمان فيركلاف في التحليل النقدي للخطاب، ويقدمان بدلاً من ذلك طريقة في التحليل تعتمد التفكير الجدلي، وترتكز على التداول والمساءلة النقدية.

تعتمد هذه المقاربة في صيغتها الجديدة على تخصصات مختلفة تتضمن اللسانيات النقدية، ودراسات الخطاب، والسوسيولوجيا النقدية، إضافة إلى الحجج. وهي أكثر ملاءمة لمقاربة الخطاب السياسي بوصفه فعلاً تداولياً يتبلور في ظروف وشروط يطبعها الشك واللايقين وتنافي القيم أو تضاربها والمخاطرة والحاجة إلى صناعة قرارات مسوّغة. وبدلاً من افتراض وجود أطر أخلاقية ثابتة، يدافع هذا النموذج عن الحاجة إلى تقويم الحجج التي يقدمها الفاعلون السياسيون، وتلك التي يطرحها محللو الخطاب كذلك في ضوء تفكير عملي يراعي السياق. ومن ثم، فهذا النموذج محاولة لإجراء نقد أكثر قوة وحيادية مع المحافظة على النقد الأخلاقي العلمي في البحث، وعدم الانزلاق إلى هوة التنظير الأخلاقي المعياري الذي يفترض قيماً ومصادر معيارية ومسارات مسبقة للفعل.

(1) Norman Fairclough & Isabela Fairclough. (2018) "A Procedural Approach to Ethical Critique in CDA", in *Critical Discourse Studies*, 15(2), pp. 169-185.

الكلمات المفتاحية: منعطف حجاجي، مساءلة نقدية، صناعة القرار، تداول، أخلاقيات الخطاب.



# A PROCEDURAL APPROACH TO ETHICAL CRITIQUE IN CDA

NORMAN FAIRCLOUGH AND ISABELA FAIRCLOUGH (AUTHORS)

---

Translated by: Mohamed SAOUDANE

Faculty of Languages, Literatures and Arts– Ibn Tofail University

mohamed.saoudane@uit.ac.ma

<https://orcid.org/0009-0000-3779-2812>

## ABSTRACT

In this article, Norman Fairclough and Isabella Fairclough propose a procedural approach to moral critique within Critical Discourse Analysis (CDA). This approach is grounded in the integration of practical argumentation as a framework for reasoning about action and decision-making. Through this framework, the authors aim to reduce the advocacy and bias that often accompany normative critique grounded in pre-established value systems or moral assumptions.

The approach advanced by Norman and Isabella Fairclough—termed dialectical reasoning—emerges as part of a broader effort to review and redirect the dialectical–relational model, which has long served as the theoretical foundation of Norman Fairclough’s work in CDA. Instead, they propose an analytical orientation that draws on dialectical reasoning and foregrounds deliberation and critical accountability.

In its revised formulation, this approach draws on multiple disciplines, including critical linguistics, discourse studies, critical sociology, and argumentation theory. It is particularly suited to the analysis of political discourse as a deliberative practice that unfolds under conditions of uncertainty, value conflict, and the need for justified decision-making. Rather than presupposing fixed moral frameworks, this model advocates for the evaluation of arguments advanced both by political actors and by discourse analysts themselves through context-sensitive practical reasoning. Thus, the model constitutes an attempt to advance a stronger and more impartial form of critique—one that preserves the scientific and moral dimensions of critique in research without falling into the pitfalls of normative moral theorizing based on predetermined values or prescriptive moral sources.

**Keywords:** Argumentative turn; critical questioning; decision making; deliberation; discourse ethics.

## مقدمة

يعنى التحليل النقدي للخطاب، وهو شكل من أشكال التحليل الاجتماعي النقدي، بالعلاقات القائمة بين الخطاب ومختلف جوانب الحياة الاجتماعية. ويتأسس هذا النوع من التحليل جزئياً على النقد الأخلاقي. إن التحليل النقدي للخطاب يجمع بين النقد المعياري والتفسري في الآن نفسه (Chouliaraki & Fairclough, 1999, p. 13-10; Fairclough, 2015, pp. 59-69; 33, pp. 10-13). ويعد النقد الأخلاقي جزءاً من النقد المعياري. غير أن كل نقد معياري ليس نقداً أخلاقياً بالضرورة؛ إذ يتضمن النقد المعياري أيضاً نقد ادعاءات الحقيقة (truth claims)، إلى جانب نقد «الاستقامة على الصدق» (truthfulness) و«ملازمة الحق» (rightness) (Habermas, 1984). بينما يركز النقد الأخلاقي في المقام الأول على الأفعال، غير أن هذه الأفعال مشروطة ومقيّدة بالممارسات والمؤسسات والبنى الاجتماعية، ولذلك ينبغي توسيع النقد الأخلاقي ليشملها. ويمكن للإطار التحليلي الذي سنعرضه في ما يأتي أن يستوعب هذا التوسيع. ينشغل التحليل النقدي للخطاب أساساً بالخطاب السياسي، ويُعنى نقده الأخلاقي بدرجة كبيرة، بالقيم السياسية كالعدالة والمساواة والحرية بوصفها دوافع للفعل وحوافز له، ولهذا فإن التحليل النقدي للخطاب ذو صلة بالسياسة<sup>(1)</sup> ومتجه إليها في رؤيته وممارسته. ويوسع الناشطين السياسيين الاعتماد على النقد الذي يقدمه التحليل النقدي للخطاب للواقع الاجتماعي أثناء صياغة السياسات والاستراتيجيات السياسية والمطالبة بتنزيلها. إضافة إلى هذا، ويوصفه طريقة للمشاركة في العلوم الاجتماعية النقدية، ينطوي التحليل النقدي للخطاب على مصلحة معرفية تحررية (Habermas, 1986) تتمثل في الانشغال بـ«الاختلالات» التي تطبع الحياة الاجتماعية، والتي يمكن أو يتحتم تصحيحها، بما فيها «الاختلالات» السياسية، كالظلم، وعدم الإنصاف، والتمييز والهيمنة.

إن التحليل النقدي للخطاب بمعنى ما ذو طابع انحيازي؛ إذ يدعو (بشكل ضمني غالباً) إلى الفعل والتغيير لتصحيح بعض «الاختلالات» في الحياة

(1) يستعمل الباحثان مصطلح السياسة (politics) للدلالة على المجال العام للصراع حول السلطة والقيم والمصالح، وهي بهذا المفهوم معنوية كيفية تكوين القرارات السياسية في سياق التدافع الأيديولوجي والتفاوض والتداول بين الفاعلين، من أحزاب سياسية، ونقابات عمالية، وجماعات المصالح. بخلاف السياسة (policy) التي ترتبط بمخرجات هذا الصراع، وتشير إلى الخطة التنفيذية أو التوجه المؤسساتي الموجه لتنظيم مجال معين (المترجم).

الاجتماعية، كما أنه متحيز، لكونه يقف إلى جانب الأشخاص الذين يعانون هذه «الاختلالات». غير أنه يظل منهجية علمية اجتماعية تهدف إلى «مواجهة السلطة بالحقيقة»، وهو ما يقتضي منه ألا يكون متحيزا سياسيا، كما هو الأمر في خصوص النشاط السياسي. ومع أننا لا ننكر وجود أعمال في التحليل النقدي للخطاب تتسم بهذا النوع من التحيز السياسي، فإننا نعارضها؛ إذ نعتقد أن هذا النمط من التحليل لا ينبغي أن يختزل في هذا الدور. إننا نسعى إلى التأصيل الحجاجي لمنهجية في القيام بالتحليل النقدي للخطاب لا تقوم على مناصرة موقف سياسي محدد مسبقا، بل تجسد مسعى نقديا أصيلا ومنفتحا.

إننا نتبنى، من خلال اتخاذنا هذا الموقف، مقارنة في النقد الأخلاقي ضمن التحليل النقدي للخطاب تعطي الأولوية للأخلاق الإجرائية التي يسميها هابرماس (1996) بـ«أخلاقيات الخطاب»، وهناك صيغة محددة منها برزت في مقارنتنا «الحجاجية» الأخيرة في التحليل النقدي للخطاب (Fairclough & Fairclough, 2012). وتتضمن هذه المقارنة إجراءً يتيح المساءلة النقدية للمقترحات المتعلقة بالفعل، ويسمح بدمج اعتبارات نابعة من منظورات أخلاق الواجب، والفضيلة، والعواقب. وتلزم هذه المقارنة المحلل الناقد للخطاب بالحياد الأخلاقي في التحليل النقدي للخطاب، وهو أمر ضروري لضمان مكانته بوصف ذلك منهجية في العلوم الاجتماعية النقدية. ويطبق هذا الإجراء في النقد المعياري للحجاج، وفي النقد التفسيري لجوانب الممارسات والبنى الاجتماعية، وكذلك في نقد وتقويم التغييرات المطالب بها في هذه الممارسات والبنى بهدف معالجة المشكلات القائمة. وتتعامل مقارنتنا مع التحليل النقدي للخطاب بوصفه «تفكيراً جدلياً» ينتقل من النقد المعياري إلى التفسير والنقد التفسيري، وصولاً إلى الفعل التحويلي (Fairclough, 2018).

يعود مصطلح «أخلاقيات الخطاب» لهابرماس (Fairclough & Fairclough, 2012, pp. 30–34) غير أننا نستخدمه هنا بمعناه الأوسع؛ أي للدلالة على التصور القائل بأن أي إطار لائق للتقويم والنقد الأخلاقي يتضمن حتما مقارنة وتقييماً للحجج المختلفة لمسارات الفعل المتباينة ضمن عملية تداولية. وتطرح مثل هذه التقييمات للحجج مشكلات معقدة، كما أن التداول لا يفضي بالضرورة إلى إجماع. ومع ذلك، يمكن للتداول أن يسهم في تعزيز جودة النقد الأخلاقي، من خلال ضمان النظر في جملة واسعة من الحجج وأخذها بعين الاعتبار عند اتخاذ القرارات، ومراعاة جميع

البدائل ووضعها في الحسبان، ونقدها نقداً دقيقاً، ودفع الناس، على الأقل، إلى تخفيف تحيزاتهم الذاتية وكبحها في أثناء التقييم الجماعي للحجج المختلفة. سنشير، في إطار سعينا لتقريب هذا التصور وتوضيحه، إلى قرارين سياسيين من النوع الذي يثير جدلاً وإشكالات أخلاقية، والمسارات العملية التي نتجت عنهما. يتعلق أولهما بقرار مطالبة رئيس الوزراء البريطاني طوني بليير (Tony Blair) سنة 2003 بمشاركة بريطانيا في غزو العراق (ناقشنا هذا القرار في: Fairclough & Fairclough, 2012, pp. 96-97). ويتعلق الثاني بقرار المستشار الألمانية أنجيلا ميركل (Angela Merkel) في خريف 2015 فتح الحدود الألمانية أمام اللاجئين القادمين من الشرق الأوسط. وسنسعى من خلال هذين المثالين إلى بيان وجهة النقد الأخلاقي وتوضيحه من طريق المواقف الأخلاقية الثلاثة الكبرى: أخلاق الواجب، والعواقب، والفضيلة.

### التحليل النقدي للخطاب والحجاج العملي

يعنى التحليل النقدي للخطاب أساساً بتحليل الخطاب الموجه للفعل الذي يتضمن الخطاب السياسي إلى جانب الخطاب الإداري والتنظيمي وأنماط خطابية أخرى. إن النشاط الأساسي في مثل هذا الخطاب هو الحجاج العملي؛ أي الحجاج بشأن الفعل وما يجب القيام به (كالسياسات التي يجب اعتمادها). ووفقاً لذلك ينبغي أن يكون الحجاج العملي محور التركيز الأساس في التحليل النقدي للخطاب (Fairclough & Fairclough, 2012). ولا يعني هذا استبعاد الأشكال التحليلية الأخرى المعروفة، كتحليل التمثيلات، بقدر ما يعني احتواءها واستيعابها ضمن منظور أشمل، ذلك أن عملية تمثيل قضية معينة بطريقة خاصة أو «تأطيرها»، إنما يهدف إلى خلق مواقف وآراء عامة محددة وتشكيلها، ومن ثم شرعنة مسار محدد للفعل أو تسهيله.

إن نقد الخطاب هو محور الاهتمام في التحليل النقدي للخطاب، ولكن ليس معنى هذا أن نقد الخطاب مقصور على التحليل النقدي للخطاب، بل خلافاً لذلك، يشكل نقد الخطاب جزءاً طبيعياً من كل خطاب. إنه جزء طبيعي من الحجاج العملي الذي يمارس في الحياة اليومية؛ إذ يبحث الناس عن الأسباب والمسوّغات المؤيدة أو المعارضة لمقترحات الفعل، ويفاضلون بين البدائل، ويتبنون بعضها ويرفضون بعضها الآخر، وهكذا. ومن ثم فإن مسار الفعل الجدير بالاعتماد هو ذلك الذي يصمد أمام النقد. قد يقرر الفاعلون رفض بعض مقترحات الفعل واستبعادها؛ إما لأنها غير مناسبة عملياً لتحقيق الأهداف المتوخاة بكفاءة،

أو لأنها تثير مشكلات أخلاقية، كأن تكون الدوافع أو الغايات التي تحفزها غير مقبولة. ويشكل النقد الأخلاقي موضوع اهتمام التحليل النقدي للخطاب تبعاً لثلاثة مستويات: أولاً؛ بوصفه جانباً من طريقة تفكير الفاعلين، كما في تداول السياسيين بشأن السياسات التي ينبغي اعتمادها. ثانياً؛ بوصفه مكوناً من مكونات النقد المعياري للممارسة التداولية الذي يظلم به التحليل النقدي للخطاب. ثالثاً؛ باعتباره بعداً من أبعاد النقد الذي يفتح عليه التحليل النقدي للخطاب نفسه. وثمة ثلاثة أسئلة رئيسة تتجلى فيها القيم الأخلاقية وتبرز بوضوح: ما القيم التي يستند إليها المحاججون (السياسيون مثلاً) ويصدرون عنها في حججهم؟ وما القيم التي يتبناها محللو التحليل النقدي للخطاب والمنظورات التي ينطلقون منها لتقييم حجج أولئك المحاججين؟ وما القيم التي يركز عليها نقاد آخرون، بمن فيهم نقاد التحليل النقدي للخطاب نفسه؟

يعدّ التحليل النقدي للخطاب نفسه شكلاً من أشكال الخطاب المتميز بتخصّصه في النقد الأكاديمي للأفعال والأحداث والممارسات والبنى الاجتماعية، وذلك من طريق التركيز على الخطاب بوصفه المدخل للفهم والتحليل. ويمكن تصوّره أيضاً بوصفه شكلاً من أشكال الحجاج العملي (Fairclough, 2013) المنفتح على الأسئلة النقدية نفسها التي يوجهها للخطابات التي يخضعها للتحليل. ومن هذا المنطلق، فإن ممارسي التحليل النقدي للخطاب ملزمون بالتفاعل مع التقييمات الأخلاقية التي تنتقد أعمالهم. إضافة إلى ذلك، فإن الحكم الأخلاقي الذي يشكل جزءاً من النقد المعياري الذي يقوم به التحليل النقدي للخطاب لا يولد من عدم، بل يتأسس على عناصر مستمدة، وبشكل انتقائي، من الحكم والنقد الأخلاقيين في الخطاب العام. كما أن التحليل النقدي للخطاب مدعو إلى تجديد التفكير في نقده الخاص استجابة لتحوّلات الخطاب العام والواقع السياسي، كما هو الحال في خصوص الجدل المتصاعد بشأن «اللياقة السياسية» (Fairclough, 2003).

لقد حاجبنا بأن التركيز المحوري للتحليل النقدي في التحليل النقدي للخطاب ينبغي أن يتمحور أساساً حول الحجاج العملي والتداول (Fairclough & Fairclough, 2012). وقد استند هذا الطرح إلى ادعاء يتعلق بطبيعة الخطاب السياسي الذي نظرنا إليه بوصفه خطاباً معنياً في المقام الأول بالسؤال حول ما يجب فعله. ويعدّ التداول نوعاً تجريدياً من الخطاب تختبر فيه المقترحات (والمقترحات البديلة). ويوفر الإطار التحليلي الذي طورناه منذ سنة 2012 لتحليل الحجاج العملي والتداول للتحليل النقدي للخطاب

طريقة فعالة لتقويم الخطابات ونقدها من زاوية نظر أخلاقية. وتتمثل إحدى أبرز نقاط تميزه في قدرته على الجمع والدمج بين مقاربات التفكير في الأسئلة الأخلاقية، كأخلاق الواجب، والعواقب، والفضيلة ضمن إجراء تداولي أخلاقي يسعى إلى تحقيق الحياد. يدمج هذا الإطار (Isabela Fairclough, 2016, 2018)، في نسخته الأحدث، التداول بوصفه إجراءً نقدياً يهدف إلى تمييز النتائج العملية (والقرارات المترتبة عنها) التي لا يمكنها الصمود أمام اختبار المساءلة النقدية. وتدخل في تكوين أنواع النشاط التداولي خطاطتان حجاجيتان متميزتان: تركز إحدهما على الأهداف والظروف وعلاقات الوسائل بالغايات. وتستند الثانية إلى النتائج المتوقعة سواء أكانت إيجابية أم سلبية. تُدعم المقترحات مبدئياً بحجج عملية تركز على الأهداف، وتختبر في ضوء نتائجها وعواقبها المحتملة، من خلال حجج عملية تستند إلى النتائج. وتُشتقُ الغايات من مصادر معيارية متعددة قد تتضمن ما يصطلح عليه بالقيم، وقد تكون مصادر أخرى، كالالتزامات والحقوق والواجبات. وتسعى المساءلة النقدية إلى الكشف عن النتائج السلبية المحتملة للمقترحات، ومن ثم تقييمها من حيث إمكانية قبولها أو عقلانيتها؛ فإذا كانت النتائج، في مجملها غير مقبولة، بالنسبة للمتأثرين بها، فسيكون الأنسب والمعقول عدم المضي قدماً في المسار المقترح للفعل. وتعدّ النتائج غير المقبولة اعتراضات نقدية يمكن أن تُفند وتُبطل المقترح تماماً. وإذا ما اجتاز اختبار المساءلة النقدية مقترحان أو أكثر فيمكن اختيار أحدها بوصفه الأفضل استناداً إلى أسس غير اعتباطية، كأن يكون أسهل من حيث التنفيذ.

يعد منظور العواقب، من وجهة نظرنا، المنظور الأكثر أهمية لاختبار المقترحات (Fairclough & Fairclough, 2012; I. Fairclough, 2016). غير أن مصطلح «العاقبة» يستخدم هنا بمدلوله الواسع ليشمل أنماطاً عديدة من الوقائع؛ أهداف الفعل المقترح (أي نتائجه المقصودة)، والعواقب المحتملة غير المقصودة (أو المخاطر)، فضلاً عن التأثيرات المعروفة والمتوقعة، بما في ذلك تلك التي تمس الحقائق المؤسسية والاجتماعية. وإذا كان من المرجح أن يؤدي المقترح إلى وضع غير قانوني أو غير عادل، فيمكن تقييمه بوصفه مرفوضاً من منظوري أخلاق العواقب والواجب على حد سواء. وهكذا فإن إطارنا التحليلي الذي نقترحه يسمح لنا باستيعاب القضايا واعتبارات الواجب ضمن منظور أشمل للعواقب. ومن خلال فحص دوافع الفعل يمكن لهذا الإطار أيضاً احتواء المنظور الأخلاقي القائم على الفضيلة.

## الأخلاق والحجاج العملي: مثال توضيحي

تعنى الأخلاق، بوصفها فرعاً من فروع الفلسفة الأخلاقية، بما ينبغي فعله أو تجنبه من أفعال. وهناك العديد من الأطر أو النظريات الأخلاقية المعنية بهذا الفرع من فروع الفلسفة؛ فقد أورد جوليانو باغيني وبابيتا فوسل (Giuliano Baggini and Pamela Fosl 2007)، على سبيل المثال، ستة عشر إطاراً أخلاقياً مختلفاً. غير أن هناك ثلاث بدائل كبرى تعد الأكثر شيوعاً: أخلاق الواجب، وأخلاق العواقب، وأخلاق الفضيلة. ووفقاً لأخلاق الواجب، يجب على الأفراد أن يتصرفوا بطرق معينة دون غيرها وفقاً للمبادئ والالتزامات الأخلاقية. وتبعاً لأخلاق العواقب، يجب على الناس اختيار الأفعال التي تنجم عنها عواقب أخلاقية إيجابية، ورفض الأفعال التي تترتب عنها عواقب ونتائج سلبية. أما أخلاق الفضيلة، فتري أن على الناس اختيار الأفعال الفاضلة ورفض الأفعال القبيحة، بما ينسجم مع الفضائل التي ينبغي عليهم غرسها ونشرها.

ترتبط أخلاق الواجب بنوع معين من مصادر المعيارية؛ كالحقوق والواجبات والالتزامات والمحظورات وغيرها. وتشمل هذه المصادر ما يعدّ عادة من القيم، كالقيم السياسية مثل: العدالة، والمساواة، والحرية، مع الإشارة إلى أن القيم لا تُعد جميعها قيوداً واجبة على الفعل؛ كما هو الحال في تقدير الراحة والجمال. يتم تقييد الأفراد للتصرف وفق واجبات والتزامات معينة نتيجة للتدابير الاجتماعية والمؤسسية التي ينتمون إليها، والتي تمدهم بأسباب «واجبة» للفعل (Searle, 2010). فعلى سبيل المثال، يجب على رؤساء وزراء بريطانيا التصرف وفقاً لالتزاماتهم تجاه البريطانيين التي تنشأ من التعهدات التي التزموا بها عند تقلدهم منصب رئاسة الوزراء. وتشمل هذه الالتزامات احترام القانون والديمقراطية البرلمانية والالتزام بهما، وضمان رفاه المواطنين وحمايتهم، وغير ذلك. ويوصف هذه الالتزامات بمصادر للمعيارية، فإنها تقيّد الأهداف التي يمكن السعي إليها بعقلانية، كما تقيّد مسارات الفعل التي يمكن اختيارها بشكل مشروع. وتتمثل ميزة الحديث عن «مصادر المعيارية» (كما اقترحنا في: Fairclough & Fairclough, 2012) بدلاً من مجرد «القيم»، في كون هذا المفهوم يمكننا من أخذ أسباب الواجب في الاعتبار. يمتلك الناس أسباباً واجبة للفعل (كالالتزامات) حتى عندما لا يختارون العمل بمقتضاها، أو غابت الحافزية الحقيقية للامتثال لها. ولهذا السبب يمكن في الحقيقة أن تكون أفعالهم موضوعاً للنقد؛ لأنه ثمة توقع معياري يُلزمهم بالتصرف بطريقة معينة، وهو ما يعجزون عن الوفاء به أو تنفيذه أحياناً.

دافع رئيس الوزراء البريطاني الأسبق طوني بليير، عقب صدور تقرير شيلكوت (Chilcot) في يوليو 2016 الذي تناول دور بريطانيا في الحرب على العراق سنة 2003، عن قراره بإشراك بريطانيا في الحرب. وناشد الناس أن يتفهموا ويتقبلوا أنه «كان يعتقد أن ذلك هو الفعل الصائب»، استناداً إلى «المعلومات» التي كانت بحوزته، و«التهديد» الذي ظهر له، وأن «واجبه في تلك اللحظة» كان يملي عليه فعل ما «ظنه صائباً» (The Independent, 2016). وخلال مؤتمر حزب العمال في ستنبر 2004، وفي معرض الإشارة إلى حقيقة أنه لم يُعثر على أسلحة الدمار الشامل في العراق، على الرغم من التأكيدات التي سبقت الغزو بشأن وجودها، والتي استخدمت لتسويغه، قال بليير: «هل أعلم أنني كنت على صواب؟ الأحكام ليست هي الحقائق، والحدس ليس علماً. وأنا، كغيري من البشر، عرضة للخطأ، إنني لا أعلم سوى ما أعتقدُه صواباً» (BBC, 2004).

كان بليير، بذلك، يطلب من الناس أن يتفهموا أنه ارتكب «خطأً عن حسن قصد» ويتقبلوا ذلك. لقد تصرف بصدق، وفعل ما اعتقد أنه الصواب سعياً إلى درء مفسدة أعظم. وبمعنى آخر، فإن فعله قد استوفى متطلبات أخلاق الواجب (إذ أدى واجبه)، وأخلاق الفضيلة (لأنه كان صادقاً ولم يسع إلى خداع الرأي العام أو التلاعب به)، وأخلاق العواقب (إذ اتخذ قراره بهدف الحيلولة دون وقوع هجوم على دول الغرب). غير أن هذا النهج الثلاثي للدفاع عن الذات لم يلق قبولا عاماً لدى عموم البريطانيين. صحيح أن التصرف بصدق وإخلاص وبنية حسنة يعد ضرورة حتمية لرئيس الوزراء، لكنه غير كاف في حد ذاته. فقد كان من واجب بليير أيضاً التأكد من دقة «المعلومات» المتعلقة بأسلحة الدمار الشامل، وأن «الأدلة» التي تظهر أنها تمثل «تهديداً» فعلياً جسيماً كانت دقيقة. أما عبارته «أنا أعرف فقط ما أعتقدُه» فتوحي بتصور غريب وتبسيطي ومختزل لمسؤولياته. وحين طلب من بليير، أثناء شهادته أمام لجنة شيلكوت سنة 2010، أن يوضح ادعاءه بأن العراق «كان دون أدنى شك» يطور أسلحة دمار شامل، بناء على تقارير استخباراتية، أجاب بأنه «كان يعتقد» بأن الأمر لا مجال فيه للشك. لكن وُضح له بأنه لم يكن هناك «إجماع مطلق» سنة 2003 على امتلاك العراق تلك الأسلحة، بل إن شكوكاً قوية قد أثارها آنذاك نواب برلمانيون، ومفتشو أسلحة ووسائل إعلام التي توجب عليه أن يأخذها بعين الاعتبار (Hoggart, 2010). وفي معنى آخر، لا يوجد ما يدعم تسويغ الخطأ عن حسن قصد الذي قدمه بليير سواء في سنة 2003 أو في السنوات اللاحقة. وقد رأينا أن حجة بليير كانت مجرد نوع من التسويغ العقلاني، أي حجة تفتقر إلى المعيارية؛ إذ إن

الأسباب التي يقدمها المحاجج ويستند إليها ليست هي الأسباب الحقيقية التي تدفعه لتبني ذلك الادعاء، بمعنى أن ادعاء المحاجج يرجع لأسباب أخرى. تكمن المشكلة الأخلاقية الرئيسة في التسويغات العقلانية في مسألة الصدق أو الإخلاص (وهي من صميم أخلاق الفضيلة)؛ إذ يكون المحاجج غير صادق، ومضلاً، وربما متلاعباً (Fairclough & Fairclough, 2012, pp. 95–99). كما أثبت قرار المشاركة في غزو العراق أنه كارثي من حيث تبعاته ونتائجه على المدى البعيد، وهي أمور كان على رئيس الوزراء التفكير فيها بعناية قبل اتخاذ القرار.

### القيم الأخلاقية والسياسية: مفهوم واحد وتصورات متعددة

تعد العدالة والمساواة والحرية من أبرز القيم السياسية الكبرى. وعلى الرغم من أن جميع التيارات والأطراف السياسية تعترف بها عموماً بوصفها مفاهيم سياسية مركزية، فإن تصوراتها تختلف بحسب الأيديولوجية السياسية. وفي النقد الاجتماعي، بما في ذلك التحليل النقدي للخطاب، غالباً ما تعتمد بوصفها مفاهيم عامة من دون التدقيق في الفروقات الموجودة بشأن فهمها أو تصورها. إن الفشل في تدقيق مفهوم القيمة التي تُؤيّد أو تعارض، وعدم التركيز المحوري على هذا الجانب في أثناء التداول بشأن الفعل، يجب أن يكون محطّ عناية النقد في التحليل النقدي للخطاب. يتحدث السياسيون من مختلف الأطراف والتيارات السياسية، على سبيل المثال، عن الإنصاف والعدالة والحرية، ولكن الظاهر أنهم لا يحيلون على تصور مشترك حينما يستعملون هذه المصطلحات أو الألفاظ. يكمن الخطر، في التحليل النقدي للخطاب، وفي غيره، في تبني تصور معين لقيمة ما، والتحدث عنه كما لو كان هو التصور الوحيد الممكن. مثلاً، قد يتم الدفاع عن مبدأ المساواة بافتراض أن المساواة الاقتصادية هي الصيغة الشرعية الوحيدة لفهم المساواة، ومن ثم ينظر إلى من يرفض هذا التصور الاقتصادي للمساواة كأنه يرفض هذا المبدأ من أساسه.

يقدم الفصل الخامس من كتاب نورمان وإيزابيلا فيركلاف (Fairclough and Fairclough 2012) تحليلاً لنقاش عمومي دار سنة 2009 حول مدى عدالة المكافآت التي يحصل عليها المصرفيون، بالإضافة إلى سلسلة التعليقات على مقال نشرته صحيفة الغارديان حول هذا النقاش. وقد ميزنا هناك بين نوعين من الحجج؛ حجج خاصة بالمقاصد تستند إلى المصالح والرغبات، وحجج أخلاقية تستند إلى القيم

الأخلاقية. اتخذ حجاج المقاصد المؤيد «لعدم معارضة» مكافآت المصرفيين الشكل المألوف لحجة «عموم النفع» في الدفاع عن اللامساواة، أي أنه طالما أن ذلك يصب في مصلحة الناس، أو ينبع من رغبتهم في تحقيق الرخاء والازدهار للجميع، فيجب عدم معارضة بعض أشكال اللامساواة. غير أن غالبية المشاركين في سلسلة التعليقات على المقال عبروا عن رفضهم لهذه الحجة، واعتبروها ضربا من ضروب الابتزاز. وبدلا من تصور المقاصد، قَدّم قراء الغارديان مجموعة من الحجج الأخلاقية المعارضة للامساواة في المكافآت. ومنها: بما أن الدولة ملتزمة بمبدأ العدالة، فهي ملزمة بتطبيقها، ومن ثم لا ينبغي القبول باللامساواة. وقد استند المعلقون في ذلك إلى فهم واسع لمفهوم العدالة قاموا بتأويله بطرق مختلفة تعبر كل منها عن تصورات مخصوصة لهذه القيمة الأخلاقية. إن التمييز الذي تقيمه الفلسفة السياسية بين مفهوم العدالة (أو الحرية أو المساواة) وتصوراتها الخاصة تمييز مفيد (Swift, 2006). فالمفهوم القاعدي للعدالة (أي قواعدها ومنطقها القاعدي) يبدو مرتبطا بفكرة «إعطاء الناس ما يستحقونه»، (وهذا يختلف بطبيعة الحال عما يرغب الناس في الحصول عليه، فمثلا تعدّ معاقبة المجرمين شكلا من أشكال إعطائهم ما يستحقونه، وإن لم يكن ذلك ما يرغبون فيه. إن لهذا المفهوم القاعدي تصورات خاصة متعددة تمثل طرقا متباينة في تجسيد منطق العام وبلورته. ومن أبرز التصورات الأكثر تأثيرا للعدالة؛ تصور رولز (Rawls 1971) للعدالة بوصفها إنصافا، وتصور نوزيك (Nozick 1977) للعدالة بوصفها أحقية، وكذلك التصور الشعبي للعدالة بوصفها جزاء. ويبدو أن معظم الناس يوافقون على جوانب من هذه التصورات الثلاثة ويتبنونها بطرق يتضح عدم تماسكها أو انسجامها عند التمحيص (Swift, 2006, pp. 11-13). وبحسب التصور الشعبي السابق للعدالة بوصفها جزاء، فهي تعني مكافأة الناس بناء على العمل والموهبة والنجاح. يستحق الأفراد الموهوبون والمجتهدون الحصول على أكثر من غير الموهوبين والكسالي، بل وينظر إليهم بأن من حقهم نيل مكافآت أكبر لقاء موهبتهم وإنجازاتهم. أما العدالة كإنصاف كما قدمها جون رولز (John Rawls 1971)، فتفترض أن الناس، إذا ما وضعوا تحت «حجاب الجهل»<sup>(1)</sup>،

(1) يشير «حجاب الجهل» (veil of ignorance)، في سياق نظرية العدالة لجون رولز، إلى افتراض ذهني يُجرّد فيه الأفراد كلية من معارفهم بشأن مواقعهم الاجتماعية وهوياتهم وامتيازاتهم في اختيار مبادئ العدالة من موقع الحياد التام. ويهدف هذا الافتراض إلى ضمان أن تكون تلك المبادئ منصفة وعامة، لأنها لا تُصاغ انطلاقا من مصالح أو أوضاع شخصية محددة، بل من منظور إنساني كلي يسعى إلى العدالة للجميع. [المترجم]

فإنهم سيختارون مبادئ عادلة لا تمنح امتيازاً لأحد على حساب أحد. إنه مفهوم العدالة نفسه، لكن بتصورات مختلفة.

جسدت سلسلة التعليقات جميع هذه التصورات المختلفة للعدالة. فقد استحضر بعض الأشخاص تصور العدالة كجزء مستحق، واحتجوا بأن المصرفيين لا يستحقون تلك المكافآت، لأنهم ليسوا أكثر موهبة أو اجتهاداً من باقي أفراد المجتمع؛ بل إنهم بعد أن تسببوا في انهيار الاقتصاد العالمي وتأزمه، وفشلوا في أداء وظائفهم، فالظاهر أنهم يستحقون خلاف ذلك تماماً. واستحضر آخرون تصور العدالة كإنصاف، مؤكدين أن المعاملة نفسها والمعايير ذاتها ينبغي أن تطبق على الجميع، فليس من العدل أن تُنقذ البنوك عند فشلها بينما يعفى المصرفيون من المسؤولية ومن تحمل تبعات تهوّرهم، بل ينبغي عليهم تحمّل نتائج تهوّرهم شأنهم في ذلك شأن غيرهم من العاملين في قطاع الأعمال. أما الذين توسلوا بمفهوم العدالة بوصفها استحقاقاً فقد رأوا أن المصرفيين يستحقون مكافآتهم لأن ثقافة المكافآت تعد جزءاً من منظومة من القواعد صاغوها بأنفسهم. وهذه القواعد، وإن كانت قانونية، إلا أنها خاطئة أخلاقياً وتحتاج إلى التغيير. وانطلاقاً من الطرق المختلفة في تقييم الوضع من زاوية نظر أخلاقية، طالب المعلقون بمسارات متعددة للفعل بغرض تصحيح ما اعتبر ظلماً في مسألة المكافآت.

حاجج القراء أيضاً، في سلسلة التعليقات هذه، انطلاقاً من التزام الحكومة بمبدأ العدالة، مستندين إلى وجود «عقد اجتماعي» ضمني ينبغي الاعتراف بطبيعته الإلزامية الموضوعية، والعمل على استحضاره دائماً ليصبح دافعاً فعلياً للحكومة عند صناعة قراراتها. وحتى عندما يفشل السياسيون في التصرف انطلاقاً من هذا الالتزام بالعدالة، فإن هذه الحجة تؤكد وجوب قيامهم بذلك. ويمتلكون سبباً للقيام بذلك، وهو سبب أوجدوه بأنفسهم من خلال قبولهم مسؤولية التمثيل السياسي. إن الاعتراف بخصوصية الوسط الاجتماعي بوصفه عالماً من المؤسسات من صنع البشرية (كالالتزامات، والعقود، والقوانين، والمعايير) التي تُولد أسباباً خارجية، أسباب الواجب (مثل الحقوق والواجبات) تلزم الفاعلين حتى في حالات اختيارهم التصرف بخلافها، يشكل في الواقع أساس إمكانية النقد المعياري. فلا يمكن نقده ما يقوله الفاعلون أو يقومون به إلا بالرجوع إلى ما كان ينبغي عليهم قوله أو فعله. ويستمد المنطق الأخلاقي (بما في ذلك الحجج الأخلاقي السياسي) خصوصيته من الاعتراف بوجود أسباب خارجية للفعل مستقلة عن الرغبات تعد مركزية في الحجج العقلاني واتخاذ القرار. ويُتوقّع من الفاعلين عند



التداول فيما يجب فعله، أو خلال المساءلة النقدية للمقترحات والقرارات، أن يمنحوا هذه الأسباب الاهتمام الكافي نظرا لطابعها الإلزامي القوي.

### العواقب أو المعايير الأخلاقية والفضائل

لننظر الآن في قرار المستشار الألمانية أنجيلا ميركل في خريف 2012 بفتح الحدود الألمانية أمام اللاجئين القادمين من دول الشرق الأوسط التي أنهكتها الحروب. إن الأسباب التي دفعتها لاتخاذ هذا القرار قد أثارت جدلا واسعا. فقد افترحت أسباب متعددة ومتباينة لتأويل دوافع القرار، ومن بينها أن ميركل أرادت استغلال أزمة اللاجئين كفرصة لاستخدام يد عاملة تخدم الاقتصاد الألماني، وتحسين سمعة ألمانيا على الصعيد الدولي من خلال الظهور بمظهر المتجاوب إنسانيا مع الأزمة، والرغبة في التفوق السياسي على اليسار الألماني، أو قبول التعرض لابتزاز سياسي من لدن قوى أجنبية، كالولايات المتحدة الأمريكية أو روسيا (Deliso, 2017). وثمة نظرية أخرى، تدعي أن ميركل تأثرت عاطفيا بعد تعرضها لهجوم لفظي شديد خلال زيارتها لأحد مراكز اللاجئين، فسعت إلى تأكيد هويتها الليبرالية والتزامها بالمبادئ الليبرالية من خلال قرارها. قد تبدو كلمات ميركل التي قالتها في 31 غشت 2015 «نستطيع القيام بذلك، وسنعمل» بسيطة أو عفوية للوهلة الأولى، لكنها كانت ذات وقع قوي؛ إذ استشارت قدرة الألمان على مواجهة التحديات الصعبة والتزامهم القوي والعميق بفعل الصواب. وقالت في 15 شتنبر 2015: «إذا صار لزاما علينا الآن أن نعتذر لتعاملنا الإنساني في حالات الطوارئ، فإن هذا البلد لم يعد بلدي» (Nelles, 2015). ونتيجة لذلك سجلت ألمانيا سنة 2015 أكبر تدفق للمهاجرين في تاريخها؛ إذ تجاوز العدد الصافي مليون شخص، فيما تجاوز العدد الإجمالي مليونين، على الرغم من أن نسبة محدودة منهم فقط كانت من سوريا (Sanders, 2016).

لا يزال قرار ميركل بفتح الحدود أمام اللاجئين مثار جدل كبير في ألمانيا. وقد وجه لها زعيم الحزب المسيحي الاجتماعي البافاري؛ الحزب الشقيق للاتحاد الديمقراطي المسيحي (حزب ميركل) انتقادات واسعة. كما وجه العديد من السياسيين والأفراد انتقاداتهم لهذا القرار، معتبرين إياه قرارا اتخذ لأسباب تبدو إنسانية لم تأخذ بعين الاعتبار وبشكل كاف العواقب المباشرة وطويلة الأمد لهذا التدفق الكبير للمهاجرين. إن قرار ميركل، بغض النظر عن دوافعه، وما أثاره من تقييم نقدي، مثال ممتاز لكيفية

اشتغال الأطر الأخلاقية الثلاثة (الواجب والعواقب والفضائل) عمليا، وعلى الطريقة التي تفرض بها جميعا مطالب ملحّة على متخذي القرار. أي نوع من الأخلاق ينبغي أن يُمنح الأولوية؟ هل كان على ميركل أن تتجاهل الضرورات الإنسانية والمبادئ الأخلاقية المطلقة، أي مقتضيات الفضيلة مثل الإحسان والتعاطف، وأخلاق الواجب (كالواجب الأخلاقي والالتزامات بموجب القانون الدولي)، وتبقي الحدود مغلقة لتجنب الآثار السلبية المحتملة في ألمانيا والدول الأوروبية الأخرى؟ أم كان يجب عليها، بخلاف ذلك، أن تتصرف بدافع من الواجب المطلق أو الإحسان المطلق، وتتجاهل المخاطر والآثار المترتبة على ذلك.

وُضعت معضلة ميركل ضمن منظور قوي وحاد في مقال نشرته جريدة دير شبيغل (Feldenkirchen & Pfister, 2016) في يناير 2016 بعنوان «المستشارة المعزولة: ما الذي يوجّه أنجيلا ميركل؟». وقد استهل كاتبها تخميناتهما وتكهناتهما بشأن دوافع قرارها بسرد حكاية طريفة؛ خلال إحدى الحفلات الخيرية المخصصة لدعم اللاجئين، أخبر أحد الأصدقاء ميركل، وهو رجل دين، أن سياستها «الشجاعة والرائعة» بشأن اللاجئين ذكرته بكلمات الرئيس الشيكي السابق والمعارض فاتسلاف هافل (Vaclav Havel): «الأمل ليس الاقتناع بأن الأمور ستسير على ما يرام، بل هو اليقين بأن ما نفعله له معنى، بغض النظر عن النتيجة». وقد تركت هذه الكلمات، على ما يبدو، أثرا بالغا في المستشارة. وتواصل المقالة على النحو الآتي:

ليس واضحا على الإطلاق كيف ستنتهي هذه التجربة التي فرضتها المستشارة الألمانية على القارة الأوروبية، وعلى مواطنيها، بل وعلى حزبها أيضا. لقد حوّل قرار أنجيلا ميركل أواخر الصيف الماضي فتح الحدود الألمانية أمام اللاجئين إلى شخصية تاريخية. لقد كان ذلك القرار الحدث الأهم والأكثر تأثيرا في مسيرتها كلها خلال عشر سنوات في الحكم. وقد منحتها مجلة تايم الأمريكية لقب «شخصية السنة»، كما اعتبرت، في خريف السنة نفسها، من أبرز المرشحين لنيل جائزة نوبل للسلام.

تغيّر المزاج العام منذ ذلك الحين، ليس فقط داخل ألمانيا وحدها. فقد كتب روس دوثات (Ross Douthat) في صحيفة نيويورك تايمز: «من أجل الحيلولة دون تكرار مشاهد العنف السياسي التي عرفها العالم في ثلاثينيات القرن الماضي، يجب على ميركل أن ترحل». وما أدهش الكثير من الملاحظين، ليس فتح الحدود فحسب، بل أيضا إصرار ميركل الثابت الذي أبدته على مواصلة المسار نفسه على الرغم من كل

الاعتراضات. فلا الهجمات الإرهابية في باريس، ولا الاعتداءات الجنسية التي حدثت ليلة رأس السنة في كولونيا، ولا سخط المواطنين الألمان الغاضبين، ولا التحذيرات الصادرة من داخل حزبها، استطاعت دفع ميركل إلى التشكيك في قرارها القاضي بالإبقاء على حدود ألمانيا مفتوحة. ويبدو أن أنجيلا ميركل مقتنعة وموقنة، على غرار فاتسلاف هافل، بأن مسارها في الفعل له معنى، بغض النظر عن نتائجه.

[...] يتساءل كثيرون في أنحاء العالم عما يحفز المستشارة الألمانية ويحرّكها؟ وما الجواب عن إصرارها؟ وما الذي يدفعها - هذه المرأة التي نالت السلطة بفضل برغماتيتها الصارمة- إلى أن تحكم من دون مراعاة للآراء المخالفة؟ ولماذا لم تُظهر حتى الآن أي مؤشر جاد على أنها قد تغير موقفها من سياسة اللاجئين على الرغم من تدهور شعبيتها وانهايار قواعد سلطتها؟

يعد بيتر ألتماير (Peter Altmaier) رئيس ديوان ميركل، الناطق الرسمي المعبر عن سياسة ميركل تجاه اللاجئين. وترى ميركل، كما وضح ألتماير، أن فتح الحدود في صيف العام الماضي كان شبه حتمي لتجنب كارثة إنسانية. أما الآن فإن التحدي الأكبر يتمثل في الحفاظ على وحدة أوروبا ومنع تصدّعها وانهايارها. إذا أقدمت ألمانيا على إغلاق حدودها، فلن يكون ذلك فشلا لنظام شنغن الأوروبي القائم على حرية التنقل فحسب، بل سيتفقم تدفق اللاجئين عبر البلقان، وسيهدّد بزعزعة استقرار الديمقراطيات الناشئة والهشة هناك [...]. وستغدو اليونان مكتظة باللاجئين القادمين من سوريا والعراق، فيما قد يدفع هذا التدفق دول مثل الأردن ولبنان - اللتين تستضيفان أصلا قرابة المليونين من اللاجئين- إلى حافة الانهيار [...]. هذه على الأقل الرواية الرسمية. حين يتحدث المرء إلى فريق ميركل، تبدو سياستها بخصوص اللاجئين عقلانية منطقية تماما، وكسلسلة من الضرورات السياسية المترابطة.

التقت ميركل في 15 يوليو بفتاة تدعى ريم سهويل (Reem Sahwil) تبلغ من العمر ثلاثة عشر سنة، وذلك خلال لقاء مفتوح في مدينة رستوك شمال ألمانيا. كانت الفتاة قد لجأت إلى ألمانيا قادمة من لبنان قبل أربع سنوات، لكنها تواجه الآن خطر الترحيل. قالت الفتاة بأسى: «من المؤلم حقا أن ترى الآخرين يستمتعون بالحياة وأنت محروم من ذلك». وكانت ميركل القديمة هي من ردت عليها. لم ترغب ميركل في أن تبدو قاسية القلب، ولم تكن أيضا ترغب في إطلاق وعود لمجرد أنها وقعت في موقف محرج. فقالت بتلثم: «(لو قلنا) يمكنكم جميعا القدوم من إفريقيا، ويمكن للجميع

أن يأتوا- فلن نتمكن من تحمل ذلك»؛ لم نكن لنستطيع تحمل ذلك. وبعد وقت قصير من حديثها، بدأت ريم بالبكاء، فلاقى ميركل صعوبة أثناء محاولة تهدئتها. وفي الأيام التي تلت هذه الواقعة تلقت ميركل اتهامات بأنها قاسية، وتعرضت لانتقادات واسعة على الأترنت.

طراً تغير في مقر المستشارية في الأيام التالية. ففي المؤتمر الصحفي الذي عقدته ميركل في 31 غشت، لم تعد تقول إن ألمانيا غير قادرة على استقبال الجميع، ولم تتحدث أيضاً عن خطر طغيان الأزمة على البلاد كما فعلت في روستوك. فقد قالت ميركل: «ألمانيا بلد قوي. والدافع الذي ينبغي أن نواجه به هذه الأمور هو: لقد تمكنا من تجاوز تحديات كثيرة، وستتمكن من تجاوز هذه أيضاً». وفي 04 شتنبر فتحت الحدود أمام اللاجئين العالقين في المجر. وقالت في وقت لاحق، إنها شاهدت عبر التلفزيون لاجئين سوريين قد احتشدوا في محطة «كيلتي» في بودابست، وقد منعوا من متابعة رحلتهم، واصفة الأمر بأنه أمر مشين. وقررت ميركل أن تسمح لهؤلاء اللاجئين بدخول ألمانيا. وبعد ثلاثة أيام قالت إنها «تشعر ببعض الفخر تجاه بلدها».

بدأت أعداد اللاجئين القادمين إلى ألمانيا، منذ ذلك الوقت، في الارتفاع بوتيرة سريعة. وسرعان ما بلغ العدد عشرة آلاف لاجئ يوميا، ومع هذا التزايد والتدفق المتصاعد ازداد بدوره عدد منتقدي سياسات ميركل ومعارضيه. قال حاكم بافاريا زيهوفر (Seehofer): إن ميركل ارتكبت خطأ سيوثر في ألمانيا لفترة طويلة قادمة ... [...] وقالت ميركل: إن الألمان قد يحتون إلى زمن ما قبل أزمة اللاجئين، لكن تلك أمنية لا يمكن تحقيقها. نعم يمكنها أن تغلق الحدود، ولكن الحشود ستتجمهر أمام الأسلاك الشائكة. وستكون المشاهد فظيعة. وقالت: «الألمان لا يتحملون رؤية أحد يجبر على قضاء ليله في العراء». وقالت ميركل: إنها تريد التصدي لأسباب أزمة اللاجئين ومعالجتها من جذورها بالتعاون مع تركيا. وأكدت أنها طالما تقود البلاد، فلن تسمح لأن تصبح ألمانيا دولة تطرد المحتاجين عمدا. وأضافت: «لن أدخل في منافسة حول من يمكنه معاملة اللاجئين بالطريقة الأسوأ». [...] وبطبيعة الحال، فقد نظرت أيضا إلى أزمة اللاجئين في ضوء السياسة الواقعية، حيث كانت تسعى لفترة طويلة إلى استقطاب الناخبين من الوسط بعيدا عن الحزب الاشتراكي الديمقراطي ذي التوجهات اليسارية المعتدلة. [...] ولكن لو كانت المسألة مجرد تكتيكات، لكانت ميركل قد تخلت عن مقاربتها منذ زمن بعيد، خصوصا عندما بدأ حزب البديل من أجل ألمانيا (AfD) اليميني الشعبوي يحرز

تقدما في الاستطلاعات على حساب تراجع شعبية ميركل نفسها. لا بد أن هناك دافعا شخصيا أكثر وراء تمسكها بموقفها ...

يعتقد (أحد أصدقائها المقربين) أن جذورها المسيحية بدت واضحة جدا في مقاربتها لأزمة اللاجئين. يقول: «هي ابنة قسيس اشتراكي، ووالدتها كانت امرأة متدينة للغاية، ومثل هذه الأمور تكون متجذرة وراسخة في أعماق الإنسان ولا تختفي بسهولة». كانت عائلتها ذات توجه ديني يحث على مساعدة الفقراء والمرضى والمحرومين ... وترعرعت على مبدأ: «إذا وقف غريب تحت المطر أمام بابك، فعليك أن تدخله وتساعد» ...

ربما تكون ميركل، بحسب رؤية هذين الصحفيين، قد تصرفت بدافع الشعور بالواجب المسيحي (أو انطلاقا من مبدأ أخلاقي مطلق)، متجاوزة بذلك أي أسباب أخرى قد تكون لديها. وقد تكون أيضا مدفوعة (بفضائل) الإحسان والرحمة، وربما كذلك بالمصلحة الذاتية (الشخصية والسياسية). لكن، على الأقل بحسب هذا التفسير، يبدو أن العواقب والنتائج المحتملة لقرارها لم تكن ذات أهمية كبيرة في نظرها؛ إذ إن مسار الفعل لديها بدا صائبا ومعقولا بغض النظر عن العواقب وبغض النظر عن «نتائجه». وبحسب التفسير السابق، فإن أخذ العواقب بعين الاعتبار بدا في أحسن الأحوال فكرة ثانوية؛ إذ كانت أكثر انشغالا بتبعات تراجعها عن قرارها الأول وعواقبه.

تستمر المناقشة حول «دوافع» ميركل و«مصادر المعيارية» التي قادتها إلى نتيجة وقرار معينين، في حيز التعليقات المرتبطة بهذا المقال في مجلة دير شبيغل (47 تعليقا بإجمالي نحو 4600 كلمة). ولأن المجال لا يسمح بعرض تفصيلي لهذه التعليقات، فإننا سنكتفي بالاستشهاد بأحد هذه التعليقات (تعليق من «يوجينفاين» (eugenefine) مؤرخ يوم 26 يناير 2016 ومعنون بـ: ميركل- قيادة الهجرة):

مقالة مقنعة جدا، لكنها غير صادقة بالمرّة. الكثير من الكلام العاطفي الفارغ. لا ذكر لإذلال ميركل القاسي والمستمر لليونان. مجرد إشارة عابرة لرفضها السلطوي لمخاوف شركاء الاتحاد الأوروبي. ليس هناك شيء «مقنع» جدا في هذه الأمور. بل على العكس، هناك جانب مخيف في فكرة اليقين بأن «شيئا ما منطقي بغض النظر عن نتائجه». أليست هذه خلاصة موجزة ومركزة لعقلية الفاشية؟ أليس هذا هو «المنطق» نفسه الذي استند إليه الحل النهائي؟ يجب على ألمانيا أن تكون واعية وحذرة جدا من مخاطر الإيمان بالحقائق المطلقة وفرضها على الآخرين. بينما كنت أقرأ كلمات راينر ابلمان (Rainer Eppelman) وهو يستشهد بمقولة فاتسلاف هافل، ومدى إعجاب ميركل بها،

شعرت بقشعريرة تسري في جسدي [...] إن الأزمة على وشك أن تفضي إلى ما لا يمكن تصوره، وهي متلبسة بلغة إنسانية لكنها تحتوي على جميع المكونات التي تقود حتما إلى واقع مختلف تماما. أنتما محقان في وصف سياسة ميركل بأنها «تجربة»، لكن كم هو خطير أن تخوض هذه المغامرة دون مزيد من الحذر واستشعار خطورة الموقف، ولا سيما حينما نستحضر تجاربنا التاريخية. ما الذي يعد «منطقيا»؟ أن تتخذ قرارات أحادية الجانب بتبعات ضخمة على الاتحاد الأوروبي دون استشارة أعضائه؟ أم أن يلتزم بسياسة «الترحيب» غير المشروط بعدد غير محدد (حتى الآن) وربما غير محدود من المهاجرين؟ أم الإصرار على هذه السياسة في ظل انعدام التأييد الشعبي؟ أم خلق حالة من الانقسام بين دول الاتحاد الأوروبي عبر لعبة مشينة من التشهير والعزل والتهديد لمن يخالف التوجه العام؟ أم السماح لشبكات التهريب وبعض المنظمات غير الحكومية (ذات المصدقية المتفاوتة) بتكريس استغلال مسار الهجرة؟ أم الدخول في تفاهات زائفة وشكلية مع تركيا واليونان؟ أم استغلال مأساة مسار الهجرة كوسيلة لفرض تطبيق اتفاقية شنغن؟ أم وصم كل محاولة يقوم بها أشخاص عاديون ومحترمون للانخراط في دعوة «دير شبيغل» السابقة لنقاش مترن بأنها «يمينية، فاشية، عنصرية، ومعادية للأجانب؟ [...] لا شك أن نوايا أنجيلا ميركل كانت حسنة، لكنها مستشارة ألمانيا. ويعد وصفها في هذه الحالة بالسذاجة تعبيراً لطيفاً [...]».

ثمة، بالنسبة لـ«يوجينفاين»، «بعد مروع» في «اليقين بأن شيئاً ما منطقي بغض النظر عن عواقبه»- فهذه، بحسب قولها(1) عقلية فاشية «متلبسة بلغة الإنسانية». إن التصرف بدافع الشعور بواجب مطلق ومتعال دون اكتراث للعواقب، يمكن أن يكون خطراً (وهذا في الواقع من الاعتراضات المعيارية الشائعة على المنظور الكانطي للأخلاق). يحتاج هذا القارئ بأن أنجيلا ميركل لم يكن ينبغي لها أن تتخذ «قرارات أحادية الجانب ذات عواقب وخيمة على الاتحاد الأوروبي دون استشارة باقي أعضائه»، ولا أن تشجع على «وصم» الناس العاديين الذي يختلفون معها بأنهم «فاشيون، وعنصريون، ومعادون للأجانب». ويرى أنها، في أحسن الأحوال، كانت ساذجة إن لم تكن متواطئة، إذ يبدو أنها أساءت فهم واجباتها بصفقتها مستشارة تجاه شعبها.

لقد تكرر هذا الشكل من النقد الذي يرى أن أنجيلا ميركل قد أساءت فهم مقتضيات الواجب والإحسان والعدالة منذ سنة 2015 عبر القول، مثلاً، إنها من خلال كونها محسنة ومتعاطفة (فضيلتان أخلاقيتان) قد أخلت بمسؤولياتها السياسية وظلمت الشعب

الألماني (Murray, 2017, pp. 294–296). ومن الواضح أن سلطات الواجب المرتبطة بمنصبها المؤسسي بصفقتها مستشارة تتضمن واجب اتخاذ القرارات بناء على تقييم ملائم للعواقب السلبية المحتملة، وعبر التشاور مع الآخرين (وقد قدّمنا الحجة نفسها بخصوص قرار بلير)، وفي ضوء تفويض ديمقراطي علني (بوصفها سياسية منتخبة). وسواء أكانت ميركل أم غيرها ممن شاركوا في القرار قد توقعوا ما قد تخلفه تلك العواقب على ألمانيا وأوروبا، فإن النقد يذهب إلى أن تلك العواقب لم تدخل ضمن اعتبارات القرار والفعل، ولم تجر عملية تشاور وتداول ديمقراطي بهذا الشأن، وهو ما يعد فشلا أخلاقيا وسياسيا جسيما.

لقد ناقشنا أخلاقيات قرارات بلير وميركل وأفعالهما، ولكن ماذا عن أخلاقيات التحليل النقدي للخطاب؟ ما الذي ينبغي على المحلل الناقد للخطاب القيام به عند تحليله مثل هذه النقاشات؟ إذا كان التحليل النقدي للخطاب يعطي الأولوية في نقده الأخلاقي لـ «أخلاقيات الخطاب»- كما نرى أنه ينبغي أن يفعل- فإنّ عليه أن يلتزم بتطبيق هذا النقد على جملة المقترحات المتداولة التي تمثل النقاش تمثيلا معقولا وكافيا، وبطريقة كافية ومتوازنة تشد الموضوعية والحياد، وتقييم تلك المقترحات بناء على مدى قدرتها على الصمود أمام الاختبار النقدي. وغالبا ما يكون لدى هؤلاء المحللين مواقفهم الخاصة بشأن صواب أو خطأ مثل هذه القرارات والأفعال، ولكن ينبغي لهم ألا يسمحوا لأجنداتهم السياسية بأن توجه تحليلهم النقدي. كما يجب عليهم ألا يتحايلوا على عملية التقييم الأخلاقي والنقدي ويعيقوا إجراءاتها التداولية برفضهم المباشر لوجهات النظر أو المواقف التي تختلف عن وجهات نظرهم ومواقفهم- كأن يصنفوها ضمن «العنصرية» أو «معاداة الأجنبي» أو باعتبارها غير عقلانية بأي وجه من الوجوه- من دون أن يتناولوا وجهات النظر تلك أو المواقف بقدر من الحياد، وعلى أساس ما تتضمنه من حجج وأدلة. إن العديد من المحللين النقديين للخطاب نشطاء سياسيون، وكثيرا ما تكون قناعاتهم السياسية هي الدافع لهم إلى الانخراط في هذا الحقل. إن الوفاء بمتطلبات الالتزام السياسي ومقتضيات النقد عند مثل هؤلاء غالبا ما يفضي إلى توتر بين ما تفرضه السياسة من التزامات وما يقتضيه النقد من الالتزام بمعايير الموضوعية والحياد، إلا أن ما يضيفي القيمة والمصدقية على التحليل النقدي للخطاب هو اعتماده على قدرة المحللين النقديين للخطاب على التمييز الصارم بين الاثنين.

## التحليل النقدي للخطاب بوصفه حججا ونقدا

يعتبر التحليل النقدي للخطاب شكلا من أشكال النقد التفسيري بالإضافة إلى كونه نقدا معياريا. يضطلع النقد التفسيري بمهمة شرح وتفسير المشكلات (التي يتم التعرف عليها عبر النقد المعياري) بوصفها آثارا لأوضاع قائمة، بما تنطوي عليه من البنى والممارسات الاجتماعية. إن جوانب من هذه الأوضاع القائمة المؤدية لمثل هذه المشكلات تعتبر في حد ذاتها جزءا من «المشكلة» نفسها، ومن ثم فإن حلها يقتضي تغييرها من أجل حل هذه المشكلة. ويسمح لنا هذا الإطار أن نوسع من نطاق النقد، بما يشمل النقد الأخلاقي، بحيث لا يقتصر على الأفعال والأحداث، نحو الممارسات والمؤسسات والبنى. يتضمن النقد التفسيري انتقالا من الوقائع إلى القيم: «بما أن (أ) يتسبب في المشكلة (ب) (واقعة) فإن (أ) «اختلال» يجب تصحيحه (قيمة)». ومن خلال التزامه بالنقد التفسيري يتجاوز التحليل النقدي للخطاب مجرد توضيح أوجه الخطأ في الوضع القائم ليتناول سؤال: ما الذي يجب فعله؟ وينتقل من الانشغال بالمشكلات الأخلاقية إلى البحث عن الحلول الأخلاقية.

هذا هو المسار الذي يتخذه الحجاج العملي: الانطلاق من الظروف الإشكالية القائمة إلى تحديد أهداف وأفعال لتغييرها، وذلك كله في ضوء القيم (بوصفها مصادر معيارية). وبهذا المعنى يمكن النظر إلى التحليل النقدي للخطاب بوصفه شكلا من أشكال الحجاج العملي. وقد رأينا أنه يمثل لونا خاصا من ألوان الحجاج العملي أطلقنا عليه «التفكير الجدلي» (Fairclough, 2018)، ويقوم على أربع خطوات أساسية:

- 1- نقد معياري للخطاب.
- 2- شرح الخطاب المنتقد معياريا من حيث سمات الوضع القائم (الواقع الاجتماعي القائم).
- 3- نقد تفسيري للوضع القائم.
- 4- المطالبة بالفعل لتغيير الوضع القائم «إلى حال أفضل».

يتخذ الحجاج العملي غالبا بنية من نمط «مشكلة-حل»، حيث ينتقل من التعرف على المشكلات في الظروف القائمة- أشكلة الأوضاع القائمة- واقتراح الحلول لهذه المشكلات، في ضوء قيود واجبة خارجية؛ إذ عند اقتراح حل، على سبيل المثال، (القيام بفعل/أ) لمعالجة وضع إشكالي، يتعين على الفاعلين التأكد من أن هذا الفعل لا يتعارض مع التزاماتهم تجاه الهياكل المؤسسية القائمة (بمعنى أن اعتماد أي اقتراح يستلزم استيفاء

الشروط القانونية والأخلاقية وغيرها). ولطالما ركّز التحليل النقدي للخطاب على النقد «السلبى» للأوضاع القائمة، إلا أن نقده يتضمن أيضا عنصرا «إيجابيا»، وإن ظلّ ذلك ضمينا وغير معلن في جل التحليلات. فمثلا، عند أشكلة ما قاله أو فعله طوني بليير في الفترة التي سبقت حرب العراق، يصبح من المحتم الإشارة إلى ما كان ينبغي فعله (إذا كان النقد متزامنا مع الأحداث)، أو ما كان ينبغي عليه أن يكون قد قام به. إن النظر إلى التحليل النقدي للخطاب بوصفه شكلا من أشكال الحجاج العملي والتفكير الجدلي يعدّ طريقة لجعل مسار الانتقال من المشكلات إلى الحلول واضحا.

ثمة أسس قوية للقول بأن البحث عن الحلول جزء لا يتجزأ من التحليل النقدي للخطاب؛ إذ لا يمكن تصوّر النقد وأشكلة الأوضاع والظروف القائمة بمعزل عن تقديم بدائل ممكنة لما هو قائم بالفعل. ويمكن اعتبار ذلك تطبيقا لما أسماه ميلز (Mills) 1959 بـ«الخيال السوسولوجي»، حيث يضع النقد الاجتماعي موضوعاته النقدية المحلية والخاصة في النقد ضمن سياقات أوسع من الممارسات والبنى الاجتماعية، بحيث لا يمكن من تفسير المشكلات فحسب، بل يسمح أيضا بالكشف عن إمكانيات لم تكن مدركة من قبل، أي ما هو محتمل في الأوضاع القائمة إضافة إلى ما بالإمكان فعله، وما يمكن أن يكون إلى جانب ما هو كائن بالفعل. ولهذا الأمر بعد أخلاقي؛ فالبدائل الممكنة ينبغي ألا تقتصر على تقديم حلول ممكنة وقابلة للتنفيذ للمشكلات القائمة، بل تتعدى ذلك إلى تقديم حلول مناسبة عمليا. إن الحلول المتخيّلة ينبغي أن تستوفي معايير أخلاقية، وأن تستند إلى أهداف وقيم يمكن الدفاع عنها حجاجيا بوصفها أهدافا وقيما «صائبة». ويؤدى «الخيال» دورا محوريا في التفكير العملي؛ إذ تُتخيل الحلول انطلاقا من تحليل يكشف الإمكانيات غير المتحققة والمحتملة في الواقع القائم، ثم تُخضع تلك الحلول للاختبار في ضوء عواقبها ونتائجها، وذلك بطرح أسئلة من قبيل: هل ستحقق الأهداف المنشودة؟ وهل تفضي إلى آثار جانبية غير مقبولة؟ وهكذا. فلا يمكن أشكلة ما هو واقعي من دون تخيل حلول ممكنة.

يثير ما تقدم مشكلات تتعلق بالتمييز والتحديد، وهي مشكلات تمس الطابع الأخلاقي للتحليل النقدي للخطاب نفسه، وكذا النقد الأخلاقي الذي يمكن أن يفتح عليه، ذلك أن السياسة بمعناها المرتبط بالنشاط السياسي، تنخرط بدورها في إيجاد حلول للمشكلات. هل التحليل النقدي للخطاب ممارسة سياسية؟ أم هل هناك فرق بين الاثنين؟ فكثيرا ما يتمظهر التحليل النقدي للخطاب بوصفه شكلا من أشكال التأييد

السياسي يتبنى مواقف واستراتيجيات وسياسات سياسية محددة، ويوجّه نقده الاجتماعي والأخلاقي للخطاب إلى مواقف أو سياسات لا تنسجم مع ما يدافع عنه. إنه يبدو أحيانا «منحازا سياسيا»، بل و«متحزبا» بالمعنى الذي عبرنا عنه في المقدمة. فهل ينبغي القبول بذلك؟ أم هل يجب الإصرار على ضرورة رسم حدود واضحة بين التحليل النقدي للخطاب والعمل السياسي؟

يمكن اعتبار التحليل النقدي للخطاب، كما بينا ذلك في المقدمة، بمعنى ما، وإن بشكل محدود، شكلا من أشكال التأييد والانحياز؛ فهو ملتزم بالسعي إلى «تصحيح» ما يعتبره «اختلالات» اجتماعية، ويتخذ موقفا داعما لمن يعانون هذه الاختلالات. غير أن هذا الانخراط الأخلاقي، حتى في حدوده الضيقة، يولد توترا بين التأييد والانحياز من جهة، وبين التزام التحليل النقدي للخطاب بالنقد العلمي الاجتماعي. ولأن التحليل النقدي للخطاب ينزلق أحيانا نحو النشاط السياسي، فمن الطبيعي أن يستمر الجدل حول الحدّ الفاصل بينهما. غير أنه من الضروري الإبقاء على الاختلاف الواضح بين السياسة والتحليل النقدي للخطاب من حيث نقطة الارتكاز في كل منهما. تتمحور السياسة حول الفعل الموجه نحو تحقيق التغيير الاجتماعي، بينما يركز التحليل النقدي للخطاب على التحليل النقدي والفهم العميق للمشكلات بوصف ذلك أساسا لتخيّل حلول واقعية وأخلاقية. ينبغي أن يكون التركيز في التحليل النقدي للخطاب على النقد، أي على النزعة النقدية التي تتضمن الاستعداد لإخضاع مواقفه ورؤاه الخاصة للمساءلة النقدية، بدلا من الدفاع عن موقف معياري محدّد مسبقا، ولو بوجود أدلة تشير إلى أنه غير عقلائي. (وقد لخصت ملاحظة الشاعر ويليام باتلر بيتس (W. B. Yeats) هذا المعنى في حديثه عن الشعر بقوله: «يجب ألا تطغى الإرادة على عمل الخيال». فالشعر في بعض الأحيان ينشغل بتصحيح «الاختلالات»، ولكن يجب ألا تطغى إرادة التصحيح على عمل الخيال. وعلى المنوال ذاته، لا ينبغي للإرادة أن تطغى على النقد في التحليل النقدي للخطاب).

يمكن للتحليل النقدي للخطاب، بحسب رؤيتنا، أن يحمي اهتمامه المحوري بالنقد العلمي الاجتماعي من خلال إعطاء الأولوية للإجراء المنهجي. وينبغي في ما يتعلق بنقده الأخلاقي، على وجه الخصوص، أن يمنح الاعتبار لـ«أخلاقيات خطاب» إجرائية تستند إلى مبدأ الحياد، وعلى تقييم المقترحات المتنوعة والمتعارضة للفعل، مع استيعاب تعددية المواقف الأخلاقية الممكنة، بما يشمل أخلاق الواجب والعواقب والفضيلة. ويمكن النظر إلى التحليل النقدي للخطاب ذاته بوصفه تفكيرا عمليا وتداوليا؛ إذ يقيّم المحلّل

الحجاج العملي (كما في الخطاب السياسي مثلا)، ويقترح حولا ممكنة للمشكلات في ضوء أهداف («تخيلية» مرغوبة)، ووفقا لمصادر معيارية مثل القيم الأخلاقية والسياسية. وتُنتقى هذه الأهداف والمصادر المعيارية انسجاما مع الطابع المحدود التأييد والانحياز في التحليل النقدي للخطاب بوصفه تحليلا اجتماعيا نقديا.

يعدّ الالتزام بأخلاقيات الخطاب جزءا مهما في الممارسة الأخلاقية للتحليل النقدي للخطاب، وما ينبغي أن يميز التحليل النقدي للخطاب عن النشاط السياسي هو هذا الالتزام بالحياد والموقف المنهجي، كما يتجلى في إعطاء الأولوية لمفهوم النزعة النقدية مثل اعتماد إطار منهجي منظم لتحليل الخطاب الحجاجي وتقييمه. وغالبا ما ينتقي التحليل النقدي للخطاب للنقد تلك الخطابات التي يختلف معها بوضوح ويخضعها لفعل النقد. ويمكن اعتماد قاعدة منهجية نقدية تقضي بإخضاع الخطابات المنسجمة لمنظوره هي الأخرى- بل وخطابه الخاص ذاته- للمساءلة النقدية، لا بهدف تقديم «رؤية متوازنة»، بل من أجل فتح ادعاءاته على التساؤل النقدي، والتعرف على الاعتراضات الممكنة والرد عليها، وضمان عدم تحيّرهما. وتكتسي هذه الملاحظة أهمية خاصة في ظل الاتجاهات السائدة لدى الثقافات والممارسات السياسية نحو تبني مواقف تعزز قناعاتها الذاتية، حيث تميل المجموعات السياسية إلى الانغلاق على نفسها داخل «فقاعات» ورفض الانخراط في حوار مع الخصوم. ومن الطرق التي تركز هذا الانغلاق اعتماد تسميات وتصنيفات، (مثل «تمييز جنسي» و«عنصرية» و«لياقة سياسية»)، وهي تسميات لا تؤدي إلى عرقلة النقاشات المجتمعية الضرورية فحسب، بل تعمل أيضا على نزع الشرعية عن الخصوم المحاججين، بل وتجريمهم أحيانا. لا شك أن هذه الظاهرة تعدّ من السمات الملازمة للسياسة، لكنها اليوم تشهد اتساعا مقلقا من حيث النطاق والتأثير. يلتزم التحليل النقدي للخطاب بمنهجية قائمة على الانفتاح والحياد في عملية التساؤل النقدي، حيث تُقيّم الحجاج المؤيدة لمختلف مسارات الفعل وتخضع للنقد. وعلى الرغم من أن هذا الإجراء لا يقترح بوصفه نموذجا يحتذى به في السياسة، إلا أنه يمكن أن يقدم معيارا قد يكون مفيدا للسياسة، خاصة في وضعها المتأزم حاليا.

إن التقييم الحجاجي المسهم في النقد الأخلاقي، قد يتضمن التساؤل حول القيم والأهداف التي تقوم عليها الحجة (هل القيم والأهداف المعلنة مقبولة؟)، ونقد الفعل المقترح ذاته استنادا إلى عواقبه المحتملة (فإذا كانت العواقب في مجملها غير مقبولة، فإن المقترح يفقد وجاهته)، ونقد صحة المقدمات (مثلا: هل الفاعل حقا مدفوع بالقيم

والأهداف التي يدعي الالتزام بها؟ وهل الوصف الذي يقدم «للمشكلة» المراد حلها دقيق؟) في أثناء سياق التداول حول الفعل، غالبا ما يواجه الفاعلون أهدافا متنافسة والتزامات متضاربة ناتجة عن مصادر معيارية متعددة؛ إذ قد يُطلب منهم مثلا التضحية برغباتهم الخاصة من أجل الوفاء بالتزام معين، أو أن يتخلوا عن بعض المنافع المتصورة لتجنب تكاليف أخلاقية أو اجتماعية غير مقبولة.

يحتاج هذا النقد إلى التوسع في اتجاهين مترابطين: إضافة نقد للواجبات المؤسسية الموجودة، فضلا عن إدراج نقد (أخلاقي) أوسع للممارسات والبنى الاجتماعية السائدة. ويتأسس هذا التوسع على تصوّرنا للتداول في التحليل النقدي للخطاب بوصفه تفكيرا جدليا. ويتحقق تحديدا من خلال الانتقال من النقد المعياري للخطاب إلى تفسيره، ثم إلى النقد التفسيري للوضع القائم والممارسات والبنى الاجتماعية الموجودة، وصولا إلى الدعوة للفعل من أجل تغيير هذه الأوضاع نحو «ما هو أفضل». قد لا تكون بعض القرارات، وإن اتخذت وفقا لكل القواعد المؤسسية المعمول بها، فاقدة للشرعية، أي قد لا تصمد أمام عملية التسويغ العام، إذا كان الإطار المؤسسي نفسه غير عادل. فقد يكون التنظيم المؤسسي مصمما بطريقة تفضي إلى تحيز القرارات لصالح أطراف أو فاعلين معينين. فعلى سبيل المثال، يمكن لوزراء الحكومة -بموجب القانون- نقض القرارات الراضية لاستخراج الغاز الصخري التي تتخذها مجالس المقاطعات المحلية خلال الاستئناف (Fairclough, 2018). وفي مثل هذه الحالات التي يلتزم فيها جميع صناعات القرار بالوفاء بالتزاماتهم المؤسسية وفقا للقواعد والقوانين المعمول بها، فإن المشكلة تكمن في التصميم المؤسسي، وليس في عدم امتثال الجهات الفاعلة لقيوده. ولهذا، ينبغي أن يُستكمل النقد المعياري بنقد تفسيري، يسائل الأسباب الكامنة وراء هيكلية المؤسسات على النحو التي هي عليه، ولصالح من تعمل؟ وكيف يمكن تغيير الوضع القائم نحو الأفضل؟ على سبيل المثال، من خلال تعزيز الديمقراطية المحلية عن طريق توسيع صلاحيات السلطات المحلية.

### سياسة الهوية واللياقة السياسية

ثمة قضيتان إضافيتان مترابطتان ارتباطا وثيقا، وتنطويان على تبعات أخلاقية نود التطرق إليهما: سياسة الهوية، واللياقة السياسية، وهما قضيتان طالما كانتا من صميم اهتمامات التحليل النقدي للخطاب. نشأت سياسة الهوية من الحركات الاجتماعية

الجديدة التي ظهرت في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، وركزت على أشكال اللامساواة والظلم اللذين يطالان فئات مثل: النساء (مثلا: كان تمثيل النساء في البرلمان وفي المناصب العليا محدودا، ومن وصلت منهن ووجهت بعقبات لا يواجهها الرجال)، والمثليين (مثلا: لم يتم إلغاء تجريم المثلية في بريطانيا إلا سنة 1967)، والسود (لم يسن قانون «العلاقات العرقية» الذي يحظر التمييز العرقي في التوظيف والسكن وغيرهما إلا سنة 1968). انتقل التركيز الحصري على اللامساواة والظلم الطبقيين، في أوساط اليسار السياسي، بشكل ملحوظ ليشمل أوجها أخرى من اللامساواة والظلم القائم على الجنس والميول الجنسي والعرق. وقد تعرضت الأنساق المؤسسية المعيارية الموجودة للتقد بسبب تجاهلها لتلك الأبعاد من اللامساواة والظلم، وعُدلت بشكل جوهري. غير أن هذه التحولات قد أدت، بحسب بعض الرؤى، إلى تركيز مفرط على النضال داخل هويات جزئية، وانتهت إلى شكل من أشكال السياسة التي أصبحت تنتقد بوصفها «لياقة سياسية».

وفيما يأتي جزء من نقد الجناح اليساري للياقة السياسية قدمه ستوارت هول (Stuart Hall 1994):

إن هذه الأمور مجتمعة تنهض بتفسير الأسلوب المميز للياقة السياسية، وهو أسلوب صدامي ومجابه. فهو يتعمد إدخال موقف ونبرة تبدو أكثر ملاءمة للتنافس والمواجهة في المجال العمومي إلى ما يسمى بـ«الفضاء الخاص». وقد علّق الكثيرون على الطبيعة الفكرية أو «الأكاديمية» لسياسة اللياقة السياسية. وأعتقد أنهم لا يعنون فحسب أن هذه السياسات غالبا ما تظل متمركزة في الأوساط الأكاديمية. إنهم يشيرون أيضا إلى ما يسميه بعض الفلاسفة بـ«الاسمية»<sup>(1)</sup>، أي الاعتقاد بأن تغيير تسمية الأشياء كفيل بإلغاء وجودها. ويقوم هذا التصور على فردانية متطرفة لمفهوم السياسة تختزل فيه إلى نضال الفرد الوحيد المعزول «الشاهد على الحقيقة». وتعطي اللياقة السياسية الانطباع بأنها مجموعة صغيرة مغلقة ومصممة على الدفاع عن موقفها وتحمل تبعاته مهما كلف الأمر. وليس هذا هو الجانب الوحيد الذي يجعل دعاة اللياقة السياسية يُسْتَحْضَرُونَ كامتداد حديث للتيارات التطهيرية الصارمة مثل القديسين في القرن السابع عشر، إذ لطالما كان الاعتقاد بالتفوق الأخلاقي السمة المميزة «للياقة السياسية».

(1) الاسمية (nominalism): مذهب فلسفي يرى أن المفاهيم المجردة أو المصطلحات العامة أو الكليات ليس لها وجود مستقل، وأنها توجد بوصفها أسماء فحسب. [المترجم]

تكتسب اللياقة السياسية أهميتها ضمن سياق هذه الورقة بسبب «الاعتقاد بالتفوق الأخلاقي» الذي تتميز به، فضلا عن الجاذبية التي تمثلها سياسة الهوية لبعض ممارسي التحليل النقدي للخطاب الذين قد يُظهرون بعض ميلان نحو اللياقة السياسية. وبما أننا قد أكدنا أن الأخلاق والتداول الإجرائيين في النقد الأخلاقي للتحليل النقدي للخطاب، فإننا نعارض بشدة أي نزعة للياقة السياسية في الميدان. ينبغي لأنصار سياسة الهوية متعددة الثقافات أن يستوعبوا كيف أثر التركيز على حقوق الجماعات في حقوق المواطنين الأفراد بشكل عام ومسؤولياتهم. فتأكدهم أن مفهوم «الجماعة» (community) كيان ثقافي وديني، أدت السياسات المتعددة الثقافات إلى التهوين من ضرورة التزام كل الجماعات الهوية والدينية بمجموعة مشتركة من القيم السياسية الأساس. وقد أدى ذلك إلى التفكك والانقسام على أسس إثنية أو دينية، وأخفق هذا التركيز على حقوق المجتمعات في بناء مجتمع سياسي موحد للمواطنين.

ثمة ميزة أخرى مهمة في سياسة اللياقة السياسية؛ كما ذكرنا، حيث إن تسمية وتصنيف المعارضين بأنهم «عنصريون» و«كارهون للأجانب»، قد يؤدي إلى إغلاق باب النقاش السياسي وتشويه صورة الخصوم المحاججين أو حتى تجريمهم. وهذا ليس مجرد أمر مرفوض ومدان أخلاقيا فحسب، بل سيؤدي في النهاية إلى نتائج عكسية غير مرغوبة. ويمكن القول إن أحد أسباب التصويت لصالح بريكست في يونيو 2016 كان مرتبطا بالطريقة التي قُعم بها نقاش مشروع حول الهجرة إلى المملكة المتحدة الذي شعر الكثيرون بأنه جاء متأخرا، وذلك بسبب استمرار بعض النخب السياسية والفكرية (التي غالبا ما تكون يسارية) في وسم وتصنيف كل من يعارض زيادة الهجرة ضمن خانة «العنصرية» و«كراهية الأجانب». لقد قمعت، لفترة طويلة، العديد من الحجج المشروعة القائمة على قيم ومخاوف واعتبارات لا علاقة لها بالعنصرية، ويمكن القول إنها وجدت تعبيرها أخيرا في تصويت بريكست.

كانت إحدى نتائج تفكك التكتلات السياسية الكبرى، وخصوصا «الحركة العمالية» بوصفها مجتمعا طبقيا يجمع بين النقابات العمالية والأحزاب اليسارية، هي اتجاه السياسة نحو تكوين «فقااعات سياسية» مغلقة على ذاتها، سواء ضمن اليمين أو اليسار، حيث يتواصل أعضاء كل «فقااعة» داخليا، ويتبادلون الأفكار مع بعضهم بعضا، ونادرا ما يقع نقاش مع الخارجيين عن مجموعتهم/ «فقااعتهم». ويكمن الفارق بين اليسار واليمين في هذا في كون الأول يميل إلى الاعتقاد بالتفوق الأخلاقي المطلق، بينما يميل الثاني إلى السخرية؛ إذ

تستخدم «اللياقة السياسية» بوصفها مصطلحا استهزائيا أو ساخرا أو تهكميا يستدعي في الذهن صورا من أسلوب اللياقة السياسية الذي حدده هول. ويمكن النظر إلى الاتجاهين معا بوصفه شكلا من أشكال النقد الأخلاقي؛ إلا أن اليسار يؤكد أخلاق الواجب، أي ما هو «خاطيء» أخلاقيا، بينما يؤكد اليمين أخلاقيات الفضيلة، وردائل وعيوب فئة معينة من الناس. إن الاستهزاء أمر شائع- أحد الأمثلة المتأخرة الشائعة، هو وصف الطلبة الذين يطلبون «مساحات» آمنة كي لا «تجرح» مشاعرهم بـ«البلورات الثلجية»- لكنه ليس أساسيا. كما أن تصنيف مستحقي الإعانات الاجتماعية ضمن خانة «الانتهازين» يحمل نبرة الاعتقاد بالتفوق الأخلاقي. غير أن ممارسي التحليل النقدي للخطاب ليسوا مطالبين بالاكْتفاء بتقييم نقدي لمصطلحات مثل «البلورات الثلجية» و«الانتهازين» فحسب، بل ينبغي عليهم أيضا التحقيق في مدى معقولية فكرة «المساحات الآمنة» في الجامعات، وتسويغ ما يعرف بـ«ثقافة الإعانات» في المملكة المتحدة.

ومن باب التلخيص، يمكننا القول إن التحليل النقدي للخطاب ينبغي أن يولي اهتماما أكبر لسياسة اللياقة السياسية والنقاش الدائر بشأنها. لقد حاججنا أعلاه بأن النقد الأخلاقي الخاص بالتحليل النقدي للخطاب ينبغي على النقد الأخلاقي في الخطاب العام، ويحتاج إلى إعادة النظر في نقده الخاص استجابة لتحويلات في الخطاب العام، والاستجابة أساسا للحقائق والأدلة. وتعد اللياقة السياسية المثال الأوضح في الآونة الأخيرة. ولا يعني هذا التبني غير النقدي للنقد الموجّه للياقة السياسية، لكنه يعني الاعتراف (كما يشير هول Hall, 1994) بوجود جانب موضوعي فيه. ويشمل التقييم النقدي التحقق مما إذا كانت تصنيفات وتسميات مثل «عنصري» و«انتهازي» مدعومة بأدلة واقعية؛ فعلى سبيل المثال، وكما يوضح براون (Browne 2006): إن المسألة تتمثل في ما إذا كان وصف أشخاص بأنهم «عنصريون» صحيحا من الناحية الواقعية، إلى جانب كونه لائقا سياسيا، أو ما إذا كان نعتهم بـ«الانتهازين» غير صحيح واقعا، فضلا عن كونه غير مقبول سياسيا.

## خاتمة

لقد دافعنا على مقارنة إجرائية للنقد الأخلاقي في التحليل النقدي للخطاب مؤسسة على «المنعطف الحجاجي» في التحليل النقدي للخطاب الذي دعونا إليه في منشوراتنا الأخيرة. وليس المقصود هنا التخلي عن النقد الموضوعي أو عن الالتزام

الراسخ لإصدارتنا من التحليل النقدي للخطاب في نقد الهيمنة والأيدولوجيا، بل هو دمج لهذه الجوانب واستيعابها ضمن إجراء تداولي للمساءلة النقدية من منطلق حيادي وغير متحيز. تكمن قيمة هذا الموقف في أنه يمكننا من التشديد على النقد الأخلاقي والتقييم النقدي في التحليل النقدي للخطاب بدلا من التأييد والانحياز. وبالرغم من أن هذا الأخير له وجود محدود في التحليل النقدي للخطاب كما بينا سابقا، إلا أنه ليس على النحو «الانحيازي» الذي تتسم به الأنشطة السياسية. لذلك ينبغي أن يكون مركز الثقل في التحليل النقدي للخطاب هو إخضاع الحجاج، بما في ذلك حجاج هذا الحقل نفسه، للتساؤل النقدي المنهجي من أجل تحليل نقدي ونسقي يستطيع خلق نقاش منفتح لا تطغى عليه المرجعية الأيدولوجية أو توجهه.

### لائحة المراجع

- Baggini, Julian & Peter Fosl. (2007) *The Ethics Toolkit: A Compendium of Ethical Concepts and Methods*. London: Blackwell.
- BBC. (2004, September 28). Full text of Tony Blair's speech to the Labour Party conference in Brighton. Retrieved from [http://news.bbc.co.uk/1/hi/uk\\_politics/3697434](http://news.bbc.co.uk/1/hi/uk_politics/3697434).
- Browne, Anthony & David Conway. (2006) *The Retreat of Reason: Political Correctness and the Corruption of Public Debate in Modern Britain*. London: Civitas.
- Chouliaraki, Lilie & Norman Fairclough. (1999) *Discourse in Late Modernity*. Edinburgh: Edinburgh University Press.
- Deliso, Christopher. (2017) *Migration, Terrorism, and the Future of a Divided Europe: A Continent Transformed*. Santa Barbara, CA: Praeger Security International.
- Fairclough, Isabela. (2016) «Evaluating Policy as Practical Argument: The Public Debate over the First UK Austerity Budget». *Critical Discourse Studies*, 13(1), pp. 57–77.

- Fairclough, Isabela. (2018) «Deliberative Discourse». In John Richardson & John Flowerdew. Eds. *The Routledge Handbook of Critical Discourse Analysis*. London: Routledge. pp. 242–256.
- Fairclough, Isabela. (2018) «Deontic Power and Institutional Contexts: The impact of Institutional Design on Decision-Making in the UK Fracking Debate». *Journal of Argumentation in Context*, 8(1), pp. 136–171.
- Fairclough, Norman. (2003) «Political Correctness». *Discourse & Society*, 14(1), pp. 17–28.
- Fairclough, Norman. (2013) «Critical Discourse Analysis and Critical Policy Studies». *Critical Policy Studies*, 7(2), pp. 177–197.
- Fairclough, Norman. (2015) *Language and Power*. Third Edition. London: Routledge.
- Fairclough, Norman. (2018) «CDA as Dialectical Reasoning». In John Flowerdew & John Richardson. Eds. *The Routledge Handbook of Critical Discourse Studies*. London: Routledge. pp. 13–25.
- Fairclough, Isabela & Norman Fairclough. (2012) *Political Discourse Analysis: A Method for Advanced Students*. London: Routledge.
- Feldenkirchen, Markus & René Pfister. (2016, January 25). «The isolated Chancellor. What is Driving Angela Merkel?». *Der Spiegel*. Retrieved from <http://www.spiegel.de/international/germany/why-hasangela-merkel-staked-her-legacy-on-the-refugees-a-1073705.html>
- Habermas, Jürgen. (1984) *The Theory of Communicative Action, Vol. 1: Reason and the Rationalization of Society*. (Translated by Thomas McCarthy). London: Heinemann.

- Habermas, Jürgen. (1986) *Knowledge and Human Interests*. Cambridge: Polity Press.
- Habermas, Jürgen. (1996) «Discourse Ethics». In William Outhwaite. Eds. *The Habermas Reader*. Cambridge: Polity Press. pp. 248–265.
- Hall, Stuart. (1994) «Some ‘Politically Incorrect’ Pathways through PC». In Sarah Dunant. Eds. *The War of Words: The Political Correctness Debate*. London: Virago Press. pp. 164–184.
- Hoggart, Simon. (2010) «Regrets? Oh come off it!». *The Guardian*. Retrieved from <https://www.theguardian.com/politics/2010/jan/29/simon-hoggart-sketch-blair-chilcot>
- The Independent. (2016, July 7) «Chilcot Report: Read Tony Blair’s full Statement in Response to the Iraq War Inquiry». Retrieved from: <http://www.independent.co.uk/news/uk/politics/chilcot-reporttony-blair-read-response-statement-in-full-iraq-war-inquiry-a7123251.html>
- Mills, Wright. (1959) *The Sociological Imagination*. Oxford: Oxford University Press.
- Murray, Douglas. (2017). *The Strange Death of Europe: Immigration, Identity, Islam*. London: Bloomsbury.
- Nelles, Ronald. (2015, September 16). «Unapologetic, Unequivocal: The Real Merkel Finally Stands up». *Spiegel Online*. Retrieved from <http://www.spiegel.de/international/germany/merkel-refuses-toapologize-for-welcoming-refugees-a-1053253.html>
- Nozick, Robert. (1977) *Anarchy, State and Utopia*. Oxford: Basil Blackwell.
- Rawls, John. (1971) *A Theory of Justice*. Cambridge, MA: Harvard



University Press.

- Sanders, Lewis. (2016, March 21) «Two Million: Germany Records Largest Influx of Immigrants in 2015», *Deutsche Welle*. Retrieved from <http://www.dw.com/en/two-million-germany-records-largestinflux-of-immigrants-in-2015/a-19131436>
- Searle, John. (2010) *Making the Social World: The Structure of Human Civilization*. Oxford: Oxford University Press.
- Swift, Adam. (2006). *Political Philosophy: A Beginners' Guide for Students and Politicians*. Cambridge: Polity Press.

بحوث ودراسات متنوعة



# أسماء أعلام الصحراء

## دراسة دلالية

### فدوى اجمولة

أستاذة بوزارة التربية الوطنية، المملكة المغربية

Fadwajm10@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0009-0620-7591>

### الملخص

نتوخى من خلال هذا البحث إثارة الانتباه إلى الخصوصيات اللسانية لأسماء أعلام الصحراء المغربية التي تتميز بغنى ثقافي صحراوي مغربي عربي إسلامي. ومتن الدراسة أسماء الأعلام المترجمة في كتاب «بذور الوراق في تراجم أولياء وصلحاء الصحراء» (ينظر اجمولة، 4202) الذي يضم مائتين وثلاثة وسبعين اسما لرجال عاشوا بالصحراء خلال قرون ممتدة من القرن الرابع للهجرة إلى الرابع عشر للهجرة. نسعى في هذا العمل إلى تقديم دراسة دلالية نعتد فيها على الاستقراء والوصف والتصنيف لأهم الظواهر اللسانية التي تثيرها الأسماء على مستويات هي: المعجم والصرف والاشتقاق والصوت. لذلك نحدد الأسماء في قائمة مرتبة بحسب حروفها الأولى غير مكررة، ونصنفها بحسب معانيها في حقولها الدلالية، ثم نقف على أوزانها الصرفية، وأصواتها المتغيرة، وكل ذلك لإبراز خصوصيات التسمية في هذا المجال الجغرافي المهم في الجغرافيا اللغوية المغربية التي تجمع بين الفصحى والأمازيغية ولغات إفريقية، وتعد الحسانية وجها من وجوه التعدد اللغوي بالمغرب، نبين مدى ارتباطها بالخلفية الثقافية، والحضارية، والدينية المغربية العربية الإسلامية..

الكلمات المفاتيح: أسماء الأعلام، الصحراء، الدلالة.



# PROPER NAMES IN THE MOROCCAN SAHARA

## A SEMANTIC APPROACH

Fadoua Jmoula

Ministry of National Education Early Childhood Education, and Sports, Morocco

Fadwajm10@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0009-0620-7591>

### ABSTRACT

Through this article, we seek to draw attention to the linguistic specificities of the names of prominent figures of the Moroccan Sahara, which are characterized by a cultural richness that is Sahrawi, Moroccan, Arabic, and Islamic. The study presents the names of media figures translated in the book “New Sources for the History of the Saharan Scholars», which includes approximately three hundred names of men who lived in the following centuries.

These are old and modern names, some of which are still in use today, including neglected ones, and some are written down in historical sources. Therefore, the aim of this work is to present a linguistic approach based on classification, description, and analysis of the most important linguistic phenomena that names reveal at several levels of indication, dictionary, sound, morphology, and derivation. Hence, we identify the names in an alphabetically ordered list, whether repeated or not, and classify them based on their semantic meanings in terms of indication, then analyze their morphological patterns and changing phonetic forms.

All this reflects the naming characteristics in this geographical domain and their significance in the Moroccan linguistic geography that merges between Standard Arabic and dialect, which stems from the existence of linguistic diversity in Morocco. A diversity from which linguistic atlases branch out, and its extent is linked to the cultural, civilizational, Moroccan, Arab, and Islamic background

**Keywords:** proper names- the Sahara- semantics.

## توطئة:

تحظى أسماء الأعلام بأهمية كبيرة في البيئة العربية؛ لأن لها نشأة حضارية قوية يعبر عنها التاريخ العربي الإسلامي، وقد تطورت الأسماء العائلية والخاصة عبر الفترات الزمنية والمجالات الجغرافية. واستوعب العرب أهمية الأسماء فاتخذوها منذ القديم وسيلة للتعريف بهم، والتعبير عنهم، وتبليغ تطلعاتهم، وبلوغ مقاصدهم. يمتاز النسق العربي بالتعدد اللغوي (ينظر البايبي، 2013)، لذلك تفتح الدراسات المنصبة على العاميات أبواب إبراز الخصوصيات اللسانية لمختلف المجالات الجغرافية، ويدعونا الاطلاع على أسماء رجال الصحراء إلى عرضها؛ لأنها تفوح بالدلالات والأبعاد؛ فهي مكون لساني ثقافي حي، يشكل متنا متينا يخزن خصوصيات لغوية وثقافية مهمة تدعونا للانخراط في أطلسها اللغوي الحساني، والحسانية لغة مغربية محفوظة بالدستور المغربي، وهي جزء من الهوية المغربية العربية الإسلامية (الجريدة الرسمية عدد 5964، مكرر الصادرة 28 شعبان، 1432 (30 يوليو 2011)، الباب الأول، الفصل الخامس). منها الموثقة تاريخيا في كتاب «بذور الوراق في تراجم أولياء وصلحاء الصحراء» (اجمولة، 2024)، يصل عددها إلى مائتين وثلاثة وسبعين اسما، عاش أصحابها في قرون تمتد من القرن الرابع للهجرة إلى القرن الرابع عشر للهجرة.

توجد دراسات عربية انصبت على دراسة أسماء الأعلام العربية (حباس هدى، 2005. فجال يوسف، 2013) تبرز قيمة البحث في هذا الموضوع، وخاصة أن أهل الصحراء جعلوا أسماءهم جسرا تواصليا بينهم وبين باقي الثقافات في جغرافيات أخرى، وجسرا بينهم وبين التاريخ الإسلامي العربي، وجعلوها سببا في حفظ آثارهم العلمية والمعرفية لأجيال لاحقة؛ لأن الأسماء تعكس ذواتنا وبخاصة حين تحدث عن الاسم العائلي أيضا (دينيو، 2021، ص 29)؛ ولذلك من الطبيعي أن تحظى بهذا الاهتمام.

ونسعى إلى استقراء المتن موضوع الدراسة ووصفه بعد عرض الأسماء في قائمة مرتبة بحسب حروفها الأولى غير مكررة، ثم نصنفها إلى حقولها الدلالية المندرجة فيها، لنخوض في قضاياها الصرفية والاشتقاقية، والصوتية، لنصل إلى إبراز خصوصياتها المميزة؛ لأن هناك علاقات قوية بين المعطيات اللسانية للأسماء وهويتها الثقافية، كما أكد ماسون في دراسته للأسماء اليونانية (ينظر أوليفييه ماسون، 2000، ص 16-40).

## 1. أسماء أعلام رجال الصحراء

تكثر أسماء الأعلام الصحراوية وتتنوع؛ ونميز فيها بين ما يخص الأماكن، والمدن، والأشياء، والجغرافيا، والناس. وتتنوع مصادر جمع أسماء أعلام الرجال؛ فمنها أدلة الهاتف، وشهادات الميلاد، وقوائم أحوال الناس المدنية، وقوائم أسماء الطلاب، والعمال وغيرها. لكننا اعتمدنا مصدرا تاريخيا موثقا يضم تراجم صلحاء وأولياء الصحراء، واستخرجنا الأسماء من نصوص التراجم، وهي أسماء لأعلام التراجم وغيرهم من أهل الصحراء. عاشوا في فترات زمنية طويلة تمتد من القرن الرابع للهجرة إلى القرن الرابع عشر للهجرة. وهي عينة من مادة لغوية يصعب حصرها بشكل نهائي، بسبب حركة آليات الإثراء اللغوي التي لا تتوقف، ومنها النقل، والتعريب، والدخيل، والوضع. ونروم تقديم الأسماء في متن الدراسة غير مكررة عبر تصنيف حرفي لها بحسب حروفها الأولى وبترتيب هجائي.

### جدول رقم 1: تصنيف أسماء أعلام رجال الصحراء

الأسماء	الحرف (وعدد أسمائه)
همزة أصلية 23: إبراهيم، وأبلحا، أَحّ، وأحمد، وأحمدن، وأحمدو، وأدفال، وإسحاق، وأشْفَغ، الأعمش، والأغضف، وإفني، وأقيت، وأكد، وألشغ، وألْفَغ، والإمام، والأمين، والأمينو، وأنده، وأوَاه، وأوبك، وأوفى.	أ- 57
همزة "أبو" 11: أبو الأنوار، أبو بكر، وأبو حفص، وأبو سلهم، وأبو عمامة، وأبو عنقا، وأبو غنبور، وأبو القاسم، وأبو كراع، وأبو المعالي، وأبو نعام.	
همزة وصل "ا" 21: وآبَات، وآبَان، آبييه، وآخريز، وآدْمَس، وآزْم، وآسْكِيَة، وآعْبِيد، وآعَز، وآعِل، وآعْلِي، آعْمَر، آعْمُرُو، وآمْبَارِك، وآمْبَانِي، وآمْبِيرِك، وآمْرِيه ربه، وآمْعَاشُو، وآنْبُوِي، وآنْجَبْنَان، آنْدَعْمَحْمَد.	
همزة "ابن" 2: ابنهضام (ابن هضام)، وابن عبدم.	

الحرف (وعدد أسمائه)	الأسماء
ب 15	باب، بابا، وبابي، وباد، وباعجي، والباقر، وبامبي، وباه، وبزید، البشير، والبَقَّاري، وبكَّار، وببَّيه، وبيرة، وبغغ.
ت 4	التراد، وتقي الله، التلميذي، والتواتي.
ج 7	جابر، وجدو، وجعفر، والجَمُّودي، والجواد، والجيلالي، والجيه.
ح 19	الحاج، والحافظ، والحامية، والحَبَّاب، والحبيب، وحبيب الله، والحرمة، وحرمة الله، وحريرز، والحريطاني، والحسن، وحسن، والحسني، والحسين، والحضرمي، والحَضْرِي، وحماء الله، وحمزة، وحميدة.
خ 6	خال، خَبْطَة، وخذ، والخليفة، والخنبوبي، وخونا.
د 5	داداه، داود، والدميسي، دويكنا، وديَّها.
ر 2	رازه، والرَقَّاد.
ز 5	زايد، وزَزْكَ، وزَزُّوك، زيدان، وزين العابدین.
س 12	الساخي، والسالك، والسَّالم، وسعد أبيه، والسغِير، وسَلَّامي، والسلطان، وسليمان، والسَّمان، والسيد، سيد القوم، سيدِيَّا.
ش 6	شاش، وشبَّيهنَّ، وشَل، الشمس، والشوَّاف، والشيكور.
ص 4	صالح، صديق، والصغير، وصنَّب.
ط 3	الطالب، والطَّاهر، وطلحة.
ظ 1	الظامي.

الحرف (وعدد أسمائه)	الأسماء
ع 39	عين أصلية 19: العاقب، والعاقل، وعالي، وعامر، وعباس، والعتيق، وعثمان، والعربي، وعزوز، وعزوزي، وعسرية، وعفان، وعلي، وعلال، وعمار، وعمارة، وعمر، وعيسى، وعيلا. عين "عبد" 20: مفردة 5: العابد، والعبد، وعبداتي، وعبيدة، والعبيدي. مركبة بالإضافة 15: وعبد الباقي، وعبد الحي، وعبد الجليل، وعبد الرحمن، وعبد الدايم، وعبد الرزاق، وعبد السلام، وعبد القادر، وعبد الكريم، وعبد الله، وعبد المالك، وعبد المعطي، وعبد المومن، عبد الودود، وعبد الوهاب.
غ 10	الغازي، وغانم، والغرابي، والغزواني، والغضف، وغفير، وغنور، والغوث، والغيث، وغيلان.
ف 8	الفاثق، وفارس، وفاضل، والفال، وفتي، والفضيل، والفييه، والفكنو.
ق 4	قاسم، والقاضي، والقُرشي، وقيسوم.
ك 3	الكامل، والكبير، وأكللش.
ل 2	الليل، والليلي.
م 38	الماقور، والمامون، والمامي، ومامين، ماياي، والمبارك، ومبروك، ومتالي، ومحجوب، ومحفوظ، ومحمد الأمين، ومحمد البشري، ومحمد الزين، ومحمدن، ومحمود، ومحنض، والمختار، ومخلوف، والمدني، ومزيد، ومسعود، ومسكه، والمشري، والمصبن، والمصطف، والمصطاف، والمصطفى، والمعلوم، ومعينية، ومم، وممو، ومني، وموحي، وموسى، والموساوي، ومولود، وميارة، والميلود.



الحرف (وعدد أسمائه)	الأسماء
ن9	النابعة، وناصر الدين، والنَّاه، والنَّجيب، ونَخْتير، والنَّصيبة لَمَدَسَمَة، والنَّعْمة، ونوح، والتُّومر.
هـ4	الهادي، وهَبَّاب، وهَبْدوي، والهيبة.
و3	الواثق، الوافي، والوالي.
ي7	يحيى، ويدبيال، ويعزى، ويعقوب، ويهدى، ويهديه، ويوسف.
المجموع: 273	

يظهر من خلال الجدول تنوع الأسماء، بحسب شهرتها؛ فمنها المعروفة (تقي الله، وسيد القوم)، والمغمورة (ألشغ، وهبدوي)، وبحسب زمنها فمنها القديمة والحديثة، وبحسب استعمالها؛ فمنها المتداولة والمهملة، وبحسب لغتها فمنها العربية (أحمد، ويحيى)، والعربية (يوسف، وعيسى، وسليمان، وإسحاق)، والأمازيغية (ازم، واكد)، والأفريقية (ممو، والمامي). كما تتنوع من حيث أصواتها (الحاضرة، والغائبة («ث»، «ذ»، و«ض»)) وصرفها، وعدد حروفها الأصلية (الثلاثية، والرباعية، والخماسية)، والزائدة («ا»، و«ي»، و«و»، و«اتي»).

ويبدو من خلال الجدول أن الأسماء في متن الدراسة يصل عددها إلى مائتين وثلاثة وسبعين اسما، يتفاوت توزيعها من حرف لآخر، ويرتفع عدد الأسماء المبدوءة بهمزة القطع، وفيها أسماء مركبة مضافة إلى «أبو»، وأسماء مستهلهة بهمزة وصل مفتوحة (أَعْمَرُ)، أو مكسورة (اعز)، أو مضمومة (أُعْلِي)، يتبعها حرف صحيح ساكن غالبا، وهي أسماء عربية تغيرت عن أصلها بالقلب، أو الإبدال، أو النقص، أو الزيادة، أو أسماء أمازيغية يقول فيها محمد شفيق (ويبدأ الاسم الأمازيغي المذكر بهمزة مفتوحة، أو مكسورة، أو مضمومة، (شفيق، 1990، ج1، ص33). كما نجد أسماء تبدأ بهمزة «ابن» الموصولة، وهذا قليل محصور في اسمين. كما تلحق «ال» للتعريف العديد من الأسماء التي تتداول بها أو بدونها. وهذه الأسماء متناثرة في جميع خانات الجدول. وما ذكرناه يبرز نزوع أهل الصحراء إلى بدء الأسماء بالهمزة-----وهو صوت حلقي يرتبط بأقوى كلمة «الله»----- في مختلف صورها الأصلية وغير الأصلية.

ويذكر سعدي أن الهمزة هي أداة التعريف في البربرية وهي تقابل الهاء في اللهجات العربية كالكنعانية (عثمان، 2007، ص 10).

وتأتي الأسماء المستهله بالعين -وهو صوت حلقي- في المرتبة الثانية. منها ما يعد العين من لحمتها الأصلية، أي: من نواتها المعجمية. ومنها المستهله بـ«عبد» الذي يكون وبعض أسماء الله الحسنى مركبا إضافيا.

ونجد الأسماء المبدوءة بحرف الميم في المرتبة الثالثة؛ ومرد ذلك استعمال اسم «محمد» بصور لفظية مختلفة عن الأصل بالزيادة في أوله (اندغمحمد)، أو آخره (محمذن)، أو تغيير حرف داله إلى ذال «محمذن». ومرد ذلك أيضا نقل أسماء مشتقة ميمية (اسم فاعل، أو مفعول، أو مصدر) إلى العلمية (مخولف، ومزيد).

ووقفنا على اسم وحيد مبدوء بالطاء (الظامي)، مما يوضح نفور أهل الصحراء من نطق هذا الصوت العربي القوي القح. ونلاحظ غياب أسماء مستهله بالثاء، والذال، والطاء؛ لأنها تعد صورة صوتية للثاء، والذال، والضاد، أي: تحل محلها نطقا وحرفا، فيمكن أن يستغني عنها الناطقون بالحسانية على الرغم من كتابة الحسانية بالحرف العربي، وهو أمر واقع في الأمازيغية، يقول بخصوصها محمد شفيق: «سنستغني عن كتابة الحروف العربية: الثاء، والذال، والطاء؛ لأن هذه الحروف إنما هي في الأمازيغية الثاء، والذال، والضاد» (شفيق، 1990، ج 1، ص 33). وجل تغييرات الذال والتغييرات الصوتية التي تحدث في الأسماء تخلق ارتباكا في الرسم لدى المؤلفين في الثقافة والتاريخ الصحراوي؛ إذ منهم من يرسم الأصل، ومنهم من يرسم الاسم المغير، وقد لا ينتبه القارئ للأمر فيظن أن الاسمين مختلفين والاسم واحد، وهذا مضر بأمانة المعلومة المعرفية. وتحمل الأسماء بجل أنواعها معاني ودلالات تيسر لنا تصنيفها بحسب مجالاتها الدلالية وحقولها التي تنتمي إليها.

## 2. المجالات الدلالية والحقول المعجمية لأسماء الأعمال:

إن استقراء الأسماء دلاليا يُمكننا من تصنيفها إلى ستة مجالات دلالية تتفرع إلى ستة عشر حقلا دلاليا بارزا نقدمها كالآتي.

### 2. 1 المجال الديني

2. 1. 1. حقل عبادة الله: عبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الحي، وعبد الكريم، وعبد القادر، وعبد الدايم، وعبد المومن، وعبد الرزاق، وعبد المالک، وعبد الوهاب،

وعبد السلام، وعبد المعطي، وعبد الباقي، وعبد الجليل، وعبيدة، وعبد الودود، وعبد الهادي، والعابد، وعبداتي، والعبد، والعبيدي، وزين العابدين، وحبيب الله، وحماء الله، وحرمة الله.

**2. 1. 2. حقل الأنبياء: يعقوب (الذي يعقب الآخر، ومعناه ذكر الحَجَل) (الحتي حنا، 2003، ص 20)، ويحيى (من ح ي ي) بمعنى يعيش) (الزبير، 1991، م 4، ص 2621)، ويوسف (اسم عبري معناه دعه يزيد) (الزبير، 1991، م 4، ص 2630)، ونوح (لعل الاسم مشتق من النَّوح بمعناه البكاء بصياح. اشتهر بسفينته التي نجا بها مع أهله من الطوفان) (الحتي حنا، 2003، ص 20)، ومحمد، وموسى (معناه المنقذ والمنتشل من الماء) (الحتي حنا، 2003، ص 20)، وعيسى (اسم عبري معناه المخلص) (الحتي حنا، 2003، ص 20)، وسليمان (أصله عبري شلومو معناه رجل السلام، اتصف بالحكمة) (الحتي حنا، 2003، ص 19)، وإسحاق (أصله عبري معناه الذي يضحك، أي: الضاحك) (الحتي حنا، 2003، ص 19)، وإبراهيم (اسم سامي يعني أبو الأمم، أو أبو الجمهور) (الحتي حنا، 2003، ص 19).**

**2. 1. 3. حقل أسماء وصفات الرسول صلى الله عليه وسلم: محمد (من الحمد، وإذا كثرت خصاله) (ابن دريد، 1991، ج 1، ص 8)، ومحمد البشري، محمد الأمين، امحمد، محمدين، محمد الزين، ومحمود (إذا حُمِدَ) (الاصفهانى، 1412 هـ، ص 256)، وأحمد، واندغمحمد، وأحمدو، وأحمد (كثير الثناء والحمد من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم)، ألقاب الرسول: وناصر الدين، والأمين، والمصطفى، والمختار، المصطفى، والمصطاف.**

**2. 1. 4. حقل أسماء صحابة الرسول وأعمامه وولده: أبو بكر (أحد أسماء العشرة من أصحاب رسول الله) (الاصفهانى، 1412 هـ، ص 256)، وعلي (شريف، كثير العلو، قوي) (الحتي حنا نصر، 2003، ص 52)، وحمزة، عثمان، وعمر، وعمرو، وعمَّار، عمر، العَبَّاس (اسم عم الرسول، على وزن فعَّال من العبوس، ضد البشر، والعبس نبات، والعبس: ما لصق من خطر الفحل من الإيل بذنبه) (ابن دريد 1987، ج 1، ص 44)، والحسن، القاسم (اسم ولد الرسول الكريم والقاسم (من ق س م) من يقسم الشيء أو يجعله نصفين والمفروق).**

**2. 1. 5. حقل صفات المدح (يضم القيم الإنسانية والإسلامية): الأمين، والواثق، والوافي، والهادي، ويهدى، والهيبة، والنجيب، والنَّاه، والفاضل، والفضيل، والعابد،**

الطالب، والطاهر، وصديق، وصالح، وحميدة، والوالي، والنابغة، وناصر الدين، والمصطف، والمختار، ومبروك، المصطفى، ومحفوظ، ومحمود، ومثالي، وميارة (جامع الميرة، أو المؤونة، جذب الخير) (م م، 1989، ج 2، ص 893)، والمبارك، ومخجوب، ومزيد، ومخلف، والمشري، والمصبن، والمامون، والمعلوم، و ميلود، والمُصطَاف، والمَدَنِي، ومولود، والكبير، والكامل، وفارس، والفال، والفائق (من ف و ق) الجيد من كل شيء والممتاز (ابن الزبير محمد، 1991، ج 4، ص 2099)، وعالي، وعمار، والعافل (ذو عقل) (الحتي حنا نصر، 2003، ص 51)، والعربي، وإعمارة، والعتيق (من ع ت ق) العبد الرقيق الذي نعم بالحرية والرائع في كل شيء والقديم (ابن الزبير، 1991، ج 4، ص 2005) ويعني أيضا (مؤونة محفوظة، حفظها طويل وقديم) (سعدى عثمان، 2007، ص 330)، والحافظ، وحميدة، علال (من ع ل ل) الكثير الشرب ثانية أو تباعا (ابن الزبير، 1991، ج 4، ص 2043)، الحاج، السالك (والسالكة من س ل ك) الداخلة في المكان والنافذة في الشيء (ابن الزبير محمد، 1991، ج 3، ص 1718)، وأوفى.

## 2.2. المجال الاجتماعي

2.2.1. أسماء منسوبة إلى قبائل: القُرشي (من ق ر ش) نسبة إلى قريش: قبيلة من مضر سكنت في مكة وقامت على الحج ومنها سيدنا محمد رسول الله. (قابوس، 1991، ص 739)، والعربي، والحضرمي نسبة إلى حضرموت منطقة يمنية مشهورة، والحضرمية: اللحن وعدم الإفصاح) (م م 1989، ج 1، ص 181).

2.2.2. حقل الأبوة: أبو بكر، أبو المعالي، وأبو الأنوار، وأبو سلهم، وأبو القاسم، وأبو عيطة (يقال عيط، إذا اعتاطت الناقة أعواما فلم تحمل) (ابن السكيت، 2002، ص 34).

2.2.3. وظائف: القاضي، والفقير، والإمام.

## 3.2. المجال الأمني

3.2.1. حقل السلطة: سيديًا، والسلطان، وسيد، والسيد، سيد القوم، والخليفة.

3.2.2. حقل السلم: سالم، والسالم، وسلام، وسلامي.

3.2.3. حقل الحرب: الفارس، والغازي (من غ ز و) المرید للشيء أو طالبه، والسائر لقتال العدو. (قابوس، 1991، ص 683)، الغانم (من غ ن م) الفائز بالشيء والظافر بمال عدوه في الحرب (ابن الزبير محمد، 1991، ج 4، ص 2071).



## 2. 4. المجال الطبيعي

2. 4. 1. الفلك: اللَّيْلِي، واللَّيْل، والشمس، والغَيْث من (غ ي ث) المطر أو الخاص منه بالخير (ابن الزبير، 1991، ج4، ص2094).
2. 4. 2. الحيوانات: وهباب من (ه ب ب) من الفحول (وخاصة الخيول والأغنام) الكثير الصياح والهياج (الزبير، 1991، ج4، ص2555).
2. 4. 3. الطيور: السمان، وعنقا (العنقاء: هضبة عنقاء: طويلة. رأس التلة، اسم في الثقافة الفرعونية دال على طائر أسطوري قادر على العودة بعد الموت) (ابن سيده، 2000، ص129)، ونعامة (طائر كبير الجسم طويل العنق، شديد العدو، وهو مركب من خلقة الطير والجمل) (م م 1989، ج2، ص935)، والغرابي.
2. 4. 4. النباتات: طلحة (جمعها الطَّلح شجر عظام من شجر العضاه ترعاه الإبل) (م م 1989، ج2، ص561)، وغيلان (من (غ ي ل) نوع من شجر السمر (الطلح) (ابن الزبير، 1991، ج4، ص2095)، وأبلحا (أبلحت النخلة إذا أخرجت بلحها، والبلحة حمل النخل) (ابن فارس، 1972، ج1، ص297)، وصنب (الصَّنَابُ: صباغ يتخذ من الخردل والزَّيْب) (الزبيدي، 2001، ج3، ص210).

## 2. 5. المجال النفسي

2. 5. 1. حقل المحبة: وعزُّوزي، عزُّوز، والحَبَّاب.
2. 5. 2. حقل التفاؤل: سعد أبيه (السَّعد نقيض النحس)، ومسعود، ومخْلُوف (من (خ ل ف) المجموع خلف غيره (ابن الزبير، 1991، ج4، ص2360)).
2. 6. المجال الحساني المحلي: أَح، والنَّاه، ومَتَالِي، ومَنِي، ومَثُو، ومَحْتَض، ومُعِينِيَّة، والفَال، الفُضَيْل، ولَغُضْف، وعَالِي، وعَشْرِيَّة، والأَمِينُتُو، وعبداتي، وعيلال، وحسن، وأحمدن، وإفني (تلف، وهلك) (سعدى، 2007، ص49)، وأقبت، وألفغ (أرفق الشيء للشيء (الدارودي، 2018))، وأحمدُو، وأشْفَع، وآبِيه، وآبِي، اندغمحمد، وأنجبنا، واغز، وألشغ، وأنبوي، وآبَان، وأذْفَال، وآبَات، و أمبيريك، واذمَس، واسكِيَّة، واغبيد، وإعل، وآب، وإزَم (عض) (شفيق، 1990، ج1، ص143)، وأزَم (جرح) (سعدى، 2007، ص28)، والأغْضَف، وأكد (أي: أوثق الشيء) (شفيق، 1990، ج1، ص147)، والمَامِي (من الأسماء الزنجية، وتعني الإمام أو الشيخ)، وأوبك، وأندة، وهَبْدوي.

وتبدو المجالات الدلالية أساسية في تشكيل الإنسان الصحراوي، وهو النواة

الدلالية المركزية الرابطة بينها، ويُمكن ترتيبها بحسب احتمالها على حقولها الدلالية من الأكثر إلى الأقل، وهذا الترتيب ينقل أهمية المقومات الدلالية في بناء الخصوصية؛ إذ يحظى المجال الديني بالأولوية، وبعده الطبيعة الصحراوية، فالمجتمع، والأمن، والنفس، ثم المحلية. فالإنسان الصحراوي يرتبط بدينه وأرضه ليقوي مجتمعه، ويحقق أمنه الاجتماعي، والنفسي، ثم يحقق ما يخدم حاجاته التواصلية، والتعبيرية ليؤكد خصوصيته. وترتبط المجالات بفروعها بعلاقة الاشتمال، وترتبط المجالات بينها بعلاقة التكامل، وكل ذلك ليتواصل المجتمع عبر أسماء تمكنه من التعبير، ومن إبراز خصوصياته المحلية. وكل ذلك يرتبط بقوة بهويته الإسلامية، وأرضه ووطنه. ومن شأن هذا كله أن يحقق توازنا من أجل الحياة والبقاء. وتفسر المجالات الدلالية وتشعباتها الأسباب والدواعي التي جعلت أهل الصحراء يحرصون على انتقاء أسمائهم وتشكيلها.

### 3. بواعث تسمية الرجال عند أهل الصحراء

3. 1. البواعث الدينية: يبدو من خلال التصنيف الدلالي المنجز أن الذاكرة الصحراوية، هي ذاكرة دينية إسلامية عربية أصيلة تتصل بالله تعالى، لذلك نجد كثافة الأسماء المستهلة بـ «عبد» التي ترتبط بالله وبأسمائه الحسنى، مما يعكس الاستجابة الفعلية لدعوة الدين إلى التسمية بما «عُبد». لذلك يسمي أهل الصحراء أبناءهم بأسماء الأنبياء، والرسل، والصحابة، وهؤلاء رموز لهم مكانة عالية في تاريخ المسلمين، وتأثير كبير في قلوبهم، وارتباط بذاكرتهم المزهرة.

3. 2. التربية بالقدوة: يتمثل أهل الصحراء بالقدوات، ويتمنون بالعظماء، بأسمائهم الحسنة التي تعبر عن المناقب العالية، والقيم الدينية النبيلة والسامية (إبراهيم، ومحمد، وأبو بكر، وسليمان).

3. 3. الاعتزاز بالأبوة: تبدو لنا مركزية الأب في المجتمع الصحراوي، وفاعليته في حفظ توازنه وأمنه النفسي، فالأب حاضر بقوة من خلال كلمة «أبو» النواة الدلالية التي ترتبط بأسماء الابن البكر أو الوحيد، وتعبر عن دوره الاجتماعي في الأسرة، وفي المجتمع ككل، كما تدل «أبو» على الدعوة للبر بالوالدين (الشمسان، 2005، ص42).

3. 4. التثبث بالأرض: من أسباب التسمية عندهم كذلك التأثير بالبيئة الصحراوية

التي استدعت أسماء تعبر عن القوة (طلحة)، وتعبر عن السلطة (سيد)، وتَحْمَل المسؤولية (عبد القادر)، والصمود (الغوث)، والتفائل (سعد)، والمدح (الفاضل).  
**3.5. التعبير عن الحاجات التواصلية:** يظهر ذلك أيضا من خلال حقل الطبيعة، ومعرفتهم بها أكثر من غيرهم. وقد استطاعوا ابتكار أسماء خاصة بهم (الشغ)، لها بصمة ذاتية مجتمعية مشحونة برسائل تؤكد انتماءهم الحضاري (امحضر)، والثقافي (المصبن)، الذي نسج مخيالهم التسموي الذي يؤكد انتقالهم من مرحلة التعريف بالأسماء إلى مرحلة التعبير بها والوعي برمزيتها (المامي) ودورها التداولي. وتتصل الأسماء بالمسمى بوصفها أسماء أو ألقابا أو كنى. وهذا ما سنتناوله في المحور اللاحق.

#### 4. وظائف الأسماء

جعل أهل الصحراء لأسماء الصحراء وظائف أبرزها: التسمية، واللقب، والكنية، والتلميح، والاختصار؛ فالأسماء الرسمية موثقة في الوثائق والعقود الرسمية، ثابتة لأصحابها، يمكن أن يتكرر استعمالها. والألقاب تأتي بعد التسمية الرسمية، يكتسبها المسمى في مجتمعه، تدل على مكانة الملقب في مجتمعه، وبين أهله ووظيفته الاجتماعية، أو نسبه المعروف. وأما الكنى فنجدها في المادة المدروسة مركبا إضافيا أوله «أبو» مرفوقة باسم الابن المذكر (قاسم) البكر أو الوحيد غالبا، وقد ترتبط برموز دينية «أبو بكر» لها مكانة إسلامية، وصارت مرغوبة في المجتمع الصحراوي (أبو المعالي)، والتلميح تجويد الاسم بتغيير أو أكثر يحبه للمسمى ويسر تداوله، وأما الاختصار فهو جعل عدد حروف الاسم محدودا (في الأغلب ثلاثة أحرف أو أربعة سهلة النطق، أو مكررة)، ونبين هذا من خلال تقديم أمثلة لكل وظيفة في ما يأتي:

**4.1. الاسم الرسمي (قد يصدق على المسمى وعلى غيره):** محمد، وامبارك، وعزوز، واسكية.

**4.2. الألقاب (تميز الشخص عن غيره):** التلميذي، والبابي، والأعمش.

**4.3. الكنى (مكونة من لفظين أب):** أبو بكر، بوغنا، أبو المعالي، وأبو نعامة، وأبو الأنوار، وأبو سلهم.

**4.4. أسماء التلميح:** محمدان، واحمدو، عبداتي، والعبيدي، والفنكو.

**4.5. الأسماء المختصرة:** أحم، وباب، وشاش، مم، وممو، وفتي، وحتي، وزاز، واعل،

وَيَاتُ.

جدول رقم 2: وظائف أسماء أعلام الصحراء

الاسم الرسمي	الألقاب	الكنى	أسماء التمليح	الأسماء المختصرة
محمد، وامبارك، وعزوز.	التلميذي، والباي، والأعمش.	أبو بكر، بو عنقا، أبو المعالي.	محمدان، واحمدو، عباتي.	باب، وشاشي، ممّ، وممو.
موثق في العقود	مميز في المجتمع	مرتبط بالابن	للتحسين والتحيب	للتسهيل

نقدم الأسماء الرسمية لأنها ثابتة موثقة قانونيا ترتبط بالمسمى منذ ميلاده، وأما الألقاب فتأتي لاحقة على الأسماء تبرز اتصال المسمى بمجمعه، وتقديره بين أفرادها، وتمييزه بصفة يكتسبها من خلال سلوكه، وأخلاقه، وترتبط الكنى بالولد بالسند وبالخلف. والتمlich قرب عاطفي، والاختصار عادة غير أصيلة في الثقافة العربية، هدفها ربح زمن وجهد المتلفظ، وهذا الغنى في التوظيف مرده عناية أهل الصحراء بأسماء أعلامهم. وجلبها عن طريق النقل أو الارتجال، كما سنرى.

## 5. وضع أسماء رجال الصحراء

اغترف أهل الصحراء أسماءهم من روافد لغوية عديدة كما ذكرنا؛ فمنها العربية، والعبرية، والأمازيغية، والأفريقية، فاحتفظوا بالأسماء المنقولة في صورها الأصلية، أو غيروها صوتا وصرفا، ونعثر على أسماء نرجح أنها مبتكرة خاصة بهم لتعثر العثور عليها في المعاجم والدراسات السابقة النادرة جدا. وهذه الأسماء نجدها مفردة، أو مركبة تركيبيا وصفيا أو إضافيا، أو عبارة عن جمل توظف للتواصل (مُريه ربه) في المجتمع الصحراوي. نقدم أمثلة على ما ذكرناه تباعا، ومن خلال جدول أيضا.

### 1. 5. أسماء منقولة

1. 1. 5. منقولة عن العربية: يحيى، وأحمد، ومحمد، وحسن، وحميدة.

2. 1. 5. منقولة عن العبرية: يوسف، وإسحاق، وسليمان، وعيسى.

5. 1. 3. منقولة عن الأمازيغية: الشغ، واكد، وإفني.

5. 1. 4. منقولة عن لغات أفريقية: ومَمُو، ومامين.

5. 2. أسماء مرتجلة

5. 2. 1. مفردة: محمذن، ومني، ومحنض، والمصببن، والأغضف.

5. 2. 2. مركبة: حرمة الله، هيبة الله.

5. 2. 3. جمل: مريه ربه، ويعزى، ويهديه.

وهذا ما نقدم عينات منه في جدول.

جدول رقم 3: وضع أسماء أعلام الصحراء

مرتجلة محلية	منقولة			
	عربية	عبرية	أمازيغية	أفريقية
صحراوية	عربية	عبرية	أمازيغية	أفريقية
مريه ربه، والأغضف	يحيى، وأحمد	يوسف، واسحاق	ألفغ، وازم	المامي، ومامين

انفتح أهل الصحراء على تاريخهم العربي الإسلامي فعرفوا رجالته، وسموا بها أبناءهم، وتصرفوا في كثير منها لتلائم خصوصياتهم الصوتية والصرفية، فظلت في حيزهم الثقافي، والعربية تضم أسماء عبرية انتقلت إلى الحسانية، وبحكم القرب الجغرافي تأثروا بالأمازيغية والأفريقية، وقد كانوا حريصين على انتقاء الأصوات الأنسب لهم لتلبية حاجاتهم التواصلية، لذلك نرجع على ظواهر صوتية حاضرة في الأسماء.

## 6. التغيرات الصوتية في أسماء رجال الصحراء:

نرصد ظواهر صوتية عديدة تمثل جزءا من الهوية الصوتية اللسانية لأهل الصحراء، وهي تغيرات طرأت أغلبها على كلمات عربية الأصل عن طريق الإبدال، أو الحذف، أو المماثلة، وعن طريق هجر أصوات، والإقبال على غيرها، أو الخروج عن قواعد صوتية عربية أصيلة (بدء الكلمة بمتحرك، وتضعيف المتحرك).

6. 1. الأصوات المهجورة في أسماء الصحراء: يفيد تمعننا في متن الأسماء موضوع الدراسة أن العثور على هذه الأصوات (/ث/، /ذ/، /ض/، /ظ/) أمر نادر لا يكاد يتجاوز بضع كلمات هي: /ث/: عثمان، و/ض/: الأعصف وابنهضام، و/ظ/: الظامي.

6. 2. الأصوات التي لا تجتمع في أسماء الصحراء: إذا تتبعنا أصوات الأسماء تبين لنا أن الذوق الصوتي لأهل الصحراء يميل إلى عدم الجمع بين الأصوات الثقيلة (الحتي، 2002، ص 11). في الكلمة الواحدة (/ث/، /خ/، /ذ/، /ض/، /ظ/، /غ/) تجنبنا لتعثرات النطق وصعوباته، إلا أننا نقف على اسم وحيد هو: الأعصف: /غ/+ض/ وهذا نادر.

تشديد السكون: ظاهرة صوتية تحضر في الأسماء الصحراوية عند تداولها في العامية بتشديد الساكن «لَمَّصِن»، و«أدَمَس» و«مَرَبِيه ربه» وأصلها «مَرَبِيه ربه»، وهي ظاهرة تنعدم في الفصحى؛ إذ يلحق «ت» الحروف المتحركة «فقط عَبَّاس».

6. 3. ترديد الصوت في الاسم الواحد: تنتشر هذه الظاهرة في الأسماء الصحراوية، وتتم عن طريق التضعيف «أَحَّ»، و«عَلَّال»، و«عَمَّار». أو عن طريق التكرار «مَامِي»، و«بَابْ»، و«بَابَا»، و«بَبَاة»، و«بَغِيغ»، و«دَادَاة»، و«شَاشْ»، ونلاحظ تكرار الحرف والحركة القصيرة والمد، مما يخلق جذبا وجلبا للسامع، ويجعل الاسم محفوظا في الذاكرة، سهلا في النطق، مختزل الأصوات.

6. 4. إبدال الفونيم «ق» بفونيم «g»:

يستعمل فونيم /ك/ ونقصده بالضبط /g/ بديلا لفونيم /ق/، في العربية المغربية، مثال: قال = كال، وقمقم = كمكم، وغيرها ونجد هذا أيضا في العربية المصرية، والأردنية، واليمنية، وهو دارج في العامية المغربية أيضا مما يبدي التشابه بين العاميات العربية في عدة بلدان، ومثاله لدى أهل الصحراء نجده في اسم: العاقب = لعاب = لع /g/ ب. و /ق/ فونيم مخرجه من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من أقصى غار الحنك الأعلى من الجزء اللحمي منه قرب اللهاة، صوت شديد مجهور (العسكري، دت، ص 287). وهو مستعلي منفتح مقلقل. و/ك/ = /g/ من الأصوات التاجية، أي: من أصوات القلب مجهور وشديد وانفجاري ومنفتح. ويمكننا تقديم أمثلة على ذلك في الجدول الآتي:

## جدول رقم 4: إبدال الفونيم في أسماء أعلام الصحراء

تحقيقها في العامية	في العربية
لفايك = لفاي/ g	الفائق
لعاكب = لعا/ g	العاقب
لعاكل = لعا/ g	العاقل
لعتيك = لعتي/ g	العتيق
بوعنكا = بوعن/ g	بوعنقا
كيسوم =/ g يسوم	قيسوم

يتضح إذن، ميل المستعملين إلى هذه الأسماء إلى هذا الصوت /g/، وهذا يزيل اللبس الحاصل لدى الباحثين في الثقافة الحسانية؛ إذ يجدون الاسم مرة بحرفه الأصلي في كتاب وبحرفه المتداول في كتاب آخر، والحال أنه نفس الاسم، فإذا وقف عند هذا الأمر صوتا زال الإشكال واتضح الأمر. ولعل هذا ما يحدث أيضا مع التاء كما سنرى.

## 5.6. إسقاط التاء من آخر الاسماء

تتغير أسماء كثيرة من صورتها اللفظية العربية التي تحقق تاء مربوطة آخرها إلى أسماء عامية تستغني عنها فيتحول اسم «الهيئة» العربي ي إلى «لُهَيْب» بإسقاط التاء من آخره، وهذا ظاهر في الجدول.

## جدول رقم 5: إسقاط التاء من أواخر أسماء أعلام الصحراء

تحقيقها في العامية	الكلمة العربية
لهيب	الهيئة
ميّار	ميّارة
معينين	مُعينية
لُحرم	الحرمة

الكلمة العربية	تحقيقها في العامية
أبوعيطَة	بُوعيطَ

وكثيرة هي أمثلة إسقاط التاء في الأسماء الدارجة في المغرب، بغرض تسهيل النطق وتيسيره، والتقليل من أصوات الكلمة، وهذا يحصل كذلك عند تخفيف الهمزة.

### 6.6. تخفيف الهمزة

يميل أهل الصحراء إلى تخفيف الهمزة في موضع أو أكثر من الاسم المفرد والمركب (الأمين --- والدائم --- وأبو العنقاء = لمين --- الدايم --- بوعنقا)، والهمزة فونيم حنجري شديد انفجاري مهموس منفتح، يتم تخفيفه بالحذف لتسهيل تلفظ الاسم، ويصطلح عليه بالترخيم عند حدوثه في آخر الكلمة (عنقا)، كما عرّفه السيوطي في كتابه «همع الهوامع»؛ إذ قال: (الترخيم حذف آخر الاسم باطراد) (السيوطي، 1992، ص 74). ونبين ذلك أكثر في الجدول.

جدول رقم 6: تخفيف همزة القطع في أسماء أعلام الصحراء

الكلمة بهمزة مقطعة (في العامية)	الكلمة بهمزة القطع محققة (في الفصحى)
لَمِين	الأمين
لَعْمَش	الأعمش
لَغْضَف	الأغضف
دَائِم	الدائم
بولنوار --- وبوعنقا	أبو الأنوار --- وأبوعنقا
حمد	أحمد
بُراهيم	إبراهيم



وتدخل «ال» التعريف على الاسم للتفخيم نحو «العباس»، و«الفضل» (الصاحبي، 1997، ص 77)، وهو ما نجده في أسماء صحراوية كثيرة (الفضيل، والغوث) وبثبت في الفصحى، لكن تسقط الهمزة وتنطق اللام الساكنة للتخفيف في الاسم المتحرك حرفه الأول، وتحذف «ال» إذا كان الاسم مضعف الحرف الأول (دَائِم) في التداول العامي. واستخدام «ال» في الأسماء الخاصة العربية تقابله أصوات أخرى في باقي اللغات (ينظر بول فابر، 1987، ص 13-18). ونعرض هنا نماذج من هذه الأسماء.

#### جدول رقم 7: تخفيف همزة الوصل في أسماء أعلام الصحراء

الكلمة بهمزة مسقطة (في العامية)	الكلمة بهمزة الوصل محققة (في الفصحى)
لُحرمة	المحرمة
لُهيبة	المهيبة
لُمامون	الممامون
دَائِم	المدائم

لا تبدأ العربية بساكن، والعامية تثبته نطقا متداولاً، من باب التسهيل أيضاً، وسنرى هل تتم المماثلة في الأسماء لنفس القصد.

#### 4.6 المماثلة الصوتية

تعني المماثلة الصوتية تقارب مخرجي صوتين/س/ و/ط/ مثلاً. فالطاء مطبقة، والصاد مطبقة، والسين غير مطبقة، لذلك تبدل السين صاداً (الصاد سين مطبقة) في سلطان= سلطان مثلاً. ونبين ذلك في المثال المفصل وصفه في الجدول.

#### جدول رقم 8: المماثلة الصوتية في اسم علم

سلطان (عامية)		سلطان (عربية)	
ص	ط	ط	س
مطبق	مطبق	مطبق	غير مطبق

يظهر أثر المماثلة عند تكرار نطق الكلمة؛ إذ نجد سهولة في نطق الاسم عند تحقيقها، وهذا إجراء صوتي لدى مستعمل اللسان الصحراوي الذي يسعى لتسهيل النطق، ولا يكتفي بهذا، بل يزيد صوتاً أو أكثر على بعض الأسماء لأغراض تداولية أخرى كما سنرى.

## 7. تغيرات أسماء أعلام الصحراء

رأينا في المحور السابق تغيرات لحقت الأسماء، تمت بالإبدال، والحذف، والمماثلة، وستناول في هذا المحور التغيرات التي تتم بزيادة حرف أو حرفين أو أكثر في أوائل أو أواخر الأسماء أو هما معا. لذلك تتعدد الصور اللفظية للاسم الواحد.

### 7. 1. زيادة مورفيمات في أوائل الأسماء

يلحق مورفيم /ا/ أسماء حروفها الأولى ساكنة فلا تنطق «أخريز»، و«أغبيد»، و«أفبارك»، أو تنطق مفتوحة «أندغمحمد»، أو مضمومة «أعلي»، أو مكسورة «إعل». فالداعي إليها الساكن الأول في الاسم. وتلحق /ال/ الأسماء المتحركة حروفها الأولى «السُّلطان»، و«السَّمان»، و«السَّاحي»، و«الفاضل» لتفيد التعريف. ويلحق مورفيم /اندغ/ اسم «محمد» وحده ليفيد التقدير والإعلاء من قيمة المسمى، ولعل هذا اللاحق أمازيغي؛ لأن حروفه لا تجتمع في العربية (ان دغ).

### جدول رقم 9: زيادة مورفيمات في أوائل أسماء الأعلام

المورفيم + الاسم الأصلي	اسم محلي
/ا/ + مبارك	لمبارك
/ال/ + فائق	المفائق
/اندغ/ + محمد	الاندغمحمد

### 7. 2. زيادة مورفيمات في أواخر الأسماء

تلحق مورفيمات /ي/، و/وا/، و/ان/، و/اتي/، و/نوا/، و/نّ/ أواخر بعض الأسماء العربية في استعمالها العامي (اللّيلي، و محمدو، و أحمدن، و عبداتي، و الأمينتو، و شبيهنّ، و قد كان من سنن العرب الزيادة في حروف الاسم، وذلك إما للمبالغة، وإما للتشويه، والتقبيح (الصاحبي، 1997، ص 62)، ونستبعد الغرضين الأخيرين



(التشويه، والتقييح)، ونرجح المبالغة، أي: قوة المعنى أو الصفة الحسنة في الاسم بغرض تقدير المسمى والإعلاء من شأنه، و من بواعث الزيادات أيضا التمليح، أي: تزيين الأسماء وتحسينها -

### جدول رقم 10: زيادة مورفيمات في أواخر أسماء الأعلام

اسم محلي	الاسم العربي + مورفيم
عَزُوزِي	عزوز + /ي/
مُحَمَّدُو	محمد + /و/
مُحَمَّدَن	مُحَمَّد + /ن/
عَبْدَاتِي	عبد + /اتي/
أَمِينُو	أمين + /ئو/
شُبَيْهِن	شبيه + /ن/

ويبدو أن من الزيادات العربية وهي /ا/، و/ال/، و/ي/، احتفظت بدلالاتها الصوتية ووظيفتها الإملائية، وتوجد زيادات أخرى محلية (/اندغ/ رباعية الحروف، و/و/، و/ن/، و/اتي/ ثلاثية الحروف، و/نو/ ثنائية الحرف، و/ن/). ونلاحظ أن الاسم الواحد يمكن أن تلحقه زيادات في أوله وآخره فيخرج عن صورته اللفظية الأصلية إلى صور أخرى هي أسماء متداولة في العامية، وهذا يبرز دور الزيادات الحرفية في إثراء معجم الأسماء، وتوسيع دلالتها، وهذا ما سنتناوله.

### 3.7. تعدد الصور اللفظية للاسم الواحد

عند تمعننا في أسماء متشابهة (حسن، والحسني، والحسين) نجدها صورا لفظية مغايرة للاسم الواحد، تم التلاعب بأصلها العربي عن طريق زيادة، حروف في أولها، أو آخرها، أو هما معا، أو الحذف وهو قليل (المصطف)، أو عن طريق تغيير وزنها الصرفي (حُسَيْن = فُعَيْل، وعَيْلال = فيعال). وقد يصل عدد الأسماء العامية للاسم العربي الواحد إلى أربعة. نسوق نماذج منها في جدول يبين تنوع الأسماء وغناها.

جدول رقم 11: تعدد الصور اللفظية في أسماء أعلام الصحراء

الاسم العامي المحلي				الاسم العربي
صورة 4	صورة 3	صورة 2	صورة 1	الأصلي
اندغمحمد	محمّدو	محمّدن	امحمد	محمد
		مصطاف	مصطف	مصطفى
عبيدة	العبيدي	عبداتي	العابد	العبد
		عيلال	اعل	علال
	حمداتي	أحمدو	أحمدن	أحمد
اعمارة	عمر	عمار	عمر	عمرو
الحسين	الحسني	الحسن	حسن	حسن
		عزّوزي	عزّوز	عزير
		بكار	بو بكر	بكر

ويبدو أن الأسماء المعروضة في الجدول تحمل شحنة روحية تتصل بالدين وتعبر عن المحبة، لذلك نرى أن كثرة استعمالها، وتقديرها دفع إلى تغيير صورتها الأصلية بزيادات دلالية تزيدها قيمة ورفعة. وسنعرج على الأوزان الصرفية لهذه الأسماء وغيرها في المبحث الموالي.

8. الأوزان الصرفية لأسماء الأعلام

توجد أبنية أو أوزان صرفية لأسماء الأعلام الثلاثية، والرابعة، والخماسية، وهي نوعان: أوزان فصيحة، وأخرى عامية، ومرد كثرة الأوزان وتنوعها إلى عدد حروفها الأصلية، وتوظيف حروف الزيادة كما بينا سابقاً، وهي على ضربين: أحدهما الزيادة فيه تكرير حرف من الأصل وهو الأقل، والآخر زيادته ليست منه وهي من الحروف الزوائد وهو الكثير. والحروف الزوائد هي (الهمزة، والألف، والياء، والنون، والتاء، والميم، والواو) (ابن السراج، د ت، ص 360). لذلك نقف بأوزان كثيرة منها المعروضة الآتية:

8. 1. الأوزان الثلاثية للأسماء (حمدي بدر الدين، دت، ص 144، 10، 11): فَعَلٌ: حَسَنٌ. فَعَلٌ: بَكَرٌ. فُعَلٌ: عُمَرُ. فَعَلٌ: سَعْدٌ. فَعِلٌ: عَلِيٌّ. فِعَلٌ: إِزْمٌ. أْفَعٌ: اَعْلٌ. أَفْعَلٌ: أَشْفَعٌ. أَفْعَلٌ: أَلْفَعٌ.

8. 2. الأوزان الرباعية للأسماء (حمدي بدر الدين، دت، ص 307، 330، 270. ابن السراج، دت، ج 2، ص 362):

فاعل: فائق، وفاضل، وعاقل، فائق، و(ال) واثق، و(ال) هادي، وناصر، وفارس. فَعِيلٌ: صديق، وأميين، وفضيل، و(ال) كبير، وبشير. مَفْعَلٌ: محمد. فَعْلَلٌ: بابا. أَفْعَلٌ: أحمد. يَفْعَلٌ: يهدى، يحيى. فَعَالٌ: إمام.

8. 3. الأوزان الخماسية للأسماء (حمدي بدر الدين، دت، ص 304، 449، 485): فَعَالٌ: هَبَابٌ، وَعَمَّارٌ، و(ال) حَبَابٌ. فُعْلَانٌ: سُلْطَانٌ، عُثْمَانٌ، سَلْهَامٌ. فَعْلَانٌ: زَيْدَانٌ. فُعْلُولٌ: قَيْسُومٌ. فَعَالٌ: سَمَانٌ، وَشَوَّافٌ. مَفْعُولٌ: مَخْلُوفٌ، مَعْلُومٌ. فَاعُولٌ: (ال) مَأْقُورٌ. فَعَالٌ: إِمَامٌ. فَعَالَةٌ: نَعَامَةٌ. إِفْعَالٌ: إِسْحَاقٌ. أَفْعَالٌ: أَذْفَالٌ، (أبو ال) أَنْوَارٌ. مُفَاعَلٌ: مُبَارَكٌ، مَفْعُولٌ: مَحْجُوبٌ، وَمَبْرُوكٌ، وَمَحْفُوظٌ. مَفْتَعَلٌ: مَصْطَفَىٌّ. مَفْعَالٌ: مَخْتَارٌ. فُعُولٌ (ابن دريد، 1987، ج 2، ص 1214): عَزُوزٌ.

تعكس الأوزان الصرفية العربية أصالة كثير من الأسماء الصحراوية، وحفاظها على النسق اللساني العربي، ولاحظنا اختلاف أنواع اللفظ بحسب وزنه، وهو أمر مرتبط بانتقال أسماء مشتقة كثيرة إلى العَلَمِيَّة.

## 9. أنواع الأسماء بحسب لفظها

### 9. 1. الأسماء المفردة (المشتقة وغير المشتقة) المنقولة إلى العَلَمِيَّة:

نقلت كثير من الأسماء إلى العَلَمِيَّة (عبد الراضي، 2006، ص 34) فصارت تدل على مخصوص بعد أن كانت تدل على شائع. فكثير من أسماء الأجناس والمشتقات صارت أسماء أعلام تحمل دلالات معجمية وصرفية، والصفة كـ «عاقل» و«ناصر» على وزن «فاعل» تحتفظ بمعناها الصرفي والدلالي، ويمكن التعامل معها باعتبارها أسماء أعلام دالة على مخصوص. وهكذا تنتقل الكثير من المشتقات إلى العَلَمِيَّة، أبرزها: اسم الفاعل، واسم المفعول، وأفعال للتفضيل، وصيغ المبالغة، والصفة المشبهة باسم الفاعل، فأكثرها صفات لها دلالات حسنة تعلي من شأن المسمى. والصفة المشبهة كل صفة مأخوذة من فعل غير متعد لأنها إنما شبهت باسم الفاعل المأخوذ

من الفعل المتعدي فعملت عمله (ابن عصفور، 1998، ج1، ص566). ولدينا أمثلة كثيرة على ذلك. وتفيد المبالغة علو الصفة وقوة دلالتها؛ فأسماء العلم المنقولة عنها تؤكد قوة الصفة في الموصوف «حَبَّاب» مثلاً. وتحضر أسماء علم كثيرة مصغرة، تعبر عن محبة وتقدير المسمى بين أهله وفي مجتمعه. ويرد اسم علم منسوب للعرب «العربي»، وللقبائل «القريشي» مثلاً، فقريش قبيلة عربية قديمة ذات أبعاد تاريخية ترتبط بتاريخ المسلمين وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم. والفخر بالقبيلة ظاهر في نسبة الأسماء والمجتمع العربي منذ القديم يراعي نظام الانتماء القبلي وهذا ما نجده مستمرا في المجتمع الصحراوي. ونسوق في الجدول أمثلة للأسماء من جل الأنواع المشتقة.

جدول رقم 12: أنواع أسماء أعلام الصحراء المشتقة

أنواع الأسماء المنقولة إلى العلمية (المشتقة وغير المشتقة)	الأسماء
اسم الفاعل	الحاج، والعاقل، والفائق، والواثق، والهادي، وناصر
المصادر	الهيبة، والبشرى
الصفة المشبهة	صديق، وحسن، والأمين، والفضيل، والكبير
صيغ المبالغة	هَبَّاب، وعمَّار، ولحَبَّاب، وميَّارة، والماقور، والطالب، والطاهر، وعزُّوز
الأسماء المصغرة	معينية
الأسماء المنسوبة	المدني، والحضري
اسم المفعول	مخلوف، ومعلوم، والمصبن، والمختار، المصطفى
على وزن أفعل	أوفى، وألفغ
جمع مذكر السالم	(زين) العابدين



أنواع الأسماء المنقولة إلى العلمية (المشتقة وغير المشتقة)	الأسماء
على وزن الفعل	أحمد، ويحيى، ويهدي

يثري الاشتقاق اللغة ويغني معاجمها، ويوسع مدارك تفكير مستعمليها في كلماتها، لذلك استثمر أهل الصحراء هذه الآلية اللغوية لتبليغ مقاصدهم الاسمية من خلال الأسماء المفردة والمركبة أيضا.

### 9.2. الأسماء المركبة

تأتي أسماء العلم مفردة في كلمة واحدة (فاضل)، وأيضا مركبة من كلمتين تركيبا إضافيا يفيد التعريف (حرمة الله)، ويعبر عن شهرة المسمى في وسطه الاجتماعي (أبو بكر)، بالإضافة من خصائص الأسماء. كما قال العكبري: «.. ومن خصائص الاسم كونه فاعلا أو مفعولا أو مضافا أو مثنى أو مجموعا أو مصغرا أو منادى » (العكبري، 1995، ص 47). كما يركب الاسم تركيبا وصفيا (محمد الزين) أوله اسم علم موصوف (محمد) وثانيه صفة (الزين).

### جدول رقم 13: تصنيف أسماء أعلام الصحراء المركبة

التركيب الوصفي			التركيب الإضافي		
الصفة	الموصوف	الاسم	المضاف	المضاف إليه	الاسم
الزين	محمد	محمد الزين	الله	عبد	عبد الله
الحبيب	محمد	محمد الحبيب	الله	حرمة	وحرمة الله

التركيب الوصفي			التركيب الإضافي		
الصفة	الموصوف	الاسم	المضاف	المضاف إليه	الاسم
البشرى	محمد	محمد البشرى	بكر	أبو	أبو بكر

تؤكد الأسماء المركبة البعد الروحي لأهل الصحراء وتشبثها ببوصلة الإسلام «الله»، وبنبيه الكريم.

### 9.3. الأسماء الجُمَل

سمى أهل الصحراء بالأسماء المفردة، والمركبة كما رأينا، وأيضا بالجُمَل (حماء الله) تتكون من (فعل، وفاعل، ومفعول به)، ومن الأسماء الجمل المشهورة اليوم «خَلِيْلٌ» — ، التي تفيد التفاؤل بالمسمى وبنجاحه في الحياة؛ فهي جمل من عمق المتداول اليومي تفيد الدعاء أيضا. لها قدرة على التأثير النفسي بين المتخاطبين، وتنقل رسائل تربوية في سياق التواصل، وتتطور في سياقات أخرى، فالأسماء التجارية مثلا، لها أغراض تداولية أخرى (لو تاليك، لوريه، جانا ألتمنوفا، 2020، ص31-70). ونجد أمثلة الأسماء الجمل قليلة، نعرضها فيما يلي.

#### جدول رقم 14: أسماء أعلام الصحراء الجمل

الجُمَل		الاسم	
المفعول به	الفاعل	الفعل	
إياه	الله	حما	حماء الله
	هو(الله)	يهدى	يهديه
	هو	يعزى	يعزى
	هو	يحيى	يحيى

تفيد الأسماء الجمل تطلعات الصحراويين إلى الخير في المسمى؛ إذ تتسع

الجميل للتعبير عنها أكثر من المفرد والمركب، وتنهل من فكرهم العقدي المرتبط بقدرة الله تعالى.

### خاتمة:

يتبين لنا أن الأسماء الصحراوية العامية تعبر على المستوى الصرفي والصوتي والدلالي عن الحضارة التي تشكلت فيها (ينظر دينيو، 2021، ص29)، وتشكل جزءاً قوياً من التراث اللامادي لجنوب المغرب، لذلك يؤكد انسجام الأسماء والنسق اللغوي المغربي وحدته الثقافية واللغوية والدينية، التي تؤطر التعدد اللغوي والغنى الثقافي.

ونسجل فيما يأتي جملة من الخلاصات:

- انسجام الأسماء مع بيئتها الصحراوية.
- انتقال الأسماء من وظيفتها التعريفية بالمسمى إلى التعبير عن الهوية.
- خصوبة دلالات الأسماء، فإلى جانب الدلالة المعجمية نجد دلالات صرفية وصوتية.
- لا يمكن فصل الأسماء عن الشخصية الصحراوية الصامدة المتشعبة بالمرجعية الإسلامية وبالقيم الروحية والإنسانية.
- تنوع الهوية البصرية والسمعية (اللسانية) للأسماء.
- أهمية الروافد الدينية والتاريخية والثقافية في تشكيل الهوية الاسمية في هذا المجال الجغرافي.
- قدرة أهل الصحراء على الصناعة اللغوية والإبداع، والابتكار في الأسماء، بما يناسب جغرافيتهم.

### لائحة المصادر والمراجع:

#### القرآن الكريم

- الأصفهاني الراغب، 1412هـ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداوي، دار القام، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1.
- البايبي أحمد، 2013، قضايا صوتية من الأطلس اللساني لتافيلالت، أعمال يوم دراسي نظم بتاريخ 30 نونبر 2011م، التعدد اللغوي بمنطقة تافيلالت: نحو دراسة لسانية برحاب الكلية متعددة الاختصاصات بالرشيدية، ط1، منشورات

- فريق البحث في اللغة والفنون والآداب بمنطقة تافيلالت.
- اجمولة فدوى، 2024، بذور الورقاء في تراجم أولياء وصلحاء الصحراء، تقديم العلامة أحمد شوقي بنين، ط1، دار الأمان، الرباط.
  - حباس هدى، 2005، الاسم هوية وتراث مقاربة انثروبولوجية لدلالة الأسماء في قسنطينة، عدد 29-30.
  - الحتي حنا نصر، 2003، قاموس الأسماء العربية والمعربة وتفسير معانيها، ط3، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية للنشر بيروت، لبنان.
  - حمدي بدر الدين إبراهيم، (د.ت) معجم الأوزان الصرفية لكلمات القرآن الكريم، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
  - الدارودي سعيد بن عبد الله، 2018، مفردات من اللهجة الحسانية، هسبريس. Sadaroodi@gmail.com.11\_10\_2018.
  - ابن دريد أبو بكر، 1991، الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت.
  - ابن دريد أبي بكر، 1987، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت.
  - عبد الراضي أحمد، 2006، استعمال الصيغة العربية بين الوضع والنقل، مكتبة الثقافة الدينية.
  - الزبيدي محمد، 2001، تاج العروس من جواهر القاموس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت.
  - ابن الزبير محمد، 1991، موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب. سجل أسماء العرب، الهيئة العلمية: السعيد محمد بدوي، و علي الدين هلال، وفاروق شوشة، ومحمود فهمي حجازي، جامعة السلطان قابوس، مكتبة لبنان، ط1.
  - السراج أبو بكر (د ت)، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، الناشر مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت.
  - سعدي عثمان، 2007، الجذور العربية للكلمات الأمازيغية، مجمع اللغة العربية طرابلس، ليبيا.
  - ابن السكيت، 2002، إصلاح المنطق، ط1، دار إحياء التراث العربي بيروت،



- لبنان.
- بن سيده المرسي أبو الحسن علي بن إسماعيل، 2000م، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
  - السيوطي جلال الدين، 1992م، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج2، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة.
  - شفيق محمد، 1990، المعجم العربي الأمازيغي، أكاديمية المملكة المغربية سلسلة معاجم.
  - الشمسان أبو أوس إبراهيم، 2005م. معجم أعلام الناس في المملكة العربية السعودية، ط1، مكتبة الرشد، الرياض.
  - ابن عصفور أبي الحسن، 1998، شرح جمل الزجاجي، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
  - العكبري أبو البقاء، 1995، اللباب في علل البناء والاعراب، تحقيق عبد الإله النبهان، ط1، دار الفكر، دمشق.
  - العسكري أبي هلال، (د.ت)، الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
  - ابن فارس أحمد، 1997، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
  - ابن فارس أحمد، 1972، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط2، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، دار الجيل ودار الفكر، بيروت.
  - فجال يوسف، 2013، أسماء الاعلام في العربية وخصائصها، دراسة وصفية دلالية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية.
  - مجموعة مؤلفين: إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، 1989، المعجم الوسيط، دار الدعوة استانبول، تركيا.
- Deniau, X. (2021). Histoire des noms de famille français. Paris: Éditions L'Harmattan.

- Fabre, P. (1987). Théorie du nom propre et recherche onomastique.
- Lebel, P. (n.d.). L'histoire et ses méthodes.
- Masson, O. (2000). Onomastica Graeca Select. Genève: Librairie Droz.
- Peter, L. (2020). Lexicalisation de l'onomastique commercial, Gabrièle, le tallec. lioret. jana Altmanova.

# ثنائية عربية قديمة-عربية جديدة عند بروكلمن وبرجستريس<sup>(1)</sup>

جوناثان أونز  
جامعة بيروت، ألمانيا

ترجمة: محمد الوحيدي

جامعة مولاي إسماعيل-مكناس، المملكة المغربية

medwahid66@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0006-1321-7278>

## الملخص

تشكل ثنائية العربية القديمة-العربية الجديدة مفهوماً أساسياً في الدراسات العربية منذ منتصف القرن العشرين. وقد أسهم علماء بارزون مثل بروكلمن وبرجستريس في هذا الجدل. وصف بروكلمن اللغة العربية بمصطلحات مثل «العربية القديمة» و«العربية الجديدة»، وربطها باللغة الشعرية واللهجات. واعتبر برجستريس أن العربية القديمة تعادل العربية الكلاسيكية، مشيراً إلى تطور خطي نحو العربية الحديثة. لا تزال هذه الثنائية موضع نقاش، مع تساؤلات حول صحتها اللغوية وسياقها التاريخي. تقدم الورقة نقداً جدياً لأسس هذه الثنائية، وتقرح أن السمات اللغوية التي تميز اللغة العربية القديمة عن اللغة العربية الحديثة غالباً ما تكون مشتركة وأن الانتقال بينهما ليس واضحاً كما يُفترض تقليدياً. وتؤكد الحاجة إلى فهم أكثر دقة للتطور التاريخي للغة العربية، وتشير إلى أن اللغة العربية القديمة واللغة العربية الحديثة قد تشتركان في علاقة أكثر تعقيداً مما كان معترفاً به سابقاً. النتيجة الرئيسية للدراسة هي أن جميع الاختلافات المقترحة بين العربية القديمة والعربية الحديثة يجب أن تُوضع في سياقها الصحيح؛ لأنها تمثل مجموعة من الخصائص النموذجية للغة العربية الجديدة الأم الحديثة المعاد بناؤها والتي يحتمل أنها لم توجد قط.

الكلمات المفتاحية: تاريخ العربية، عربية قديمة، عربية جديدة، لهجات، خطية.

(1) العنوان الأصلي: «The foundations of the Old Arabic- Neo Arabic dichotomy»؛ وهي الفقرة 1.1.1a App. من ملحق كتاب جوناثان أونز «Arabic and the Case against Linearity in Historical Linguistics»، والملحق منشور على الشابكة. أشكر الأستاذ جوناثان أونز الذي أذن بترجمة هذا الجزء من الملحق، ولم يعترض على بعض التعديلات الشكلية التي لا تتلم جوهر المحتوى الأصلي. وأشكره أيضاً على ملاحظاته على الترجمة. وكل خطأ أو نقص فإنه مني بالتأكيد.



# THE FOUNDATIONS OF THE OLD ARABIC – NEO ARABIC DICHOTOMY

JONATHAN OWENS

---

Translated by: Mohamed Wahidi

Moulay Ismail University Meknes, Morocco

medwahid66@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0006-1321-7278>

## ABSTRACT

The Old- New Arabic dichotomy has been a foundational concept in Arabic language studies since the mid-20th century. Key scholars like Brockelmann and Bergsträsser contributed significantly to this framework. Brockelmann characterized Arabic through terms like "Old Arabic" and "Neo Arabic," linking them to poetic language and dialects. Bergsträsser viewed Old Arabic as equivalent to Classical Arabic, suggesting a linear development to Neo Arabic. The dichotomy remains debated, with questions about its linguistic validity and historical context. The main thesis of the paper argues against the rigid Old- New Arabic dichotomy, proposing that the linguistic traits distinguishing Old Arabic from Neo Arabic are often shared and that the transition between them is not as clear-cut as traditionally assumed. It emphasizes the need for a more nuanced understanding of Arabic's historical development, suggesting that both Old and Neo Arabic may share a more complex relationship than previously recognized. The main finding in the study is that nearly all suggested differences between Old Arabic and Neo Arabic should be significantly relativized, as they represent a collection of prototypical characteristics of a reconstructed Proto-Neo-Arabic that likely never existed.

**Keywords:** history of Arabic, old Arabic, Neo-Arabic, dialects, linearity.

تُعَدُّ ثنائية قديم- جديد إحدى الفرضيات المسلّم بها في تأويلات تاريخ اللغة العربية منذ منتصف القرن العشرين إلى الوقت الحاضر. هكذا فإن علماء أمثال فُك Fück (1950)، وفيرغسن (1959) Ferguson، وإبلاو (1969، 1981، 1985) Blau، وفيشر وجاسترو (1980) Jastrow and Fischer، وبيلامبي (1985) Bellamy، وُوف (2010) Knauf، وربما هيث (2015: 12) Heath قد سلّموا بوجود ثنائية قديم- جديد، وبأنها تحتاج فقط إلى توضيح كي تظهر للعيان.

من أجل ذلك يبدو مناسباً أن ننظر بتفصيل إلى اثنين من العلماء الذين كان لهم دور فعال في ترسيخ هذه الثنائية في النصف الأول من القرن العشرين، وفي مقدمتهم بروكلَمَن Brockelmann (1908) وبرجشتريسر Bergsträsser (1928). في الفترتين 1 و2 سألخص أولاً مقاطع مختارة من العملين، لكن من بروكلَمَن أكثر من برجشتريسر (الفقرة 3)؛ لأن بروكلَمَن كان له السبق، كما أن كتابه الشهير *Grundriss* أكثر تفصيلاً من كتاب برجشتريسر *Einführung*. في الفترتين الأخيرتين 4 و5 سألخص الموضوعات.

### 1. بروكلَمَن: الأساس التصوري

تروم هذه الفقرة الأولى تلخيص التصور العام عند بروكلَمَن للغة العربية ضمن الساميات. وتبرز هنا المفاهيم الرئيسة الآتية: «السامية الأم» *Ursemitisch*، و«العربية القديمة» *Altarabisch*، و«العربية الجديدة» *Neuarabisch*، و«لغة الغناء» *Liedersprache*، و«لغة الشعر»، و«لغات القبائل»، و«العربية المعيار» *Hocharabisch*، و«العربية الكلاسيكية» *Arabisch klassisches*. تُستدعى هذه المصطلحات لوصف الكيانات اللسانية التاريخية التي يخصّص بها بروكلَمَن اللغة العربية. سأركّز في هذه الفقرة على ملخصه للعربية ضمن اللغة السامية الوارد في (1908: 21-26). يعترف بروكلَمَن بمفهوم السامية الأم، على الرغم من أنه حذّر في إضفاء فكرة الشيء الملموس عليها.

(ق)تباس 1: بما أن الساميين كانوا لا يزالون يشكلون شعباً واحداً، فلا بد أنهم كانوا يتحدثون لغة مشتركة؛ إذ لا توجد لغة متداولة *Umgangssprache* في منطقة كبيرة نسبياً غير مقسمة بالفعل إلى لهجات. (1908: 4)

Als die Semiten nun noch ein Volk bildeten, müssen sie auch eine gemeinsame Sprache geredet haben. Freilich gibt es keine wirkliche

Umgangssprache in einem einigermaßen ausgedehnten Gebiete, die nicht schon in Dialekte gespalten wäre.

ثم يمضي في تنبيهه (وقد سبق أن ناقشناه في أوز 9/2006: 38-44، وخاصة 43-44).

ق2: عندما نتحدث فيما يأتي عن السامية الأم فإن الأمر يتعلق بالطبع بشيء متخيّل. فنحن لا نتوهم أنه يمكن عبر مقارنة اللغات الفردية أن نتمكن، ولو من بعيد، من إعادة بناء أمّها الأولى المشتركة، بل إن ما نفترض أنه أشكال سامية- أمّ ليست إلا صيغا تجسد فهمنا لمعارفنا الحالية عن تطور اللغات الفردية والعلاقات المتبادلة بينها. (1908: 4, 5)

es natürlich erst recht eine Fiktion, wenn wir im folgenden vom Ursemitischen reden. Wir geben uns nicht einmal mehr der Illusion hin, daß es möglich sei, durch Vergleichung der einzelnen Sprachen ihre gemeinsame Urmutter auch nur mit annähernder Wahrscheinlichkeit zu rekonstruieren. Was wir als ursemitische Formen aufstellen, das sind gewissermaßen nur Formeln, in denen wir den gegenwärtigen Stand unserer Erkenntnis vom Werdegang und dem gegenseitigen Verhältnis der einzelsprachlichen Erscheinungen zum Ausdruck bringen.

وهكذا كانت فكرة اللغة الأم بالنسبة إلى بروكلمن قصة ملائمة تتيح للمرء جمع قُدر كبير من المواد المقارنة داخل إطار منسجم.

من الناحية المنهجية، يجدر ملاحظة جانب آخر في فكر بروكلمن. سيظهر ذلك لاحقا في كتابه Grundriss عندما يعلق بإيجاز على المنهجية اللسانية التاريخية. يبدو هنا أنه كما لو أنه يرفض المنهجية المقارنة التي اتبعها في هذا الكتاب، حيث يمكن أن تطبّق إعادة البناء حتى لو لم يوجد تاريخ مكتوب للنوعات المقارنة.

ق3: إذا كان هدف الوصف النحوي وصف لغة واحدة فقط، فإن عليه أن يكتفي بوصف بسيط، يخدم على نحو كافٍ الأهداف العملية، لكنه لا يستطيع إرضاء الرغبة في تفسير الوقائع المعروضة. ولن يتطور الوصف البسيط إلى تفسير للظاهرة داخل اللغة الواحدة إلا إذا أمكن ملاحظة تطور أطول كما هو شأن اللغة العربية على سبيل المثال حيث لا يُنظر إلى اللغة الكلاسيكية فقط، بل أيضا إلى تطورها في العصور الوسطى وما تلاها من اللهجات الحديثة. (1908: 34)

Die grammatische Darstellung einer einzelnen Sprache muß sich, wenn sie sich auf diese beschränkt, fast ganz mit einer reinen Beschreibung begnügen, die daher wohl praktischen Bedürfnissen ausreichend dienen, den Wunsch nach einem Verständnis der vorgeführten Tatsachen aber meist kaum befriedigen kann. Nur wo es möglich ist, innerhalb einer und derselben Sprache eine längere Entwicklung zu überblicken, wie z. B. beim Arabischen, wenn man nicht nur die klassische Sprache, sondern auch ihre Fortbildung im Laufe des Mittelalters und ihre Ausläufer in den modernen Dialekten ins Auge faßt, wird die bloße Beschreibung zu einer Erklärung der Erscheinungen fortschreiten können.

هناك فقرة مهمة سأتناولها في نهاية هذا القسم، لكنني أقتصر الآن على المقاطع التي يشرح فيها بروكلمن بالتفصيل الكيانات اللغوية التاريخية التي يعرف بها العربية. يصف بروكلمن في فصله التمهيدي الموجات الديموغرافية المختلفة التي تمثل دخول اللغات السامية المختلفة إلى الأفق التاريخي للشرق الأوسط. وقد كانت العربية آخر هذه الموجات. بيد أن تحديد تصوره للغة العربية أصعب مما تتخيل. فهو لا يبدأ في تقديمه للغة العربية بتوصيف لساني، بل يستحضر ما يعدُّ خاصيتها الجوهرية، أي: أنها «لغة الغناء» *Liedersprache* أو «لغة الشعر» *Sprache der Poesie* أو «لغة الشعراء/ اللغة الشعرية» *Dichtersprache*. يرى بروكلمن هنا أن العربية هي الذروة الثقافية للثقافة السامية التي تمثل «قمة تطور اللغة السامية» (*Höhepunkt aller Semitischen Sprachentwicklung*). (1908: 23)

واضح أن بروكلمن يحيل باللغة الشعرية على الشعر الجاهلي الغني. لكن، من منظور لساني تاريخي، يثير ذلك مشكلات. فلغة الشعر تتألف من مدونة كبيرة للشعر الجاهلي وصدر الإسلام الأول، بيد أنه لا يوجد في أي مكان نحو لهذه اللغة، كما سنوضح ذلك لاحقاً. وهكذا يفترض بروكلمن وجود كيان معياري يستحيل تحديد محتواه بشكل مستقل عن المصادر التي تشكل هذا الكيان. علاوة على ذلك، فإن مدونة ما يسمى بالشعر الجاهلي لم تدون في الواقع بشكل نهائي إلا في العصر الإسلامي في وقت متأخر، حيث تُعدُّ مختارات الأصمعي (216/831) من الدواوين الأولى الموجودة التي سنذكر أهميتها فيما بعد.

يصبح ملخص بروكلَمَن أكثر إبهاما عندما يضيف أنه لم تكن هناك لغة شعرية فحسب، بل إنه:

ق4: إلى جانب لغة الأغاني وُجِدَت في شمال الجزيرة العربية لهجاتٌ قبليةٌ لا يقدم لنا النحاة المتأخرون عنها سوى معلومات عابرة. (1908: 24)

Neben der Liedersprache lebten nun aber in Nordarabien auch die Dialekte der Stämme, von denen uns freilich nur die späteren Grammatiker spärliche Kunde geben.

يشير بروكلَمَن هنا إلى أنه يعتمد على رواية تعود إلى القرن السادس عشر (بعد ألف عام من افتراض وجود اللغة الشعرية) للنحوي الشهير السيوطي. يفترض بروكلَمَن أن «لهجات القبائل» كانت موجودة، لكنه يعترف أنه لا يملك فكرة عن شكلها. ينبغي أن نشير إلى أنه لا يربط هنا بين اللهجات القبلية القديمة والعربية الجديدة.

في كل هذا، يغيب بوضوح عن تحليل بروكلَمَن كيف نشأت اللغة الشعرية في المقام الأول. يبدو معقولاً أن نفترض أنها تشبه أساساً النوعة الأصلية نفسها الشبيهة بالسامية الأم التي ألمح إليها أعلاه. ويفسّر هذا بأنه وصّف العربية بأنها لغة حافظت على مخزون صوتي أصلي («*ursprünglichen*»)، ربما لغة سامية أم - لا يذكر بروكلَمَن ذلك، وبأنها تتميز كذلك بأن:

ق5: النظام الصرفي السامي الأم يوجد هنا في أغنى صورته، ويستنفد كل إمكانيات النظام الأصلي تقريباً. (1908: 21)

Das ursemitische Formensystem liegt hier in seiner, fast alle Möglichkeiten der ursprünglichen Anlage erschöpfenden Ausbildung vor.

لكن افتراض تساوي لغة الأغاني والنظام الصرفي السامي الأم يستند إلى استدلال لا يمكن تأكيده صراحة عند بروكلَمَن، وبالتالي لا نملك إلا أن نخمن أصل الكيانات الموصوفة في (1، 2) أدناه.

لم يستخدم بروكلَمَن حتى الآن مصطلحين يمثلان على الأرجح أكثر التسميات انتشاراً اليوم للغة العربية الأدبية، أقصد العربية المعيار *Hocharabisch* والعربية الكلاسيكية. ويظهر هذان المصطلحان، وإن بتردد، بعد خمس صفحات في تحليله للغة العربية، عندما يقيم أخيراً صلة بين اللغة الشعرية والعربية الكلاسيكية.



ق6: غَدَت [العربية الكلاسيكية: م و]، حتى بعد ظهور الآداب القومية بين الشعوب المغزوة، اللغة الأدبية الشائعة؛ حيث فرضت نفسها في المجالات العلمية إلى اليوم. في هذا الأدب، كانت العربية الكلاسيكية هي السائدة من حيث المبدأ، أي: أساساً لغة الأغاني القديمة مع مفردات تتلاءم مع الظروف الجديدة. (1908: 24)

Es ward die gemeinsame Literatursprache, die auch nach dem Aufkommen nationaler Literaturen bei den unterworfenen Völkern auf wissenschaftlichem Gebiete sich zum Teil bis heute allein behauptet hat. In dieser Literatur herrschte im Prinzip das klassische Arabisch, d. h. im wesentlichen die alte Liedersprache mit einem den veränderten Verhältnissen angepaßten Wortschatze.

في الصفحة نفسها يتحدث عن «عربية معيار» (غير محددة) شكّلت نموذجاً لإعراب القرآن إعراباً تاماً.

قام بروكلمن بتجميع الكيانات المتنوعة التي قدمها في مواضع مختلفة من ملخصه التاريخي للغة العربية (26-21: 1908)، وقد عمل في ملخصه هذا أساساً على بناءين «عربيين». يحتاج أولهما إلى أن يُعاد بناؤه انطلاقاً من عرضه في مواضع مختلفة. (1) لغة الشعراء (Dichtersprache) = لغة الشعر (Sprache der Poesie) = العربية الكلاسيكية (klassisches Arabisch) = العربية المعيار (Hocharabisch).

(2) لغات القبائل (Stämme der Dialekte)

يقترح بروكلمن في موضع معين:

ق7: إن مفرداتها [لغة الشعر، Dichtersprache] ثرية ثراءً غير عادٍ؛ لأنها تغذت من مصادر جميع اللهجات الشعبية الخاصة. (1908: 23)

aller Quellen den aus er da reich außerordentlich ist Wortschatz Ihr .wurde gespeist Volksdialekte einzelnen

يعني ذلك حسب تأويل معين أن العربية الكلاسيكية ليست إلا خليطاً من اللهجات الفردية. على هذه القراءة، تكون (1 و2) متغيرات أسلوبية. وعلى المنوال نفسه، ربما يحيل بروكلمن على وجه التحديد إلى مفردات اللغة الشعرية. ومهما يكن من أمر، تظل مسألة مصدر (1 و2) قائمة، سواء نُظِر إليها من زاوية أجزائها المنفردة أو بوصفها كلاً أسلوبياً متكاملًا.

في النهاية، يبدو مربكا إلى حد ما أن نضطر إلى بذل مثل هذه الجهود التأويلية فقط من أجل تعقب الكيانات اللغوية الرئيسة كما في (1، 2)، في دراسة عن اللسانيات التاريخية. بيد أن غياب مناقشة كيائين آخرين يثير تساؤلات أكثر جدية.

الأول هو غياب الإشارة إلى فضل النحاة العرب على بروكلمن، وكل اللغويين المشتغلين باللغة العربية من أي اتجاه، بله الاعتراف بذلك. فعندما ينبري بروكلمن لوصف العربية بين اللغات السامية (الفقرة 2 أدناه) لا يعتمد لا على لغة شعرية ولا على لغة الأغاني، بل يعتمد إلى حد كبير على أعمال النحاة.

لكن الأمر اللافت أكثر هو غياب توصيف للمفهوم الجوهري *Altarabisch*، أي: العربية القديمة. ففيما يخص (1، 2)، شمل هذا المفهوم بالتأكيد اللغة الشعرية، وبالتالي العربية الكلاسيكية، وربما اللهجات القبليّة أيضاً. وقد يكون لنا عذر في افتراض أن العربية القديمة كانت مصطلحاً جامعاً يشمل كلتا النوعتين. ومن ثم، يحق لنا أن نسأل هل تصوّر بروكلمن (1) و(2) بوصفهما كيائين مرتبطين تاريخياً، وكيف فعل ذلك. تقودنا الأجوبة إلى عدد من الاتجاهات.

أولاً، ما سكتت عنه صياغة بروكلمن على النحو الذي أوّلت به هنا هو أن الكيانات في (1) لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن تُربط بعلامة التساوي (=). فلغة الشعر هي بناء مُفترض<sup>(1)</sup>. (1) - رُغم أننا نعلم بوجودها ولدينا إمكانية الوصول إلى العديد من القصائد، فمن المستحيل أن نستخلص من هذه المصادر شيئاً شبيهاً بالعربية الكلاسيكية من حيث هي بناء نحوي كامل. وتواجهنا قضية مماثلة فيما يُسمى بالعربية الوسطى (انظر مناقشتنا لذلك أوّز 4.2، 2023). كما سبقت الإشارة إلى ذلك آنفاً، فإن التوثيق الكاملة الأولى للغة الشعر *Dichtersprach*، في شكلها المادي (الديوان المجموع)، متأخرة على الأنحاء المفصلة للنحاة (سيبويه على الخصوص). وهكذا فلكي تكون لغة الغناء *Liedersprache* أو لغة الشعر *Dichtersprach* المصدر الرئيس للمعطيات في فهمنا للعربية القديمة، يلزمنا، من منظور زمني، أن نسقط رجوعاً (أوّز 2013: 458) كيائناً

(1) هناك أيضاً مصادر قديمة أخرى يذكرها بروكلمن. فالمصادر الأقدم، وهي كتابات النقوش، لا توفر تفاصيل كافية عن اللغة، أي: أنها ليست 'غنية' على الخصوص (انظر لمزيد من التفاصيل، أوّز 2023، الفصل 4)، علاوة على ذلك، تحتاج الأدلة المستمدة من اللغات المساعدة، ولا سيما اليونانية، إلى تعامل حذر. على أي حال، لم يكن بروكلمن في عام 1908 (أو قبل ذلك) قادراً على الوصول إلا إلى جزء ضئيل من المادة الموجودة في هذين المصدرين التي تتوافر لدينا اليوم. للاطلاع على الوضع الإشكالي للعربية الوسطى، انظر (أوّز 2023، الفقرة 2.4).



-مدونة الشعر الجاهلي- بوصفها مصدرا لكيان آخر، العربية الكلاسيكية، الذي عرفه سيبويه قبل جيل، ودون اللجوء بشكل أساس إلى التراث الشعري<sup>(1)</sup>. (2)- من المعقول أكثر أن نفهم أن المجال العادي للنحو الأساس، الممثل في لغة لهجات القبائل وغيرها، هو الذي سرّع تدوين تراث أدبي متطور لاحقاً.

ثانياً، يُعدّ وضع اللهجات القبلية إشكالياً بالقدر نفسه نظراً إلى ارتباطه بمصدر ملموس لعربية ما قبل الإسلام. من جهة، يُشير بروكلمن نفسه إلى ضعف الإشارات المادية إلى هذا المصدر في التراث النحوي. وبدقة تامة، عندما يُشير بروكلمن إلى التنوع في العربية القديمة، يُحيل على مواد من سيبويه وغيره من النحاة (على سبيل المثال 1908: 160، 166، 167، 171، إلخ). في بعض الحالات (مثلاً، 1908: 152) تكون هذه أشكالاً لهجية قديمة (مثل لغة تميم)، ولكنها في كثير من الحالات تكون ببساطة أمثلة على أوجه التنوع المتعددة، وهو واقعٌ يُجسّد حدّة الملاحظة لدى النحاة العرب (انظر مثلاً الكتاب، 2: 455-480 للاطلاع على الصور المتعددة للإدغام/ المماثلة).

يبدو أن بروكلمن يحاول سد الفجوة بين اللغة الشعرية/ اللغة الكلاسيكية عالية الأسلوب، والتنوع الواضح الموجود في أماكن أخرى<sup>(2)</sup>.

ق8. بيد أنه في الحياة اليومية، كان من الطبيعي في ذروة ازدهار الثقافة العربية أن يتسع مجال لهجات القبائل، حتى مع حرص المثقفين على استخدام الأسلوب الكلاسيكي في الكلام. (1908: 25)

Im täglichen Leben aber konnte es natürlich schon in der Blütezeit der arabischen Kultur nicht ausbleiben, daß die Stammesdialekte immer mehr Boden gewannen, wenn auch die Gebildeten sich klassischer

(1) يلخص بعلبكي (2008) وكارتر (2004) إحصاءات ويقدمانها حول مصادر مختلفة - الشعر (1050 بيتاً)، والقرآن (447 آية)، والحديث (8 أحاديث) من شواهد الكتاب. هناك إجماع على أن هذه المصادر ساعدت في تمثيل إيضاح عرض سيبويه قواعده النحوية، ولكنها في الغالب لم تحده بطريقة دالة. على سبيل المثال، يتحدث بعلبكي (2008: 213) عن الشواهد، أو «الأمثلة الشعرية»، باعتبارها «أمثلة توضيحية» لمسألة نحوية معينة. يشرح بعلبكي أن الأمثلة المختلفة استشهد بها في صور متنوعة، أحياناً شعرية، وأحياناً مقتبسة من القرآن، وأنها تمثل «محاولة لإثبات قابلية تطبيق القواعد النحوية قيد المناقشة على مختلف أنواع التعبير التي يعترف بها» (2008: 38).

(2) رُغم أنه لا يسعنا هنا أيضاً إلا أن نخمن سبب كتابة بروكلمن لهذا. فيما يخصنا، لا يسهم هذا بشكل مباشر في الجواب عن مسألة مصدر العربية القديمة والشكل الذي صارت إليه.

Redeweise beflissen.

ولكن هذه الصياغة تترك عددا من القضايا اللسانية التاريخية معلقة. لماذا «بشكل طبيعي»؟ من المؤكد أن بروكلمن يستعين بمعايير معيارية تعود إلى أوائل القرن العشرين، التي تحتاج على الأرجح إلى تحليل عميق لفهم تفكيره. في اللغة الألمانية، هل هيمنت اللهجات المحلية في نهاية المطاف في القرنين التاسع عشر والعشرين في مقابل لغة ألمانية معيار *Hochdeutsch* مُمَعَيَّرَة؟ في الوضع الحالي، تفتقر الصياغة إلى محتوى. على أي حال، لا يملك بروكلمن معطيات يمكن الاشتغال عليها، ولا يقدم بالتأكيد أي معطيات، فزخارفه البلاغية في أحسن الأحوال ليست إلا غطاء يخفي نقصاً في الجوهر الإمبريقي.

علاوة على هذا، يُناقض بروكلمن صياغاته الخاصة. فقد سبق أن قال صراحةً إن اللغة الشعرية *Dichtersprache*، «وُجِدَت فقط بوصفها لغة غناء (Liedersprache als nur existierte)» (1908: 23). فهي سجل أسلوبِي. بيد أنه حسب منطق لسانيات السجلات، فقد وُجِدَت دائماً لغة تداول يومي (*Umgangssprache*). التأويل الوحيد السخّي الذي يمكن أن نقدمه لبروكلمن هنا هو أنه قصد أن السجل الشعري أصبح أقل استخداماً. ومع ذلك، فمن غير المنطقي أن نفهم أنه قد حلت محله نوعية لطالما تعاش معها. وأخيراً، رُب سائل يسأل: «الحياة اليومية»؟ كيف كانت الحياة اليومية للعربية المنظوقة في القرن الثامن؟

في النهاية، لا يذهب بنا كل هذا النقاش بعيداً في الجواب عن السؤال: ما أصل العربية القديمة، وكيف تطورت - إن كانت قد تطورت بالفعل - إلى العربية الجديدة. لذا، يمكن إعادة صياغة (1، 2) على النحو التالي (3). تصورياً، هناك ثلاثة كيانات. ربما ارتبط الأوّلان بتقابل أسلوبِي. أما الكيان الثالث، (عربية قديمة) ع ق - (عربية جديدة) ع ج، فهو قائم الذات.

(3) أ. لغة الشعراء (*Dichtersprache*) = لغة الشعر (*Poesie der Sprache*) =  
العربية الكلاسيكية (*Arabischklassisches*) = العربية المعيار (*Hocharabisch*).

ب. لغات القبائل (*Stämme der Dialekte*)

ج. عربية قديمة (ع ق) عربية جديدة (ع ج)

صحيح أنه، كما ذكرنا آنفاً، من المنطقي أن تتكون العربية القديمة عند بروكلمن من (3 أ، ب). ولكن يجب أن نشدد على نقطة هنا هي أن هذا الربط ليس من صنع

بروكلمن نفسه. لذا، من الناحية الإجرائية، يقتضي الحذر أن نشير إلى أنه لا يمكن توصيف ثنائية عربية قديمة - عربية جديدة إلا عبر استخدام مصطلحي Altarabisch - Neuarabisch، في كتاب Grundriss نفسه، وأن علاقتهما ب (3 أ، ب) غير محددة. سنقوم بهذا عندما نتناول طريقة بروكلمن الفعلية للوصف في الفقرة التالية.

سأنهي هذه الفقرة بملاحظة مخيبة للآمال نوعاً ما. بعد محاولة فك تشابك وتنظيم الطرق المتنوعة التي وصف بها بروكلمن الكيانات التاريخية العربية، خلص إلى أن الأسئلة الرئيسة لا تزال مفتوحة في النهاية. ومع ذلك، يُعبر بروكلمن عن نفسه بوضوح شديد عندما يُلخص أولاً العلاقة بين الكيانات في (3) وأصلها في اللغة السامية، وثانياً الكيانات في (3) وتجلياتها في الدول اللاحقة. تُرجم الاقتباس ذو الصلة في بداية هذه الفقرة (ق 3). لا يقتضي المقام تكرار سوى فقرة رئيسة واحدة (المكتوبة بخط مائل).

**ق9.** كما هو شأن اللغة العربية على سبيل المثال حيث لا يُنظر إلى اللغة الكلاسيكية فقط، بل أيضاً إلى تطورها في العصور الوسطى وما تلاها من اللهجات الحديثة. (1908:34)

wie z. B. beim Arabischen, wenn man nicht nur die klassische Sprache, sondern auch ihre Fortbildung im Laufe des Mittelalters und ihre Ausläufer in den modernen Dialekten ins Auge faßt,

يُعبّر بروكلمن هنا بوضوح لا لبس فيه عن فكرتين جوهريتين في تأويلنا للغة العربية. أولاً، يقسم العربية الآن، بطريقة تُذكرنا بوضوح بفليشر (Fleischer 1854: 156)، إلى نموذج تطوري ذي ثلاثة أطوار: العربية الكلاسيكية، والعربية الوسطى، واللهجات الحديثة. لا شك هنا في أن هذه الكيانات الثلاثة مرتبطة بوصفها حالات متعاقبة، أي: أن بروكلمن يُقرّ هنا بالخطية. ثانياً، لا يتحدث عن العربية القديمة، وإنما عن العربية الكلاسيكية بوصفها الحالة التاريخية الأساس للغة العربية. وهذا يؤكد (1) أعلاه حيث يزعم أن اللغة الشعرية/ لغة الأغاني تُعادل العربية الكلاسيكية. ورب قائل يقول: ما العلة وراء هذا الجهد الكبير في هذه الفقرة لفك تشابك الفروق الدقيقة المختلفة في تحليل بروكلمن المتشعب وغير المترابط إلى حد ما لكياناته التصورية في خصوص العربية الأولى؟ أليس من الواضح هنا أن العربية القديمة هي بالفعل العربية الكلاسيكية، وأن العربية الكلاسيكية هي السلف المباشر للعربية الوسطى، والسلف الأعلى للهجات العربية الحديثة؟ نبرر ذلك من جهتين. أولاً، لعل الأمر قد صار الآن واضحاً تماماً أن

بروكلمن نفسه قدّم كيانات متعددة دون أن يأخذ أبداً وقته لتجميع النوعات العديدة التي وصفها. والعديد منها لم يُذكر إلا مرة واحدة. وهذا هو الحال هنا: العربية الكلاسيكية -العربية الوسطى- اللهجات الحديثة. لكن هل هذه الثلاثية هي ما قصده بروكلمن منذ البداية نموذجاً تاريخياً، لا نملك غير التخمين<sup>(1)</sup>. ثانياً، ما زلنا نحتاج جواباً عن السؤال المفتاح حول ثنائية عربية قديمة-عربية جديدة. ومثل المسألة السابقة، لا أعتقد أننا قادرون على توفير إجابة شافية عنها. وكما هي الحال مع ملخص المفاهيم الذي ناقشناها أعلاه، فإن هذا ليس إلا لغزاً آخر يتعين على المختصين بالدراسات العربية والسامية التفكير فيه.

## 2. القديم والجديد طوران في تاريخ اللغة

بعد التقديم التمهيدي، يبدأ بروكلمن تحليلاً مطولاً ومفصلاً للسانيات مقارنة للسمات الفردية لجميع اللغات السامية في الصفحة 39. سأسلط الضوء في هذه الفقرة على تطبيق بروكلمن للمفاهيم التي نوقشت آنفاً على حالات فردية بعينها. تشمل دراسة بروكلمن للصواتة والصرافة في السامية مجلدين. يسير في كل موضوع فردي على المنوال البسيط نفسه. تُلخّص كل لغة على حدة، ومعظم اللغات لها نوعات فرعية ولهجات. الترتيب العام المتبع هو العربية، تليها الأثيوبية، والآرامية، والعبرية (السامية الشمالية الغربية)، ثم الأكديّة (الآشورية). تُدرج اللغات الأقل توثيقاً في صنفها الفرعي السلالي. على سبيل المثال، تُعامل الفينيقية مع السامية الشمالية الغربية. عندما توجد معلومات حول المغايرت الفرعية -وغالباً ما يكون هناك الكثير منها- تُدوّن بالتفصيل. المثال أدناه من اللغة العربية نموذجي. سينصب التركيز في هذا العرض الموجز على العربية وعلى

(1) لا يبدو أن ملخص بروكلمن في أي مرحلة في المختصر Grundriss كان متأثراً بشدة بالمسألة المباشرة التي كان يفكر فيها. كان السياق هنا هو المنهجية اللسانية التاريخية، واعتباراً من عام 1908، وبالرجوع مرة أخرى إلى فليشر 1854، كان النموذج الخطي (الفرنسية القديمة، الفرنسية الوسطى، الفرنسية الحديثة) هو النموذج المقترح. في وقت سابق، كان تفكيره موجهاً نحو الكيانات الثقافية، ولغة الشعر والأغاني. لقد فرضت العربية الكلاسيكية بوصفها كيانا لغويًا نفسها على هذا التفكير، لكن على مريض. وكما تكشف ملاحظاته العجّلة حول المنهجية اللسانية التاريخية (انظر أعلاه)، فإنه لم يكن ليضّيع الوقت في القضايا اللسانية التاريخية الميتا-نظرية.

الكيفية التي يقدم بها بروكلمن مفهوميته الرئيسين: العربية القديمة، و«اللهجات الأحدث» («Dialekte neuere») أو «اللهجات العربية الجديدة» («Dialekte neuarabische»). سألخص ثلاث فقرات من الصّواتة، وثلاثاً من الصّرافة (Formenlehre).

#### الصّواتة

(4) أ. الهمزة

يبدأ وصفه للأصوات المفردة بالكتابة عن الهمزة. كتب يقول:  
في العربية القديمة، يُحافظ دائماً على البداية الحركية الثابتة (الوقفة الحنجريّة=الهمزة).  
(1908:47)

«Im Altarab. ist der feste Vokalabsatz stets erhalten».

من ناحية أخرى، في اللهجات العربية الجديدة، يُستغنى تماماً عن البداية الحنجريّة لصالح إطالة الحركة.

«In den neuarab. Dialekten ist der feste Absatz durchweg unter Ersatzdehnung des Vokals aufgegeben.»

(4) ب. الحلقيّات

استبقت العربية القديمة من السامية الأم الحلقيّات: ء، ع، وح؛ والطبقيّات: ق، خ، وغ، باستثناء بعض حالات المماثلة بين ح وه، وبين ع وغ، التي استبقيت في الانتقال إلى اللهجات الأحدث. (1908:120)

«Im Altarabischen sind die ursemitischen Laryngale ʔ, ʕ, und h, und die Velare ɣ, x und q rein erhalten, abgesehen von einigen Fällen kombinatorischen Wechsels zwischen h und h, ʕ und ɣ und so durchweg auch in die neueren Dialekte übergegangen.»

لاحظ بروكلمن أن التحول \*غ ← ع قد حدث فقط في لهجة دثينة اليمينية (اليمين الجنوبي سابقاً) وفي المالطية، وأن التغير \*خ ← ح موجود أيضاً في المالطية.  
(4) ج. المماثلة

يشير بروكلمن إلى /ن/ ثّمائل دائماً الصامت الذي يليها س-

تحدد هذه المماثلة في العربية القديمة وفقاً لما يمليه النسق. (173:1908)

«Im Altarab. wirkt dieser Assimilation meist der Systemzwang entgegen.»

يبدو من أمثله أنه يفهم من «Systemzwang» مماثلة /ن/ لصامت زيني يليها (أن لا ← أَلَا). في اللهجات العربية الحديثة، «هذه المماثلة أكثر انتشاراً» (diese greift sich um weiter schon Assimilation، مثلاً: بُنْتُ ← بَتِّ). في هذه الفقرة، يتناول بروكلمن المماثلة بوصفها مقولة مشتركة بين العربية القديمة والعربية الجديدة، مع اتساع نطاق سيرورات المماثلة في الجديدة.

العربية القديمة: مماثلة /ن/ مقيدة بالجهر (الرينية).  
العربية الجديدة: تماثل /ن/ فئة أوسع من الصوامت.

### الصَّرَافَة

(4) د. ضمير الشخص 2 المفرد المنفصل «أنت»: أَنْتَ / أَنْتَا، أَنْتِ / أَنْتِي (مذكر/ مؤنث)

الصائت الأخير الطويل الأصلي في العربية يكون دائماً قصيراً. (1908:300)

«Im Arab. erscheinen die ursprünglichen Längen des Auslauts schon stets als Kürzen.»

سيضيف بروكلمن بعد ذلك وقائع فردية ترتبط بالعربية الجديدة: في اللهجات الغربية، مثل العربية الإسبانية، قد يغيب التباين بين المؤنث والمذكر، وفي بعض اللهجات، مثل لهجة مدينة الجزائر يمكن إطالة الصائت الأخير بواسطة مقطع، مثل إِنْتَايَا وَإِنْتِييَا. أما في لهجة ماردِين (الأناضول)، فيتخذ الضمير لاحقة المفعول، أَنْتِ - يَكْ (أَنْتِيكْ/ أَنْتِ)، وَأَنْتِ - كِي (أَنْتِيكِي/ أَنْتِ).

(4) هـ. الإعراب

يعلق بروكلمن بالقول: «لا توجد الحالة الإعرابية المكانية في العربية إلا في الظروف قبل، وبعد، وفوق، وتحت». (1908:462). لا يمكن أن يقصد بالعربية إلا العربية القديمة؛ إذ إن هذه الصور ليست موثقة في غير العربية الكلاسيكية. ولا يرد ذكر للهجات العربية الجديدة في هذا السياق.

وعندما يناقش بروكلمن الإعراب بتفصيل لاحقاً، يؤوّل الإعراب بأنه كان موجوداً، ولكنه يُنقَد دائماً عند الوقف («gingen verloren ständig Pausa der In»). لاحقاً، سيُنقَد الإعراب تماماً في اللهجات العربية الجديدة («Dialekten neueren den In» «vollständig sie sind» (1908:462)).

(4) و. لاحقة المكتمل للغائبة (3. ث. فد)



كان بروكلمن مُقتضبا.

لاحقة الغائبة المفردة: العربية والأثيوبية، -ت-؛ (اللهجات) العربية الجديدة جزئيا، -ت- (et-)، -ت-؛ المهرية، الآرامية المشتركة، -ت- ... (1913: 571).  
يُفهم من «جزئيا»، جزئيا -ت-، جزئيا -ت-، رغم أنه لم يذكر ذلك صراحةً.

غني عن البيان أن ما يهم هنا هو الأسلوب والمنهجية، وليس معالجات الوقائع الفردية. بالنسبة إلى 4 ب، على سبيل المثال، لم يرد ذكر تغيير \*غ ← ق؛ لأن من المحتمل أن بروكلمن لم تُنح له إمكانية الوصول إلى الأعمال التي وصفت هذا التحول. بالنسبة إلى المناقشة التالية، أفترض جدلا أن تمثيل بروكلمن للوقائع صحيح، ويشكل أساس التصنيف التالي. واضح أن بروكلمن يميز باستمرار بين العربية القديمة والعربية الجديدة طوال وصفه. يتحدث على سبيل المثال عن الانتقال من العربية القديمة إلى العربية الجديدة عندما يكتب (4 ب أنفا) «استُقيت في الانتقال إلى اللهجات الأحدث» («durchweg auch in die neueren Dialekte übergegangen»)، ويشكل عام، يمثل القديم حالة سابقة للنوعات الجديدة (neurere Dialekte). فتصنيفه خطي، من القديم إلى الجديد.

بيد إنه إذا تفحصنا الأمر بتفصيل، فإن أوصافه الفردية غالبًا ما تكون غير خطية. في أمثلتنا الستة، اثنان منها واضحان. يصف (4 أ) فقدان الكامل للهمزة في الانتقال من القديم إلى الجديد، وتوَوَّل الحالة (4 هـ) كذلك على أنها موجودة في العربية القديمة، ومفقودة في العربية الجديدة.

بيد أن ضمائر الشخص الثاني المفرد المنفصلة تنتقل سليمة من «القديم» إلى «الجديد» (نضع علامات اقتباس هنا، لعدم وجود أساس لغوي للثنائية). يبدو أن بروكلمن يفترض الحركات الأخيرة الطويلة الأصلية، على الرغم من أنها تحولت إلى قصيرة في طور العربية الأم المشتركة.

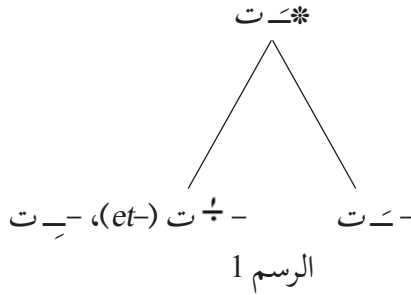
توضح الأمثلة الثلاثة الأخرى مغالطة كناية الجزء عن الكل (1). هناك تحول من

(1) عرضنا في أُونز (2023، الفصل 1) لمجموعة من المغالطات. نضيف إليها هنا مغالطتين أخريين هما:

(أ) مغالطة أن الكيانات الثقافية كيانات لغوية. في الواقع -قد يجادل البعض في ذلك- لا يمكن أن نستخدم لغة الغناء، التي تشكل المثال النموذجي للعربية القديمة عند بروكلمن، بوصفها كيانا لغويا تاريخيا تُشتق منه الحالات اللاحقة. إن كيفية توصيف العربية الكلاسيكية مسألة

العربية القديمة إلى العربية الجديدة، ولكن الصورة الأصلية في ع ق تنتقل إلى ع ج.  
(5) العربية القديمة العربية الجديدة

\*ع غ  
تقييد مماثلة /ن/ بالجهر (الرينية) مماثلة /ن/ بفثات أوسع من الصوامت  
لاحقة الغائبة في المكتمل: -ت -ت -ت، -ت (et-)، -ت  
من منظور لساني تاريخي، يمكن تمثيل كل ذلك بوصفها انقسامات *splits* (انظر  
أونز 2023، 5.1، الرسم 5.1)، حيث يتم صون عضو العربية القديمة في الانقسام في  
العربية الجديدة (الرسم 1):



تأكيداً للنقطة موضوع النقاش، من المستحيل إضفاء محتوى لساني تاريخي على  
التحول قديم-حديث، حيث لم يحدث في معظم الحالات أي تحول لغوي، أو إنه  
حدث فقط في بعض النوعات التي لم يفسرها بروكلمن في الغالب (1) في التحليل  
النهائي، فإن القاسم المشترك الوحيد بين كل هذه التحولات قديم-حديث قاسم زمني.  
تأتي النوعة القديمة في فترة زمنية سابقة للنوعة الجديدة.  
بالتأكيد، تمثل الكيفية التي نسق بها بروكلمن الكم الهائل من المواد مورداً رائعاً

معقدة، ناقشناها بتفصيل في (2023، الفصل 4، 3.2.4). ولكن أقل ما يقال إنه لغريب أن الشكل  
الذي مهد للعربية الكلاسيكية، التي تشكل في نهاية المطاف الكيان الذي يستخدمه بروكلمن  
فعالاً في نحوه الوصفي، يُقدّم عبر نوع محدود وطقوسي من الشعر والأغاني. (ب) مغالطة  
أولية الكتابة. كما يوضح الاقتباس ق3، لا يمكن ممارسة اللسانيات التاريخية المقارنة على  
أساس داخلي للغة في تأويل بروكلمن إلا إذا كانت موثقة على مدى قرون في الكتابة. على هذا  
الأساس، ستكون معظم المعطيات باطلة.

(1) على سبيل المثال، إذا كان -ت في العربية الجديدة استمراراً لـ-ت في العربية القديمة،  
فمن أين جاءت -ت (et-) و-ت؟ هذه اللاحقة جزء من مركب التثنية (انظر المناقشة في  
أونز 2023، الفصل 5، 5.2.3.5).

لتأويل تاريخ العربية. وإذا كان همنا فقط التحقق مما تغير أو لم يتغير، فإن كل شيء موجود، بقدر المعارف التي كانت متاحة في 1908. علاوة على ذلك، يحتاج الحكم النهائي على إسهامه إلى كتابة تاريخ اشمل للسانيات التاريخية في الحقبة الحاسمة بين عامي 1850 و1900. بيد أن ثراء المعطيات الأولية في المختصر Grundriss لا يمكن إيضاحها على نحو دال عبر البناء الافتراضي الرئيس عربية قديمة-عربية جديدة.

### 3. برجشتريسر

سنتقل إلى عملاق آخر من علماء اللغات السامية، غوتهلّف برجشتريسر، الذي يعد كتابه «المقدمة في اللغات السامية» (Einführung in die semitischen Sprachen) (1928) مقدمة جيدة للغات السامية الفردية. وبينما نظم بروكلمن وصفه على أساس موضوعاتي، حيث يُلخّص الموضوع لكل لغة على حدة، يخصص برجشتريسر فصولاً فردية للغات منفصلة، بدءاً من الأكديّة وانتهاءً بالعربية. وهذا يضيف عرضاً أكثر إحكاماً من المختصر، ولكنه يستلزم المزيد من العمل لمقارنة المظاهر الفردية لنفس الظاهرة اللغوية. ثلاث من اللغات قُسمت على أساس ثنائية قديم-جديد، مع تخصيص فصول منفصلة لكل واحدة منها. يتعلق الأمر بالآرامية القديمة والجديدة، والإثيوبية القديمة والجديدة، والعربية القديمة والجديدة. في كل حالة، تكون النوعات الجديدة نوعات معاصرة، على سبيل المثال، آرامية معلولا (سوريا)، والتيجرية والأمهرية بالنسبة إلى الإثيوبية واللهجات الحديثة بالنسبة إلى العربية. لا يناقش الأساس المنهجي لهذه الثنائية، باستثناء ملاحظة أن هذه لغات حية (1: 1928). وللكتاب وظيفة بيداغوجية مفيدة؛ إذ يتضمن في نهاية كل فصل نماذج من النصوص المكتوبة باللاتينية. العربية القديمة (134-155: 1928) تليها العربية الجديدة (180-155: 1928).

في الفصل المخصص للعربية القديمة *Altarabisch*، لا يقترح برجشتريسر أي تعريف، ولا يتحدث عن تنوعها الداخلي. فكلها تندرج جنسياً تحت تسمية *Altarabisch*. واللافت للنظر أنه يُدرج في أمثلة نصوصه في نهاية الفصل (147: 1928) آية من القرآن. وعربية القرآن تُعدّ أحياناً نوعاً منفصلاً من العربية القديمة. لكننا لا نستطيع أن نحمل اختيار نص واحد أكثر مما يحتمل. ولا نعرف حقيقة فكره اللساني التاريخي التصنيفي إلا عندما يُناقش العربية الجديدة.

يبدو أن برجشتريسر يفهم ثنائية قديم-جديد على أساس أن هناك طورين لغويين

متعاقبين، وهذا واضح من مقارنته باللغات السامية الأخرى: يُحاكي التطور اللغوي بين العربية القديمة واللهجات الحديثة تغيرات متعددة، شهدتها لغات سامية قديمة أخرى قبل أول توثيق كتابي لها. (1928: 156)

Die Sprachentwicklung die zwischen dem Altarabischen und den modernen Dialekten liegt wiederholt allerlei Veränderungen die andere altsemitische Sprachen schon vor ihrer ersten schriftlichen Fixierung erlitten hatten

فاللهجات العربية تُظهر سمات عديدة مشابهة للأرامية والعبرية. ولكن بينما يُمكن تقييم اتساع التغيرات ومسارها في العربية عبر المقارنة بالعربية القديمة، فإنه في حالة الأرامية والعبرية، يعاد فقط بناء الحالات السابقة.

بيد أن الإسهام الأكبر لبرجشتريسر، كما أشرنا إلى ذلك في أو نز (2023، 3.3.1)، هو أنه اتخذ خطوة تصورية لسانية تاريخية مهمة في إعادة تعريف العلاقة بين العربية القديمة والعربية الجديدة بوصفها علاقة بين أطوار لسانية، حيث تشتق العربية الحديثة من مصدر موحد (التشديد مني).

نحن على دراية بوجود اختلافات لهجية مع اللغة الكلاسيكية منذ عصر العربية القديمة، بالرغم من استحالة إعادة بناء اللهجات الفردية. اللهجات العربية الجديدة مشتقة من صورة موحدة، كانت قريبة من اللغة الكلاسيكية، ثم افرقت عنها في تفاصيل جزئية. (1928: 156)

Schon aus altarabischer Zeit kennen wir eine Fülle dialektischer Abweichungen von der klassischen Sprache wenn es auch unmöglich ist einzelne bestimmte Dialekte im Zusammenhang zu rekonstruieren. Die neuarabischen Dialekte gehen im großen ganzen auf eine einheitliche Grundform zurück die im allgemeinen der klassischen Sprache nahestand in Einzelheiten von ihr abwich.

بيد أن برجشتريسر لم يُفصّل للأسف القول في ماهية هذا المصدر ولا شكله اللغوي. مع ذلك، وبشكل أوضح من بروكلمن، تبدو العربية القديمة معادلة للعربية الكلاسيكية، التي تُمثل الأساس المقارن لتحديد التطور التاريخي للهجات.



رُغم أن برجشتريسر أكثر إيجازاً ودقة من بروكلمن، كنا نتمنى أن تكون مناقشته أكثر تفصيلاً. مثل بروكلمن، يقر برجشتريسر -لم يُقدّم في المقدمة *Einführung* سوى القليل من الإيضاحات الضرورية- باللهجات العربية القديمة، ومثل بروكلمن، لا يشير صراحةً إلى كون العربية الحديثة مُشتقة من هذه الأشكال اللهجية القديمة. ولكننا إجمالاً مقتنعون أكثر أن برجشتريسر يؤمن بتطورٍ خطيٍّ من العربية القديمة = العربية الكلاسيكية إلى العربية الجديدة. يُشير برجشتريسر إلى إمكانية أن يكون التنوع بين القديم والجديد مُعرّفاً بابتكار أو ابتكاراتٍ مشتركة. ومع ذلك، لا تزال هناك قضايا عالقة: وضع اللهجات العربية القديمة، والشكل الموحد لسلف العربية الجديدة وسماته، والكيان الذي انبثقت منه، إن كانت قد انبثقت بالفعل من كيان واحد.

تجدد الإشارة إلى أن برجشتريسر يرى أحياناً، بطريقة تُذكرنا بفولرز (Vollers 1892)، (1906)، في اللهجات بقايا من السامية القديمة تخلت عنها العربية الكلاسيكية. ومن هذه السمات التثنية، التي يبدو أنه يتعرّف شكلين في العربية الأصيلة (لا يتحدث هنا عن السامية الأم)، أحدهما بالكسرة يَكْدُرُون والآخر بالفتحة يَكْدُرُون (160: 1928). وهذا يتفق تماماً مع المعالجة المُقترحة في أو نز (5.2.3.5، 2023)، على الأقل في عدم تصور أن بديل الكسرة (كما يفعل فرغسون) لا يمثل تجديداً. بيد أن برجشتريسر لا يُطور هذا المنظور بشكل مُتسق، نحتاج دراسة مُفصلة لأمثله في هذا الصدد لنفهم إلى أين وصل تفكيره في المسألة. بالتأكيد لم ير في هذا أي تناقض بين تسمية «جديد/ نيو» وافترض بقايا سمات أثرية في هذه المقولة، وهو لا يعالج القضية بوصفها قضية منهجية مهمة.

#### 4. هل لتسميتي «العربية القديمة والعربية الجديدة» فائدة لسانية تاريخية؟

نجيب عن السؤال المطروح في هذه الفقرة بالنفي (انظر أو نز 2023 للتفصيل). بعد الدراسة المفصلة لبروكلمن، أعتقد أنا نستطيع أن نتبيّن السبب. المشكلة الأساس هي أن الانشغال الرئيس عند بروكلمن يبدو أنه كان إجراء فهرسة شاملة للسمات الصوتية والصرافية الفردية لمجموع اللغات السامية. وقد نجح في ذلك بشكل مثير للإعجاب. لكن الذي لم يكن يشغل باله هو التفكير النقدي في دلالة هذه المجموعة الرائعة من الوقائع بالنسبة إلى تاريخ اللغة العربية، فضلاً عن القضايا العامة للسانيات التاريخية. لقد كان واضحاً في هذا الخصوص: اللسانيات التاريخية، بمفهوم اللغة الأم المركزي، تخيل ملائم، ملائم في حالة بروكلمن لتنظيم كم كبير من المعطيات في أصناف سهلة

الإدراك. عندما نرى الأمر من هذا المنظور، فإن عدم وجود مصطلح دقيق للوصف الذي يقدمه ليس مفاجئاً. فهو يستطيع أن ينتقل بحرية في العربية بين لغة الأغاني، واللغة الشعرية، والعربية الكلاسيكية، والعربية المعيار. ويستطيع، على نحو غير ملائم، أن يقدم تفسيرات عرضية للعربية العامية، حيث يتحدث عن نوعية مفترضة من القرن التاسع لا توجد عليها معطيات دالة. فاللغة العربية تُعرّف انطلاقاً من الجنس الأدبي الذي تجسده. ولا ينقذ مصطلح «اللهجات القبلية» (ق 4) الموقف؛ لأنه في نهاية المطاف لا يحدد الكيان الذي يثوي خلف المصطلح، ولا من أين جاءت «لغة الغناء» *Liedersprache*. ويترك لخيال القارئ أن يحدد الشكل الذي تطورت إليه. في مرحلة ما، يعترف بتطور خطي واضح للعربية من حالة عربية كلاسيكية قديمة إلى عربية وسطى وصولاً إلى اللهجات الحديثة (ق 3، ق 9). ومع ذلك، يبدو هذا المقطع يتيماً في سياق مناقشة منهجية اللسانيات التاريخية، ولم يُدمج أبداً في المناقشة السابقة حول مفهوم العربية الأكثر تحديداً ثقافياً. لكن الأهم من ذلك كله هو أن العلاقة بين هذه المصطلحات المختلفة والمفهومين التصنيفيين الرئيسيين، العربية القديمة والعربية الجديدة، لم يذكر أي من ذلك ببساطة.

تعد مقدمة Einführung برجشتريسر شاهداً على أن دراسة اللغات السامية قد حققت تقدماً كبيراً منذ صدور كتاب Grundriss. فقد صار في الإمكان تقديم ملخصات نحوية موجزة بصورة دورية، حيث تسمح العينات التمثيلية بتقديم الفروع الرئيسة للسامية بشكل موجز. وإذا كانت الأوصاف البنيوية هي محور الاهتمام الأكبر، فقد كان من السهل إدراج استقراءات تاريخية مثيرة للاهتمام. وفي هذا الصدد، قدم برجشتريسر تصوراً لغوياً للكيانات اللغوية التاريخية ذات الصلة بتاريخ اللغة العربية أکفى بكثير: العربية القديمة = العربية الكلاسيكية؛ أما العربية الجديدة بوصفها صنفاً من اللهجات فقد حُصِّصت (على الأرجح) باختلاف مشترك مع العربية القديمة. في العربية الجديدة يمكن العثور على بقايا سامية أقدم. ومع ذلك، لا يزال الانتقال اللغوي من العربية القديمة إلى العربية الجديدة غامضاً عند برجشتريسر، حيث يُفترض وجود تجديدات تحدد العربية الجديدة الموحدة ولكنها غير مذكورة.

على أنه ينبغي أن أكون واضحاً في مسألة، مهما كنا نقديين تجاه بروكلمن وبرجشتريسر، اللسانيين التاريخيين، فإنه لا ينبغي أن نتجاهل معرفتهما الواسعة وعلومهما وأهميتهما لفهمنا اللغة العربية، وهي ما تزال واردة إلى يومنا هذا (انظر على سبيل المثال

أونز 2021، 492، الهامش 13 حول تفكير بروكلمن في تاء التانيث -ت بوصفها علامة صنف *marker class*). ولكن بروكلمن قد كتب قبل أكثر من 100 عام، وكتب برجشتريسر قبل أقل من 100 عام. وكلاهما يستحقان سياقاً أوسع في تاريخ اللغة العربية واللسانيات السامية والتاريخية. في سياق علمي مختلف، قد لا يثير الوصف الموضوعي لفكر بروكلمن اللغوي الكثير من الجدل. ولكن في الأدبيات السامية والعربية، لا يزال بروكلمن يُعد حتى اليوم مرجعاً. وهو كذلك بالفعل، لكن مرجعيته تكمن في تجميعه الواسع للوقائع التي عرضها في صيغة سهلة الفهم. من وجهة نظري، يعد مسؤولاً بالقدر نفسه عن ترسيخ فكرة أن اللغة العربية تشتمل على طورين لغويين، العربية القديمة والعربية الجديدة. ونظراً إلى أهمية هذه الخطاظة التصنيفية، سيكون ضرباً من الإهمال ألا ينظر إليهما أي عمل عن تاريخ العربية نظرة نقدية.

على سبيل التلخيص، يمكن القول إن ثنائية قديم-جديد لم تُصنَّ تصورياً من البداية على نحو دقيق لسانياً، ولم تُطوّر أبعادها اللغوية المقارنة بشكل كافٍ، وكانت رهينة افتراضات حول كيانات ثقافية عربية بقدر ما كانت تستند إلى المحتوى اللغوي، وقُدِّمت بوصفها قطعة من أحجية مع قطع أخرى - لغة الأغاني *Liedersprache*، العربية الكلاسيكية، اللغة المتداولة *Umgangssprache*...- على الرغم من أن بروكلمن تخلّى في النهاية عن هذه الأحجية ولم يقيم بتجميعها أبداً. في النهاية، عندما تُطبّق هذه المصطلحات عملياً، فإنها تدعم قائمة مثيرة للاهتمام، وإن كانت في أغلب الأحيان غير مفسّرة، من الحقائق الفردية التي لا يزال تأويلها اللساني التاريخي الأوسع، في معظم الحالات، دون حل.

##### 5. من بروكلمن إلى الحاضر

إذا أغمضنا الطرف عن أصول ثنائية قديم-جديد في القرن التاسع عشر (على سبيل المثال فليشر 1854 Fleischer)، يمكن وصف تطور ثنائية القديم-الجديد في ثلاث مراحل في القرن العشرين.

(7) بروكلمن: قديم-جديد غير معرّف، ولكنها أداة تصنيفية مفترضة.

برجشتريسر: تمثل ثنائية قديم-جديد طورين؛ الجديد مشتق من كيان موحد (غير معرّف). فيرغسون وبلو وآخرون: تقدّم سمات مملوسة، مما يعطي مضموناً لما يُفترض أنه الكيان الموحد.

يتخلل ذلك اعتراف أحياناً ضعيف وأحياناً صريح بأن العربية القديمة والعربية الكلاسيكية يشكّان كياناً تاريخياً واحداً. قدّمنا في أونز (2023) رؤية مختلفة جذرياً. لا توجد حزمة دالة من السمات التي تفصل بين العربية القديمة والعربية الجديدة (1). السمات التي تظهر في العربية الحديثة توجد في كثير من الأحيان في العربية القديمة، والسمات المحددة في العربية القديمة تنتقل إلى العربية الجديدة. الانقسامات التي يحتمل أنها تحدد العربية القديمة والعربية الجديدة كما في الرسم 1 تظل غالباً دون تفسير، الأمر الذي يجعلنا نفترض أن سمات العربية الجديدة يمكن أن يُعاد بناؤها في «العربية القديمة». انطلقت أدبيات الدراسات العربية التي نعمل على تأويلها هنا من كيانات مفترضة: توجد عربية قديمة وعربية جديدة: فما خصائصهما؟ المنظور البديل أن ما نعرفه عن العربية واللسانيات التاريخية يجعل النموذج التعاقبي ذا الطورين غير كافٍ.

### بيبلوغرافيا

- Bellamy, J. (1985). A new reading of the Nemara inscription. *JAOS* 105(1), 31–51.

(1) من المفيد أن نورد نقد بنشيت وفويدش (2005: 11) Behnstedt and Woidich اللاذع نوعاً ما لخصائص فيرغسن الأربعة عشر التي يعرف بها الانتقال إلى «العربية الجامعة (الكوينة)». «بناءً على نتائج الأبحاث الحديثة، ينبغي أن تُنسب إلى حد كبير كل الفروق المذكورة... فالأمر يتعلق بمجموعة من السمات النموذجية التي لا تنطبق إلا على لغة عربية جديدة أم أعيد بناؤها، على الأرجح لم توجد قط».

Aufgrund neuerer Forschungsergebnisse sind fast alle aufgeführten Unterschiede erheblich zu relativieren ...Es handelt sich also um eine Sammlung prototypischer Merkmale, die nur für ein rekonstruiertes ProtoNeuarabisch angesetzt werden, das so vermutlich nie existiert hat. كما في أونز 2023 (وأيضاً أونز 1998 ج، 2006) فإن السمات الأربعة عشر التي حددها فيرغسون قسماً. سمات يزعم أنها ترد فقط في طور «قديم» موثقة في العصور «الجديدة»، بينما لا تشمل التحولات التي يفترض أنها تعرف الانتقال إلى طور جديد إلا جزءاً من النوعات «الجديدة». قد يتوافق افتراض وجود مصدر موحد للهجات العربية مع منهجية لسانية تاريخية معينة، ولكنه يتعارض مع اللسانيات التاريخية للجماعات اللغوية المتفرقة التي تشكل مدخلات لهذا المصدر.

- Behnstedt, P. and M. Woidich. (2005). *Arabische Dialektgeographie*. Brill.
- Bergsträsser, G. (1928 [1977]). *Einführung in die semitischen Sprachen*. Wissenschaftliche Buchgesellschaft.
- Blau, J. (1969). Some problems of the formation of the Old Semitic languages in the light of Arabic dialects. In *Proceedings of the International Conference on Semitic Studies* (38–44). Israel Academy of Sciences and Humanities.
- Blau, J. (1981). *The emergence and linguistic background of Judaeo-Arabic* (2nd edition). Ben Zvi Institute.
- Blau, J. (1985). On some Arabic dialectal features paralleled by Hebrew and Aramaic. *The Jewish Quarterly Review*. 76(1), 5–12.
- Brockelmann, C. (1908/1913). *Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen*. Olms.
- Carter, M. (2004). *Sibawayhi*. Oxford University Press.
- Fleischer, H. 1(854). *Kleinere Schriften*. Biblio Verlag.
- Ferguson, C. (1959). Diglossia. *Word* 15(2), 325–340.
- Fischer, W. and O. Jastrow (eds.). (1980). *Handbuch der arabischen Dialekte*. Harrassowitz
- Fück, J. (1950). *Arabiya: Untersuchungen zur arabischen sprach- und stilgeschichte*. Akademie-Verlag.
- Heath, J. (2015). D-possessive and the origins of Moroccan Arabic. *Diachronica* 32(1), 1–33.
- Knauf, Ernest. (2010). Arabo-Aramaic and ṢArabiyya: From ancient Arabic to early standard Arabic. In A. Neuwirth, N. Sinai, and M. Merx (eds.), *The Qur'an in context* (197–254). Brill.
- Owens, J. (1998a). Case and Proto-Arabic (part I). *BSOAS* 61(1): 51–73.

- Owens, J. (1998b). Case and Proto-Arabic (part II). *BSOAS* 61(2): 217–27.
- Owens, J. (2003). Arabic dialect history and historical linguistic mythology. *Journal of the American Oriental Society* 123(4): 715–740.
- Owens, J. (2006/2009). *A linguistic history of Arabic*. Oxford University Press.
- Owens, J. (2013). History. In Jonathan Owens (ed.), *The Oxford handbook of Arabic linguistics* (451–471). Oxford University Press.
- Owens, J. (2023). *Arabic and the case against linearity in historical linguistics*. Oxford University Press.
- Vollers, K. (1906 [1981]). *Volkssprache und Schriftsprache im alten Arabien*. Oriental Press.

# الهندسة المتوازية في اللغة وفي غيرها<sup>(1)</sup>

راي جاكندوف<sup>(2)</sup>

ترجمة: سرور الحشيشة

جامعة صفاقس، تونس

hachichalinguistique@gmail.com

[http:// ORCID: 0009-0003-0709-1179](http://ORCID:0009-0003-0709-1179)

## الملخص

الهندسة المتوازية هي تصوّر لانتظام التمثيلات الذهنية المشاركة في اللغة، ولدور اللغة في الذهن باعتباره كلاً. وطرحها الأساسي هو أنّ التمثيلات اللغوية تعتمد على ثلاثة أنظمة توليدية مستقلة هي الأبنية الصوتية والإعرابية والدلالية، يضاف إليها نظام من الروابط الوجاهية، من خلاله يتواصل بعضها مع البعض الآخر. وتكون الكلمات على وجه الخصوص بمثابة روابط وجاهية جزئية تحكم الطريقة التي تتألف بها في جمل جديدة. وقد تبين أنّ هذه الهندسة المتوازية توفر كذلك طريقة طبيعية لتفسير قدرتنا على التحدث عمّا نراه، إذ يجب أن تتواصل البنية الدلالية في اللغة عبر روابط وجاهية مع مستوى التمثيل الفضائي يشفر فهم العالم المادي. ويُقترح أنّ تكوينات من هذا القبيل من تمثيلات مستقلة ولكن مترابطة، هي سمة للعرفان واسعة الانتشار.

الكلمات المفتاحية: الهندسة المتوازية، كلمة، دلالة، تركيب، صوتية، بصر، موسيقى، منظومية.

(1) عنوان المقال الأصلي باللغة الإنجليزية هو:

The Parallel Architecture in Language and Elsewhere, Ray Jackendoff, Topics in Cognitive Science, published by Wiley Periodicals LLC on behalf of Cognitive Science Society, 2023, 1-10.

وهو جزء من مسألة:

«Parallelism in the Architecture of Language,» Giosuè Baggio, Neil Cohn and Eva Wittenberg (Topic Editors).

(2) راي جاكندوف: مركز الدراسات العرفانية، جامعة تافتس Tufts University. قسم الدماغ والعلوم

العرفانية، معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا Massachusetts Institute of Technology



# THE PARALLEL ARCHITECTURE IN LANGUAGE AND ELSEWHERE<sup>(1)</sup>

RAY JACKENDOFF<sup>(2)</sup>

---

Translated by: Sourour Hachicha

Sfax University, Tunisia

[hachichalinguistique@gmail.com](mailto:hachichalinguistique@gmail.com)

<http://> ORCID: 0009-0003-0709-1179

## ABSTRACT

The Parallel Architecture is a conception of the organization of the mental representations involved in language and of the role of language in the mind as a whole. Its basic premise is that linguistic representations draw on three independent generative systems—phonological, syntactic, and semantic structures—plus a system of interface links by which they communicate with each other. In particular, words serve as partial interface links that govern the way they compose into novel sentences.

It is shown that this architecture also provides a natural way to account for our ability to talk about what we see: semantic structure in language has to communicate via interface links with a level of spatial representation that encodes understanding of the physical world. It is suggested that such configurations of independent but linked representations are a widespread feature of cognition.

**Keywords:** Parallel Architecture; Word; Semantics; Syntax; Phonology; Vision; Music; Modularity

---

(1) Topics in Cognitive Science 00 (2023) 1–10. © 2023 The Author. Topics in Cognitive Science published by Wiley Periodicals LLC on behalf of Cognitive Science Society.

This article is part of the topic «Parallelism in the Architecture of Language,» Giosuè Baggio, Neil Cohn and Eva Wittenberg (Topic Editors).

(2) Center for Cognitive Studies, Tufts University. Department of Brain and Cognitive Sciences, Massachusetts Institute of Technology.

الهندسة المتوازية هي نظرية موحدة للتمثيلات الذهنية المعنية بها الملكة اللغوية، وتفاعلاتها مع الذهن في مجموعه. وأحسب التمثيلات الذهنية «أبنية للبيانات» في الدماغ، تنشئ على نحو جماعي فهمنا للعالم، وتجربتنا له. إن أساس هذه المقاربة هو أنه يجب على الدماغ أن يبني العالم كما نفهمه ونعانيه. (1) وينشئ مسرّدنا من التمثيلات الذهنية الأبعاد التي يجري فيها هذا البناء. ويُفترض أن يكون للكائنات الحية المختلفة مسارد مختلفة من التمثيلات الذهنية تمنحها عوالم مبنية بناء مختلفا. وتنظم التمثيلات الذهنية التي تسند اللغة في ثلاثة مستويات من التمثيل أساسية هي: البنية الصوتية أو بنية الصوت، والبنية التركيبية أو التحوية (بما في ذلك الصرف أو نحو الكلمات)، والبنية الدلالية أو التصورية. وترتبط هذه المستويات بعضها ببعض من خلال وجاهات أشير إليها في الرسم 1 بالأسهم ذات الرأسين.

R. Jackendoff/Topics in Cognitive Science 00 (2023)

Phonological structure ↔ Syntactic structure ↔ Conceptual structure

Phonological structure = بنية صوتية، syntactic structure = بنية تركيبية،  
conceptual structure = بنية تصوّرية.

الرسم البياني 1. مخطّط الهندسة المتوازية

والجملة بموجب هذا التصور ثلوث من الأبنية الصوتية والتركيبية والتصورية الجيدة التكوين، ذات الروابط الجيدة التكوين خلال الوجاهات. وقد طوّرت على نحو تفصيلي ثلاثة مكونات كبرى هي: التركيب الأيسر (Culicover, 2013, Culicover & Jackendoff, 2005) والصرف العلائقي (Booij, 2010; Jackendoff & Audring, 2020) والدلالة التصورية. (Jackendoff, 1983, 1990, 2002, 2007) وتعلّق النظرية اللسانية أولاً وقبل كل شيء ببنية التمثيلات الذهنية التي تسند اللغة، وانتظامها. ولكن بالإضافة إلى ذلك، ينبغي لنظرية التمثيلات الذهنية لغة أن تُدمج طبيعياً في النظرية اللسانية النفسانية التي تتعاطى مع الكيفية التي يستفيد بها إنتاج اللغة وفهمها من التمثيلات الذهنية للغة، وأن تقيم روابط مع نظرية لاكتساب اللغة، لمعرفة كيف يبني متعلّمو اللغة التمثيلات الذهنية المتعلقة باللغة في سياق محيطهم. وتقيم الهندسة المتوازية روابط طبيعية مع نظريات المعالجة والاكساب (Jackendoff & Audring, 2020, chapter 7; Huettig, Audring, & Jackendoff, 2022)

وينبغي من الناحية المثالية أن يكون كل هذا مؤيداً بنظرية في الحوسبة العصبية، تبين كيف تشفر الخلايا العصبية في الواقع التمثيلات الذهنية والعمليات التي تستفيد منها. وأنا لا أعني بالحوسبة العصبية أين تحدث بعض العمليات اللغوية في الدماغ، ومسارها الزمني فحسب، بل أعني كيف تقوم الخلايا العصبية بذلك في الواقع. كيف يختلف صوتا الكلام /b/ و /p/ في الدماغ؟ ما الذي يجعل تجميعية عصبية واحدة معرفة الكلمة [«كلب» dog] وتجميعية أخرى معرفة الكلمة [«قط» cat]؟ كيف تشابه «dog» و«dog hot» جزئياً في الدماغ؟ وما إلى ذلك. لا أعتقد أننا نعرف بعد كيف نجيب عن هذه الأسئلة. ولكن أعتقد أن النظرية اللسانية مهمة لعلم الأعصاب، لأنها توضح ما عسى أن يكون تفسيراً للتحقق العصبي للغة في النهاية مسؤولاً عنه. ولننظر، حتى نكون أكثر واقعية، في كلمة [«قط» cat]. فالكلمة تشفر في جميع المستويات الثلاثة من التمثيل. وتعين كل نظرية لسانية هذه المكونات الثلاثة بطريقة أو بأخرى.

(1) الدلالة: قط 1 CAT1

التركيب: N 1

الصوتية: /koet/ 1

N = س.

إن دلالة الكلمة هي متصور القطط، مهما يكن. ونحن لا نفهم بعد الأبنية التصورية فهما جيداً، ولكن يُشار إليها عادة بالحروف التاجية بدلاً. وتشفر كلمة [«قط» cat] في التركيب بوصفها اسماً، وتشفر في الصوتية بوصفها النطق /koet/. إن ما يجعل (1) هي كلمة [«قط» cat]، هو كون الأبنية الثلاث متصلة بواسطة «روابط وجاهية» ظاهرة أشير إليها في كل بنية بالرقم المستغل 1. (2) ويمكن اعتبار الأرقام المستغلة ممثلة لنقاط نهاية خطوط الارتباط بين الأبنية الثلاث. وهي تجعل الكلمة تعمل باعتبارها جزءاً من الوجهات، أي الأسهم ذات الرأسين في الرسم البياني 1. وبموجب هذه الروابط يُنشط سماع الصوت /koet/ البنية الصوتية. ثم يقود الرقم المستغل المصاحب السامع إلى إنشاد التركيب والمعنى. وعندما يريد أحد أن يعبر عن متصور القطط فإنه ينشط البنية الدلالية [قط CAT]، وهي التي تمرر الإنشاد عبر الوجهات إلى النطق. وبعبارة أخرى، تكون الارتباطات بين المستويات، ثنائية الاتجاه.



والمركزي في الهندسة المتوازية هو أنّ كل مستوى من مستويات التمثيل له مسرد مختلف من الوحدات. وتتكوّن البنية الصوتية لكلمة ما من سلسلة من أصوات الكلام أو الصّواتم (الفونيمات) التي تُدمج لتشكيل المقاطع، وتتكوّن الكلمة في العادة من مقطع واحد أو أكثر. ويكون لأصوات الكلام بدورها بنية داخلية مشفرة من حيث السمات المميزة، على نحو ما هو ممثّل في (2).

$$(2) \text{ ت / t} = [+ \text{صامت، - ساكن، - مجهور...}]$$

فالصّوت / ت / هو صوت انسداديّ، يختلف عن / س / الذي هو ساكن، ويختلف عن / د د / في كونه مهموسا. وتختلف هذه الصّوات الثلاثة عن الصّوات مثل / ae / و / u / وما إلى ذلك. وتظهر إيماءات لغة الإشارة تنظيما مماثلا إلى حدّ ما (Fischer & Siple, 1990).

وتشفر البنية التركيبية للكلمات أقسام الكلام، مثل الاسم والفعل، التي تحكم الطريقة التي تتوالف بها الكلمات في مركّبات وجمل. وتشفر البنية التركيبية التصريف أيضا، على سبيل المثال علامات الجمع والماضي في الإنجليزية، والجنس التحويلي في لغات مثل الفرنسية. ويشمل الصّرف التركيبي داخل الكلمات التركيب الذي فيه يكون اسم من قبيل «football» مركّبا من اسمين أصغر، والصّرف الاشتقائي الذي تكون فيه كلمة مثل «baker» مركّبة من الفعل «bake» مضافا إليه لاحقة.

إنّ البنية التصوريّة للكلمات معقدة، وكما ذكرنا سابقا مازال هناك الكثير ممّا يُتعلّم عنها. ومع ذلك، من الواضح إلى حدّ ما أنّ وحداتها الأساسية هي أشياء من قبيل الموضوعات المتصوّرة (غير الحيّة والحيّة) والأحداث، والتصميم الفضائي، والمتصوّرات الأكثر تجريدا مثل العدديّة والاعتقاد والقصد والإلزام والقيمة (Jackendoff, 2007). ويجب أن تشكّل البنية التصوريّة أساسا للإحالة، من ذلك مثلا، القدرة على تسمية شيء يُدرك في سياق العالم الحقيقي على أنّه قطعة. ويجب أن تشكّل البنية التصوريّة كذلك أساسا للاستدلال: فإذا حدّد أحد شيئا ما على أنّه قطعة، يمكن لأحد آخر أن يستنتج أنّه موضوع مادّي حيّ ذو حجم وشكل معيّنين، وأنّه ثدييّ، وأنّه حيوان أليف. ولا يمكن تشفير مثل هذه الاستنتاجات في نظام للسمات مواز لذلك الموجود في الصوتية. وعلى سبيل المثال، من المؤكّد أنّه لا يوجد سمة شاذة مثل [+حيوان أليف]. بل إنّ تحديد حيوان ما على أنّه حيوان أليف يجب أن يعتمد على المعرفة الكونية بالممارسة الاجتماعية. وبصورة أعمّ تبين أنّه من الصعب



ونظرا إلى أنّ هذا هو حدث شراء فإنّ له بالضرورة شخصين آخرين لم تذكرهما هذه الجملة: هما البائع والمال المستبدل. ثم إنّ متصوّر المال شيء معقد آخر مترسخ في الممارسة الاجتماعية (Searle, 1995).

وبالانتقال إلى التركيب، فقد أشير إليه في الرّسم البيانيّ 2 على أنّه شجرة للتّحليل بسيطة ومعيارية تتكوّن فيها الجملة من مركّب اسميّ ومركّب فعليّ، ويتكوّن المركّب الفعلّي من فعل في الزّمن الماضي ومركّب اسميّ آخر يتكوّن من محدد واسم. وتشتمل الصّوتية على ثلاثة مستويات فرعية، أو طبقات. أسفل الوسط هو الطّبقة القطعية الصّوتية/ المقطعية التي تشقّر تتابع أصوات الكلام وتنظيمها في مقاطع. وفوق ذلك توجد شبكة النّبر التي تسند إلى كلّ مقطع وزنا. فمقطع ب(x) واحد فوقه هو مقطع غير منبور. وإذا كان هناك (2xs) يكون المقطع منبورا، ويشير تجمّع من ثلاثة (3xs) إلى أنّ المقطع المعنيّ يتلقّى النّبر الأساسيّ في الجملة. ويوجد في أدنى الطّبقة القطعية الصّوتية/ المقطعية منحنى تنعيم الجملة، أي النّغم الذي به نطقت. وللتّلقّ المشار إليه في الرّسم البيانيّ 2 وحدتان عروضيّتان فصلتا بأقواس، مع توقّف طفيف بينهما. وتنطق كلّ واحدة منهما بسلسلة من الأجراس الصّوتية العالية والمنخفضة المرتبطة بمقاطع الجملة.

ولكن هناك المزيد عن بنية الجملة. وترتبط مستويات التّمثيل، كما هو الأمر في كلمة [«قطّ» cat]، على النّحو المشار إليه بالأرقام المستفلة. وعلى سبيل المثال لـ[«جيني» JENNY] في مستوى الدّلالة الرّقم المستفل 2، الذي يربطها بالمركّب الاسميّ الأوّل في التركيب، وبالمقطعين الأوّلين في الصّوتية. وعلى نحو مماثل ترتبط كلمة [«دراجة» BIKE] في الدّلالة بواسطة الرّقم المستفل 8 بأخر اسم في التركيب، وآخر مقطع في الصّوتية. والأهمّ من ذلك، أنّه لا يوجد موضع واحد تُدرج فيه الكلمات في الجملة (ما يسمّى «الإدراج المعجميّ» أو «المستوى المعجميّ» للمعالجة). بل تنتشر الكلمات عبر المستويات الثلاثة مترابطة بروابط الوِجاء، فهي بمثابة جزء من الوسائل التي بها ترتبط الأصوات بالمعاني.

ومن السّمات المهمّة في الهندسة المتوازية هو أنّ المستويات لا تتطابق واحدا لواحد. ولننظر إلى الفعل في التركيب. للفعل (ف) العلويّ الرّقم المستفل 5 الذي يربطه بالكلمة [«اشترى» bought] في الصّوتية. ولكن من النّاحية الصّرفتركيبية يتكوّن هذا الفعل العلويّ في الواقع من جزأين، أحدهما هو جذع الفعل الذي

يرتبط بمعنى [«اشترى» BUY] في الدلالة، عبر الرّقم المستقل 4، والجزء الآخر هو تصريف الرّمن الماضي الذي يرتبط بتعبير الرّمن [«ماض» PAST] في الدلالة، عبر الرّقم المستقل 3. وبعبارة أخرى، ليس من الصّوروي أن تناسب أجزاء الصّوتية بصفة مباشرة مع أجزاء الدلالة، والعكس صحيح. وهذا ما يجعل [«اشترى» buy] فعلا غير قياسي. وهذا النوع من الأوضاع واسع الانتشار، وهو واحد من الظواهر التي تجعل اللّغة معقّدة.

نقول لتلخيص ما وصلنا إليه حتّى الآن: إنّ الفرضية العامّة للهندسة المتوازية هي أنّ التّمثيل الذهنيّ للّغة يتكوّن من أنواع مستقلة من المعلومات هي الدلالة، والتّركيب، والطّبقات الثلاث للصّوتية. وهي تصطفّ بعضها مع البعض الآخر (أو لا تصطفّ حسب ما قد تكون عليه الحالة) عن طريق روابط الوجاه، في كلّ من الكلمات والجمل. وتسمّى النظريّة بسبب من شبه استقلال مستويات التّمثيل هذا الهندسة المتوازية. (3)

وتتناقض الهندسة المتوازية مع نظرة التّحو التّوليديّ المعيار، (Chomsky, 1965, 1981, 1995; Hornstein, 2018) حيث المصدر الإبداعيّ الأساسيّ للّغة هو التّركيب الذي منه تشتقّ الدلالة والصّوتية. وربّما كانت هذه الرّؤية للّغة جذابة في مرحلة مبكّرة من اللّسانيّات الحديثة. ولكن قد ثبت من منظور الهندسة المتوازية أنّه خطأ، وهو خطأ أدّى إلى إحداث فجوة بين اللّسانيّات وباقي العلوم العرفانية (انظر خاصّة Culicover & Jackendoff, 2002).

غير أنّني أود، بدلا من الخوض في الاختلافات بين الهندسة المتوازية والتّحو التّوليديّ المعيار، أن أتطرّق إلى مسألة بالغة الأهميّة، لكن (على ما أعتقد) مهملة إلى حدّ كبير، وهي: كيف يمكننا أن نتحدّث عمّا نراه (Macnamara, 1978; Miller & Johnson-Laird, 1975)؟ ويمكننا على سبيل المثال أن نشير إلى شيء ما في المحيط (الخارجيّ)، ونقول [«هذا قطّ» That's a cat]. كيف يتيح لنا معنى كلمة [«قطّ» cat] أن نفعل ذلك؟ وما الذي تقدّمه الهندسة المتوازية، ويكون من شأنه أن يساعد في الإجابة عن هذا السّؤال. والجواب الأوّل هو أنّه يجب أن يكون هناك نوع ما من القناة المعلوماتية بين اللّغة والنّظام البصريّ. وهذا يشكّل تحديا لنظريّة النّظام البصريّ، وللنظريّة اللّسانية كذلك: ما هي طبيعة هذه القناة؟ وما الذي وصله بالصّبط؟ وفي ما يلي بعض الاعتبارات. تحيل اللّغة على القطط، لا من حيث مجموعات

«البيكسل»، ولكن من حيث الأوصاف الثلاثية الأبعاد المتمركزة حول الموضوع، بغض النظر عن المسافة، وزاوية النظر، والإضاءة، أي كل الثوابت البصرية الكلاسيكية التي تدخل في «فهم» الأشياء (Marr)، (2891)، بما في ذلك فهم كون الأشياء لها ظهور غير مرئية، وأنها قد تكون مجوفة، مثل البالونات والحاويات المغلقة. وقد يحجب السياق الفضائي أجزاء من شيء، أو حتى شيئا كاملا، مثل صورة قطّ خلف خزانة كتب في الرسم البياني 3. فإذا كنت تعلم أنه موجود هناك، حتى وإن لم تستطع أن تراه، ستستنتج ما كان يمكنك أن تراه من زاوية نظر مختلفة. وسيُفهم الشيء على أنه هو نفسه سواء أكنت تراه أم لا تراه.



الرسم البياني 3. خزانة كتب خلفها قطّة

ويتطلب هذا النوع من الفهم مستوى من التمثيل يتعد في التجريد عن المظهر الآني إلى تشفير أكثر «موضوعية» للطريقة التي يُرى بها العالم. وسأسمي هذا المستوى «البنية الفضائية». ويمكن في تقريب أوليٍّ عدّه أعلى مستوى للتمثيل في النظام البصري. ومن المحتمل أن يكون هناك مستويات أخرى من التمثيل البصري بين البنية الفضائية والمعلومات الأولية المشفرة في (IV)، وربما يكون ذلك تقريبا على غرار الرسم التخطيطي الأولي، والرسم التخطيطي 2/1 D-2/1 لمار (Marr 2891)، وهي ربما تقسم العمل بين التيارات التكامليّة مثل «نظام-ماذا» و«نظام-أين» (Ungerleider & Mishkin, 1982) ويمكن أن يُعتبر التعرف إلى الوجوه (Kanwisher, McDermott, & Chun, 1997) طبقة إضافية من المعلومات

## الفضائية.

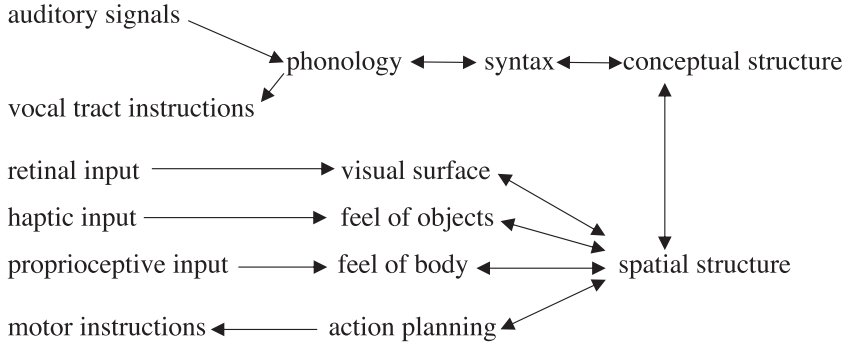
ويشير المزيد من التحقيق إلى أنّ البنية الفضائية لا يمكن أن تكون مجرد تمثيل بصريّ. ويمكن تحديد حجم الأشياء، وشكلها، وتصميمها الفضائيّ عن طريق اللمس، أي من خلال حاسة اللمس. وبالإضافة إلى ذلك تأتي المعلومات بشأن الهيئة الفضائية لجسم المرء من استقبال الحس العميق (Lackner, 1988; Lackner & Dizio, 2000). ويجب أن تكون كلّ هذه الثلاثة البصر، واللمس، واستقبال الحس العميق، مترابطة بعضها مع البعض لفهم ما يجري في الفضاء الماديّ. وتنتمي هذه الوظيفة إلى البنية الفضائية. وفضلا عن ذلك، لا تقتصر وظيفة البنية الفضائية على الإدراك فحسب، بل يجب استخدامها كذلك لتخطيط العمل في العالم الخارجيّ.

كيف ترتبط البنية الفضائية باللّغة؟ يجب، بالأساس، أن يكون هناك تناسب جزئيّ بين البنية الفضائية والبنية التّصوريّة تتوسّطه الرّوابط الّوجاهيّة. وبذلك، لا يشمل التّمثيل الدّهنيّ لكلمة [«قطّ» cat]، على سبيل المثال، أبنية صوتيّة وتركيبية وتصوريّة مرتبطة، فحسب، بل يشمل كذلك جزءا من البنية الفضائية مرتبطا بها، يشفّر (بعبارة تقريبيّة) ما تكون عليه القطط، وكيف هو سلوكها. وهذا الارتباط هو ما يمكننا من تحديد الأشياء التي نسمّيها قططا في المحيط الماديّ، ومن التحدّث عمّا نراه، بصورة أعمّ.

ما هي أنواع الأشياء المتحدّث عنها التي يجب أن تكون حاضرة في البنية الفضائية؟ إنّنا نحدّد أجزاء من الأشياء مثل رأس القطّة وعينيها وأذنيها وقوائمها وذيلها. وندرك ما يمكن أن يسمّى «الأشياء السّلبية» من قبيل الثّقوب والشّقوق والخدوش والأفواه والمناخر. ونحدّد أعمالا مثل الجري والقفز والرّمي والتّسلّق والسّقوط والانزلاق. (4) ونتعرّف إلى أنواع أكثر تجريدا من الكيانات مثل النّهائيات، كما هو الحال في نهاية حبل، أو نهاية طاولة، أو نهاية طريق أو حتّى نهاية محاضرة أو فيلم. باختصار، هناك المئات من الأشياء التي لدينا كلمات لها، والتي على التّمثيل الفضائيّ أن يحدّدها.

ويوضّح الرّسم البيانيّ 4 هندسة النّظام كلّّه. وتوجد في الأعلى الهندسة المتوازية للّغة: أي الصّوتيّة والتّركيب والبنية التّصوريّة. وترتبط النّهائية الصّوتيّة في فهم اللّغة بالإشارات السّمعية، وترتبط في إنتاجها بتعليمات المجري الصّوتيّ. وترتبط النّهائية التّصوريّة بالبنية الفضائية التي ترتبط بدورها بجميع الأنظمة الإدراكية، وتخطيط العمل. وبعبارة أخرى، فهي في المجلد مجموعة من مستويات التّمثيل المتميّزة

المتراطة بروابط الوجهاء.



SENSORIMOTOR

PERCEPTION

COGNITION (THOUGHT)

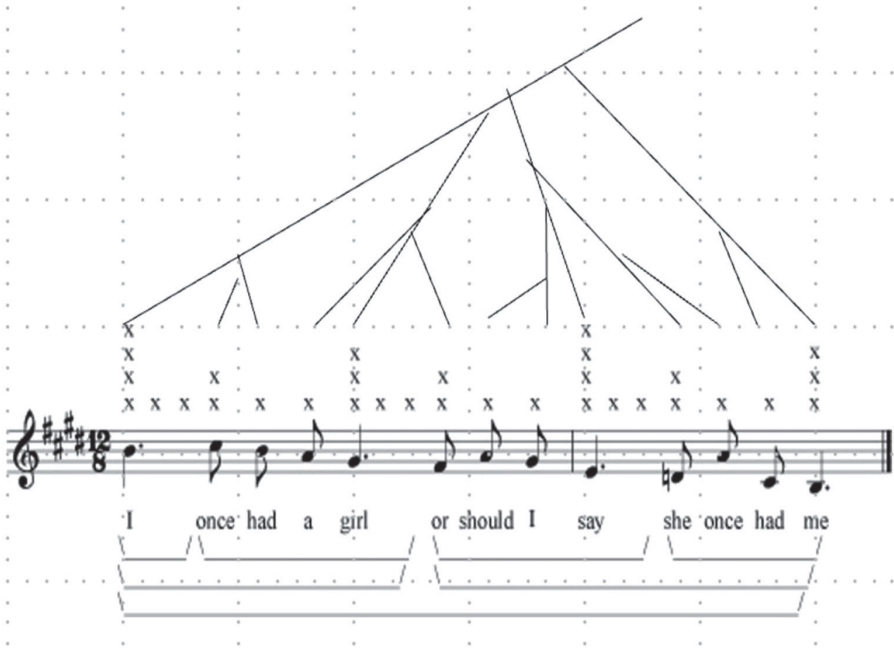
[auditory signals] = إشارات سمعية، [vocal tract instructions] = تعليمات  
 المجري الصوتي، [phonology] = صوتية، [syntax] = تركيب، [conceptual  
 structure] = بنية تصوورية، [retinal input] = دخل شبكية العين، [visual  
 surface] = سطح بصري، [haptic input] = دخل لمسي، [feel of objects]  
 = إحساس بالأشياء، [proprioceptive input] = دخل استقبالي حسي عميق،  
 [motor instructions] = تعليمات حركية، [feel of body] = إحساس بالجسد،  
 [action planning] = تخطيط العمل، [spatial structure] = بنية فضائية،  
 [sensorimotor] = حسي-حركي، [perception] = إدراك، [cognition  
 (thought)] = عرفان (فكر).

الرسم البياني 4. اللغة مضمّنة في الذهن

إذا حذفت الصوتية والتركيب من الرسم البياني 4 تكون النتيجة هندسة محتملة  
 لأذهان الرئيسيات غير البشرية. فمن المرجح أن تفهم القرود العالم المادي إلى حد كبير  
 بنفس الطريقة التي نفهمها بها، مستفيدة من المعلومات البصرية واللمسية والاستقبلية  
 الحسية العميقة، واضعة بذلك خطط العمل. وهناك طريق آخر إلى التمثيل الفضائي  
 يمكن تصوّره، هو تحديد الموقع بالصدى لدى الخفافيش والدلافين. بالإضافة إلى  
 ذلك، تشير القدرات الاجتماعية للرئيسيات غير البشرية إلى أن لديها نظيراً من البنية  
 التصورية، وإن لم يكن غنياً غنى بنيتنا. وهي بطبيعة الحال لا يمكنها أن تتحدث عنه  
 (Cheney & Seyfarth, 2007).

وهناك نظام ذهنيّ مختلف للغاية، طيّع للهندسة المتوازية، وهو الموسيقى. والرّسم البيانيّ 5 هو قطعة مألوفة من موسيقى البيتلز. بإيجاز شديد، يمثل الرّسم البيانيّ 5 وفقا لليردال (Lerdahl) وجاكندوف (3891) أربعة أنواع من الأبنية الموسيقيّة. ففي المتّصف يوجد سلسلة النّوتات مع الجّزس الصّوتيّ والمدّة، مضافا إليهما روابط الوجيه مع كلمات الأغنية. وأسفل سلسلة النّوتات يوجد بنية التّجميع، أي التّمفصل السّلميّ للموسيقى من حيث الدّوافع والمركّبات. وفوق النّوتات تشكيلة من (Xs) تمثّل البنية الوزنيّة السّلميّة للإيقاعات القويّة والضعيفة، مثل شبكة التّبر في الصّوتية. (انظر الرّسم البيانيّ 2). ويوجد فوق ذلك بنية شجرية تمثّل الأهميّة البنيويّة التّسببية للنّوتات، والأنماط الناتجة من الشّد والإرخاء. وباختصار، تُنظّم الموسيقى أيضا من حيث مستويات التّمثيل المستقلّة التي تتضافر من خلال الوجيهات.

R. Jackendoff/Topics in Cognitive Science 00 (2023)



الرّسم البيانيّ 5. الهندسة المتوازية في الموسيقى

وكذلك أنظمة العرفان الأخرى طيّعة للتّوصيف بمصطلحات الهندسة المتوازية. ويربط التّعبير المتعدّد الوسائط المعنى اللّغويّ بالصّور البصريّة لتشكيل فهم موحّد.



(Cohn & Schilperoord, 2022) ويربط الإنجاز الموسيقيّ الفهم البصريّ للتّواتر المكتوبة بالبنية الموسيقيّة من التّوع الموضّح في الرّسم البيانيّ 5، والتي ترتبط بدورها بالتّعليمات الحركيّة لغناء القطعة أو عزفها. وفضلا عن ذلك، تربط الألعاب الأعمال البدنيّة (مثل ركل كرة في المرمى) بـ«مستوى من اللّعبة» مجرد يشقّر مغزى هذه الأعمال صلب اللّعبة (مثل إضافة واحد إلى نتيجة الفريق الذي ينتمي إليه مسدّد الرّكلة)، إذ يعادل تعلّم اللّعبة إنشاء مثل هذه الرّوابط.

وتشكّل رؤية العرفان من هذا المنظور تحديًا كبيرًا لعلم الأعصاب العرفانيّ: كيف يبدع الدماغ كلّ هذه الأبنية والرّوابط بينها، وكيف يخزنها؟ وأيّها نتاج التّطور العرفانيّ - من ذلك مثلا البنية الفضائيّة؟ - وأيّها ابتكار ثقافيّ، من ذلك مثلا قواعد كرة القدم؟ والمعارك بشأن المجال الذي تنتمي إليه اللّغة في هذه الثنائيّة هي بطبيعة الحال جمة. وتوفّر الهندسة المتوازية منظورا لمعالجة هذه الأسئلة العميقة. وآمل أن يقدم هذا المنظور فرصا رائعة للتعاون عبر حدود التخصصات.

#### الهوامش:

1- تعود هذه النّظرة، التي تعتبر أمرا مسلّما به في العلوم العرفانيّة المعاصرة، على الأقلّ إلى Helmholtz، وعلماء النّفس الجشطلتيّين (على سبيل المثال 5391 Koffka و3291 Wertheimer)، وربّما Plato وKant.

2- غالبا ما يشار إلى الارتباط بين المستويات الثلاثة بمعقوفين كبيرين بدلا من الأرقام المستفلة. (على سبيل المثال: HPSG: Sag & Pollard: 4991). و(HPSG) هو مختصر ما يعرف بـ«Structure Phrase driven-Head Grammar».

3- يمكن النّظر إلى كلّ مستوى من مستويات التّمثيل باعتباره منظومة مستقلة بمفهوم Fodor (3691)، وذلك في كونها محدّدة المجال تحديدا قويا. ومن ناحية أخرى، لا يتيح Fodor للمنظومات أيّ طريقة لتتواصل بعضها مع البعض الآخر. وتخدم روابط الوجهاء في الهندسة المتوازية هذه الوظيفة الأساسيّة.

4- تطرح أفعال الأعمال والمتصوّرات الأخرى ذات البعد الزّمنيّ تحديًا مشيرا للاهتمام لنظريّات البنية الفضائيّة: كيف تشقّر في الذاكرة الطويلة- المدى؟ ورغم كون تحديد فعلٍ من الجري أو نغمٍ مألوف يتنامى بمرور

الوقت، لا يمكن أن يكون تمثيل الذاكرة الطويلة-المدى إجراء للعمل في حلقة مستمرة: إذ يجب أن تكون الذاكرة نفسها سكوتية بالأساس (Lashley, 1951).

### المراجع:

- Bolinger, D. (1965). The Atomization of Meaning. *Language*, 41, 555–573.
- Booij, G. (2010). *Constructional morphology*. Oxford: Oxford University Press.
- Cheney, D., & Seyfarth, R. (2007). *Baboon metaphysics*. Chicago, IL: University of Chicago Press.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the theory of syntax*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Chomsky, N. (1981). *Lectures on government and binding*. Dordrecht: Foris.
- Chomsky, N. (1995). *The Minimalist Program*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Cohn, N., & Schilperoord, J. (2022). Reimagining language. *Cognitive Science*, 46, issue 7. <https://doi.org/10.1111/cogs.13174>.
- Culicover, P. W. (2013). *Explaining syntax*. Oxford: Oxford University Press.
- Culicover, P. W., & Jackendoff, R. (2005). *Simpler syntax*. Oxford: Oxford University Press.
- Fischer, S. D., & Siple, P. (1990). *Theoretical issues in sign language research, Volume 1: Linguistics*. Chicago, IL: University of Chicago Press.
- Fodor, J. A. (1963). *The modularity of mind*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Helmholtz, H. v. (1909). *Wissenschaftliche Abhandlungen*,

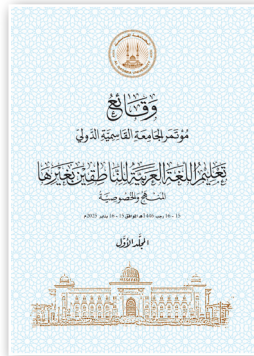
## II.

- Hornstein, N. (2018). The Minimalist Program after 25 years. *Annual Review of Linguistics*, 4, 49–65. Huettig, F., Audring, J., & Jackendoff, R. (2022). A parallel architecture perspective on pre-activation and prediction in language processing. *Cognition*, 224, 1– 15.
- Jackendoff, R. (1983). *Semantics and cognition*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Jackendoff, R. (1990). *Semantic structures*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Jackendoff, R. (2002). *Foundations of language*. Oxford: Oxford University Press.
- Jackendoff, R. (2007). *Language, consciousness, culture*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Jackendoff, R., & Audring, J. (2020). *The texture of the lexicon: Relational Morphology and the parallel architecture*. Oxford: Oxford University Press.
- Kanwisher, N., McDermott, J., & Chun, M. M. (1997). The fusiform face area: A module in human extrastriate cortex specialized for face perception. *Journal of Neuroscience*, 17(11), 4302–4311.
- Koffka, K. (1935). *Principles of gestalt psychology*. New York: Harcourt Brace & World.
- Lackner, J. (1988). Some proprioceptive influences on the perceptual representation of body shape and orientation. *Brain*, 111, 281–297.
- Lackner, J., & Dizio, P. (2000). Aspects of body self-calibration. *Trends in Cognitive Sciences*, 4, 279–288. Lakoff, G. (1987).

Women, fire, and dangerous things. Chicago, IL: University of Chicago Press.

- Lashley, K. (1951). The problem of serial order in behavior. In L. A. Jeffress (Ed.), *Cerebral mechanisms in behavior* (pp. 112–136). New York: Wiley.
- Lerdahl, F., & Jackendoff, R. (1983). *A generative theory of tonal music*. Cambridge, MA: MIT Press. Macnamara, J. (1978). How do we talk about what we see? Unpublished manuscript, McGill University.
- Marr, D. (1982). *Vision*. San Francisco, CA: Freeman.
- Miller, G., & Johnson-Laird, P. (1975). *Language and perception*. Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Pollard, C., & Sag, I. (1994). *Head-driven phrase structure grammar*. Chicago, IL: University of Chicago Press.
- Searle, J. (1995). *The construction of social reality*. New York: Free Press.
- Ungerleider, L., & Mishkin, M. (1982). Two cortical visual systems. In D. J. Ingle, M. A. Goodale, & R. J. W. Mansfield (Eds.), *Analysis of visual behavior* (pp. 549–586). Cambridge, MA: MIT Press.
- Wertheimer, M. (1923). Laws of organization in perceptual forms. In D. Ellis (Ed.), *A source book of gestalt psychology* (pp. 71–88). London: Routledge & Kegan Paul.

# صدر حديثاً





## Guest Editor's Preface

First, I would like to express my gratitude to professor **Hafid Ismaili Alaoui** for giving me this opportunity to be the guest editor of this volume dedicated to Critical Discourse Analysis (CDA); this very trust testifies to the character of this researcher and his keen interest in spreading new knowledge, especially when it comes from young researchers who have been privileged with the access and availability of the Internet and its abundant resources to read and review the newest works in both the Arab and Western world.

Even though the articles of this volume are a result of putting to good use the research done in the Western World on Discourse Analysis, it also confirms the universal nature and objectives of human knowledge, i.e. a means to understand the world and make it better. It is in this context that the approaches of CDA have a role to play since they belong to a modern trend aiming at making use of discursive and linguistic analyses to improve societies; that is to say that the word 'critical' in the title of this field stands for constructively critiquing damaging, manipulating, and power abusing discourses that legitimize inequality, racism, xenophobia, and all other vices in our communities.

Therefore, it is only fair to say that CDA is not concerned with studying the stylistics of literature, rather it is focused on critiquing influential masses discourses in the media, politics, education, everyday conversations, and the likes of which when they impact political decision making, societal interactions, creating individual and group identities, etc. In brief, CDA is not a mere stylistic endeavor or a skill used by researchers to showcase their analytical and linguistic competencies. That is why, the researchers working in this field write in a simple, comprehensible, academic and straightforward style; for the main purpose at sight is to elucidate, sensitize, and liberate.

Indeed, CDA is by nature multidisciplinary. This springs from the established conviction that no one approach could suffice or claim to possess the capacity to provide all the answers when trying to understand text and discourse. It is true that discourse is a text, a sequence of sentences. However, it is also discursive practice, a chain made up of an array of intertextual genres and allusions. Moreover, it is a social practice, an act aiming at influencing the society, be it by reproducing the state of affairs or changing it. Thus, in order to study text, a linguistic theory is

indispensable; and to study the discursive practice pragmatic and literary theories are needed (for example, Mikhail Bakhtin) and a philosophical theory as well (for instance, Michel Foucault); and to study the social practice drawing on theories that are social, political, historical, etc. is necessary. In other words, discourse is multidimensional phenomenon that requires a multidisciplinary approach.

After this concise introduction about the concept of CDA, I move on to a brief overview of the articles included in this volume. It is worth noting here that the participants are mostly PhD students or newly PhD holders, which explains the recency of the contributions and the uniqueness of this work, but it also embodies the growing interest in this field of CDA by a new generation of researchers that drift away from the conventional schools of literary criticism that have been predominant in the Arabic research centers for decades.

#### **The contents of this Volume**

This CDA volume contains sixteen articles divided into six sections. The first is on the relationship between CDA and linguistics. Here, **Abdellatif Albadadi** explained the concept of discourse by referring to linguistic and philosophical perceptions. Thus, his article is indispensable to learn about the evolution of this concept linguistically and philosophically. The second article is by **Bojamaa Ikhijem** who studied the linguistic background of three CDA approaches, the Dialectic-Relational Approach of Norman Fairclough, the socio-cognitive approach of Teun van Dijk, and the Discourse-Historical approach of Ruth Wodak. The researcher traced how these approaches have benefited from linguistic concepts in analyzing texts and unveiling their explicit and underlying meanings. The study in this section is of a practical nature, was carried out by **Kamal Ammi**, who analyzed the speech Benjamin Netanyahu addressed to the Iranian people after the start of the war on Iran. The researcher used concepts from Critical Linguistics in studying the language of this discourse lexically, syntactically and pragmatically while throwing light on the mechanisms of manipulation used in this political speech.

The second section includes two articles on the cognitive trend of CDA. The first is an analysis by **Said Bakkar** of a set of Hassani proverbs on Sahraoui women. The researcher used the approach of Critical Metaphor Analysis to pinpoint the main metaphors that frame how the Sahraoui sees women. His analysis resulted in showcasing some negative connotations attributed to Hassani women. Moreover, and in a pioneering work in academic studies in Arabic, **Khadija Bouzzit** analyzed

the metaphors of love in Moroccan Darija using Critical Metaphor Analysis. In this study, she illustrated how the Moroccan perceives love, the ramifications of this perception, and its impact on the position of Moroccan women and their social status.

The third section is devoted to semiotic trends in CDA as manifested in the recent works on language and images. The first study by **Ibrahim Chokri** analyzes a video ad for an Islamic Bank called ‘Umnia Bank’ from a socio-semiotic perspective. The researcher sheds lights on the use of language, images, narration and argumentation in persuading the consumers of becoming customers of this bank. He also explained the religious connotations utilized by the bank to influence its audience. The second study is by **Mustapha Daou** who investigated the comments of Fawzi Bushra on the fall of three Arab leaders in the Arab Spring, namely Hosni Mubarak, Muammar Gaddafi, and Abdullah Saleh. The researcher used the multimodality approach to disclose the coherence between the language of reports and their images. He also determined the constituents of Fawzi Bushra’s rhetoric in his comments.

The Fourth section comprises three fields in CDA. **Chaymae Elbahtari** studied the evasion strategies in the discourse of the Tech companies (Facebook, Google, Twitter, and Apple) during crises. She brought to light the linguistic tools used by these companies such as semantic vagueness, temporal reframing, collective dissolution, and unspecified referentiality, etc. to rid themselves of responsibility, neutralize the critique, and redirect the public attention. The second exceptional study by **Adelwahab Elkachkouri** studied Critical Language Awareness (CLA) as a concept that goes beyond Language Awareness’. The researcher concludes by urging language teachers to make use of CLA in teaching language and its relation to power and ideology. The third article is by **Emad Abdul-latif** is a study wherein he analyzed some Egyptian fables that accentuate the relationship between the human and power in the popular Arab storytelling. Here, he outlined the rhetorical strategies used by popular storytellers to critique, resist, and disclose power such as: double entendre, symbolism, examples, sarcasm, euphemism, and irony.

The fifth section is composed of three translations. The first is by **Hafid Ismaili Alaoui** for a chapter titled ‘The rapprochement between CDA and cognitive linguistics’ and makes up the sixteenth chapter of Adèle Petitclerc on CDA. This chapter is a rich one for those who are interested in cognitivist trends

of CDA, especially the works advanced by Veronica Koller and Christopher Hart. The second translation was made by **Mohammed Bakkar** for an article by Martin Reisigl titled 'The Historical-Discourse Approach' from the Routledge Handbook of Critical Discourse Studies. This article is important for anyone who is interested in this approach because it details its characteristics, concepts, and how to apply it. The last translation in this volume devoted to CDA is by a hard-working and active researcher in CDA, **Mohammed Saoudane**, who worked on the latest version of Norman Fairclough's approach, which he developed with his wife Isabella Fairclough. The article investigates ethical critique in CDA; thus, it is quite important and insightful for it presents a new perspective to the notion of bias in CDA that is different from the one endorsed by Norman Fairclough's in his previous works.

The sixth and last section as the custom of the journal goes is not related to the main theme, CDA in this case, and it includes a study and two translations. The Study by **Fadoua Jmoula** analyzed the linguistic properties of the names of some prominent figures in the Moroccan Sahara and their significance based on a published dictionary of proper names. She started her analysis by analyzing the sound, morphology, and derivation. **Mohamed Wahidi** translated an article by Jonathan Owens titled 'The foundations of the old Arabic-Neo Arabic dichotomy', which lays out the main differences between old and neo-Arabic. The article suggests revisiting these differences by taking into consideration the historical context in which they developed. The last article in this section by **Sourour Hachicha** is a translation of an opinion article by Ray Jackendoff 'The parallel architecture in language and elsewhere'. It is an article in which Jackendoff argues that linguistic representations rely on three independent generative systems, namely phonological, syntactic, and semantic structures—plus a system of interface links.

Said Bakkar

Essemara's Multidisciplinary College

Ibn Zohr University



## Editor-in-Chief's Foreword

Launching a peer-reviewed journal in the field of linguistics may appear to be a bold undertaking, given the considerable time, effort, and material as well as moral investment it demands. Nevertheless, we have embraced this endeavor with strong hope that this research platform will emerge as a distinguished scholarly forum and a meeting point for researchers and scholars in linguistics and discourse analysis. It is envisioned as a multilingual venue that reflects cultural and intellectual diversity and fosters academic dialogue among researchers from around the world.

For decades, we have taken upon ourselves a firm commitment to support and engage in rigorous research. Linguist Journal comes as a natural extension of that mission, aiming to keep pace with the rapid scholarly and intellectual progress taking place in the field of modern linguistic studies.

We firmly believe that the quality of research begins with careful selection of topics, sound methodology, rigorous peer review, and adherence to internationally recognized academic publishing standards. Accordingly, the Journal adopts a meticulous review policy to ensure a level of scholarly excellence that meets the expectations of the academic community it addresses.

We would like to extend our sincere thanks to Prof. Dr. Leila Mounir, Dean of the Faculty of Arts and Humanities at Mohammed V University in Rabat, for her generous support and steadfast commitment to the continuity of the journal.

In conclusion, we warmly welcome all researchers and scholars along with their studies and contributions. We invite them to join this academic project and enrich it with their work. We look forward to Linguist Journal becoming a qualitative addition to the field of linguistic studies and a radiant scholarly beacon both in the Arab world and internationally.

May God grant us success

Editor-in-Chief

Prof. Hafid Ismaili Alaoui



## Editorial of the Issue

Since the publication of its early issues, Al-Lissani Journal has demonstrated a clear distinction and a unique identity, which quickly earned it the attention and trust of readers, including linguists and researchers. It secured a foothold in the field of linguistic research both within Morocco and abroad, thanks to the depth, originality, and rigor of the studies it published contributions made by a number of renowned scholars.

Since the journal ceased publication after releasing the four issues of its first volume, researchers and interested parties from inside and outside Morocco have continued to inquire about it and expressed a strong desire to publish in it. This motivated us to prioritize the resumption of this respected academic platform, as part of a broader strategy aimed at advancing scientific research within our institution, by encouraging all purposeful initiatives.

Today, we are pleased to present this new issue of the Journal to readers, and we sincerely hope that the Journal continues with the same excellence that serves scientific research in general, and linguistic research. We aim to offer researchers valuable and innovative contributions in the field of linguistics—an area in which our institution has always held a pioneering role, both locally and in the Arab world.

I would like to express my gratitude to Professor Hafid I. Alaoui, the Journal's director and editor-in-chief, for his dedicated efforts and strong commitment to keeping the Journal under the umbrella of the Faculty of Letters and Human Sciences, Mohammed V University in Rabat. I also thank all members of the editorial board for their support of this outstanding academic project, and we hope for the Journal's continued publication and regularity.

Administrative Director

Prof. Laila MOUNIR

Acting Dean, Faculty of Letters and Human Sciences

**The Rhetoric Of Resistance: Folklore And The Praise Of Words**

Pr. Emad Abdul-Latif ..... 267

**Le Rapprochement Entre Cda Et Cognitive Linguistics**

Prof. Hafid Ismaili Alaoui ..... 287

**The Discourse-Historical Approach**

Mohammed Bakkar ..... 308

**A Procedural Approach To Ethical Critique In Cda**

Dr. Mohamed Saoudane (Translator) ..... 341

**Proper Names In The Moroccan Sahara**

Fadoua Jmoula ..... 373

**The Foundations Of The Old Arabic – Neo Arabic Dichotomy**

Jonathan Owens ..... 403

**The Parallel Architecture In Language And Elsewhere**

Sourour Hachicha..... 427



# TABEL OF CONTENTS

## **Editorial Of The Issue**

Prof. Laila Mounir ..... 10

## **Editor-In-Chief's Foreword**

Prof. Hafid Ismaili Alaoui..... 11

## **The Linguistic And Philosophical Frameworks Of The Concept Of Iscourse In Contemporary Western Thought**

Prof. Abdellatif Albadadi..... 17

## **Linguistic References Of Critical Discourse Analysis Morocco**

Boujamaa Ikhijem ..... 36

## **Netanyahu's Speech To Iranian People**

Kamal Ammi ..... 71

## **Metaphorical Conception Of Women In Hassani Proverbs**

Dr. Said Bakkar ..... 107

## **A Critical Analysis Of Love Metaphors In Moroccan Arabic**

Khadija Bouzzit ..... 129

## **Rhetoric Of Television Commentary**

Mustapha Daou ..... 195

## **Between Transparency And Opacity**

Chaymae Elbahtari..... 234

## **Teaching Critical Language Awareness**

Adelwahab Elkachkouri ..... 249

## Peer Reviewers for This Issue

- Ahmiani Otman
- ALBadadi Abdellatif
- Bakkar Mohammed
- Bakkar Said
- Boulhoch Fatima
- Choukri Ibrahim
- Ghelfane Mostafa
- Karim Asma
- Mahdar Omar
- Montaser Amien
- Rajouane Mustapha
- Sane Mo Yagi

## CONTRIBUTORS TO THIS ISSUE

- Abdul-latif Emad:** is a professor of rhetoric and discourse analysis. He works at Qatar University and studied Arabic rhetoric and political discourse analysis at Cairo University (Egypt) and Lancaster University (England). He is the Editor-in-Chief of “Khitabat” Journal and the founder of ‘Balaghat Al- Jumhour’ a discipline interested in the rhetorical empowerment of audiences. His recently published books are (The New Arabic Rhetoric: Paths and Approaches, 2021) and (Political Discourse Analysis: Rhetoric, Power, and Resistance, 2019).
- ALBadadi Abdellatif:** is a Professor of Arabic Language and Literature, Regional Academy of Education and Training for the Tangier–Tetouan–Al Hoceima Region, Kingdom of Morocco. Visiting Professor at the Faculty of Letters and Humanities, Abdelmalek Essaâdi University – Tetouan, responsible for teaching Methods of Discourse Analysis in the Master’s program in Hermeneutics and Linguistic Studies. He obtained his PhD degree in Discourse Analysis (2021) from Ibn Zohr University, Agadir. His research interests revolve around Text Linguistics and Discourse Analysis, Critical Discourse Studies, Cognitive Linguistics, and Systemic Functional Linguistics
- Ammi Kamal:** A High School Teacher of Arabic Language. A PhD student in (Textual Linguistics), in the (NUMECOL) laboratory which is concerned with digitization, education, communication and languages, at the (Higher Institute of Education and Training) at the University of Ibn Zohr, Agadir, Kingdom of Morocco. A Masters holder in Textual Science and Discourse Analysis from the Faculty of Arts and Humanities of Ibn Zohr University, Kingdom of Morocco, in 2024, interested in Textual Linguistics and Critical Linguistics.
- Bakkar Mohammed:** is a professor of English and a translator. He holds two Master’s degrees: one in Applied Linguistics (in English) and another in Maghreb Arab History (in French). His main research interests include political Islam and democracy in the Arab world, critical thinking, populism, and critical discourse analysis.
- Bakkar Said:** is an Associate Professor of Discourse Analysis in the Department of Applied Foreign Languages at Smara multidisciplinary College, Ibn Zohr University. He earned his PhD degree in Political Discourse Analysis (2020) from Ibn Zohr University and has published many books, studies and articles in his field of work. His research interests include critical discourse analysis, critical linguistics, systemic functional linguistics, conceptual metaphors, social semiotics, and multimodality.
- Bouzzit Khadija:** is a secondary school teacher. She has a Master's degree in Text Linguistics and Discourse Analysis from Ibn Zohr University in Agadir, Morocco, in 2024. She is currently a doctoral student specializing in the study of emotional metaphors in Moroccan languages. Her research interests include cognitive linguistics, conceptual metaphor theory, critical analysis of metaphor, and Moroccan languages.
- Choukri Ibrahim:** Doctoral researcher and Educational Inspector of Secondary Education specializing in Arabic language. He is affiliated with the Laboratory of Linguistic and Cultural Systems at Ibn Zohr University, Agadir, Kingdom of Morocco. His doctoral research focuses on semiotic discourse in Morocco. His research interests include social semiotics, critical discourse analysis, advertising, and life skills.
- Daou Mustapha:** is a teacher of Arabic language in secondary education at Abdallah Ibn Yassine High School, under the Provincial Directorate of Inezgane Ait Melloul, Kingdom of Morocco. Holder of a Master’s degree (2024) in Text Linguistics and Discourse Analysis. Currently a

## CONTRIBUTORS TO THIS ISSUE

PhD candidate. His research interests focus on metaphor in general, metaphor in cognitive linguistics, semiotics, and multimodality.

**Elbahtari Chaymae:** is a PhD researcher at the Laboratory of Methodological Integration in Discourse Analysis, Faculty of Arabic Language, Cadi Ayyad University, Marrakesh, Morocco. Her research interests focus on critical discourse analysis, gender theory, argumentative discourse, and the study of fallacious persuasive strategies.

**Elkachkouri Abdelwahab:** is an Arabic Language Teacher in secondary education since 2017, currently working at Ibn Al-Haytham High School in Imintanoute, Morocco. He holds a Bachelor's degree in Arabic Studies from the Faculty of Arts and Humanities at Ibn Zohr University (2014) and a Master's degree in Text Science and Discourse Analysis from the same university (2024). He is interested in creative writing particularly poetry, and research in linguistics and discourse analysis.

**Ikhjem Bojamaa:** PhD student Boujamaa IKHIJEM (linguistics and discourse analysis) Faculty of Arabic Language, Cadi Ayyad University, Marrakesh, Kingdom of Morocco. He earned his master's degree in Text Science and Discourse Analysis from Ibn Zohr University, Agadir, 2024. His research interests revolve around discourse analysis and critical discourse analysis.

**Hachicha Sourour:** is a Tunisian researcher and academic. She received her PhD degree from Mannouba University, Tunisia, in (2016). She serves as an associate professor of linguistics, in the Department of Arabic, Faculty of Letters and Human Sciences, Sfax University, Tunisia. Her research interests include: lexicon, semantics and syntax in cognitive linguistics

**Ismaili Alaoui Hafid:** Professor of Linguistics and Discourse Analysis in the Department of Arabic Language at the College of Humanities and Social Sciences, University of Sharjah, United Arab Emirates, and the Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Mohammed V University in Rabat, Kingdom of Morocco. He obtained his PhD in Linguistics from Hassan II University in Casablanca, Morocco, in 2004. His research interests include linguistics, legal language, mental lexicon, argumentation, and discourse analysis.

**Ajmoula Fadwa:** Bachelor's degree in Arts from the Department of Arabic Language and Literature, specialization in Linguistics. Diploma of Advanced Studies on the topic: "Linguistic Pioneering in Contemporary Morocco". Training and Research Unit: Writing Methods in the Islamic West. Faculty of Arts and Humanities.

**Saoudane Mohamed:** is a researcher in linguistics and discourse analysis. He is affiliated with the Laboratory of Didactics, Languages, Media, and Dramaturgy at the Faculty of Languages, Arts and Humanities –Ibn Tofail University, as well as the Laboratory of Educational Thought and Teaching Methods at the Regional Center for Education and Training– Souss-Massa. He completed his doctoral dissertation on language policy through the lens of critical discourse analysis. His research interests lie in sociolinguistics, translation, discourse analysis, and critical discourse studies.

**Wahidi Mohamed:** is a Full Professor of linguistics in the Department of Arabic language, Ecole Normale Supérieure, Moulay Ismail University, Mekes-Morocco. Prof. Mohamed Wahidi received his PhD degree in Arabic comparative linguistics (winter 2000) from Mohamed V University, Rabat. His research interests include: Arabic comparative syntax, generative syntax, Arabic historical linguistics.

# RULES OF PUBLISHING

## Citation Style:

- The journal follows the APA (American Psychological Association) 7th edition citation style.
- Full citation guidelines are available on the journal's website or the APA website.

Other requirements for publication:

- If the article is a translation, include the original text with full citation.
- Abstracts in Arabic and English, each between 250 and 300 words.
- A list of 5 to 7 keywords.
- A brief biography of the author (no more than 200 words) in Arabic and English.
- The author's detailed CV.

Publishing Procedure:

- All materials must be submitted via the journal's website (Submit Publication Request).
- Authors will receive confirmation once their submission meets the requirements.
- The journal will notify the author within 10 days whether the submission is formally accepted or rejected and whether it will proceed to peer review.
- Submissions that meet the publishing criteria are sent for blind peer review.
- Authors are informed of the review outcome (acceptance or rejection) within one month of confirmation.
- If rejected, the journal is not obligated to provide reasons.
- If reviewers request revisions, the author will be notified and must make the changes within the specified deadline.
- Authors must ensure their texts are properly edited and proofread according to international academic standards.
- The journal reserves the right to republish the article in any beneficial format, with notification to the author.
- Once a submission is accepted for final publication, it cannot be published elsewhere.
- Authors may republish their work one year after its original publication, with notification to the journal.
- The journal does not offer financial compensation for published materials and does not charge for publication.

## Disclaimer:

- Published articles do not reflect the opinion of the journal.
- The author is solely legally responsible for their work.

## Submission Emails:

Submit papers via the journal's website (Submit Publication Request):

The Journal's e-mail  
linguist@linguist.ma  
linguistflshr@gmail.com

For more information, visit the journal's website:  
<https://linguist.ma>

# RULES OF PUBLISHING

## Linguist is:

- A peer-reviewed international scientific quarterly journal specialized in linguistics.
- The journal accepts submissions in Arabic, English, French, Italian, German, Spanish, and Portuguese.
- The journal accepts original research, translations, and reviews, provided that translated studies or books are of significant importance.

## Journal Mission:

- Contribute to the dissemination of scholarly linguistic culture.
- Advance linguistic research within Arabic culture.
- Keep up with current linguistic research developments and epistemological shifts.
- Inform researchers and interested readers about the most important publications in the field of linguistics.
- Promote interdisciplinary dialogue by focusing on cross-disciplinary linguistic studies.

## Journal Focus:

- Publishes serious research and studies in the field of linguistics.
- Strives to keep up with global developments in linguistic research through translations of studies published in top international linguistic journals.
- Encourages discussion on contemporary linguistic issues.

## Specificity and Uniqueness:

- The journal publishes original papers that have not been previously published or submitted elsewhere.
- Submitted materials must relate to linguistics, whether theoretical, applied, or translated research.
- Research must adhere to recognized academic standards.
- Submissions must comply with the publishing guidelines detailed on the journal's website.
- Word count should be between 5,000 and 9,000 words, including appendices.

## Conditions for publication

- The journal publishes reviews of recent publications, whether translated into Arabic or not.
- Basic conditions for book reviews include:
  - The book must fall within the journal's scope.
  - Selection of the book must be based on objective criteria: importance, academic value, contribution to knowledge, and benefit of reviewing.
  - The book must have been published within the last five years.
- Reviews must include:
  - Book title, author, chapters, number of pages, publishing house, and publication date.
  - A brief introduction to the author and translator (if applicable).
  - Overview of key elements: objectives, content, sources, methodology, and structure.
  - Thorough analysis of the book's content, highlighting main ideas and themes, using critical tools and comparative methodology.
  - Review length should be between 2,000 and 3,000 words. Reviews up to 4,000 words are accepted if they focus on deep analysis and comparison.

Managing Director

**Pr. Mounir Laila**

Dean on the Faculty of Letters and Human Sciences Rabat

Responsible Director and Editor-in- Chief

**Pr. Hafid Ismaili Alaoui**

## Consulting Board

Prof. Abdelmajid Jahfa (Morocco)	Prof. Hamza Al-Mozainy (Saudi Arabia)	Prof. Mohammad Alabd (Egypt)
Prof. Abderrahmane Boudraa (Morocco)	Prof. Hassan Ali Hamzé (Lebanon/Qatar)	Prof. Mohammed Rahhali (Morocco)
Prof. Abderrazak Bannour (Tunisia)	Prof. Hisham Ibrahim Abdulla Al-Khalifa (Iraq)	Prof. Mostafa Ghelfane (Morocco)
Prof. Ahmed Alaoui (Morocco)	Prof. Mbarek Hanoun (Morocco)	Prof. Murtaadha J. Bakir (Iraq)
Prof. Ahmed Moutaouakil (Morocco)	Prof. Michel Zakaria (Lebanon)	Prof. Saad Maslouh (Kuwait/Egypt)
Prof. Ezzeddine Majdoub (Tunisia)	Prof. Mohamed Ghalim (Morocco)	Prof. Salah Belaid (Algeria)

## Editorial Team

AbdalRahman Teama Hassan (Sultan Qaboos University, Oman)	Laila Mounir (Mohammed V University, Morocco)
Abdellatif Tahiri (Mohammed V University, Morocco)	Mahrous Borieek (Qatar University, Qatar)
Abdulrahman Hassan Albariqi (King Khalid University, Saudi Arabia)	Mohamed Sahbi Baazaoui (Al Wasl University, UAE)
Amira Ghenim (University of Tunis, Tunisia)	Mohammed Derouiche (Mohammed V University, Morocco)
Aqeel Hamed Alzammai Alshammari (Qassim University, Saudi Arabia)	Mourad Eddakamer (Mohammed V University, Morocco)
Azeddine Ettahri (Mohammed V University, Morocco)	Muurtadha Jabbar Kadhim (University of Kufa, Iraq)
Azza Shbl Mohamed Abouelela (Cairo University, Egypt/ Osaka University, Japan)	Nohma Ben Ayad (Mohammed V University, Morocco)
Eiman Mohammed Mustafawi (Qatar University, Qatar)	Nourddine Amrous (Mohammed V University, Morocco)
Elmellakh Mhammed, (Cadi Ayyad, University, Morocco)	Otman Ahmiani (Mohammed V University, Morocco)
Emad Zapin (United Arab Emirates University, UAE)	Ouafaa Qaddioui (Mohammed V University, Morocco)
Essa Odeh Barhouma (The Hashemite University, Jordan)	Rachida Lalaoui Kamal (Mohamed V University, Morocco)
Habiba Naciri (Mohammed V University, Morocco)	Redoine Hasbane (Mohammed V University, Morocco)
Hassan Khamis Elmalkh (Al Qasimia University, UAE)	Sane Yagi (Sharjah University, UAE)
Karim Bensoukas (Mohammed V University, Morocco)	Waleed Alanati (UNRWA University, Jordan)
Khalid Lachheb (New York City University, USA)	

Dépôt Légal: 2019PE0001  
ISSN: 2665-7406 (Online)  
E-ISSN: 2737-8586 (Print)

The Journal's e-mail  
[linguist@linguist.ma](mailto:linguist@linguist.ma)  
For more information, visit the journal's website  
<https://linguist.ma>

**Volume (2) - Issue (4) - 2025**

Dépôt Légal: 2019PE0001  
ISSN: 2665-7406 (Online)  
E-ISSN: 2737-8586 (Print)

E-mail Address

[linguist@linguist.ma](mailto:linguist@linguist.ma)

Journal's Website

<https://linguist.ma>

# اللساني **linguist**

An international peer-reviewed quarterly journal specializing in linguistics issued by the Faculty of Arts and Humanities

Mohammed V University of Rabat - Morocco

## Critical Discourse Analysis



Volume (2) - Issue (4)

2025



[www.the-linguist.com](http://www.the-linguist.com)

ISSN: 2665-7406

E-ISSN: 2737-8586